

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق
الدكتور عبد الحميد هندراوي
الدراس بكلية دار المعلمين - جامعة القاهرة

المجلد الأول

المحتوى:

مدوّلة سورة الفاتحة - إلى آخر سورة الأعراف

مستورات

محمد يحيى بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مستشارات محمد رجاويش بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
صندوق بريدي: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3976-2



9 782745 139764

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لفضيلة الدكتور/ عبد الحميد هندأوي

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب والفرقان، وأصلى وأسلم على حامل
لواء الفصاحة والبيان، محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

وبعد، فهذا كتاب فى التفسير قلّ أن تجد مثله، فهو قصد ووسط بين
المختصرات والمطولات، يوضح العبارة بأيسر إشارة، ويجمع الكثير من المعانى بقليل من
الألفاظ الدوانى، ويلخص الأقوال، ويرجح المقال على المقال، ويشير إلى أسرار الإعجاز
بشيء من الإيجاز، ويرد الأقوال المتحللة من الفلاسفة والمعتزلة، وينافح عن كلام رب
العالمين برد كلام المبطلين والغالين.

وقد كتبه مصنفه بعد تردد وتأخر، لكنه عزم عليه كما يقول لما لم يجد "فى
التفسير مختصراً يعنى، وكتاباً يقرب ويدنى".

وبالحق كان كتابه سداً لهذه الثغرة، فكان مختصراً يعنى، وكتاباً يقرب ويدنى؛
فهو على اختصاره يعنى عما سواه من المطولات، وعلى وجازة إشارته يقرب المعنى
البعيد ويدنيه، وكان من خير ما قدر لهذا الكتاب أنه حاز الفضل من جهتين:

من جهة مصنفه (الإيجى) - رحمه الله - فى حسن تصنيفه والعناية بتأليفه، وتحرير
مسائله العقدية واللغوية والبلاغية.

ثم من جهة محشيه (الغزنوى) - رحمه الله - الذى خدم هذا الكتاب خدمة جليلة
لا تقل عن خدمة مصنفه الأسمى بل تزيد، حيث إنه قد انبرى لما فات المصنف أن ينبه
عليه مما يخالف عقيدة السلف أو ما وقع فيه المصنف نفسه من باب الخطأ والزلل فى
مخالفة عقيدة السلف الصالح (رضوان الله عليهم جميعاً) فانبرى لذلك الشيخ الغزنوى -
رحمه الله - وقد كان سنياً سلفياً واضح المذهب مقتدياً بالإمامين ابن تيمية وابن القيم -
رحمهم الله تعالى جميعاً - ويكثر النقل عنهما؛ فحلّص الكتاب مما قد يشوبه أو يشينه من

المخالفات فأصبح بحمد الله تعالى بارئاً، وصفاه من الكدر فصار بمنة الله تعالى عسلاً
مصفىً وليناً خالصاً سائغاً للشاربين، وهذا من فضل الله ورحمته للعالمين.

هذا، وقد عهدت إلى دار الكتب العلمية بتحقيق هذا السفر العظيم، غير أنني
قد انتابتني الشواغل والموانع دون إتمامه فقام على إتمام تخريجه وتصحيحه ومراجعته
جماعة من الأفاضل، واقتصر دورى فيه على النظر فيه ومراجعته والتعليق على بعض
مواضعه والتقديم له، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجزل المثوبة لكل من ساعد فيه أو قدم
فيه جهداً مشكوراً، وأسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة عليه في الدنيا والآخرة، إنه مولى
ذلك والقادر عليه.

وكتب

راجي عفوره الغفور

عبد الحميد بن أحمد بن يوسف هنداوى

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو محمد بن صفى الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالسلام وقيل: عبدالله، معين الدين الحسينى الصفوى الإيجى الشيرازى الشافعى. وذكر نفسه هو فى مقدمة كتابه فقال: "وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه (معين بن صفى) أدر كهما الله بلطفه الجليلي والخفي".

مولده:

ولد الإيجى سنة ٨٣٢هـ الموافق ١٤٢٩م تقريباً.

موطنه:

نشأ الإيجى فى بلدة "إيج" بنواحي شيراز، وإليهما ينسب.

وإيج "بالجيم": بلدة كثيرة البساتين والخيرات أقصى بلاد فارس، وأهل فارس يسمونها إيك. ويبدو أنها بلدة يعنى أهلها بالعلم والعلماء، فقد نسب إليها عدة من المؤلفين والعلماء، منهم عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجى، بل نسب إليها كبار المحدثين، وينسب إليها أبو محمد عبدالله بن محمد الإيجى النحوى؛ روى عن ابن دريد فأكثر.

وشيراز: بالكسر وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهى قسبة بلاد فارس، وهى مما استجد عمارتها واختطاطها فى الإسلام، وبها جماعة من التابعين مدفونون، وهى فى وسط بلاد فارس، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء فى كل فن.

أبوه:

هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجى صفى الدين أبو الفضل الحسينى العجمى الصفوى الشافعى المتوفى بمكة سنة ٨٦٤هـ، له حاشية على شرح التبادكانى لمنازل السائرين، ولقد بدأ الأب فى كتابة تفسير سورة الأنعام، فكتب نبذاً ثم ترك، وقال لابنه: أنت مأمور بذلك.

ولما كان الأب له مشاركة فى العلوم الشرعية كان لذلك تأثير على الابن، بل كان الأب سبباً لإكمال الابن كتاب التفسير كما سبق.

اجتهاده العلمى:

لقد انشغل الإيجي بجوانب متعددة من الفروع العلمية، وبرع في بعضها ومما يدل على ذلك الأوصاف التي وصف بها في ترجمته فقد وصف بأنه مفسر ومحدث ونسب إلى مذهب الشافعي.

١- التفسير:

لقد انشغل الإيجي بعلم التفسير، ووقف على كتب عدة في جمعه لمادة تفسيره، وله كتب في التفسير منها: تفسير سورة الفاتحة، جامع البيان في تفسير القرآن وهو الذى نقدم له.

ومما يدل على براعته في التفسير أنه يجمع في تفسير الآية أقوالاً كثيرة بأوجز عبارة وألطف إشارة، وهذا لا يستطيعه إلا من كان بالتفسير خبيراً وبطرق المفسرين وعباراتهم بصيراً، حتى قال عن نفسه كما في مقدمة تفسيره: "ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد في كثير منها".

٢- الحديث:

كان الإيجي معظماً للحديث النبوي غير معرض عنه، وله مشاركة بالتأليف في علم الحديث إذ له شرح الأربعين النووية.

وتجده يعيب على من لا يقدم الأخبار النبوية؛ فيقول في مقدمة التفسير "وكثيراً تجد الزمخشري ومن يحدو حدوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية، وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض، لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم".

٣- اعتقاده:

لقد حمل الإيجي حملة شديدة على الفلسفة والفلاسفة؛ إذ كان مبغضاً لها ومحذراً منها معظماً للنصوص الشرعية، بل ألف كتاباً سماه: "تهافت الفلاسفة". ويقول في تفسير سورة البقرة آية ٧٤ في حديثه عن بعض الأمور المردودة: "نعم لمن

يتبع الفلسفة أن يتمحل التَّمَحُّلُ^(١) في أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه".

وكان له موقف من الاعتزال عمومًا ومن الزمخشري خصوصًا، فيقول في مقدمة التفسير: "كتاب موفِّي فيه الحكمة والمعرفة، مصفَّى عن الاعتزال والفلسفة". ويقول: "فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكارًا، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم نارًا".

ومع تعظيمه للنصوص الشرعية وموقفه من الاعتزال والفلسفة ونقله الكثير عن السلف إلا أننا نجد عنده آثارًا صوفية ربما كان سببها كون أبيه صوفيًا، ومن أمثال ذلك ما تجده في كلامه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في مقدمة التفسير، ولقد أجاد الغزنوي صاحب الحاشية في بيان خطأ ما صنع، والتحذير مما فيه وقع، وأحيانًا يمشى في تفسير آيات أسماء الله وصفاته على طريقة الأشاعرة، وربما ينقل في تفسيرها قول السلف مُتَّبِعًا إياه بكلام الأشاعرة، فتراه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ من سورة البقرة يقول: "لا يرضيه" جاريًا مجرى الأشاعرة في تأويل الصفات إلى السبعة التي يشتونها، فيقولون معنى الحب: الرضا مخالفين بذلك طريقة السلف، ومثال جمعه بين طريقة السلف وطريقة الأشاعرة قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ من سورة البقرة: "مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكل علمه إلى الله تعالى أو تقديره: يأتيهم بأسه".

وجدير بالذكر أن الغزنوي صاحب الحاشية أشار في مواضع كثيرة إلى طريقة السلف في فهم آيات أسماء الله وصفاته وأن هذه الطريقة هي التي يجب اتباعها إلا أنه لم يتبع كل موضع يحتاج إلى هذا التنبيه.

مذهبه:

وصفه من ترجموا له بأنه كان شافعيًا ونقل هو عن مذهب الشافعي في تفسيره.

لغته:

مع كونه نشأ ببلاد فارس إلا أنه عني بعلوم العربية واجتهد في إتقانها، فضمن

(١) التمحُّل: المعادة.

تفسيره كلاماً عن الإعراب وتوجيهات نحوية مما يدل على أن له في علوم العربية باعاً، ولكن ليس كل ما تبغيه تجده فقد ظهر في عباراته جانب من الضعف اللغوي والركاكة في الأسلوب وعذره في ذلك أنه ليس من العرب الأصلاء وإنما هو أعجمي، وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معاييه.

وفاته:

توفي الإيجي في ١٩٠٦ هـ وقيل: ١٩٠٥ هـ الموافق تقريباً ١٥٠٠ م. ووقع على غلاف طبعة باكستان لكتاب التفسير (١٨٣٢-١٨٩٤ هـ) وعلى طبعة الشيخين شاکر والفقهي (١٨٣٢-١٩٠٥ هـ).

كتبه:

لقد أشرنا إلى بعضها آنفاً في طيات حديثنا ولكن ها نحن نذكر ما وقفنا على نسبتها له:

١- تفسير سورة الفاتحة.

٢- جامع البيان في تفسير القرآن، وبعضهم يسميه: جوامع التبيان في تفسير القرآن (وهو ما نقدم له بهذه المقدمة).

٣- تهافت الفلاسفة.

٤- شرح الأربعين النووية.

٥- شعب الإيمان.

٦- حاشية على التلويح للتفتازاني.

٧- بيان المعاد الجسماني والروح.

جامع البيان

اسمه وتوثيق نسبه للمؤلف:

ذكر المترجمون للإيجي أن له كتابا في التفسير لكنهم اختلفوا في تسمية الكتاب، فسماه في الأعلام: جامع البيان في تفسير القرآن، وكذا قال هو في مقدمة التفسير كما في الأصل الذي رجعنا إليه، بينما سماه في الضوء اللامع جوامع التبيان في تفسير القرآن وكذا قال في كشف الظنون وفي هداية العارفين.

مصادره في التفسير:

أشار المؤلف في مقدمة تفسيره أنه رجع في التفسير إلى الكتب الآتية:

* تفسير عماد الدين بن كثير.

* معالم الترتيل لمحيي السنة البغوى.

* الكشف للزمخشري.

* شروح الكشاف:

- شرح الطيبي (وهو المسمى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب).

- الكشف (ولعله لعمر بن عبدالرحمن الفارسى القزوينى ٥٧٤٥هـ).

- شرح المحقق التفتازانى (سعد الدين مسعود بن عمر).

* الوسيط للواحدى.

* مدارك الترتيل للنسفى.

* أنوار الترتيل للبيضاوى.

وأشار في بعض المواطن إلى نقله عن كتب أخرى كما ترى في نقله عن ابن جرير

في تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

والأحاديث المذكورة فمعظمها من الصحاح الستة.

بعض الرموز في التفسير:

استخدم المؤلف بعض الرموز في تفسيره بغية الاختصار فقال في المقدمة: "وكل

معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقبيل فأكثره من مخترعات

المتأخرين، ما ظفرنا فيه بنقل".

كما أنه استعمل الرمز "تع" إشارة إلى كلمة "تعالى" التى يثنى بها على الله سبحانه

وتعالى، وقد قمنا بكتابتها "تعالى" دون رمز لعدم اللبس على القارئ.

(رح) يقصد بها رحمه الله.

ومن الرموز المتكررة في التفسير حرف العين النسخ "ع" وكان يضعها على هامش الأصل ويشير بها إلى نهاية الركوع، ووقع هذا تبعاً للتقسيم على الركوعات، وهو تقسيم يقوم على اعتبار المعنى، وكل عدد من الآيات يسمى ركوعاً، ثم تكون السورة عشرين أو أربعين أو ثمانين ركوعاً، وكتب مع العين عدة أرقام أغلب الظن أنه يقصد بها الآتى:

١- رقم يكتب أعلى العين يعنى به ترتيب الركوع داخل السورة.

٢- رقم يكتب داخل العين وهو عدد آيات ذلك الركوع.

٣- رقم يكتب أسفل الركوع يعنى به ترتيب الركوع داخل الجزء.

حاشية التفسير:

صاحب الحاشية:

هو محمد بن عبدالله الغزنوى توفى عام ١٢٩٦هـ هكذا وجدنا ذكره على غلاف الأصل الذى رجعنا إليه، ولم نقف له على ترجمة، لكن من خلال حاشيته ندرك جانباً هاماً من حياته العلمية وهو سعة اطلاعه كما هو واضح من كثرة المصادر التى اعتمد عليها فى الحاشية كما يتجلى لنا منهجه فى الاعتقاد حيث نبه كثيراً على عقيدة السلف وأكثر النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه ابن القيم.

بعض موارده فى الحاشية:

أكثر الغزنوى فى حاشيته من النقل عن مصادر كثيرة مستعملاً فى الإشارة إليها رموزاً واختصارات فمنها:

* كبير: يقصد به مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، وكان يقول أحياناً: قال الرازى، ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "كبير" بما فى مفاتيح الغيب للرازى فوجدناها هى هى.

* فتح: يقصد به فتح القدير للشوكانى، وهناك نص فى كلامه فى تفسير سورة المائدة على أنه فتح القدير للشوكانى.

ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "فتح" بما فى فتح القدير فوجدناها

واحدة.

* معالم: يقصد به معالم الترتيل للبعوى.

* وجيز: لم نقف على كتاب في التفسير بهذا الاسم إلا الوجيز في التفسير لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الإمام أبي الحسن الواحدى.
إلا أنه وقع في التفسير الذى تقدم له في سورة التوبة آية ٦٠ في الحاشية: "لكن قال المصنف في الوجيز".

* در منتشر: وهو الدر المنتور للسيوطى.

* صراح: لم نقف إلا على صراح اللغة لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المشتهر بجمالى، وهو ترجمة الصحاح بالفارسية، فرغ منها سنة ٦٨١هـ.
* تبصير الرحمن: لعله تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن في التفسير للشيخ زين الدين علي بن أحمد بن علي بن أحمد الأموى الحنبلى توفى سنة ٧١٠هـ.

* كمالين: لعله يقصد الكمالين على الجمالين في التفسير حاشية لعمر بن عبد الجليل البغدادى الحنفى المتوفى سنة ١١٩٤هـ.

* فتح البيان: لم نهند إلى كتاب يحمل هذا العنوان.

* البحر: هو البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى.

* لباب التأويل، الخازن: ، لباب: عدة رموز يقصد بها تفسير الخازن الموسم بلباب التأويل في معانى الترتيل.

* شيخ الإسلام ابن تيمية: يقصد بذلك كتبه.

* منه / ١٢ منه: وهذه إشارة من الغزنوى صاحب الحاشية إلى أن هذا من حاشية المصنف.

ومما يدل على ذلك قول الشيخين أحمد شاكر وحامد الفقى على غلاف طبعتهما إن ما كتب بجواره (منه) فهو من كلام المؤلف.

ويؤكد ذلك قول المؤلف في مقدمة التفسير: "وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تحريجها مسطوراً في الحاشية عليها"، وقوله: "وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة أو أومأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية".

وقد نبه صاحب الحاشية على ذلك بقوله في تفسير سورة البقرة آية ٢٥٣ في الحاشية:

"وقد ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة".
ووقع في الحاشية في تفسير الآية ٢٥٨ من سورة البقرة: "اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير" مما يدل على أن من الحواشي ما هو من قلم المصنف.
* ١٢: وقع في نهاية كثير من الحواشي هذا الرقم منفرداً أو مضافاً إليه رمز أحد الكتب أو مضافاً إليه كلمة (منه) ولم تقف على ما نستطيع به الجزم. بمعنى هذا الرقم.

* ج: لم نهد إلى معنى هذا الرمز.

* رض: يعني رضى الله عنه.

* رح: أحياناً يقصد بها -رحمه الله- وفي بعض المواضع لم نهد لمعناها.

* م: وقع هذا الرمز في آخر بعض الحواشي فقد يكون اختصاراً لـ "محمد الغزنوي" أو لـ "منه".

* قاضي: هو القاضى البيضاوى صاحب أنوار الترتيل.

الأصل الذى اعتمدنا عليه:

اعتمدنا على الطبعة التى أصدرتها دار نشر الكتب الإسلامية بلاهور - باكستان وكتب على غلافها:

"جامع البيان فى تفسير القرآن للشيوخ السيد معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسينى الحسينى الإيجى الشافعى رحمه الله (٥٨٣٢-٥٨٩٤هـ) علق عليه محمد بن عبدالله الغزنوى المتوفى (٥١٢٩٦هـ)، حققه وصححه منير أحمد" الطبعة الثالثة الصفر المظفر ١٤٠٦هـ، نوفمبر ١٩٨٥م. وجاء فى خاتمة الطبع اسم لعله اسم الكاتب وهو "عبدالرءوف ثاقب خوشنويس".

مصادر الترجمة:

الضوء اللامع للسحاوى (٣٧/٨).

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٣/١٠).

الأعلام للزركلى (٢٩٥/٣)، (١٩٥/٦).

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين بذيّل كشف الظنون لإسماعيل باشا

البغدادى (٢٢٣/٦)، (٥٣٢/٥).

- كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٦١٠)، (٢/١٠٧٧)، (١/٣٣٩)، (٢/٢٠٠٢).
 معجم البلدان لياقوت الحموي "إيج" (١/٣٤٢)، "شيراز" (٣/٤٣١-٤٣٢).
 تاج العروسى للزبيدي "أيج" (٢/٥).
 مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده) (٢/٥٨-٨٦).
 إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي (٤/٣٨٢).
 اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزري (١/٩٦-٩٧).

منهج التحقيق:

- ١- قمنا بتقسيم الآيات حسب الركوعات التي كتبت بهامش التفسير، بحيث نورد مجموعة من الآيات هي الركوع الذي قسم بهامش التفسير ثم نورد تفسيرها.
- ٢- ما كان من تخريج للحديث وقد خرج في الحاشية أتبعنا بعده كلامنا بذكر تعقيب أو حكم على الصحة أو تخريج بين [].
- ٣- أبقينا على لغة المؤلف حتى لو كانت ركيكة أحياناً أو ضعيفة وكذلك في كلام المعلق.
- ٤- أبقينا على رموز المعلق وما عرفناه منها ذكرناه سابقاً وما لم نعرفه فعسسى أن يهتدى له أحد بعدنا.
- ٥- ما رمز أمامه بـ (*) فهو من تعليقاتنا.
- ٦- ما كتبناه تعليقاً على الحواشي وضعناها في موضعه بين معكوفتين [].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة للمفسر رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأظهره على الدين كله فالحقُّ أحقُّ، والباطل أزهق^(١) ؛ أنزل معه كتاباً قطع أعناق^(٢) العتاق السَّبَق ، وأبكم به البلغاء من العرب العرباء^(٣) طبقاً^(٤) بعد طبق، شهد محكم آياته القديمة بأن المُنزَّلَ حق غير مختلق، ودل مضمون سوره العظيمة على أن رسوله صادق مصدق ، فصلَّ يا رب وسلم على سيدي سرى ليلاً إلى السبع^(٥) الطبايق فخرق ؛ وبلغت بلاغة كتابه نحواً لا يسبق ؛ بل شأواً^(٦) لا يلحق ؛ ثم على آله مظاهر أَلطاف الله وأفضاله الذين كل منهم في سماء الشرف قمر إذا اتسق^(٧) .

أما بعد؛ فلما أن رأيت هم أبناء العصر قاصرة ، ومساعيهم وإن جدوا في الطلب فاترة، قنعوا عن الحقيقة بالبحار، ومالوا عن التطويل إلى الإيجاز، ولعمري يكاد أن يعد ذلك من علو همتهم، وقوة فهمتهم^(٨) ؛ لأنهم أرادوا حوز^(٩) العلوم بأسرها، وقصدوا

-
- (١) أحقُّ : أثبت. أزهق : محا . [استعمل أزهق بمعنى زهق، من تناوب فعل وأفعل]
- (٢) أعناق : جمع عنق وهو ظاهر ؛ أو من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً فسيحاً ، والعنقُ -بفتح العين والنون - هو السير السريع. العتاق : جمع العتيق أي : الكريم والخيار من كل شيء ، يقال : فرس عتيق سبق ما يتراهن عليه المتسابقون .
- (٣) أي : العرب الخالص ، والتركيب من قبيل " ليل أليل " .
- (٤) الطبايق : الحال ، أي : حالاً بعد حال .
- (٥) السموات طبايق ؛ لأن بعضها فوق بعض . صراح
- (٦) الشأو : الأمر الغاية ؛ يقال : فلان بعيد الشأو أي : عالي الهمة .
- (٧) اتسق : اجتمع وامتأ .
- (٨) النهمة : الحاجة ، بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .
- (٩) الحوز أي : الجمع .

جمع الفنون حبرها وسيرها^(١)، وقد علموا بالتجارب أن الخطب خطير، والعمر قصير، والعوائق^(٢) متلاطمة الأمواج، والبواقي متراكمة الأفواج، فلو استطلعوا على طلل المطولات لوقعوا في فئات الشتات، ويعرض الكل في معرض الفوات، وما رأيت في التفسير مختصرا يغني وكتابا يقرب ويديني — أردت* أن أتعرض لهذا مع قلة البضاعة وقصور الباع خصوصا في تلك الصناعة؛ حين كان القلب مشغوبا بكشف وجوه غمار^(٣) أسرار نكات الكشاف^(٤)؛ والفؤاد مشغوبا^(٥) باستخراج فرائد الفوائد عن زخار بحار كلام الأعلالي والأشراف، وقد كان الزمان يرافق بالموافقة، والإخوان في ميدان الفضل على المسابقة، وكانت مرآة الدهن مصفاة عن صداء الفتور، ومراقبة الفضل مرآة عن طراء الكسور؛ تحول خيول الفهم من غير غائلة^(٥) الوهم في معتركهم، وتحول^(٦) على درك الطرائد في مدركهم ومتركهم؛ لكن قد استنصت^(٧) وعادت عواد عن الإقدام على هذا المرام مدة مديدة من الأيام؛ مع أنه قد صدرت

(١) يقال: فلان حسن الحبر والسير أي: جميل حسن الهيئة، وفي الحديث: "يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسيره" قال الفراء: أي لونه وهياته [الحديث في النهاية لابن الأثير (٣٣٣/٢)]. وقال الأصمعي: أي الجمال والبهاء. صراح

(٢) العوائق: الموانع، البواقي: الشرور والدواهي.

* جواب "لما" في قوله: فلما أن رأيت همم أبناء العصر قاصرة....

(٣) جمع غامر أي: الأرض الخراب، قيل له ذلك لأن الماء قد غمره فلا تمكن زراعته، وهو فاعل بمعنى مفعول؛ كما يقال: "سر كاتم وماء دافق".

يقصد كشاف الزمخشري وهو تفسير الموسوم بـ(الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل) وهو على أجل كتب التفسير عناية ببلاغة القرآن وأسراره.

(٤) يقال: شعف بفلان أي: شغف به/١٢.

(٥) غائلة: الداهية، الشر: الفساد/١٢.

(٦) يقال: خال فلان على أهله، إذا دبر أمورهم وكفاهم.

(٧) قد استنصت أي: وقفت منصتا.

إشارة قدسية تتضمن الالتزام؛ فكم من مرة عزمت وأبت المقادير ، ونويت وعرضت المعاذير حتى لازمني رفيق التوفيق ، وجاورني فناء بيت الله العتيق ، وكحل عيني برؤية أهل الله ، ونلت زوارف الفيض من بذل الله ؛ أنار في أعشاب كبدي تلك الخامدة ، وأدار في دار خلدي تلك الجامدة فاستخرت الله تعالى في المتزمت والمستجار حتى ألقى في روعي أن لا ضرر ولا ضرار في ذاك الاتجار، ثم صرفت الهمة والعزيمة ، وأحكمت النية والصريمة ، ونهضت الجناح ، وأجبت "حي" على الفلاح " ، ورفضت غوائل الشواغل، ونفضت دوح الأوائل ، فجنيت ثمرة طيبة الطعم والريح ، وأحظيت-بحمد الله-بالقدح لا بالسفيح^(١) ؛ فهذا قد تم تفسير لاح النور من خلاله ، وفاح المسك من أذياله، قد حل عقد المغلقات بما قيد ، وبيض وجه المشكلات بما سود ، يمجج رونق التحقيق في حواشيتها ، ويقول المتأمل اللبيب: لله دَرُّ وأشياء ، من مطالعه شمس أنوار التبيان قد طلعت، وإيم الله إنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، كتاب موفى فيه الحكمة والمعرفة ، مصفى عن الاعتزال والفلسفة ، في كل سطر حقائق استلقت أكثرها-بوجه حسن- عن السلف ، ودقائق أبحثها من غير بخل على الخلف، تعرضت فيه لكلام السلف بوجه يعلم منه كيفية مطابقته مع الآية ، وأعرضت عن محتملات لا تجانسه دراية ، ولا توانسه رواية، لا تستصغر قدر نجمه^(٢) لصغر حجمه ؛ فإنك تراه من بعيد ؛ وإنما هو بين الوشوح^(٣) وحيد ؛ وما ذلك كله إلا لأني وسمته^(*) لمن صناديد الخافقين عبيده إن قبل ؛ بل أملاك الأفلاك جنوده لو سأل ، الذي خلق الخلق له^(*)،

(١) السفيح : قدح من قداح الميسر لا نصيب له .

(٢) النجم هنا بمعنى الأصل ، يقال : ليس لهذا الحديث نجم أي : أصل .

(٣) جمع : وشاح ؛ شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر .

(*) ما كان ينبغي له أن يتجه هذه الوجهة إذ الأعمال الصالحات إنما يتوجه بها إلى رب

البريات، فما باله يسمه متوجهاً به وجه النبي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه!!
لعله يشير إلى خبر "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو خبر باطل، والله تعالى يقول:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦). [كشف الخفاء للعجلوني

(٢١٢٣) ط. المكتبة العصرية بتحقيقنا].

ولولاه لكان آدم بعد في وِله، الهاشمي المستل من سلالة عدنان ، الأبطحي المنزل عليه القرآن، الناسخ للأديان، صلِّ وسلِّم وبارك عليه يا ربي المعبود، وأنزله المقام المحمود الموعود، فيا شفيع^(١) العصاة توسل الخلق بمثل هذا إلى ذي سلطان لمال أو جاه؛

(١) هذا الذي قاله المصنف رحمه الله ودعا به خلاف ما شرعه الله لعباده ، ومخالف لما جاء به الأدلة ، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ، ونوع من أنواع الكفر ؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد المختصة بالله تعالى ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب ؛ قال الله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (الإسراء: ١١٠)؛ فهذه البيئات دلت على أن الدعاء مطلوب لله ﷻ من عباده ؛ وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة ؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله تعالى !؟ قال سبحانه : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (الجن: ١٨)، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ (الرعد: ١٤)، وقال سبحانه ناعياً على من يدعو غيره ضارباً له الأمثال : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ (الأعراف: ١٩٤)، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ (سبأ: ٢٢)؛ فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب ؛ قال الله سبحانه : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر: ٦٠)؛ ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل بأبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة ؛ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم مرفوعاً : " الدعاء هو العبادة " (صحيح، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفي رواية : " مخ العبادة " ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة (ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣). فأقل مفاد الحديث أن الدعاء عبادة كاملة مؤكدة ، فمن دعا غير الله ﷻ =

وإليك -رسول الله- هذا وسيلتي ، ومالي سؤل سوى القبول والقرب من الله؛ فخذ
بيدي؛ إني هائم في مهالك البعاد ، ولا تنهر سائلك فإنك أنت الرسول الجواد

يا من ألوذ به فيما أوّمله ومن أعوذ به فيما أحاذره

أنت ملاذي بك ألوذ وأنت عيادي بك أعوذ، أعوذ من خزيك وكشف سترك ومن
نسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد
في كثير منها ؛ نعم قد ترى فيها أحياناً معاني لم تلق فيه ؛ وما ذلك إلا لأن مطابقتها

= طالباً منه أمراً من أمور التي لا يقدر عليه إلا الله فقد عبد غير الله تعالى ؛ ولم يبعث الله
رسله ولا أنزل كتبه إلا لإخلاص توحيده وإفراده تعالى بالعبادة ، وكذلك الاستعاذة
لا يجوز إلا به تعالى؛ لأن المستعاذ به هو الله وحده ، رب الفلق رب الناس الذي لا
ينبغي الاستعاذة إلا به؛ ولا يستعاذ بأحد من خلقه . وقد أمر تعالى في كتابه : ﴿ قل
أعوذ برب الفلق ﴾ (الفلق: ١) و: ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ (الناس: ١)؛ وأخير أن من
استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقاً، وهو الطغيان . واحتج أهل السنة على المعتزلة في
أن كلام الله غير مخلوق بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و " أعوذ
بكلمات الله التامات " [أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٧١)]؛ وهو لا يستعبد
بمخلوق أبداً ؛ فاللهم إني أبرأ إليك من صنيع المصنف ؛ كيف نفى بل ولاذ ما عدا عبد
الله ورسوله ﷺ ؟ وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وما أريد بهذا البيان إلا تحذير الأحياء وتنبههم ألا يغتروا بأمثال هذه الكلمات التي
صدرت ممن ليسوا بمعصومين وظن الغالب أنها غفلة منهم وعدم تيقظ وزلة ؛ لا
مقصد لهم إلا تعظيم جانب النبوة ؛ ولو نهوا لتنبهوا ورجعوا وأقروا بالخطأ ، وليس مرادي
إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ ذكر فإن الذكرى تنفع
المؤمنين ، وما علينا إلا البلاغ المبين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

مع ظاهر الآية لا تخلو عن شبهة، على أنها غير منقولة عن السلف وقليلاً ترى بعض المعاني المنقول(*) قد ترك فيه لما أن تطبيقه مع الآية متعسر أو متعذر؛ وكثيراً تجد الرمزشري ومن يحدو حدوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول ﷺ في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمریض؛ لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم، وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتبع تام؛ فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية "عماد الدين بن كثير"؛ فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية؛ وتجنس عن عجزها^(١) وبجرتها؛ ولو وجدت مخالفة بين تفسيره وتفسير "محيي السنة الإمام البغوي" الذي هو من سرة المحدثين ومهرة المحققين - تتبعت كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا، لكن أعتمد قليلاً على كلام "ابن كثير"؛ فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، و"محيي السنة" في تفسيره ما تعرض لهذا؛ بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه؛ بل على وضعه.

وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها.

وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقليل فأكثره من محترعات المتأخرين؛ ما ظفرنا فيه بنقل.

وأما وجه الإعراب فما اخترت إلا الأظهر، والذي ذكرت فيه وجهين أو وجوهاً فلنكتة لا تحفى على المتأدب، فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا

(*) قدم (المنقول) وهو نائب فاعل (ترك).

(١) عجزها وبجرتها، أي: عيوبها وأحزائها.

تعجل إلى الرد إنكاراً، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً، مع أني لا أدعي عدم الخطأ والخطئ^(١) والسهو والزلل، نعم، اجتهدت غاية الاجتهاد في تنقيح الكلام، وللمجتهد أجرٌ وإن حرم إصابة المرام، ثم إن مأخذ كتابي هذا: "المعالم"، و"الوسيط"، و"تفسير ابن كثير"، و"النسفي"، و"الكشاف" مع شروحه: "الطبي"، و"الكشف" و"شرح المحقق التفتازاني" - و"تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي".

وأدرجت فيه ما سمح به الخاطر الفاتر أو سنع للنظر القاصر، وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة، أو أواماتٌ إليه بإشارة لطيفة دقيقة، وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية، وقد تعرضت فيها لوجوه أحر من المعاني والإعراب، فللمبتدئ حظ كثير من هذا التفسير وللعالم حظوظ.

وسميته: "جامع البيان في تفسير القرآن"، وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه: "معين بن صفى" أدركهما الله بلطفه الجلي والخفي، وكان بين ابتدائه وانتهائه^(*) سنتان وثلاثة أشهر حين بلغ سني أربعين.

والله أسأل أن يجعل ما تعبت فيه سبباً ينجيني، وذخيرة تسرني لا تشجيني، وهو حسب من توكل عليه، ومعين من فوض الأمر إليه، إنه هو العطوف الرحيم، الرؤوف الكريم.

(١) الخطئ: الخطأ، الكلام الكثير الفاسد.

(*) في الأصل (ن): إتمامه.

سورة الفاتحة

مكية وهي سبع آيات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، أى : متبركاً باسم مسمى لهذا اللفظ الجامع لجميع صفات الكمال
أقرأ أو مستعيناً به كما في: كتبت بالقلم ، ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(١) : الموصوف بصفة إرادة

(١) اعلم أن الرحمة صفة من صفات الله أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ووصفه بها رسوله
صلى الله عليه وسلم وأما قول القائل: الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على
المرحوم. فهذا باطل أما أولاً فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة
وقد قال تعالى : " وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " (البلد: ١٧)، وقد نهى الله عباده
عن الوهن والحزن فقال تعالى : " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ " (آل عمران: ١٣٩)، وندبهم إلى الرحمة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في
الحديث الصحيح : "لا تترع الرحمة إلا من شقي" [حديث حسن، أخرجه أحمد وأبو
داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، وانظر صحيح الجامع
(٧٤٦٧)] وقال: "من لا يرحم لا يُرحم" [أخرجه البخاري في "الأدب" (٥٩٩٧)،
ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)]، وقال الراجحون: "يرحمهم الرحمن، ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء" [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، وانظر
صحيح الجامع (٣٥٢٢)]، ومحال أن يقول لا يتزع الضعف والخور إلا من شقي ولكن
لما كانت تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة النساء ونحو ذلك =

الخير لجميع الخلائق ولا يطلق إلا على الله تعالى ، ﴿الرَّحِيمِ﴾ : بالمؤمنين ويطلق على غيره ، ﴿الْحَمْدُ﴾ ، ثناء على مستحسن اختياري نفسه أو أثره تعظيماً لمن قام به ، ﴿لِلَّهِ﴾ ، أي : حقيقته مختصة به ، ﴿رَبِّ﴾ : مالك ، ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، المخلوقات بأسرها أو الجن والإنس أو هما والمملك ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، كرر تعليلاً بأنه الحقيق بالحمد ، ﴿مَالِكِ﴾ ، بالألف ودونه من المملك والمملك ، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ : يوم الجزاء متفرد بالحكم ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، نخصك بأقصى غاية التذلل وطلب المعونة لما أثنى عليه كأنه حضر بين يديه فخطبه(*) وهو إخبار من جميع العباد الذين هو فرد منهم أدرج عبادته في عبادتهم لعلها تقبل ببركتها أو المراد الحاضرون لاسيما إن كان في جماعة وقيل: النون للتعظيم فإنه إذا كان في العبادة

= ظن الغالط أنها كذلك مطلقاً. وأيضاً فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تزويه الله عنه وكذلك الوجود والقيام بالنفس فينا يستلزم احتياجه إلى خالق يجعلنا موجودين والله متره في وجوده مما يحتاج إليه وجودنا فنحن وصفاتنا وأفعالنا مقرونون بالحاجة إلى الغير والحاجة لنا أمر ذاتي لا يمكن أن نخلو عنه وهو سبحانه الغني له أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه فهو بنفسه حي قيوم واجب الوجود ونحن بأنفسنا محتاجون فقراء فإذا كانت ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك هو مقرون بالحاجة والحدوث والإمكان لم يجب أن لا يكون لله ذات ولا صفات ولا أفعال ولا يقدر ولا يعلم لكون ذلك ملازماً للحاجة فينا فكذلك الرحمة وغيرها إذا قدر أنه في حقنا ملازم لحاجة وضعف لم يجب أن يكون في حق الله تعالى ملازماً لذلك رسالة شيخ الإسلام أبي العباس رحمة الله عليه .

(*) يشير إلى نكتة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في (إياك نعبد).

فجاءه عريض ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ : ثبتنا على الطريق الحق وهو دين الله أو الإسلام ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين أو قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل تغيير دينهم أو آل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهوبدل الكل ، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ، صراط غير الذين أردت العقوبة عليهم أو المراد منهم اليهود ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ : الذين عدلوا عن الطريق والمراد منهم النصارى وقيل المراد من الأول الفساق ومن الثاني الكفار. يستحب لمن قرأها أن يقول بعدها بسكتة " آمين " أى : استجب .

سورة البقرة مدنية

وهي مائتان وست وثمانون آية وأربعون ركوعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

﴿الم﴾: أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء
الأربعة وغيرهم أو أسماء السور أو أقسام أقسم بها لشرفها لأنها مباني كتبه المترلة أو أنا
الله أعلم ، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: أي : هذا القرآن مصدر بمعنى المفعول ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:
لا شك أنه من عند الله لو تأمل عاقل فيه لا يشك وقيل بمعنى النهي أي: لا ترتابوا ،
﴿هُدًى﴾: بيان ونور ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى الإيمان وترك الشرك أو مزيد هداية
لهم ، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾: أي ما هو غائب كأمر الآخرة
والقدر أو محمد عليه الصلاة والسلام من غير رؤيته ، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ، يعدلون
أركان الصلوات الخمس أو يواظبون عليها ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أعطيناهم
يصرفون في الخير أو المراد الزكاة ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: هذا في
مؤمني أهل الكتاب أو عام كالأول ، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب ،
﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: الدار الآخرة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لا يشكون أصلاً ، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ من هذه

صفته ، ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: أي: مستقر ومستعل على بيان ونور ﴿مَنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بمطالبهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١): ستروا الحق وهجروا التوحيد ﴿سَوَاءٌ﴾: مصدر وصف به ﴿عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: تخويفك وعدمه فهو مبتدأ وسواء خبره والهمزة وأم مجردتان^(٢) لمعنى الاستواء في علم المستفهم كأنه^(٣) قيل في جواب أنذرتهم أم لا المستويان في علمك مستويان في عدم النفع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، جملة مفسرة ومؤكدة^(٤) ، ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي : طبع واستوثق بضرب الخاتم على قلوبهم ، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ ، أي : مواضعه^(٥) أو أطلق مجازاً على العضو وكذا البصر ووجد السمع لأنه مصدر والمسموع ليس إلا الصوت

(١) الكفر على أربعة أنحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر به ، وكفر الجحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود قال الله تعالى : " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (البقرة: ٨٩)، وكفر العناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة وحذار حسبة*
لوجدتني سمحاً بذاك مبيئاً
* كذا في الأصل، وقد ذكره القرطبي في التفسير (٣١٦/٦) ط. دار الفكر، بلفظ: "أو حذار مسبة".

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أنه من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له / ١٢ معالم .

(٢) عن معني الطلب / ١٢ .

(٣) كأنه سأل ربه أنذرتهم أم لا فأجابته / ١٢ .

(٤) مؤكدة لجملة قلبها وهي قوله "سواء عليهم" إلخ / ١٢ منه .

(٥) يعني يحذف المضاف / ١٢

بخلاف المعقولات والمبصرات فإنها أنواع من الجواهر والأعراض ، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: غطاء والحاصل أنه أحدث فيهم شيئاً يبرهنهم على حب الكفر لا يفقهون الحق ولا يسمعون ولا يبصرون ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨٢﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٨﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَّا يَبْصُرُونَ ﴿٩١﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَّا يَرْجِعُونَ ﴿٩٢﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِئَءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: حقيقة لأن قلوبهم لا تطابق لسانهم نزلت في المنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يظهرون الإيمان ويبتغون الكفر ويعتقدون أنه ينفعهم^(١) عند الله كنفعتهم عند بعض المؤمنين كما قال تبارك وتعالى: " يوم يبعثهم الله جميعاً " الآية (المتحفة: ١٨)، أو يعملون عمل المخادع أو المراد من مخادعة الله مخادعة رسوله ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: دائرة الخداع راجعة إليهم في الدنيا أيضاً مفتضحون ولا يحسبون لغفلتهم ، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: كلما كفروا بآية ازدادوا مرضاً ونفاقاً ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم ومن قرأ " يكذبون " بالتشديد فمعناه بتكذيبهم آيات الله ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: للمنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعصية وإظهار أسرار المؤمنين مع الكفار ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أى : على الهدى ندارى الفريقين المؤمنين والكافرين ونصطلح معهم ونريد الإصلاح بينهم وبين أهل الكتاب ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾: ردهم أبلغ رد لتعريضهم على المؤمنين في قولهم إنما نحن مصلحون ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: المهاجرون والأنصار أو مؤمنو أهل الكتاب ، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الهمة للإنكار واللام^(٢) للناس والسفه خفة رأى وهذا قول سرهم فيما بينهم فأفضحهم الله ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا﴾^(٣): صادفوا ﴿الَّذِينَ

(١) أي : الخداع / ١٢ منه .

(٢) أي : لام السفهاء لام عهد ، أي : الناس .

(٣) حديث لقي ابن أبي وأصحابه أبا بكر وعمر وعلياً - رضي الله عنهم - وقال لأصحابه " انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم !؟ فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام ، ثم أخذ بيد عمر وقال: مرحباً بسيد بني عدى الفاروق

آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ: خلوت بفلان وإلى فلان إذا انفردت معه وشياطينهم سادتهم أو أصحابهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: نلعب بالمؤمنين ، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء استهزائهم أو يرجع وباله إليهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يُفْتَحُ لهم بابٌ في الجنة فإذا انتهوا إليه سُدَّ عنهم ورُدُّوا إلى النار ، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يملئ لهم ويمهلهم فحذف اللام أو يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: تجاوزهم عن الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحIRON والعمة في البصيرة والعمى في البصر ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ ، أسند إليها وهو لأربابها لمشاهدة التجارة الفاعل من حيث إنها سبب الربح والخسران ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: لطرقت التجارة ﴿مَثَلُهُمْ﴾^(١) كمثل الذي استوقد نارًا:

= القوى في دينه ، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أصحابه فرحًا مستهزئًا فترل " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " ذكره غير واحد من المفسرين ورواه الشعبي والواحدى عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الشيخ بن حجر العسقلاني هو سلسلة الكذب والكلبي متهم بالكذب والسدي الصغير كذاب وأبو صالح ضعيف وآثار الوضع ظاهرة عليه إذ سورة البقرة نزلت أوائل الهجرة وتزوج [إشارة إلى استبعاد قوله: " وختنه ".] فاطمة في السنة الثانية من الهجرة / ١٢ .

(١) ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء ولأن المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا في إبراز خفية المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه، =

أى : حالهم كحال الذين أوقدوا ، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ : النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ ، وأمنوا ما يخافون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ، المراد من إيقادها بقوا في ظلمة وخوف ، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ : جمع الظلمة لكثرتها ، ثم إن المنافقين بإظهار الإيمان آمنوا في الدنيا وإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ، أو المراد إيمانهم أولاً ثم كفرهم ثانياً ، فيكون إذهاب النور في الدنيا كما قال تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا " الآية (المنافقون: ٣) ، وهذا منقول عن كثير من السلف ، ﴿صُمٌّ﴾ : أى : هم عن قبول الحق صم ، ﴿بِكُمْ﴾ : عن قول الحق ، ﴿عُمِّي﴾ : لا يبصرونه ، فهذا فذلكة^(١) التمثيل فالضمير للمنافقين أو للمستوقدين والمعنى لما أذهب نورهم أدهشتهم الظلمة بحيث اختلت حواسهم ، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ : إلى الهدى الذي باعوه ، ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ : كأصحاب مطر أو سحب وهو مثل آخر وأو للتساوي كجالس الحسن أو ابن سيرين ، أى : أنت مخير في التمثيل بأيهما شئت ، وقال بعض المفسرين : إن هذين مثلان لقومين أي : مثل بعضهم هذا ومثل بعضهم هذا فإنهم لا يخلون عن أحد هذين المثليين ، ﴿مَنْ السَّمَاءِ﴾ : من جميع جوانب السماء لا من أفق دون أفق وفهم هذا من السماء المعرف أو من السحاب ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ : في المطر أو السحاب ظلمة تكاثف المطر والغمامة والليل وهي فاعل الظرف ، ﴿وَرَعْدٌ﴾ : ملك موكل بالسحاب فيطلق على صوته أو صوت يسمع من السحاب ﴿وَبُرْقٌ﴾ : نار تخرج من السحاب أو لمعان صوت الملك أو نار طارت من فيه إذا اشتد غضبه ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾ : أناملهم ﴿فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ : شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ : مخافة الهلاك ،

= قال ابن جرير: وضح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال تعالى : " رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت " (الأحزاب: ١٩) ، وقال تعالى : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (الجمعة: ٥) .

(١) أي : خلاصة التمثيل / ١٢ .

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت الحاط به المحيط به لا ينجيهم الخداع ، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾: يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾: أضاء لازم أو متعد ، أي : أضاء لهم ممشى ﴿مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ وكذلك أظلم لازم أو متعد ، ﴿فَامُوا﴾: وقفوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فليحذروا شبهة^(١) القرآن والإيمان بالصيب وما فيه من شبه المبطلين واعتراضاتهم بالظلمات وما فيه من الوعيد والأهوال وذكر النار والحساب بالرعد وما فيه من الوعد والآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عن الوعيد بحال من يهوله الرعد فيسد أذنه مع أنه لا خلاص عنها ويدل عليه قوله تعالى : " والله محيط بالكافرين " واهتزازهم لما ظهر لهم من غنمية وراحة يطمح عليه أبصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتحيرهم في الأمر وتوقفهم حين عروض شبهة أو بلاء ومحنة بتوقفهم إذا أظلم ثم نبه بقوله: " ولو شاء الله لذهب " إلخ على أن السمع والبصر والتوسل إلى الفلاح وهم صرفوهما إلى الحظوظ العاجلة

(١) شبه القرآن إلخ الأولى والأمثل أن يجعل التمثيلين من المركبة دون المفرقة فلا يتكلف لكل واحد شيء يقدر شبهه به فنقول في الأول حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم بما يكابده من إطفاء ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل الأليل، وفي الثاني شبه حالهم بحال من أخذته السماء بانتساج المطر الهالك مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب الأسود وتواتر الرعد القاصف والبرق الخاطف وهم الصواعق الحارقة المحرقة في أثناء ذلك قلق واضطراب من خوف الهلاك متشبثين بما لا يدفع عنهم الموت كالغريق ولو قلت لا يطمئن قلبي إلا بأن يتكلف ويتكفل لكل واحد شيئاً يقدر شبهه به فاستمع يمكن شبه القرآن ودين الإسلام بالصيب فإنه يحيى القلوب كالمطر يحيى الأرض بعد موتها إلى آخر ما في التفسير / ١٢ وجيز .

وسدوهما عن الفوائد الحقيقية ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه قادر مطلق .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٢﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴿

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام للمؤمن والكافر والمنافق ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: وحدوه ، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: اخترعكم من غير سبق مثال ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، عطف على مفعول خلق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(١)﴾ ، أي : اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين، أو خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى أو خلقكم لكي تتقوا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾: بساطاً غير حزنة غليظة ، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة مضروبة عليكم ، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان تقدم ﴿رِزْقًا﴾: مرزوقاً أو من للتبويض ورزقاً مفعول له ﴿لَكُمْ﴾: صفة رزقاً على الأول ومفعول المصدر على الثاني ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا^(٢)﴾: أمثلاً تعبدوهم كعبادة الله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والحال أنكم من أهل العلم، أو تعلمون أن

(١) وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوكة؟ قال بلى قال فما عملت قال شمريت واجتهدت قال فذلك التقوى / ١٢ تفسير ابن كثير .

(٢) قوله أنداداً و الند المثل المناد و ناددت الرجل أي: خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات والصفات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولأنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتسهم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا لله أنداداً لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أرباباً واحداً أم ألف رب أدين إذ تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

١٢ بيضاوي .

أن الأنداد لا تماثله بوجه ، **﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾** شك **﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾** : أي: القرآن ، **﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾** : محمد عليه الصلاة والسلام **﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾** : طائفة من القرآن معبر عنها بسورة كذا **﴿مِنْ مِّثْلِهِ﴾** : مثل القرآن في البلاغة والإخبار عن الغيب ، **﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾** : واستعينوا بأعوانكم أو اهتكم ، **﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾** : أي : ادعوا من شتمتم غير الله ، وقيل : ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه علامة العجز ، **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** : إنه من كلام البشر ، **﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾** : فيما مضى **﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾** : بعده أبدأ وهذه معجزة أخرى **﴿فَاتَّقُوا﴾** : احذروا واتقوا بالإيمان **﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾** : ما يوقد به النار **﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾** : حجارة الكبريت فتكون أشد^(١) وأتقن وأظلم وهو قول كثير^(٢) من السلف وقيل حجارة الأصنام ، **﴿أَعَدَّتْ﴾** : النار والحجارة **﴿لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ﴾** : البشارة خير سار يظهر أثر السرور في البشارة^(٣) **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** : عملاً بلا رياء، أو كل ما حسنه الشرع **﴿أَنْ لَهُمْ﴾** : بأن لهم **﴿جَنَّاتٍ﴾** : دار الثواب وهي سبعة^(٤) **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾** : تحت أشجارها وغرفها **﴿الْأَنْهَارُ كُلُّهَا رُزْقًا مِنْهَا﴾** مبتدأ من الجنات **﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾** : بيان تقدم كرايت منك أسدًا^(٥) **﴿رُزْقًا﴾** : مرزوقًا **﴿قَالُوا هَذَا﴾** : مثل **﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾** : في

(١) فيه رد على القاضي حيث قال إنه إبطال المقصود إذ الغرض تمويل شأنها وتفاقم لخبها

بجيت تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت / ١٢ .

(٢) كابن عباس وابن مسعود وعلي بن الحسين وجعفر وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) قيل الصحيح أن كل خير يغير البشارة من خير أو شر بشارة لكن أكثر استعماله في الخير وقد صرح بذلك سيويه هذا في المنهية ورجح صاحب الوجيز هذا القول / ١٢ .

(٤) جنة الفردوس وعدن ونعيم ودار الخلد ودار السلام وجنة المأوى وعليون / ١٢ منه .

(٥) كأنه انتزع منه الأسد لكماله في الشجاعة / ١٢ [ويسمى في البلاغة بالتحديد] .

الدنيا أو في الجنة ، «وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» : في الهيئة واللون دون المقدار والطعم فأين طعم فواكه الجنة من الدنيا؟! أو يشبه بعضها بعضًا من جميع الوجوه إذ طعم فواكه الجنة متقاربة عطف على قالوا مقررة للحملة ، «وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ» : نساء وجوار مطهرة مما يستقذر ويذم منهن كالحيض وندس الطبع ، «وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^(١) : ليس لهم خوف فوات نعمة.

ولما قالت الجهلة: الله أجل من أن يضرب الأمثال بالصيب والمستوقد وبيت العنكبوت والذباب فزلت^(٢) ، «إِنَّ^(٣) اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» : لا يستتشف^(٤) من «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» : أن يبين شيئًا «مَّا» أي : أي مثل «بِعُوضَةٍ» : صغار البق عطف بيان لثلاً «فَمَا فَوْقَهَا» في الصغر والحقارة كجناحها^(٥) أو في الكبر كالذباب ،

(١) الخلود المكث الطويل المتناهي أو غير المتناهي وإطلاقه على المتناهي بطريق الحقيقة أو المجاز قولان / ١٢ منه .

(٢) وبين أن لا دخل لحقارة المثل في الممثل وذلك من ديدن الأدباء من العرب العرباء/ ١٢ وحيز .

(٣) ثم إنه تعالى لما دفع عنهم بالدليل ريهم المبهم في القرآن وأردف كما هو عادة كلام الله حال المتقين بحال الشاك أخذ يفحهم بأن لا مطعن في بعض [كذا بالأصل] آياته الذي هو الأمثال هو ريهم لمعين فقال : " إن الله لا يستحي " الآية / ١٢ م .

(٤) لا يترك المثل ترك من لا يستحي [كذا بالأصل] . أن يمثل بأمثال البعوضة لحقارتها فإن الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وفي الحديث (إن الله حيي كريم) الحديث / ١٢ منه . [صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٧٥٧)].

(٥) كما تقول: فلان شحيح جاهل فيقول السامع: نعم وفوق ذلك قال الإمام الرازي: هو قول أكثر المحققين / ١٢ منه .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴿الْحَقُّ﴾: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾: أي شيء ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: نصب على التمييز أو الحال ، ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾: بالمثل ﴿كَثِيرًا﴾: من الكفار ، أي : إضلال كثير وضع الفعل موضع المصدر جواب^(١) ماذا ، ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾: من المؤمنين ، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن حد الإيمان ، ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾: يفسدون ويتركون ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: هو قوله: "ألست بربكم" (الأعراف: ١٧٢)، أو عدم كتمان شيء نزل من عند الله في الكتب ﴿مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ﴾: توكيد العهد من الآيات في الكتب ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: أي: كقطع الأرحام والقربان أو أعم كالإعراض عن موالاته المؤمنين والتفرقة بين الآيات في التصديق وهو بدل من ضمير به ، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بأنواع المعاصي ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: باشتراء الفساد والعقاب بالصلاح والثواب ، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: معناه التعجب أي : أخبروني على أي حال تكفرون ، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: ترابًا أونطفًا في أصلاب الآباء ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: بخلق الحياة فيكم أو في الأرحام، ومعنى الفاء في الثاني أظهر ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: في الدنيا ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند نفخ الصور ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بعد الحشر لجزاء العمل.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾: لاجل انتفاعكم ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لكي تنتفعوا به وتعتبروا، جميعًا حال من ما ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ^(٢) إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، قصد وارتفع إليه

(١) أي أراد الله بهذا إضلال كثير وهداية كثير / ١٢ منه .

(٢) قال أبو العالية الرياحي: استوى إلى السماء أي : ارتفع، نقله البخاري عنه في صحيحه ورواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ربيع بن أنس، وقال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن : ارتفع إلى السماء وقال الخليل بن أحمد في ثم استوى إلى =

فخلق السماء بعد خلق الأرض لكن دحوها متأخر هكذا ذكره ابن عباس وفيه إشكال سنذكره في سورة (والنازعات) والأولى أن ثم للتراخي الرتبي لا الزماني على أن فيه أيضاً ما ستقف عليه ، ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: الضمير للسماء لأنه في معنى الجمع عدل من مصونة عن العوج والفتور ، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١): بدل أو تفسير ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن بالعلم يصح الخلق ويحكم الفعل.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ

= السماء: ارتفع رواه أبو عمر ابن عبد البر في شرح الموطأ له كل هذا نقله الذهبي في كتاب العلل له / ١٢ .

(١) قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن ما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وأنها سبع سموات وأن الأرض سبع أرضين ولم يأت في الترتيل ولا في السنة المطهرة تصريح بأن فيهن من يعقل من العوالم والأروام وأنبيائهم والآثار عن الصحابة ومن بعدهم إن جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بما لم يصح سنده أو صح ولكن لم يتابع عليه أو توبع ولكن لم يساعده نص من الله ورسوله / ١٢ فتح .

أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الْشَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا
كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى
حِينٍ ﴿١٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾
قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: مطلق الملائكة أو ملائكة^(١)
الأرضين وهو تعداد نعمة ثلاثة عامة^(٢) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: يعني آدم
هو خليفة الله في أرضه ينفذ قضاء الله وأحكامه أو المراد من الخليفة البدل، أي: من
الجن والملائكة فإنهما كانا سكان الأرض حينئذ أو المراد قوم يخلف بعضهم بعضًا قرأنا
بعد قرن كقوله تعالى: "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" (الأنعام: ١٦٥)، ﴿قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعله^(٣) الجن قبلهم وهو تعجب
واستكشاف^(٤) عما خفي عليهم من الحكمة، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾: نعبدك^(١) عن

(١) هذا مذهب ابن عباس وبعض آخر / ١٢ منه .

(٢) فإن الأولى بينت بقوله: "كنتم أمواتاً"، والثانية بقوله: "خلق لكم ما في الأرض
جميعاً" / ١٢ منه .

(٣) قاسوا حال الإنس على حال الجن، وعن كثير من السلف أنه تعالى قال للملائكة: إني
جاعل في الأرض خليفة له ذرية يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً / ١٢

وحيز .

(٤) لا اعتراض على الله / ١٢ .

السوء ، ﴿بِحَمْدِكَ﴾ : متلبسين به ، ﴿وَتُقَدَّسُ﴾ : نطهر نفوسنا عن المعاصي ، ﴿لَكَ﴾ : لأجلك أو نقدسك عما أضاف إليك الكفرة فاللام زائدة ، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ : من المصلحة أو بأن أجعل فيهم الأنبياء والصدّيقين والشهداء أو أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس ، ﴿وَعَلَّمَ^(٢) آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ : خلق في قلبه علمًا ﴿كُلُّهَا^(٣)﴾ : اسم كل شيء حتى القصعة^(٤) والقصيعة^(٥) ، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ : الضمير للمسميات إذ التقدير أسماء المسميات والتذكير لتغليب العقلاء ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتَيْنُونِي﴾ : أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ تكيت وتنبيه لهم على قصورهم ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٦)﴾ : أنكم أحقاء بالخلافة أو لن يخلق الله تعالى خلقًا أعلم منكم فإن الملائكة قالوا ذلك بينهم ، ﴿قَالُوا﴾ إقرارًا بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، صدروا الكلام به استعذارًا عن الجرأة في الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ : الذي لا يخفي عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ^(٧)﴾ :

-
- (١) قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون / ١٢ معالم .
- (٢) قال في الكشف: وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل واشتقاقه من الأدمة وغيرها تعسف / ١٢ فتح .
- (٣) قال في المظهر: وعندني أن الله علم آدم الأسماء الإلهية كلها، ثم رجع هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف ولم يقل به أحد من المفسرين ويأباه ظاهر النظم وسياقه / ١٢ فتح .
- (٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة / ١٢ معالم .
- (٥) حتى مصغر الأشياء / ١٢ منه .
- (٦) فإنكم إذا كنتم لا تعلمون أسماء ما عرضت عليكم وأنتم تشاهدونه فمن أين لكم علم بأنكم أحقاء بخلافتي؟ كذا قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .
- (٧) وفي الآية من الدلالة على شرف العلم وجلالة محله وإفاقته على سائر الكمالات وإن لم يكن علمًا متعلقًا بذات الله وصفاته كما لا يخفى / ١٢ وجيز .

القاضي العدل، أو المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ، ﴿قَالَ﴾: لما ظهر عجزهم ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ﴾: أعلمهم ، ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، قال: أنت جبريل، أنت ميكائيل حتى وصل الغراب ، ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: استفهام توبيخ فإن الأدب التوقف لأن بين ، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١): ما غاب فيهما عن الخلق ، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أى: أعلم ما تظهرونه بألسنتكم وما تخفونه في أنفسكم، فلا يخفى عليّ شيء من قولكم علانية أتجعل فيها من يفسد فيها وسراً لن يخلق الله خلقاً أكرم^(٢) عليه منا وما أسر إبليس من الكبر في نفسه ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ عطف على "وإذ قال" ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: السجود حقيقي طاعة لله وتعظيماً لآدم وهو مشروع قبل الخناء^(٣) لا وضع جبهة أو السجود لله وآدم قبله وقد ضعفهما^(٤) بعض العلماء ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه من نوع من الملائكة المسمين بالجن وضح عن الحسن رضي الله عنه أنه ليس^(٥) منهم ، ﴿أَبَى﴾: امتنع ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ ، في سابق علم الله أو صار^(٦) ، ﴿مِنَ

(١) وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والأرض رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع

على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر والشعوذة/ ١٢ .

(٢) كذا فسره السلف / ١٢ وحيز .

(٣) ويرده قوله تعالى: " فقعدوا له ساجدين " / ١٢ منه .

(٤) الإمام الرازي وأطال في تزييفهما / ١٢ منه .

(٥) وما في سورة الكهف من قوله تعالى: " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " يؤيد

ذلك/ ١٢ وحيز .

(٦) صار كافراً لأنه استكبر واعترض على الله وأيضاً أمره الله بالسجود لا في ضمن العموم

فامتنع وأبى وذلك كفر / ١٢ منه .

الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ ، أو كان كافراً من الجن فأسلم وعمل عمل الملك ثم كفر ، ﴿وَقُلْنَا﴾ ،
 بعد سجود الملائكة ، ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ، دار الخلد وقيل
 بستاناً في الأرض ، ﴿وَكَلَّا مِنْهَا﴾ ، أكلا ، ﴿رَعَدًا﴾ ، واسعاً ، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ،
 أي : مكان من الجنة ، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ، بالأكل والأصح أنها شجرة
 معينة لا تتعين (١) عندنا ، ﴿فَتَكُونَا﴾ ، عطف على "تقريباً" أو جواب النهي ﴿مِنَ
 الظَّالِمِينَ﴾ : الذين وضعوا أمر الله تعالى غير موضعه ، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ :
 الضمير للشجرة ، أي : حملهما على الزلة بسببها أو للجنة أي فبعدهما عن الجنة ،
 ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ : من النعيم والكرامة ، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ : انزلوا على
 الأرض جمع الضمير لأنهما أصلاً الإنس فكأنتما الجنس أو المراد هما والشيطان
 ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ : أي : متعادين والعداوة بين ذريتهما لقوله تعالى : " قال
 اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو " (طه: ١٢٣) ، أو بين المؤمنين والشيطان ،
 ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ : موضع قرار ، ﴿وَمَتَاعٌ﴾ : تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ : الموت
 وقيل القيامة ، ﴿فَتَلَقَى﴾ : تلقى ﴿آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ : ومن قرأ برفع كلمات
 ونصب آدم فمعناه بلغته وهي : " ربنا ظلمنا أنفسنا " الآية (الأعراف: ٢٣) ، أو غيرها
 ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ : رجع عليه بالرحمة ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ : يقبل التوبة ويكثر إعاتتهم
 عليها ﴿الرَّحِيمُ﴾ : المبالغ في الرحمة ، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كبرر للتأكيد
 وليترتب عليه قوله ﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ : يا بني آدم ، ﴿مِنِّي هُدًى﴾ : أنبياء والبيان ،
 ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ : أقبل على الهدى وقبل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يشتد الأمر
 على العصاة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا ، والشرط الثاني مع
 جوابه جواب للشرط الأول ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قسيم لمن تبع ، أي :

(١) وليس في السنة الصحيحة ما دل على تعيينها وعند كثير من السلف إنها الكرم وعند

كفروا بالآيات المنزلة جنائاً وكذبوا لساناً، أو كفروا بالله وكذبوا بالآيات ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ﴿١٤٦﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِقَائِلِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَاتَّقُونَ ﴿١٤٧﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٤٩﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٠﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) أي : أولاد يعقوب هيجهم بذكر أبيهم ، أي : يا بني العبد المطيع لله ﴿اذْكُرُوا﴾: احفظوا ولا تنسوا، أو اشكروا، ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ

(١) قوله تعالى : " خالدون " ولما بين أن لا خوف ولا حزن على تابع الهدى وغضب الله دائم على الكافر المكذب نادى أهل الكتاب الباقيين المعاندين وعد عليهم نعمه ووعدهم بالإيفاء وأوعدهم بالمخالفة وهم أولى الخلق باتباع الهدى / ١٢ وجزير .

(٢) واعلم أن كثيراً من المفسرين جاعوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهني عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتزهر عنها كُلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب =

- سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله
 البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخره وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن
 هذا القرآن مازال يتزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لتزوله منذ نزل الوحي
 على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل
 فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لتزول القرآن متخالفة باعتبار
 نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحریم أمر كان حلالاً وتحليل أمر كان حراماً وإثبات
 أمر لشخص أو أشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع
 المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحيناً في عبادة
 وحيناً في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة
 وطوراً في أمر دنيا وتارة في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية
 وإذا كانت أسباب التزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه
 الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها باعتبار نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل
 المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا إلا من فتح أبواب
 الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور
 فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك
 بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا
 ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين
 الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً انقده في
 قلبه ما كان عليه في عافية وسلامة هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على
 هذا الترتيب الكائن في المصحف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من
 معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا - وإن لم يكن مما يشك فيه
 أهل العلم - رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب التزول المطلعين على حوادث
 النبوة فإنه ينتلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً =

= عن المطولة فإنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق: ١)، وبعده " يأيتها المدثر " (المدثر: ١)، " يأيتها المزمل " (المزمل: ١)، وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف وإذا كان الأمر هكذا فأني معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزل الله متأخراً وتأخر ما أنزل الله متقدماً فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه من تصدى لذلك من الصحابة وما أقل نفع مثل هذا و أنزر ثمرة وأحقر فائدته بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاداته وإلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً وأخرى هجاءً وحيناً تشبيهاً وحيناً رثاءً وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعته ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزى والإنشاء الكائن في إلهنا وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا بهذه المترلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد يأتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات فضلاً عن جميع ما قاله مادام حياً وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعثر في ساحاتها =

عَلَيْكُمْ: فلق البحر وجعل الأنبياء فيهم وإنجاءهم من فرعون وغيرها ولا شك أن
نعمة الآباء نعمة الأبناء ، «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي» في محمد عليه الصلاة والسلام أو في
امتثل أمرى، «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ»: ارضى عنكم وأدخلكم الجنة، أو بالقبول والثواب ،
«وَأَيَّيَ فَارْهَبُونَ» خصوصاً في نقض العهد ، «وَوَعَّامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ» ، أى:
القرآن «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» فإنكم تجدون محمداً مكتوباً عندكم في التوراة
والإنجيل ، «وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ»: أول فوج يكفر بما أنزلت من أهل
الكتاب ، «وَلَا تَشْتَرُوا»: لا تستبدلوا ، «بِآيَاتِي»: بالإيمان بها «ثَمَنًا قَلِيلًا»:
الدينا بخذافيرها، أو ما يصيب العلماء من السفلة فإنهم عينوا كل سنة للعلماء شيئاً
فخافوا إن أسلموا يفوت ذلك عنهم وتفوت الرياسة^(١) أيضاً، فكتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ، «وَأَيَّيَ فَاتَّقُونَ»: أى : فاحشون لا فوات الرياسة ، «وَلَا تَلْبَسُوا
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» ، أى : لا تخطوه، فإن علماء اليهود يزيدون في آيات الله ما
يشتهون ، «وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ» ، عطف على المنهى ، أو وأن تكتموا الحق فالواو للجمع،
أى : لا تجمعوا^(٢) بينهما ، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» بأنكم تكتمون^(٣) وتلبسون ، «وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ» أى: صلاة المسلمين ، «وَوَاعُوا الزَّكَاةَ» ، أى : زكواتهم والمراد طاعة الله
تعالى والإخلاص ، «وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكَعِينَ» أى : كونوا مع المؤمنين في أحسن

= كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع
بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف
ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف:

فدع عنك نمياً صيح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل

(١) كذا فسر به الحسن البصري وسعيد بن جبیر / ١٢ منه .

(٢) أى : بين تلك الخصلتين القبيحتين / ١٢ .

(٣) والكتمان والإلباس في حال العلم بهما أقبح / ١٢ منه .

أعمالهم وهو الصلاة ، عبر عن الصلاة بالركوع لأن صلاة اليهود ليس فيها ركوع ،
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ : بالإيمان ، **﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾** : تتركوها من البر
كالمنسيات ، نزلت في أحيار اليهود ينصحون سرًا باتباع محمد عليه الصلاة والسلام
ولا يتبعونه^(١) ، **﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ﴾** : تقرأون ، **﴿الْكِتَابِ﴾** : التوراة التي فيها الوعيد على
العناد ومخالفة القول العمل ، **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** : قبح صنيعكم ، **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ﴾** : لما أمروا بما هو شاق عليهم وهو ترك المال والرياسة عولجوا بالاستعانة
على طلب الآخرة بحبس النفس عن المعاصي أو الصيام لما فيه من كسر الشهوات أو
الصبر على أداء الفرائض والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، **﴿وَأِنَّهَا﴾** أي :
الصلاة فإن الصبر داخل فيها ، قيل : تقديره إنه كبير وإنها لكبيرة فحذف اختصاراً
ولم يقل وإنهما إشارة إلى أن كلا منهما كبير ، أو الضمير للاستعانة **﴿لكبيرة﴾** : ثقيلة
﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : المؤمنين حقًا الساكنين إلى الطاعة ، قال ابن جرير : الآية
عامّة لبني إسرائيل وغيرهم ، **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾** : يتيقنون **﴿أَنْهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾** :
محشورون إليه ، **﴿وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** : أمورهم راجعة إليه فيحكم بالعدل .

**﴿يَلْبِسْ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَإِذْ قَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ**

(١) هذا قول ابن عباس وقال غيره: معناه أتأمرون الناس بقبول أحكام التوراة وتنسون
أنفسكم فتركون ما فيها من الإيمان بمحمد عليه السلام / ١٢ منه .

وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنَ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ
بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ
مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٧٣﴾ *

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وهو كما مر جعل الأنبياء
فيهم وخلصهم من البلاء كرره تأكيداً ، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ : بما أعطيتهم من الملك
والكتب والرسول ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : عالمي زمانكم وتفضيل الآباء شرف الأبناء ،
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ : احرصوا ما فيه من العقاب ﴿لَا تَجْزِي﴾ : لا تقضي فيه ﴿نَفْسٌ عَن
نَفْسٍ شَيْئًا﴾ : من الحقوق أو من الجزاء فنصبه على المصدر حينئذ والجملة صفة يوماً ،
﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ : في شأن الكفار رد عليهم حيث قالوا : آباؤنا الأنبياء

شفعاء لنا ، ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(١) : فداء وقيل بدل ، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ :
ولا لهم ناصر بمنعهم من العذاب .

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ : عطف على نعمتي وتفصيل لها ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ، أتباعه
﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ : ييغونكم ، والجملة حال ، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ : أفضعه وأشدّه نصب
على مفعول يسومونكم ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ : يقتلون بيان ليسومونكم^(٢) ﴿أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياء للخدمة ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ : صنعهم ، ﴿بِلَاءٍ﴾ :
حنة ﴿مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ : أو^(٣) الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى النعمة وهو قول
كثير من السلف^(٤) .

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ : فصلنا بين بعضه وبعض ﴿بِكُمُ الْبَحْرِ﴾ : كما يفرق بين الشيئين بما
يوسط بينهما أو بسببكم أو ملتبسًا بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ اقتصر
على ذكر الآل للعلم بأن فرعون أولى بالغرق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ : غرقهم . ﴿وَإِذْ
وَأَعَدْنَا﴾ : واعدنا بمعنى وعدنا ، أو الله وعد الوحي وموسى الجيء إلى الطور ﴿مُوسَى
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ، يعني انظر إلى نعمتي عليهم ثم إلى كفرانهم ثم إلى عفوي عنهم ، ﴿ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ، إلهًا ، ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ : بعد مضى موسى ، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ،
بشركم ، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ : محونا ذنوبكم ، ﴿عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي : الاتخاذ ،
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : لكي تشكروا عفوي ، ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ﴾ ، أي : الجامع بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل وقيل الفرقان

(١) أصل العدل التسوية سمي به الفدية لأنها سويت بالمفدى / ١٢ منه .

(٢) أي : الجملة بيان للجملة ، ولذلك ترك العاطف / ١٢ منه .

(٣) عطف على قوله صنعهم بحسب المعنى / ١٢ منه .

(٤) كابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم / ١٢ منه .

انفراق البحر ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : لكي تهتدوا بالكتاب ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ : العابدين للعجل ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ : معبوداً ، ﴿فَتَوُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ﴾ : خالقكم ، قالوا كيف تتوب ؟ قال : ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : كل منكم من لقي فأصابتهم سحابة سوداء لا ينظر بعضهم بعضاً ففعلوا فغفر الله للقاتل والمقتول والقتلى سبعون ألفاً أو ليقتل البريء المحرم ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ ، أي : القتل ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ﴾ ، من حيث إنه وصلة إلى الحياة الأبدية ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : ففعلتم فتاب عليكم ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ : الذي يكثر قبول التوبة ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ : المبالغ في الرحمة ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ﴾ : لن نقر ، ﴿لَكَ﴾ ، أي : اذكروا نعمتي بعد الصعق ، إذ سألتهم ما لا يستطيع لكم ، فإن موسى اختار سبعين رجلاً ليعتذروا إلى الله من الشرك ، فلما سمعوا كلام الله قالوا ذلك ، ﴿حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ : عياناً ونصبه على المصدر أو الحال ، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ : صيحة من السماء أو نار ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ : ما أصابكم فلما هلكوا بكى وتضرع موسى قائلاً : ماذا أقول لبني إسرائيل إذ أهلكت خيارهم؟ فتضرع وتناشد حتى أحياهم الله تعالى وهذا قوله ، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ : أحييناكم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ : بسبب الصاعقة ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : نعمة البعث وكلام بعض السلف أن طلب الرؤية حين خرجوا لأجل التوبة من عبادة العجل ، وكان قبل الأمر بالقتل وكلام بعض أحران هذا بعد القتل والله أعلم ، ﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ^(١)﴾ : السحاب يظلمهم من الشمس حين كانوا في التيه ، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ : التزجيين أو عسلاً ألد من عسلنا أو خبز الرقاق ،

(١) صرح كثير من السلف أنه ليس من جنس غمامنا، بل نوع آخر ألطف وأبرد وأنور/١٢ منه .

﴿وَالسَّلْوَى﴾: طير هو السمانى أو يشبه السمانى ، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ ، أي: قلنا لهم كلوا من حلالات ، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ، يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فحذف اختصاراً ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالكفران ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ أمروا به بعد التيه ، ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ ، بيت المقدس أو أريحا ، قيل هم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً منصوب على المصدر ، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: القرية ، ﴿سُجَّدًا﴾: منحنين كالركع تواضعاً أو ساجدين لله شكراً ، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ، أي : مسألتنا حطة ، أي: حط عنا خطايانا ، أمروا بالاستغفار كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أي : مغفرة استغفروا ، وقيل أقرؤا بالذنب ، قال عكرمة : قولوا لا إله إلا الله ، ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾: بسجودكم ودعائكم وهو جواب الأمر ، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثواباً وإحساناً ، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا حبة في شعرة ، أو حنطة ، وحاصله أنهم أمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رءوسهم ، وأمروا أن يستغفروا فاستهزءوا وهذا غاية العناد والمخالفة ، ولهذا قال الله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذاباً^(١) أو طاعوناً أو برداً ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى .

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ

(١) فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً / ١٢ معالم .

وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
 وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ
 خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاءً سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
 وَبَاءَ وَبِعَضِبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
 النَّبِيَّ عِزِّ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥١﴾

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ ، أي : اذكروا^(١) نعمتي في إجابتي دعاء نبيكم في
 شأنكم لما عطشتم في التيه ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ : حجر خفيف مربع^(٢)
 قيل إذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء ، وعند بعض أنه لم يكن حجراً معيناً ،
 بل يضرب أي حجر كان فينشق ، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ ، تقديره فضرب فانشقت ، ﴿مِنْهُ
 اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ : كل سبط ، ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾^(٣) : عينهم التي
 يشربون منها خاصة بهم ، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ، أي : قلنا لهم ذلك ، ﴿مِنْ رِزْقِ
 اللَّهِ﴾ ، أي : ما رزقكم الله من المن والسلوى وماء العين ، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ : لا تعتدوا ،
 ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ : حال إفسادكم^(٤) ، ﴿وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ﴾ ،
 أي : اذكروا نعمتي في إنزال المن والسلوى طعاماً طيباً نافعاً ثم اذكروا سؤالكم
 استبدال الأطعمة الدنية بذلك ، ﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ ، كانوا يأكلون المن بالسلوى

(١) ذكرهم نعمة إجابة دعوة نبيهم في شأنهم حين عطشوا في التيه مع أنهم مذنبون والسقي والتظليل في التيه ودخول القرية بعده ولم يراع الترتيب في ذكرها قصداً إلى بيان تكثير النعم / ١٢ وجزير .

(٢) نقله البغوي عن ابن عباس / ١٢ .

(٣) وضمير الجمع لمعنى كل أناس / ١٢ وجزير .

(٤) أي : أنتم مفسدون لكن لا تزيدوا فيه / ١٢ وجزير .

فيكون واحداً أو أرادوا بالوحدة أنها لا تتبدل كما يقال طعام فلان واحد ، أي لا يتغير ألوانه ، ﴿فَادَعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: سله بدعائك لنا إياه ، ﴿يُخْرِجُ لَنَا﴾: يظهر لنا مجزوم بجواب فادع ، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: من الخضروات ما لا ساق لها تفسير لما تنبت وقع موقع الحال ، ﴿وَقَثَائِهَا﴾ ، هو معروف ، ﴿وَفُومِهَا﴾ ، هو الحنطة أو الثوم والعرب^(١) تقلب الفاء ثاء والثناء فاء، أو الخبز أو اسم لكل حب يؤكل ، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾: موسى ، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾: أخس ، ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: المن والسلوى لنفعهما أو طعمهما وعدم الحاجة إلى السعى ، ﴿أَهْبِطُوا^(٢) مِصْرًا﴾: مصرًا من الأمصار ، أي : هذه الأشياء كثيرة في الأمصار لا حاجة إلى الدعاء أو مصر فرعون وجاز صرفه لسكون وسطه ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾: فيها ، ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ^(٣)﴾: كضرب القبة ، ﴿الدَّلَّةُ﴾: الجزية فيكون المراد يهود وقعوا في عصر نبينا عليه الصلاة والسلام أو الهوان ، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة أو فقر القلب ولم يزل عليهم أثر البؤس وإن كانوا ذوى مال ، ﴿وَبَاعُوا﴾ ، أي: صاروا

(١) نحو مغائر ومغافر وأثافي وأثائي وعائور وعافور والتفسير الأول لابن عباس وأبي مالك والحسن وغيرهم، والثاني لمجاهد وسعيد بن جبير وفي قراءة ابن مسعود وثومها بالثناء والثالث لعطاء وسفيان الثوري، والرابع في البخاري قال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم / ١٢ منه .

(٢) قوله "اهبطوا مصرًا" ، إن كان الأمر موسى فكان رخصة من الله لهم في نزولهم إلى البلدة وخلصهم من التيه وإن كان الأمر هو الله تعالى فتقديره قلنا اهبطوا جملة مستأنفة يعني دعا موسى فأجبناه / ١٢ وجيز .

(٣) وعند ابن عباس وكثير من السلف أن ضمير عليهم في "ضربت عليهم الدلة" مطلق اليهود ولذلك فسروا الدلة بضرب الجزية، وفسروا آيات الله بإنكار الإنجيل والقرآن والآية التي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز .

أحقاء ، ﴿بِعُضَبٍ﴾^(١) مَنِ اللَّهِ ذَلِكَ ، أي: ما سبق من ضرب الذلة والبوء
بالغضب ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الكتب المترلة كالإنجيل والقرآن

(١) قوله "يعضب" الغضب صفة الله تعالى بلا كيف، وأما قول النافين لصفاته: الغضب
غليان دم القلب لطلب الانتقام فليس بصحيح في حقنا بل الغضب قد يكون لدفع
المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلاً وأيضاً فغليان دم القلب يقارنه الغضب
ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه والوجل
يقارن صفرة الوجه لا أنه هو هذا؛ لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذى فإن استشعرت
القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب وإن استشعرت العجز غار الدم إلى
داخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين وأيضاً فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم
يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذواتنا فليس
هو مماثلاً لا لأيداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته ونحن نعلم بالاضطرار أننا إذا قدرنا
موجودين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد والآخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد
كان الذي عنده تلك القوة أكمل ولهذا يذم من لا غيره له على الفواحش كالديوث
ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين ويمدح الذي له غيرة يدفع بها
الفواحش وحمية يدفع بها الظلم ويعلم أن هذا أكمل من ذلك ولهذا وصف النبي صلى
الله عليه وسلم - الرب بالأكملية في ذلك فقال في الحديث الصحيح: (لا أحد أغير من
الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [أخرجه البخاري في
"النكاح"، (٥٢٢٠)، وفي غير موضع من صحيحه]، وقال: (تعجبون من غيره سعد
لأننا أغير منه والله أغير مني) [أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤١٦)، وفي موضع
آخر، ومسلم في "اللعان"، (٧٢٤/٣)، ط الشعب]، وقول القائل: إن هذه انفعالات
نفسانية فيقال: كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعالات
فيينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها فإن كل
ما يجرى في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون له
الملك وله الحمد انتهى ما قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني/ ١٢ .

وآية الرجم والتي فيها نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ
التَّبِيِّينَ ﴾ : شعياً وزكريا ويحى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ، ﴿ بغيرِ الحَقِّ ﴾ ،
عندهم فإنهم غير معتقدين جواز قتلهم ، ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الكفر والقتل ، ﴿ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ، أى : جرهم العصيان والتمادي في تجاوز أمر الله تعالى إلى ذلك
فإن صغار الذنوب تؤدي إلى الكبار، وقيل تكرير للفظ "ذلك" الأول إشارة إلى أن
الهوان والمسكنة كما أن سبهما الكفر والقتل سبهما المعاصى واعتداء حدود الله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّالِحِينَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ
فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
النَّظِيرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ

وَلَا تَسْقَى الْخَزْرَتَ مُسَلِّمَةً لِأَشْيَةٍ فِيهَا قَالُوا أَلَسْنَا جِئْتِ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾

﴿إِنَّ﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا ، أي: قبل البعث مثل "حبيب النجار" و"بحيرا الراهب" وغيرهما أو المؤمنين من الأمم الماضية أو المؤمنين من هذه الأمة أو المنافقين الذين آمنوا بألستهم ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: دخلوا في دين اليهودية ، ﴿وَالنَّصَارَى﴾: أهل دين عيسى ، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: الخارجين من دين إلى دين قوم بين الجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، أو فرقة من أهل الكتاب أو عباد الملائكة أو قوم يوحدون الله ولا يتبعون نبياً ، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ، أي: من آمن إيماناً معتدداً به فدخل فيه من استقر على دينه قبل النسخ كاليهود قبل بعثة عيسى والنصارى قبل بعثة نبينا عليهما الصلاة والسلام، أو معناه المنافقون واليهود والنصارى والصائبون من آمن بدين محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بوعده ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة حين الفرع الأكبر ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على تفويت الثواب، ومن مبتدأ و"فلهم أجرهم" خبره والجملة خبر إن ، أو بدل بعض من اسم إن وخبرها ، فلهم أجرهم ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: باتباع أحكام التوراة ذكرهم ما أخذ عليهم من العهود ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ ، لما نزل التوراة أبوا قبولها لما فيها من التكاليف فأمر جبريل بقلع جبل الطور فظلله فوقهم حتى (٢) قبلوا ،

(١) وذكر هذه الآية بعد ذكر الذلة والبوء عليهم لبيان امتنان النعمة عليهم فإنها في أثناء تعديد النعم كأنه قال انظروا إلى ما ارتكبوا من كبائر الذنوب التي استوجبت عليهم العقوبات المؤبدات ومع هذا إن آمنوا وندموا ورجعوا وتابوا فلهم في الدنيا والآخرة ما للمؤمنين الذين لم يعملوا سوءاً قط وما ذلك إلا على العناية / ١٢ .

(٢) قبول اختيار غير إكراه أو كان يكفي في دينهم مثل هذا الإيمان هذا ما في الوجيز، وفي الفتح: كل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه فنحن =

﴿حُدُوا﴾ أي : قلنا لهم خذوا ، ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ : من الكتاب واعملوا به ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾ :
بجد وطاعة ، ﴿وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ : اقرءوا ولا تنسوه ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : لكي تتقوا
عن المعاصي ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : أعرضتم عن الوفاء بعد أخذ الميثاق ،
﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ : بتوبته عليكم أو بتأخير العذاب ، ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾ : المغبونين الهالكين ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ ، حال ، ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ :
جاوزوا عن الحد ، ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾^(١) ، أمرناهم بالعبادة وترك صيد البحر فيه
فخالفوا ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ، أي : نودوا بأهل القرية كونوا قردة
أو معناه بتكويننا إيهم، وليس ثم قول والمسوخ صوري ومعنوي والخسء الصغار
والطرود ، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ : المسخة أو القردة أو القرية ، ﴿نَكَالًا﴾ : عبرة ، ﴿لَمَّا بَيْنَ
يَدَيْهَا﴾ : لمعاصريهم أو لما بحضرتها من القرى أو لأهل^(٢) تلك القرية أو لأجل ما تقدم

= نقول أكرههم الله على الإيمان فأمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان وهو
نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد
هزه حامله على رأسه قال القفال: إنه ليس إجباراً على الإسلام، لأن الخير ما سلب
الاختيار بل كان إكراهاً وهو جائز وأما قوله تعالى: "لا إكراه" (البقرة: ٢٥٦) كان قبل
الأمر بالقتال/ ١٢ .

(١) ذكر أن الله أمر موسى بصوم الجمعة كما أمر سائر الأنبياء به فذكر ذلك لقومه
وأمرهم بالشرع به فتعدوا إلى يوم السبت فأوحى إليه أن دعهم وما اختاروا فأمرهم
بترك العمل للعبادة فيه وحرّم عليهم صيد البحر فكانت تأتي الحيتان يوم السبت لا غير
وتخرج خراطيمها من الماء فاتمروا بأمر الله زماناً ثم احتال أحد منهم بحيلة تبقي الحيتان
في سيف البحر يوم السبت ويأتي يوم الأحد ويأخذها فتعلم القوم منه فهذا اعتداؤهم /
١٢ وحيز .

(٢) فإن بعضهم لم يمسخوا وبقوا على الإنسانية كما سيحيى في الأعراف / ١٢ منه .

من ذنوبهم وهو قول كثير من السلف ، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ ، من بعدهم أو ما تباعد عنها أو ما حوالياها أو لما تأخر من الذنوب^(١) ، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ : وزجراً ، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) : الذين من بعدهم إلى يوم القيامة .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ ، أي : اذكروا نعمتي في خرق العادة لكم ، ﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبِحُوا بَقْرَةً﴾^(٣) ، وذلك أنه وجد قتيل فيهم وكانوا يطالبون بدمه فأمرهم الله بذبح بقرة وأن يضربوه ببعضها ليحيى ويخبر بقاتله ، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ ، أي : مهزومًا بنا أو نفس الهزؤ للمبالغة ، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ، فإن الهزؤ في مثل ذلك جهل ، بل يوهم أن يكون كفرًا لأنه أخبر من الله ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ : ما صفتها شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ : لا هرمة كبيرة ، ﴿وَلَا بَكْرٌ﴾ ، لا صغيرة لم يلحقها الفحل ، ﴿عَوَانَ﴾ : وسط ، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : المذكور من الفلرض والبكر ، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ، أي : تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾ ، الفقوع خالص الصفرة وأشد ما يكون منها أو صافية اللون تكاد تبيض وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء فضل تأكيد كأنه قال صفراء شديد الصفرة صفرتها ، ﴿تَسْرُرُ النَّازِلِينَ﴾ : تعجبهم ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ : أسائمة أم عاملة ،

(١) كل من هذه الأوجه مقابل لكل من الوجوه المذكورة في قوله "لما بين يديها" على الترتيب فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من عذاب الله وانتقامه وقوله "ولقد علمتم الذين اعتدوا" إلخ مذكر لهم حال جمع مذنبين غضب الله عليهم ليتحقق لهم الإنعام والعناية لأنهم استحقوا أيضًا / ١٢ .

(٣) البقرة الأنثى وقد تقع على الذكر / ١٢ منه .

﴿إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾: لكثرة البقر الموصوف بالوصف المذكور ، ﴿وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: إلى وصفها أو إليها إذا بينتها لنا ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾: غير مذللة للعمل صفة بقرة ، ﴿تُغَيِّرُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة صفة ذلول ، ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ، لا مزيدة^(١) للتأكيد ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ ، عن العيب أو أخلص لوئها قيل سلمها أهلها من العمل ، ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ ، لوئها واحد لا سواد فيها ولا بياض ، ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ، بحقيقة وصف البقرة لنا ، ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ ، أي : حصلوها فذبحوها ، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، لتطويلهم وكثرة مراجعتهم كذا حاصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما أو لغلاتها فإنهما اشتروها بثمان كثير وصح عن عكرمة: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير أو لحوف الفضيحة في ظهور القاتل .

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فَقَلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَظْمِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾﴾

(١) قال أبو حيان : إذا كان الوصف منفيًا بـ"لا" لزم تكرار "لا" نحو "لا بارد ولا كريم" (الواقعة: ٤٤)، ولا يجوز بغير تكرار إلا في ضرورة الشعر فما قيل إن لا مزيدة للتأكيد ليس بشيء/١٢ منه .

أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
 الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٧﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ
 بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
 كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
 مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

﴿وَإِذِ قَاتَلْتُمُ﴾^(١) **نَفْسًا** ، هذا أول القصة وإنما قدم البعض لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك مسارعة الامتثال ، ﴿فَادَارَأْتُمْ﴾: اختلفتم واختصمتم ، ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مٌخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: مظهر لا محالة أمر القاتل ، وإعمال مخرج لأنه حكاية مستقبل ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ ، أي : القتل عطف على فادارأتم ، ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ، أي البقرة^(٢) وفيه خلاف أنه كان

(١) قال أبو حيان صاحب البحر: الظاهر أن ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوتهما فالله أمرهم أولاً بذبح البقرة وهم لا يعلمون سره، ثم وقع القتل بعده فأظهر لهم ما كان أخفاه عنهم من الحكمة بقوله: "اضربوه ببعضها" ولا شيء يضطرننا إلى اعتقاد تقدم وتأخر والقصص المذكورة في بعض التواريخ لا اعتداد بها / ١٢ منه وجيز .

(٢) عن الحسن وفي رواية عن ابن عباس أيضاً أنهم طلبوا البقرة أربعين سنة فوجدوها عند رجل وجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملاً مسكها دنائير فذبحوها وضربوه ببعض منها فقام وقال قتلي فلان فمات بلا مهلة / ١٢ منه .

بعضًا معيّنًا أو لا وإن كان معيّنًا فأبي عضو منها ، ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى﴾ ، يدل على محذوف هو فضربوه فحى ، ﴿وَيُؤَيِّرِكُمْ آيَاتِهِ﴾ : دلائل كمال قدرته ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ : لكي تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس ، ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ : غلظت حتى لم تعتبر بالآيات ، ﴿قُلُوبِكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : جميع الآيات التي تقدم ذكرها أو إحياء القتيل و ثم للاستبعاد ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ : في صلابتها ، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ : منها كالحديد وأو للتخيير أي : من عرف حالها صدر عنه التشبيه بالحجارة ، أو القول بأنها أشد أو شبهها بهذا أو ذاك أو بمعنى بل أو قلب بعضهم كالحجارة وبعضهم أشد يعني قلوبهم لا تخرج من أحد المثلين عطف على كالحجارة من غير حذف أي : قلوبهم أشد قسوة من الحجارة أو على حذف مضاف هو مثل أي مثل شيء أشد ، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ ، تعليل للأشدية ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ ، أي : ولم يكن جاريًا ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ : من رأس الجبل ، ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ^(١) ، وهل لمسلم أن ينكر

(١) فإن قيل : الحجر حماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ قيل : الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها صلاة وتسبيح وخشية، قال جل ذكره : " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " (الإسراء: ٤٤)، وقال : " والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (النور: ٤١)، وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر " الآية (الحج: ١٨)، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، روى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل حراء إلي يا رسول الله، وحديث (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث) [أخرجه مسلم في "الفضائل"، (١٣٤/٥)، ط الشعب]، وحديث طلع له أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه" [أخرجه البخاري في "المغازي"، (٤٠٨٣)، وفي مواضع=

قدرة الله تعالى في خلق الخشية والتسبيح في الجمادات؟ نعم لمن يتبع الفلسفة أن يتحمل التمثل في أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه ، قال بعض السلف الأول(*) كثرة البكاء والثاني(**) قلته والثالث بكاء القلب من غير دمع ، ﴿وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، وعيد على ذلك ، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، أيها المؤمنون ،

= [آخر من صحيحه]، وقصة تكلم البقرة [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٦٣)، وفي غير موضع من صحيحه]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمة، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصخرة حين تحركت اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه]، وحديث لم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله [أخرجه الترمذي (٣٦٣٠)، وسنده ضعيف مجهول]، وحين جزع النخلة كحين الناقة [أخرجه البخاري في "المناقب" (٣٥٨٥)]، شواهد على ذلك ويشهد لما قلنا قوله تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (الحشر: ٢١)، قال مجاهد: لا تنزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله / ١٢ معالم ملخصاً .

وليس من شأن المؤمن أن ينكر قدرة الله في خلق مثل هذه الخشية والتسبيح في الجمادات فلا يحتاج إلى تأويل وعدول عن الظاهر، قال بعض السلف الأول كثرة البكاء، والثاني قلته والثالث بكاء القلب وانزعاج البدن / ١٢ وحيز .

الظاهر من كلام المفسرين وبه صرح بعض السلف أن تعلق من خشية الله بالأفعال السابق لا بالهبوط وحده / ١٢

[ثبت في أحد روايات الثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى الغار وهي عند الطيراني بسند حسن كما في الفتح (٥٨٥/٦)].

(*) أي: التفجر.

(**) أي: الانشفاق.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾^(١) ، تحدث اليهود الإيمان لأجل دعوتكم ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ : طائفة من أسلافهم ، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ، هم السبعون^(٢) الذين اختارهم موسى عليه السلام وبعد ما رجعوا حرفوا كلام الله تعالى ، أو المراد علماءهم يعرفون التوراة ، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ : يغيرونه ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ : فهموه ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) ﴿أَمْهُمْ مَفْتَرُونَ وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالِ عِلْمَانِهِمْ فَمَا طَمَعَكُمْ بِسَفَلْتِهِمْ وَجَهَالِهِمْ﴾ ، ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ ، أي^(٤) : منافقو اليهود ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ : بأنكم على الحق ورسولكم مبشر في التوراة ، ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ ، عاتب من لم ينافق على من نافق بقوله ﴿اتَّخَذْتُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ : في التوراة من صفة النبي عليه الصلاة والسلام ، ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾^(٥) عِنْدَ رَبِّكُمْ : لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الدنيا والآخرة فيقولوا : كفرتم بما علمتم صدقه ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ، أي : أليس لكم عقل وهو من كلام رؤسائهم أو كلام الله تعالى ، أي : لا تعقلون حالهم وأن لا مطمع في إيمانهم ، قال مجاهد : قال النبي عليه السلام لليهود قريظة : يا إخوان القردة والخنازير ، فقالوا من أخبر بهذا محمداً ما خرج

- (١) قال القفال: يحتمل أن يكون المعنى كيف يؤمن هؤلاء وهم إنما يأخذون دينهم ويتعلمون من قوم يعرفون عناداً ويعلمونهم ما حرفوه وغيره عن وجهه والمقلدون يقبلون ذلك منهم فلا يلتفتون إلى الحق / ١٢ منه .
- (٢) هذا قول ابن عباس وابن إسحاق / ١٢ منه .
- (٣) أي : يعلمون ما في التحريف من العقاب / ١٢ منه .
- (٤) قيل جاز أن يكون وإذا لقوا جملة حالية معطوفة على "وقد كان فريق منهم" ، أي : كيف تطمعون في إيمانهم وقد وقع من أسلافهم كيت وكيت وهم في أنفسهم منافقون/ ١٢ منه .
- (٥) قيل معناه ليحتجوا عليكم بما أنزل الله في كتابه جعلوا حاجتهم بكتاب الله حاجة عنده ، كما يقال عند الله كذا ويراد أنه في كتابه وأمره / ١٢ منه .

هذا إلا منا أفتحدثوهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله* (١) والأول قول أكثر السلف (٢) ويمكن أن يكون هذا القول تخويف رؤسائهم جهلتهم ليردعوا عن إظهار ما في التوراة مع المؤمنين لا أنه من صميم القلب أو اعتقادهم أنهم مؤاخذون بما تكلموا به لا بما اعتقدوا وأسروا في أنفسهم ولهذا قال الله تعالى ، ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ ، من نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ، منه فالحجة عليهم ثابتة حدثوا به أو ما حدثوا وما يسرون من الكفر وما يظهرون من الإيمان ، ﴿وَمِنْهُمْ﴾ : من اليهود ، ﴿أُمِّيُونَ﴾ ، من لا يكتب ولا يقرأ ، ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا﴾ ، أي : لكن يعلمون الأكاذيب التي سمعوا من كبارهم أو غير عارفين بالكتاب إلا أنهم يقرءون قراءة عاربية عن معرفة المعنى وعلى هذا الاستثناء متصل وهذا (٣) لا ينافي كونهم أميين فإنهم مع كونهم لا يمكن لهم أن يقرءوا من الكتاب شيئاً يحفظون الكتاب أو يتمنون على الله تعالى كقولهم "لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات" (آل عمران: ٢٤) ، و"لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً" الآية (البقرة: ١١١) ، ﴿وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَتُوبُونَ﴾ ، قوم ليس لهم إلا (٣) ظن لا علم لهم أو يكذبون ، ﴿فَوَيْلٌ﴾ : هلاك أو واد في جهنم (٤) ، ﴿لِلَّذِينَ

(٥) أخرجه عبد به حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلًا، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٥٧).

(١) خلائق لا يحصى كابن عباس وربيع بن أنس وقتادة وأبي العالية وغيره / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى رد ما قال القاضي من أن هذا لا يناسب وصفهم بأنهم أميون / ١٢ منه .

(٣) وعلى هذا الاستثناء كالأول منقطع / ١٢ منه .

(٤) روى الترمذي عن النبي -عليه السلام- أنه واد في جهنم وعلى ذلك كثير من السلف / ١٢ منه . [أخرج أحمد (٣/٧٥) ، والترمذي (٣١٦٤) ، والحاكم (٤/٥٩٦) وغيرهم بسند ضعيف عن أبي سعيد مرفوعاً: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره". وانظر الجامع (٦١٦١).

يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ» ، هم أجازهم حرفوا كتاب الله زادوا فيه ونقصوا ، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، ليستبدلوا به رئاستهم وما يصل إليهم من سفلتهم ، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ : من السفلة أو مما يكسبون من المعاصي والأولى أن يكون ما مصدرية^(١) في مما كتبت ومما يكسبون ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : اليهود ، ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ : قليلة سبعة أيام بكل ألف سنة من الدنيا يومًا أو أربعين يومًا لأن عبادة العجل كانت أربعين يومًا ، ﴿قُلْ﴾ : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ ، همزة الاستفهام دخلت على ألف الوصل ، ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ، ميثاقًا بذلك ، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ، أي : إن اتخذتم عهدًا فهو لا يخلف الميثاق ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، أم معادلة للاستفهام ، أي : أي الأمرين كائن أو منقطعة بمعنى بل ، ﴿بَلَى﴾ ، إثبات لما نفوه من خلود النار ، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً^(٢)﴾ ، أي : شركًا أو كبيرة ، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ^(٣)﴾ ، أي : صار كالشيء

(١) لأن يكون الويل والهلاك لهم من أفعالهم التي باشروها ولو جعلناها موصولة لكان الويل لهم من غير أفعالهم فتأمل / ١٢ منه .

(٢) فسر ابن عباس وأبو وائل وأبو العالية وأبو هريرة ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن والربيع بن أنس السيئة بالشرك والسدي والأعمش والربيع بن خيثم بالكبيرة/١٢ منه .

(٣) قال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبًا ارتفعت حتى يغطي القلب وهي الرين ، قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى : " إلا أن يحاط بكم " (يوسف:٦٦) ، أي هلكوا/١٢ معالم ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبًا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والاهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع

كالشيء المحاط لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا شأن الكافر ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٠٦) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٢٠٧) ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٠٨) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢٠٩) ﴿

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، ذكرهم بما أمرهم في التوراة ، ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ،

= قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسناً إياها معتقداً ألا لذة سواها مبعوضاً لمن يمنعه منها مكذباً لمن ينصحه كما قال الله تعالى : " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله " (الروم: ١٠) / ١٢ بياضوي .

وهو^(١) نفي بمعنى النهي مقدر بالقول أو تقديره أن لا تعبدوا ، فلما حذف "أن" صار الفعل مرفوعاً فيكون^(٢) بدلاً من الميثاق أو معمولاً له بحذف الجار^(٣) ، ﴿إِلَّا^(٤) اللَّهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ ، تقديره تحسنون أو أحسنوا بهما إحساناً ، ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ : القرابة ، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ : من لا يجد ما ينفق على نفسه وأهله ، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ : قولاً^(٥) حسناً وسماه حسناً للمبالغة دخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ : بطريق فرض عليكم في ملتكم ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ : أعرضتم عن الميثاق وهو التفات^(٦) سواء كان خطاباً مع الموجودين ومن قبلهم بالتغليب أو لا ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ : من ثبت على اليهودية قبل نسخها أو من أسلم ، ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ : قوم عادتكم الإعراض ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ : في التوراة ، ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ : بأن لا يقتل بعضهم بعضاً ، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ : ولا يخرجوه من مترلته ، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾^(٧) ، اعترفتم بلزوم الميثاق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ : على أنفسكم بذلك أو أنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم ، ﴿ثُمَّ﴾ ، للاستبعاد ، ﴿أَنْتُمْ^(٨) هَؤُلَاءِ﴾ ، أي : أنتم بعد ذلك

(١) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه اممثل وأخبر عنه وعبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل الله في كتبه / ١٢ فتح .

(٢) أي : أن لا تعبدوا / ٢١ منه .

(٣) أي : بأن لا / ١٢ منه .

(٤) فيه التفات ، إذ الظاهر إلا إيانا / ١٢ منه .

(٥) والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر / ١٢ فتح .

(٦) لقوله ميثاق بني إسرائيل / ١٢ .

(٧) هذا كما تقول : فلان مقرر على نفسه بكذا شاهد عليها / ١٢ منه .

(٨) قيل هؤلاء بمعنى الذين والجملة بعده صلته والموصول مع صلته خير أنتم / ١٢ منه .

هؤلاء الناقضون فهو مبتدأ وخبر قيل أتم يا هؤلاء ، ﴿تَقْتُلُونَ﴾^(١) أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ ، الجملة حال والعامل معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة ، ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ ، تتعاونون والجملة حال ، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بالمعصية والظلم ، ﴿وَإِن يَأْتُواكُم مِّنْ أَسَارَى﴾ : يطلبون الفداء ، ﴿تَفَادَوْهُمْ﴾ ، فديتموهم ، كانت قريظة حلفاء الأوس^(٢) والنضير حلفاء الخزرج^(٣) فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا^(٤) له حتى يفدوه فزت ، ﴿وَهُوَ﴾^(٥) ، أي : الشأن ، ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ، فاتصل بقوله وتخرجون فريقاً^(٦) وما بينهما اعتراض أو هو مبهم وإخراجهم تفسيره ، ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ﴾ ، أي الفداء ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِنِعْضِ﴾ ، أي : القتل والمظاهرة والإخراج^(٧) ، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيًا﴾ : عذاب وهوان ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : خزي قريظة كان القتل والسي ولبنى

(١) قيل معناه لا تقتلوا أنفسكم لشدة تصيبكم بسكين أو خنق أو بارتكاب ما يوجب ذلك كالارتداد والزنا بعد الإحصان وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك ولا تسيئوا حوار من جارركم فيضطروا إلى الخروج من دياركم أو لا تفسدوا فتكونوا سبباً لإخراجكم أنفسكم / ١٢ منه .

(٢) من المشركين / ١٢ منه .

(٣) من المشركين / ١٢ .

(٤) أي مجموع الفريقين / ١٢ منه .

(٥) أي : لفظ هو إما ضمير الشأن أو مبهم مفسر بلفظ إخراجهم وقيل ضمير يرجع إلى مصدر يخرجون ولفظ إخراجهم بيان / ١٢ منه .

(٦) من اليهود / ١٢ منه .

(٧) عن السدي : أخذ الله عليهم أربعة عهود: ترك القتال والإخراج والمظاهرة وفداء أسرائهم فأعرضوا إلا عن الفداء / ١٢ منه .

نضير الجلاء وضرب الجزية على غيرهم ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ، أي : أشد أنواعه ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، تأكيد للوعيد ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ : آثروها على الآخرة ، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ ، لا يهون ولا ينقص ، ﴿عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ : يمنعون من عذاب الله .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِمْ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ۖ أَن يُنزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ۖ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ ۖ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجَلَٰنَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجَلَٰنَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِنَّ ۖ إِمَّا يَنْتَحِبُونَ ۖ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ
 أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ
 يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ^(١) بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أرسلنا
 على أثره الرسل ، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ، ختم أنبياء بني إسرائيل
 بعيسى وبعض أحكامه مخالف للتوراة والبيئات إحياء الموتى وخلقه من الطين كههيئة
 الطير وإبراء الأسقام وإخباره بالغيب ، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ، أي: جبريل فإنه
 كان قرينه يسير معه حيث سار ، أو الاسم الذي به يحيى الموتى ، أو الإنجيل أو الروح
 الذي نفخ فيه ، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به "وهو
 ولقد آتينا" تويحاً لهم على تعقيبهم ذاك هذا ، ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾: ما لا تحب ،
 ﴿أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن اتباعه ، ﴿فَفَرِيقًا^(٢) كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ومحمد عليهما

(١) من التفقية وهو الإتيان والإرداف مأخوذ من القفا وكان الرسل من بعد موسى إلى
 زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشريعة واحدة وهم أنبياء بني إسرائيل
 المبعوثون من بعدهم كالشموثيل بن بابل وإلياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا
 ويحيى وشعيا وحزقييل وداود وسليمان وأرميا وهو الخضر وعيسى ابن مريم وكلهم
 يحكمون بشريعة موسى إلا عيسى فإنه جاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام
 التوراة/ ١٢ فتح.

(٢) الفاء للسببية أو للتفصيل / ١٢ منه .

السلام ، ﴿وَفَرِيقًا^(١) تَقْتُلُونَ﴾ ، كزكريا ويحيى جاء بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ولمراعاة الفواصل ، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ : أوعية للعلم لا يحتاج إلى علم آخر ، أو عليها غشاوة ، أو لا نفقه ما تقول كما في قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا في أكنة " (فصلت: ٥) ، ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا أن قلوبهم أوعية للعلم بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها بكفرهم أو قلوبهم لم تأب قبول الحق لخلل فيها بل لأن الله طبع عليها بالكفر ، ﴿فَقَلِيلًا^(٢) مَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، أي : يؤمن منهم القليل قليلاً حال ، أو إيماناً قليلاً وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، أو لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، أي : القرآن ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ : التوراة وجوابه محذوف دل عليه جواب لما الثانية ، أو لما^(٣) الثانية تكرر للأول فإن ما عرفوا والكتاب واحد والفاء للإشعار بأن مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ، ﴿وَكَانُوا﴾ : اليهود والواو للحال ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ : قبل نزوله ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : يستنصرون على المشركين يقولون اللهم انصرنا بني آخر الزمان المنعوت في التوراة ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ : من الحق ، ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ : بغياً وحسداً ، ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ، ما نكرة مميزة لفاعل بئس المستتر فيه والفعل صفته ، أي : بئس ما باعوا فإنهم باعوا ثوابها بالكفر ، ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ ، هو المخصوص بالذم ، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ ، أي : أن

(١) جاء بلفظ المضارع لحكاية صيغتهم الماضية واستحضارها لأنهم أرادوا قتل محمد - صلى الله عليه وسلم - لكن عصمه الله فإنهم سحروه وسموه بالشاة ، فقال صلى الله عليه وسلم عند موته : " لا زالت أكلة خبير تعارني فهذا أوان قطعت أهرى " / ١٢ وحيز .

(٢) قال الواقدى : معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً ، قال الكسائي : يقول العرب دورنسا بأرض قل ما تنبت الكراث والبصل ، أي : لا تنبت شيئاً / ١٢ فتح .

(٣) أي : قوله فلما جاءهم ما عرفوا / ١٢ منه .

يكفروا حسداً ، ﴿أَنْ﴾ ، أي : لأن ، ﴿يُنزِّلَ اللَّهُ مِنَ فِضْلِهِ﴾ : النبوة والكتاب ،
 ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ، فإن كفرهم للحسد على أن النبوة في غيرهم ،
 ﴿فَبَاعُوا﴾ : رجعوا^(١) ، ﴿بِعَضْبٍ عَلَىٰ غَضْبٍ^(٢)﴾ ، لكفرهم بمحمد - عليه الصلاة

(١) وصاروا أحقاء / ١٢ منه .

(٢) وقد قدمنا بيان الغضب في صفحة سابقة أنه صفة وصف الله تعالى نفسه بها وليس غضبه
 كغضبنا كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته
 وما قيل إن الغضب من الانفعالات النفسانية فيقال : نحن وذواتنا منفصلة فكأنها انفعالات
 فينا لا يجب أن يكون الله منفعلاً بها كما أن نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين
 وصفاته كذلك ليست كصفات المخلوقين ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه
 وليس المنسوب كالمنسوب والمنسوب إليه كالمنسوب إليه كما قال صلى الله عليه وسلم :
 "ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي وهذا يتبين
 بقاعدة وهي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات وكثير منها كلها أو أكثرها أنها
 تماثل صفات المخلوقين ثم يريد نفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المخاذير أحدها
 كونه مثل ما فهمه من النصوص لصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل
 الثاني أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله فبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من
 إثبات الصفات اللاتئة بالله فيبقى مع جناية على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله
 ورسوله حيث خالف الذي يفهم من كلامهما من إثبات صفات الله والمعاني الإلهية اللاتئة
 بجلال الله تعالى ، الثالث أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير دليل فيكون معطلاً عما
 يستحقه الرب تبارك وتعالى ، الرابع : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات
 الأموات والجمادات وصفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها
 الرب ، ومثل بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل
 مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل سبحانه
 وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد
 السلام في القاعدة التدمرية / ١٢ .

والسلام-، أو القرآن بعد كفرهم بيسى وتضييعهم التوراة والإنجيل ، أو عبادتهم العجل وقوله بغضب ظرف لغو وعلى غضب صفة له ، «وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ» ، فإن عذابهم للإهانة وعذاب العاصي للتطهير ، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿لِيُتْرَكِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: القرآن ، «قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا»: التوراة ، «وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ»: بما سواه أو بما بعده ، «وَهُوَ» ، أي : ما وراءه ، «الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ» ، فإن القرآن مصدق للتوراة ، «قُلْ»: يا محمد إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بالتوراة ، «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ، وفعل آباؤهم فعلهم مع أنهم رضوا به ثم يعد عليهم قبائحهم بقوله: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ»: اليد والعصا وغيرهما ، «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» ، إلهًا ، «مِنْ بَعْدِهِ»: بعد مجيئه رسولاً أو ذهابه إلى الطور ، «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ»: قوم عادتكم الظلم ، «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ»: قلنا لكم ، «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ»: ما أمرتم به في التوراة ، «بِقُوَّةٍ»: يجذ ، «وَأَسْمِعُوا»: أطيعوا ، «قَالُوا سَمِعْنَا»: قولك أو بالأذن ، «وَعَصَيْنَا»: أمرك^(١) أو بالقلوب وليس هذا بألستهم لكن لما سمعوا وتلقوه بالعصية نسب إلى القول اتساعاً ، «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» ، أي : أشربوا في قلوبهم حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم وفي كلام السلف : لما أحرق العجل برد بالمررد ثم نسف في الماء فمن شرب وفي قلبه حب العجل اصفر لونه ، «بِكُفْرِهِمْ» ، فإنهم مجسمة فأعجبوا العجل ، «قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٢) : بالتوراة كما زعمتم فبئس ما أمركم به إيمانكم بها

(١) بمعنى اعترفوا بقبوله لكن لم يفعلوا / ١٢ وحيز .

(٢) كما زعمتم بالتوراة وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم وقوله: "إن كنتم مؤمنين" قدح في صحة دعواهم فإن الإيمان إنما يأمر بعبادة الله وحده لا بشركة =

والمخصوص بالذم محذوف أي: هذا الأمر وحاصله لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل يعني آباءهم ، وأنتم لو كنتم مؤمنين ما كذبتُم محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أي: في علم الله وحكمه ، ﴿خَالِصَةً﴾ ، أي: خاصة بكم كما تقولون : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا " الآية (البقرة: ١١١) ، منصوب على الحال ، ﴿مَنْ دُونَ النَّاسِ﴾ ، أي: الباقين ، ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أي: ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين، والمراد منه المباهلة كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف أو معناه فسلوا الموت لأن من أيقن أن مأواه الجنة حن إليها سيما إذا علم أنها لا يشاركه^(١) فيها غيره ، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: للعلم بكذبهم ، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾: كتحريف التوراة وإضافته إلى اليد؛ لأن أكثر الجنايات باليد فأضيف إليها الأعمال وإن لم يكن لليد فيها مدخل ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: تهديد ، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ، أي: على نوع من الحياة وهو طول العمر لعلمهم بسوء عاقبتهم ، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ، عطف في المعنى على الناس ، أي أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ، أو عطف على أحرص بتقدير وأحرص من الذين وهو عطف الخاص على العام أو اليهود أحرص منهم مع أن المشركين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم إليها شديد ، وزيادة حرص اليهود لعلمهم بأنهم صائرون إلى النار بخلاف المشركين ، قيل:

= العباد لما هو في غاية البلادة فهو غاية الاستهزاء وأما إضافة الإيمان فدللت على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم وحاصل الكلام إن كنتم أنتم وآباؤكم الأقدمون مؤمنين لما عبدتم العجل وكذبتُم القرآن / ١٢ وحيز .

(١) وأما المؤمنون فلا يدعون أنهم أحباء الله وأنهم من الفائزين يقينًا، بل يرجون من فضل الله وكذا العشرة المبشرة فحال خوفهم يحال بينهم وبين البشارة لاحتمال أن البشارة مقيدة بغيره ويخافون من سوء العاقبة كما يدل على ذلك تتبع أحوالهم/ ١٢ وحيز .

تقديره: ومن الذين أشركوا ناس يود أحدهم فمن الذين أشركوا خير مبتدأ محذوف صفته "يود أحدهم" ، فإن من اليهود من قال: عزير ابن الله فيكون مشركاً ، ﴿يُودُ أَحَدَهُمْ﴾ ، أي : اليهود جملة مستأنفة ، ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١) ، لو للتمني ، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزْحَرِحِهِ﴾ : بمبعده ، ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ ، وضمير هو لمصدر يعمر ، و أن يعمر بدله ، أو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ أَوْكَلَّمَا عَنْهُدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِلَابِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

(١) وإنما خص الألف بالذكر لأن العرب تذكر ذلك عند إرادة المبالغة ولأنها نهاية العقود ولأنها تحية الجوس فيما بينهم يقولون : (زى هز إرسال) أي: عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة / ١٢ فتح .

وَزَوَّجَهُ^٤ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ^٥ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ^(١) فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ ، أي : القرآن ، ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : بأمره وجواب الشرط محذوف ، أي : من كان عدوه فلا إنصاف له ، فإنه نزله أو تقديره فهو عدو لي ، فليعلم أنه نزله ، أو فليمت غيظًا ، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : لما قبله من الكتب نزلت جوابًا لليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ولولا أنه ولي محمد عليه الصلاة والسلام لآمنوا ، ﴿وَهُدًى وَبَشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ^(٢)﴾ ، رد عليهم حيث قالوا : إن جبريل ينزل بالحرب والشدة ، فقال الله : إنه ينزل بهما على الكافرين ويهدى وبشرى للمؤمنين ، ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ ، فيه تنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء فمن عادى أحدهم فقد عادى الجميع ووضع الظاهر أي : للكافرين موضع المضمرة للدلالة على أن عداوة الله لهم لكفرهم وعداوتهم كفر وقيل الواو هاهنا بمعنى أو ، ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا^(٣) إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ، نزلت في ابن صوريا حين قال : يا

(١) لما قيل لليهود آمنوا بما أنزل الله اعتذروا بوجوه: أحدها: أنا آمننا بكتابنا وكفيننا ، والثاني: أن جبريل ولي لمحمد وهو الذي ينزل عليه وهو عدو لهم ولولا ذلك لآمنوا أحباب عن الأول بما مر وهذا جواب عن الوجه الثاني / ١٢ وحيز .

(٢) فإذا آمنتم كان هو صديقًا لكم / ١٢ وحيز .

(٣) هذا جواب للثالث من أعدائهم من الإيمان فإنهم قالوا ما أنزل إليك يا محمد من آية بينة فتبعك! / ١٢ وحيز .

محمد ما أنزل إليك آية بينة فتتبعك*»، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ، المتجاوزون عن الحد ، ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ ، عطف على محذوف والهمزة للإنكار ، أي : أكفروا بالآيات ، وكلما عاهدوا نزلت حين ذكرهم نبينا عليه الصلاة والسلام ما أخذ عليهم من الميثاق في شأنه قالوا: والله ما عهد إلينا ولا أخذ ميثاق في شأنك ، ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: نقضه وطرحه ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقولون ، فإنهم بين ناقض عهد أو جاحد معاند ، والمؤمنون أقولون ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، كعيسى ومحمد عليهما السلام ، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ، أي : التوراة ، فإنهم جحدوا ما فيها من صفة محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ، كشيء يرمى وراء الظهر غير ملتفت إليه ، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما فيها مع أنهم عالمون ، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ، عطف على نبد ، أي : تركوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها الشياطين وتحديثها ، ﴿عَلَى﴾: عهد ، ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ، أي : في زمانه وتعديته بعلى لتضمين الكذب فإن الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسية ثم لما مات سليمان أو نزع منه ملكه استخرجوه ، وقالوا: تسلطه في الأرض لهذا السحر ، فعلموه ، وبعضهم نفوا نبوته وقالوا: ما هو إلا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال: ﴿وَمَا كَفَرُ﴾: عبر عن السحر بالكفر لتغليظه ، ﴿سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ ، إشارة إلى ما كتبوا من السحر ، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكِينَ﴾ ، عطف على السحر أو على ما تتلوا ، أي : يعلمونهم ما ألهما ، ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ ،

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، كما في الدر المنثور

للسيوطي (١/١٨١).

(١) البابل اسم موضع من الكوفة سميت بذلك لتبليل ألسنة الخلائق بها / ١٢ وجيز وفتح.

ظرف أو حال ، وهو اسم موضع من الكوفة ، ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ، عطف بيان للملكين وعند بعض من السلف أن ما نافية ، فيكون عطفًا على ما كفر ، أي: ما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين ، أي جبريل وميكائيل ، فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما^(١) إلى سليمان فردهم الله وعلى هذا ، فقوله: "ببابل" متعلق بـيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين ابتلاههما الله تعالى بالسحر^(*) وقعا بدل بعض^(٢) من الشياطين ، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ ، أي: الملكان ، أو الرجلان ،

(١) أي: على لسان جبريل وميكائيل / ١٢ منه.

(*) روي في هاروت وماروت قصص عجيبة وأخبار غريبة لا خطم لها ولا أزمة جمعها كلها العلامة محمد بن أبو شعبة في كتابه الماتع "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ، (ص ١٥٩-١٦٦) مبينا زيفها ، حتى نقل عن ابن الجوزي والعراقي وعياض وابن كثير وغيرهم أنهم قالوا بوضعها.

(٢) في قوله "ولكن الشياطين" كفروا ذكر هذا بن جرير أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن الذي يعلمونهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردًا عليهم انتهى. وقال القرطبي : وهذا أولى ما حملت الآية وأصح ما قيل فيها ثم قال: إن قيل كيف يكون اثنان بدلاً من جمع والبدل إنما يكون على حد المبدل؟ ثم أجاب بأن الاثنان قد يطلق عليهم الجمع وإنما خصا بالذكر دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ، قال ابن جرير -رضي الله تعالى عنه- : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما نزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقال ابن كثير في تفسيره: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق =

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ، أي: أحداً ، ﴿حَتَّى يَقُولَا إِيمًا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاء واختبار ، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: بتعلمه^(١) وذلك لأن تعلمه للعمل^(٢) كفر أو تعلم هذا النوع كفر لما فيه من الكفر فهذه نصحية منهما له ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ، ضمير الجمع لما دل عليه من

= المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصتين من غير بسط ولا إطناب فيهما فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم انتهى .
وأطال في رد هذه القصة صاحب الخازن وصاحب المظهري وأبو السعود القاضي والرازي والسعد والتفتازاني وغيرهم واستبعدوها ، لكن قال الشيخ الزكريا الأنصاري: الحق ما أفاده شيخنا حافظ الشهاب بن حجر أن لها طرقاً تفيد العلم بصحتها ، فقد رواها مرفوعة الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم [في الأصل: وغيرهما] بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال: إنه محكي عن اليهود ولعله من رموز الأولين ذكره الخطيب، وقد أطنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاده لهذه القصة في كتاب الزواجر بما لا مزيد عليه هذا خلاصة ما في الفتوح/ ١٢ .

(١) فيه أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحراً ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال أحمد، أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود: "من أتى ساحراً أو كاهناً وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تطير أو تطير له أو سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له ومن عقد عقدة ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد/ ١٢ ."

(٢) عند أبي حنيفة ومالك وأحمد استعمال السحر كفر فقالوا أي: مالك وأحمد يقتل بمجرد الاستعمال وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه أو لم يكن في سحره ما يوجب الكفر / ١٢ منه .

أحد ، «مَا يُفْرَقُونَ»: من السحر ، «بِهِ»: بسببه ، «بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ» ،
 أي : السحرة ، «بِضَارَيْنَ بِهِ»: بالسحر ، «مَنْ أَحَدٍ»: أحدًا ، «إِلَّا يَأْذَنَ اللَّهُ»:
 إرادته ، «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» ، أي : نفعًا يوازي ضره ، ومجمل
 قصتهما أن الملائكة طعنوا أهل الأرض فسادهم ، فقال الله تعالى لهم : لو كنتم على
 طبعهم لكنتم مثلهم ، فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا ، فاختار الله تعالى من بينهم ملكين
 من أعبدهم وركب فيهما الشهوة وأرسلهما إلى الأرض فعصيا فخيرًا بين عذاب الدنيا
 وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فالآن هما معذبان إلى يوم القيامة* والله
 يمتحن^(١) عباده بهما ، «وَلَقَدْ عَلِمُوا»: اليهود ، «لَمَنِ اشْتَرَاهُ»: استبدل السحر
 بكتاب الله تعالى واللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ، «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلَقٍ»: من نصيب ، «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ» ، أي: باعوا ، «أَنْفُسَهُمْ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ»: حقيقة^(٢) ما فعلوا ، «وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا»: بمحمد عليه الصلاة
 والسلام ، «وَاتَّقَوْا» ، نبد كتاب الله تعالى واتباع كتب الشياطين ، «لَمَثُوبَةٌ مِّنْ
 عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» ، أي: لشيء^(٣) من الثواب خير لهم ، أو جواب لو محذوف وهو

(٥) أشرنا قريبا إلى بطلان كل ما ورد في هذا الروايات، وانظر الضعيفة للشيخ
 الألباني .

(١) في مسند الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث طويل حاصله ما
 ذكرناه ، وأيضًا في صحيح ابن حبان فقيلاً: رجاله ثقات، وقد ثبت أيضاً عن
 علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين / ١٢
 منه .

(٢) وعلى ما فسرنا لا منافاة بين قوله: "ولقد علموا" حيث أثبت لهم العلم وبين قوله: "لو
 كانوا يعلمون" حيث لزم نفي العلم عنهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٣) هذا يعلم من تنوين مثوبة / ١٢ منه .

لأثيوا^(١) ولثوبة إلخ.. استئناف واختيار الجملة الاسمية في جواب لو للدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها ، كما في سلام^(٢) عليك وأصله لأثيوا مثوبة خيراً مما شروا به أنفسهم ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : من أهل العلم أو يعلمون أن الثواب خير .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمَشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾ * مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٩﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٠﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْقُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا

(١) قال صاحب البحر: المختار أن يكون جواب لو محذوفاً كما قال الأخفش ومختار الزمخشري غير مختار لأنه لم يعهد في لسان العرب وقوع الجملة الاسمية جواباً للو، ولا ثبت القواعد الكلية بالاحتمال فتفتن / ١٢ منه .

(٢) فحذف الفعل وجعل الباقي جملة اسمية للدلالة على ثبوت المثوبة وحذف المفضل عليه / ١٢ منه .

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ، هـى الله تعالى المؤمنين عن أن يقولوا لنبينه -صلى الله عليه وسلم- راعنا ، أي: أرعنا سمعك ، أي: اسمع منا وفي لمية المنع خلاف والمشهور أن لهذا اللفظ معنى قبيحاً بلغة اليهود وهم لما سمعوا هذا اللفظ من المسلمين يأتونه ويقولون راعنا ويضحكون سراً ، ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ، أي: إلينا ، ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ، تراك هذه اللفظة^(١) سماع قبول لا كاليهود قيل: إنه عليه السلام إذا تكلم معهم قالوا: راعنا ، أي: راقبنا^(٢) وتأن بنا حتى نفهم ، فمنعوا من تلك الكلمة وأمروا بانظرننا أي: انتظرنا ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الذين سبوا وهماونوا رسلنا ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ، هو مفعول يود ، ﴿مَنْ خَيْرٌ﴾ ، من للاستغراق ، ﴿مَنْ رَبُّكُمْ﴾ ، من للابتداء والخير هاهنا الوحي أو أعم بين تعالى شدة عداوتهم حسداً للمؤمنين لثلا يغتروا بنفاقهم ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾^(٣): بنبوته أو أعم ، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

(١) كلام السلف كعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ما قلناه أولاً وهو صريح في أن هذه اللفظة إذا خاطب المسلمون نبي الله -عليه الصلاة والسلام- قالوها بدل اسمع منا، وقالوا معناه راعنا سمعك والذي ذكرناه بقيل ذكره الزمخشري وهو غير ما ذكره السلف بأجمعهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من نظره إذا أنظره وإذا كان هذا معناه جاز أن يكون معنى واسمعوا: أحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة/ ١٢ منه .

(٣) يقال: اختص زيد بكذا واختصته به والظاهر أنه هاهنا متعد قيل: جاز أن يكون لازماً ومن يشاء فاعله / ١٢ منه .

العَظِيمِ ﴿١﴾ ، فحرمان البعض ليس لضيق في الفضل، بل لحكم ومصالح ، ﴿مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ﴾: يبطل (١) حكمها أو النسخ رفعها (٢) من القرآن ، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نحتها عن القلوب (٣) ومن قرأ نساها أي : تؤخرها ، أي : في اللوح المحفوظ أو ثبت قراءتها ونبدل حكمها* فعلى هذا النسخ عكسه (٤) ، ﴿تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾: أنفع للعباد في الدارين ، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: في المنفعة نزلت حين قالوا: إن محمداً -صلى الله عليه وسلم- يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النسخ والتبديل ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته بدليل "وما لكم" ، ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يفعل ما يشاء فيهما من نسخ وتغيير، والآية وإن كانت خطاباً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على وجه الخبر عن عظمته ، لكن في الحقيقة رد وتكذيب لليهود لإنكارهم نسخ التوراة ، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ﴾: وال يلي أمركم ، ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: ينصركم قيل الفرق بينهما أن الوالي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً ، ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ ، أي: ألم تعلموا أنه يأمر وينهى كما شاء أم تعلمون

(١) كتبديل حكم من حلٍ إلى حرمةٍ أو من حرمةٍ إلى حل ويكون اللفظ من القرآن/١٢

منه .

(٢) أعم من أن يبطل حكمه أو لا الثاني نحو "لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى بهما

ثالثاً"/١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس : كان الوحي يترل عليه بالليل وينساه بالنهار فلذا أنزل أو ننسها/١٢

منه .

(٥) وفي حاشية النسخة: الأول: قول عمر وابن عباس، والثاني: قول ابن مسعود/١٢ .

(٤) أي : ثبت حكمها ونبدل قراءتها نحو: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما" /١٢

منه .

وتتروحون في السؤال^(١) فأم معادلة للهمزة أو منقطعة^(٢) ، «أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ» :
 محمداً عليه الصلاة والسلام فإنه رسول الله إلى الناس أجمعين ، «كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ
 قَبْلُ» : أهل الكتاب قالوا اثنتا بكتاب نقرأه وفجر لنا أهاراً نصدقك فأنزل الله تعالى ،
 أو قريش^(٣) سألوأ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
 نعم وهو لكم كالمائدة لبي إسرائيل فأبوا^(٤) ورجعوا*) ، «وَمَنْ يَتَّبِدْ الكُفْرَ
 بِالْإِيمَانِ» ، أي : يشتري الكفر به ، «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» : وسطه ، أي :
 خرج عن الطريق المستقيم ، «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» ، كان من أجارهم
 رجال جاهدوا في رد الناس عن الإسلام فأنزل الله تعالى ، «لَوْ يَرُدُّوكُمْ^(٥)» ، لو

(١) يعني أم إما متصلة معادلة لقوله "ألم تعلم" ، وإما منقطعة أي : ألم تعلموا أن له القدرة
 الشاملة والتصرف كيف أراد ثم قال بل لكم علم لكن تتروحون في السؤال كما
 اقترحت أسلافكم على موسى عليه السلام / ١٢ منه .

(٢) معناه بل والهمزة للمبالغة في النهي حتى كأنهم كانوا بصدد الإرادة فنهوا عنها فضلاً عن
 السؤال يعني من شأن العاقل أن لا يتصدى لإرادة ذلك / ١٢ منه . والمراد أن يوصيهم
 بالثقة به وترك الاقتراح عليه لأن معنى المنقطعة بل والهمزة للإنكار / ١٢ منه .

(٣) على الوجه الأول: المخاطبون هم اليهود وهو قول ابن عباس وغيره وعلى الثاني:
 المخاطبون قريش وهو قول مجاهد والسدي وقتادة / ١٢ منه .

(٤) يعني إذا ظهرت تلك الآية فمن يكفر منكم فإن الله لا يمهل ولا يعذب فلذلك أبوا عن
 الإيمان ورجعوا عن مقترحهم محبة للكفر كما قال تعالى لهم : " فمن يكفر بعد منكم
 فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين " (المائدة: ١١٥) / ١٢ منه .

(٥) أخرجه بنحوه ابن إسحاق وابن حرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور
 للسيوطي (١/ ٢٠١) .

(٥) ذهب بعض النحاة إلى أنها مصدرية ، إلا أنها لا تنصبه كما فصلناه في قوله : " يود
 أحدهم لو يعذر ألف سنة " (البقرة: ٩٦) / ١٢ منه .

معنى أن ، «مَنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا» ، حال من كم ، أو مفعول ثانٍ ليردون لتضمين معنى التصيير ، «حَسَدًا» علة ود ، «مَنْ عِنْدِ^(١) أَنْفُسِهِمْ» ، أي : تمنوا من عند أنفسهم لا من قبل التدين أو معناه حسدًا مبالغًا منبعثًا من أصل نفوسهم ، «مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» : في التوراة ، «فَاعْفُوا» : عن مجازاتهم ، «وَأَصْفَحُوا» ، وأعرضوا عنهم ، «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» : بالقتال أو القتال والسي والجلاء ، أو إسلام بعض والباقي لبعض ، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» ، أي : اصبروا على المخالفة والجنوا إلى الله تعالى بالبر ، «وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ» ، أي : ثوابه ، «عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» : فلا يضيع عمل عامل ، «وَقَالُوا» ، أي : أهل الكتاب ، «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» ، وهذا لف بين قولي اليهود والنصارى ثقة بفهم السامع ، «تِلْكَ» ، إشارة^(٢) إلى ألا يتزل على المؤمنين خير أو أن يردوهم كفارًا وألا يدخل الجنة غيرهم ، أو إشارة^(٣) إلى الأخير بحذف المضاف أي^(٤) أمثالها ، «أَمَانِيهِمْ» : التي تمنوها على الله تعالى باطلاً ، «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» : على

(١) على التفسير الأول: من عند ظرف لَعُوْ بُوْدٌ ، وعلى الثاني: ظرف مستقر صفة لحسد

أو قيد مبالغًا ليكون مقيدًا وإلا فالحسد لا يكون إلا من الأنفس / ١٢ منه .

(٢) يعني أمانيتهم بصيغة الجمع يأتي أن يكون تلك إشارة إلى شيء واحد فلا بد من تأويل إما

بأن يقول إشارة إلى متعدد أو إلى واحد بحذف المضاف أي: أمثال تلك / ١٢ منه .

(٣) قيل : أفرد المبتدأ لفظًا ، لأنه كناية عن المقالة ، وهي مصدر يصلح للقليل والكثير وأريد

بها الكثير باعتبار الفائتين ولذلك جمع الخير فطابق من حيث المعنى / ١٢ منه .

(٤) قيل هذان الوجهان خلاف الظاهر ، أما الأول: فلأن كل جملة ذكر فيها ودهم قد

انقضت وكملت واستقلت في الترتول فيبعد أن يشار إليها ، وأما الثاني: فللحذف ،

ولأن هذا المعنى يناسب إذا كان أمانيتهم مبتدأ وتلك خير / ١٢ منه .

اختصاصكم بالجنة ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى﴾ : إثبات لما نفوا من دخول غيرهم الجنة ، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ : أخلص له نفسه ، أو دينه أو عمله ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ : متبع نبي (١) الله عليه الصلاة والسلام ، قيل : مؤمن ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ : ثابت لا ينقص ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ : في الآخرة عند الفزع الأكبر ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ : على ما مضى .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٥﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

(١) يعني للعمل المتقبل شرطان أحدهما: أن يكون خالصًا لوجه الله لا فيه رياء ، والثاني: أن

يكون صوابًا موافقًا للشريعة / ١٢ منه .

مِلَّتَهُمْ قُلْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْهُدَىٰ وَاللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِمْ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أمر يعتد به^(١) أي: دينهم باطل من أصله نزلت حين قدم وفد نجران فتنازعا مع اليهود ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: مطلقاً دائماً ، ﴿وَهُمْ﴾ ، أي: الفريقان ، ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ ، وفي كتاب كل منهما تصديق من كفروا به ، ﴿كَذَلِكَ﴾^(٢): مثل ذلك الذي سمعت ، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: آباؤهم الذين مضوا أو عوام النصارى أو مشركوا العرب قالوا في نبينهم أو أمم قبلهما ، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ، وبخهم الله على التشبه بالجهال وهو مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به وقيل كذلك مبتدأ ومثل قولهم مصدر أو مفعول لا يعلمون ، ﴿قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بما استحقوا عن الحسن هو تكذيبهم وإدخالهم النار ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ﴾^(٣) مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ ، عام لكل

(١) لو لم يفسر على هذا الوجه يكون كلام كل منهم صدقاً فلا يكون قوله "وهم يتلون الكتاب" رداً عليهم ، ولا يكون لواو الحال موقع حسن / ١٢ منه .

(٢) يمكن أن يكون تقديره الأمر كذلك ثم ابتداء وقال : " وقال الذين لا يعلمون " إلخ... / ١٢ منه .

(٣) هذا كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً : من أظلم من آذى الصالحين / ١٢ .

(٤) قوله : " أن يذكر " ، أي : من أن يذكر بحذف من وقيل بدل اشتغال من مساجد الله ولا تناقض بين قوله هذا وبين قوله : " فمن أظلم من افترى على الله " (الأنعام: ١٤٤) =

من خرب مسجداً ، وإن كان سبب نزوله منع المشركين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل مكة ويحج عام الحديبية ، وأى خراب أعظم مما فعلوا من إخراج المسلمين واستحواذهم بالأصنام ، أو نزلت^(١) في الروم خربوا بيت المقدس ، **﴿أَوْلَيْتُكَ﴾** : المانعون ، **﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾**^(٢) **﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾** ، خبر معناه الطلب لا تمكنوهم^(٣) من دخولها إلا تحت هدنة أو جزية ، أو بشارة للمسلمين أنه سيكون كذلك ، أو ما كان ينبغي أن يدخلوها إلا خاشعين فضلاً أن يخربوا ، أو ليس الحق أن يدخلوا إلا خائفين عن المسلمين فضلاً من أن يمنعوهم منها ، **﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾** : قتل وسي أو جزية ، **﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾** : له الأرض كلها إن منعم الصلاة في أحد المساجد ، **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾** ، أي : في أي مكان توليت القبلة ، **﴿فَتَمَّ وَجْهُ﴾**^(٤) **﴿اللَّهِ﴾** ، أي : جهته التي أمر بها لا يختص بمسجد ومكان ، أو معناه بأي جهة وجهتم إليها وجهكم فتم قبلة الله

= الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧)، وقوله : " ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها" (السجدة: ٢٢)، لأن معناه هؤلاء أظلم ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، بل كلهم مساو في الأظلمية / ١٢ منه .

(١) ولهذا نادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الفتح ألا لا يحج بعد العام مشرك ومن كان له أجل فأجله إلى مدته / ١٢ منه .

(٢) ما كان لهم في علم الله وقضائه أن يدخلوها إلا خائفين وقد أنجز وعده / ١٢ منه

(٣) الأول قول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وكأنه أرجح، لأن القول الثاني وهو قول العوفي عن ابن عباس وقول عكرمة ومجاهد والسدي أن النصراني أخرجوا اليهود ومنعوهم عن الصلاة في بيت المقدس، اليهود إذ ذاك غير مقبولة لأنهم لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون / ١٢ منه .

(٤) قيل الوجه الجاه كما يقال فلان وجه القوم ، أي موضع شرفهم ، معناه فتم جلال الله وشرفه وعظمته / ١٢ منه .

المشرق والمغرب ، أو ذاته مطلع بكم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالأشياء رحمة لا يضيق على عباده ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال في الأماكن أو نزلت^(١) في صحابة عميت عليهم القبلة فتحروا القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة ثم تبين خطأهم^(*) ، أو نزلت^(٢) في صلاة التطوع حين السير أو في تحويل القبلة لما عبرت اليهود بأن ليس لهم قبلة معلومة ، أو لما نزلت " ادعوني أستجب لكم " (غافر: ٦٠) ، قالوا أين ندعوه فنزلت ، أو لمات النجاشي قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : صلوا عليه ، قالوا إنه كان لا يصلي إلى القبلة كيف نصلي عليه ؟ فنزلت ، نقله ابن جرير رضي الله عنه^(*) ، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عزيز والنصارى في المسيح والمشركون في الملائكة ، ﴿اتَّخَذَ^(٣)

(١) روى الترمذى وابن ماجه وابن أبي حاتم أنها في شأن من عميت عليه القبلة قال الترمذى: حديث حسن ليس إسناده بذلك وروى الدار قطني أيضاً برواية أخرى وضعفها ، والثاني وهو الذي أنها في التطوع في حديث رواه الترمذى والنسائي وابن أبي حاتم ، والثالث قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم ، والرابع قول ابن جرير ، والخامس نقله ابن جرير وقال : قال آخرون كذا هذا الوجه لا يخلو عن إشكال فتأمل ، والأولى أن يحكم بعدم صحة الرواية والله أعلم / ١٢ منه .

(*) أخرجه الترمذى (٣١٣٣-أحوزي) وضعفه وأبو داود الطيالسي عبد بن حميد وابن ماجه وابن جرير والدارقطني وغيرهم عن عامر بن ربيعة. وضعفه أيضا العقيلي كما في الدر المنثور للسيوطي (٢٠٥/١).

(٢) قوله أو نزلت إشارة إلى أنه قد علم من التفسير الذى ذكرنا وجه آخر بسبب التزول ، فإنه إذا كان سبب التزول الوجوه الخمسة التي سنذكرها فيكون معنى " فأينما تولوا فثم وجه الله " لا يصدق إلا على المعنى الثاني في بعض ، والثالث في بعض فتأمل / ١٢ منه .

(*) أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة مرسلا كما في الدر المنثور (٢٠٦/١).

(٣) اتخذها هنا بمعنى عمل وصنع فهو متعد إلى مفعول واحد / ١٢ منه .

اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ»: نزه نفسه عن ذلك ، «بَلْ لَهُ مَا (١) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أي : مخلوق وملك فلا مناسبة لشيء مع الله فلا ولد ، «كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ»: منقادون لا يمكن لهم الامتناع عن مشيئته ، «بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: مبدعهما وخالقهما بلا سبق شيء ، أو بديع سماواته وأرضه ، «وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا»: قدر وأراد ، «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»، من كان التامة ، أي: يكونه فيكون ولا واجب أن هناك حقيقة قول كما ابتدأ المسيح بأمر كن من غير والد والملائكة كذلك ومن قرأ فيكون بالنصب فهو جواب الأمر، «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»: مشركوا العرب أو بعض اليهود والنصارى ، «لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ»، أي : هلا يكلمنا عياناً ، «أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ»، كما قال تعالى: " لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض " الآية (الإسراء: ٩٠)، «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»: من كفار الأمم الماضية ، «مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ»: في العناد ، «قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»: أيقنوا وطلبوا الحق لا من عاند واستكبر ، «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ»: متلبساً ، «بِالْحَقِّ»: بالصدق ، «بَشِيرًا»: بالجنة ، «وَنَذِيرًا»: من النار ، «وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ»، أي : لست بمسئول عنهم لِمَ لَمْ يَؤْمِنُوا ، ومن قرأ بصيغة النهي فذلك لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم : ليت شعري ما فعل أبواي ، فترلت (٢) وقيل

(١) غلب غير أولي العلم أولاً فقال ما في السماوات لأن ما يستعمل في الإهتام في مقام الوصف وكما يدل على التعظيم في بعض المواضع يدل على التحقير في بعض ، فهنا اتباع أولى العلم غيرهم تحقير لشأنهم ، والمقام يقتضيه ، وأما قانتون فعلى تغليب أولى العقل ، وهو الأصل أو نقول إن ما عام فلا تغليب والتغليب في قانتون على الأصل / ١٢ منه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داود بن أبي

معناه لا تسئل عن حالهم فإنك لا تقدر أن تخبر عنها لفظاعتها ، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ ، كانوا يرجون أن يرجع محمد عليه الصلاة والسلام إلى دينهم حين كان يصلي إلى قبلتهم ، فلما صرفت القبلة أيسوا منه فأنزل الله ، ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم وقبلتهم ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ، ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾: الذي بعثني به ، ﴿هُوَ الْهُدَى﴾: طريق الحق ، ﴿وَلَنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: آراءهم الباطلة ، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: القرآن والسنة ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١) : يدفع عنك العقاب وهو تهديد شديد للأمة ، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ، أي : جنس الكتاب من الكتب المتقدمة ، ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ، حال

= عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة هذا ما في الفتح وفي الوجيز وهذا القول بعيد جداً فإنه متوسط بين فضائح أهل الكتاب والمشركين / ١٢ . [كلام السيوطي على الطريق وتضعيفه لهما تراه في الدر المنثور (١/ ٢٠٩) ، وقال في الحاوي (٣٨٩/٢): "لم يخرج -أي هذا الحديث- في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به، ولا يعول عليه".]

(١) وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه لينا لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حباله فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأى منها وتقليد على شفا حرف هار فهو ذلك ماله من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو لا محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة / ١٢ فتح .

كوفهم لا يحرفونه ولا يكتمون ما فيه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، أي : بكتابهم دون من يحرفه ويكتمه ولا يحل ولا يحرم حلاله وحرامه أو أولئك يؤمنون بالقرآن لا من يحرف كتابه ، أو معناه الذين آتيناهم القرآن حال كوفهم يتبعونه حق اتباعه هم المؤمنون بالقرآن لا غيرهم ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ، حيث اشتروا الكفر بالإيمان .

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ * وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لِّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : عالمي زمانكم ، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا

يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^(١) ، كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وكأنه الفذلكة والمقصود بالذات ، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى﴾: اختبر أي: عامل معاملة المختبر ، ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾: رَبُّ إِبْرَاهِيمَ ، ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ ، في الكلمات^(٢) اختلاف كثير ، أي : شرائع وأوامر ونواهي أو ثلاثين خصلة عشر في البراءة ، "التائبون العابدون" (التوبة: ١١٢) إلخ.. وعشر في أول سورة "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (المؤمنون: ١-٩) ، و"سَأَلَ سَائِلٌ" (المعارج: ٢٢-٣٤) ، وعشر في الأحزاب ، "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ" (الأحزاب: ٣٥) إلخ.. ، أو عشر خصال خمس في الرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء^(*) ، أو مناسك الحج ، أو أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: "فسبحان الله حين تمسون" (الروم: ١٧) إلخ الآية أو الآيات التي بعدها "إني جاعلك للناس إماماً" وغيرها ، ﴿فَأْتَمَّهُنَّ﴾: أداهن تامات وقام بهن حق القيام ، ﴿قَالَ﴾ ، استئناف كأنه جواب لمن قال ماذا قال له ربه حين أتمهن ؟ ، أو بيان لقوله ابتلى ، عند من يقول هي الكلمات ، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(١) لما بين حكاية آدم وهو أب الجميع وفصل حكاية مخالقات بعض أولاده وعدوهم عن الاستقامة أخذ بين حكاية أب العرب إبراهيم الذي وفي تحريضاً على متابعتة وتحذيراً عن أن يكونوا مثل بعض أولاده فقال : " وإذ ابتلى إبراهيم " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) قال ابن جرير: ما حاصله أنه لا يجوز الحزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحدوث أو إجماع ولم يصح في ذلك خير بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني إن الكلمات هو قوله : " إني جاعلك للناس إماماً " وقوله : " وعهدنا إلى إبراهيم " وما بعده / ١٢ فتح .

(*) أخرج هذا التفسير الحاكم في "المستدرک" ، (٢/٢٦٦) عن ابن عباس من قوله ، وقلل: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

إِمَامًا: يقتدى بك وإمامته مؤيدة إلى الساعة ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ، عطف على الكاف ، أي : اجعل من أولادي أئمة ، ﴿قَالَ﴾ : الله ، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، في تفسيره أيضًا كثير خلاف الأرجح أنه إجابة للمتمسه وإشارة إلى أن في ذريته من لا يصلح للإمامة والنبوة ، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ : الكعبة ، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ : مرجعًا يأتون ثم يرجعون ثم يأتون أو موضع ثواب ، ﴿وَأَمَّا﴾ : من المشركين أبدًا فإنهم لا يتعرضون لأهل مكة ويتعرضون لمن حولها ، أو لا يؤاخذ الجاني المتلجئ إليها كما هو مذهب أبي حنيفة وقيل يأمن الحاج من عذاب الآخرة ، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، مقام إبراهيم الحجر المعروف ، أو مسجد الحرام أو الحرم أو مشاعر^(١) الحج وقد صح^(*) أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله : " واتخذوا " (**)

الح وهو عطف على عامل إذ أعني اذكر ، أو مقدر بقلنا^(٢) ، ﴿مُصَلًى﴾ ، يسن الصلاة خلفها أو مدعى ، ﴿وَعَهْدَنَا﴾ : أمرنا ولأنه بمعنى الوحي عدى بإلى ، ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرَا بَيْتِي﴾ ، أي : بأن طهراه من الأصنام^(٣) وما لا يليق^(٤) به أو ابنيه على التوحيد على اسمه وحده ، ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

(١) كعرفة ومزدلفة ومعنى ومن فسر كلمات بمشاعر الحج فسر مصلى بمدعى فإن إبراهيم قام في هذه المواضع ودعا فيه / ١٢ منه .

(*) في حاشية النسخة: في البخاري وغيره / ١٢ منه.

(**) أخرجه البخاري في "التفسير" ، باب: قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ، (٤٤٨٣) ، وفي غير موضع من صحيحه .

(٢) فيكون عطف على جعلنا البيت / ١٢ منه .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء / ١٢ منه .

(٤) قال ابن جرير وغيره أنه كان يعبد عند البيت في زمن نوح الأوثان / ١٢ وجيز ومنه .

السُّجُودِ: لمن يطوف ولمن يجلس في المسجد ولمن يصلي ، أو المراد من الطائفتين الغرباء ومن العاكفين المقيمين والركع السجود جمع راعع وساجد ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا:﴾ المكان ، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾^(١): ذا أمن ، أو آمنا من فيه ، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، من آمن بدل البعض أهله ، ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ ، عطف^(٢) على من آمن وهو من كلام الله ، نبه الله تعالى أن الرزق عام دينوي لا كالإمامة ، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط ، ﴿فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا﴾ ، خبره وقليلًا نصبه بالمصدر ، ﴿ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ ، أي : ألجته إليها ، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(*) ، أي : العذاب^(٣) ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ:﴾ الأساس ، ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾: ورفعها البناء عليها ، ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ، كان يناوله الحجارة يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ، بنائنا البيت^(**) ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا ، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنياتنا ، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾: مخلصين منقادين ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ ، أي: اجعل بعض أولادنا ، ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ، ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾: خاضعة مخلصه والأصح أنها تعم^(٤) العرب وغيرهم ، ﴿وَأَرِنَا﴾: أبصرنا ، ﴿مَنَاسِكَنا﴾: معالم

(١) نحو ليل نائم / ١٢ منه .

(٢) هذا العطف عطف تلقين كأنه قال : قل وارزق من كفر أيضًا فإنه مجاب / ١٢ منه .

(*) في الأصل وما قبلها وما بعدها .

(٣) يعني : أن المخصوص بالذم محذوف / ١٢ .

(**) في حاشية النسخة: بالإثابة / ١٢ منه .

(٤) قال السدي : يعينان العرب قال ابن جرير الصواب أنه أعم لأن من ذريته بنى إسرائيل

قال: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف: ١٥٩) / ١٢ منه .

حجنا أو مذابحنا ، ﴿وَتُوبَ عَلَيْنَا﴾ : مما فرط عنا ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١) : للتائب ، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾ : في الأمة المسلمة ، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^(٢) ، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿يَتْلُو﴾ : يقرأ ، ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ : القرآن ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ : السنة أو الفهم في الدين أو العلم والعمل به^(٣) ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ : عن الشرك ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ : الغالب ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ : واضع الأشياء في محالها .

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٥) وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(٦) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ^(٧) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٨) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

(١) رحمته وإن اشتملت التائب وغيره لكن الرحيم هو المبالغ في الرحمة ولذلك خصها السلف بالتائب / ١٢ منه .

(٢) وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم : أنا دعوة أبي إبراهيم / ١٢ وجيز ومنه . [وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (٥/٢٦٢) من حديث أبي أمامة مرفوعا، وانظر الصحيحة (١٥٤٦)، وصحيح الجامع (١٤٦٣)].

(٣) الأول قول الحسن وقتادة ومقاتل وأبي مالك وغيرهم والثاني قول عطاء والثالث قول محمد بن اسحاق / ١٢ منه .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ
 النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا
 بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ آهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
 اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ
 لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٩﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلُنَا
 وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٠﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ تِلْكَ
 أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ * ﴿١٣٣﴾

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: استبعاد عن ذلك أى لا يرغب أحد ، ﴿إِلَّا مَنْ
 سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: خسرها أو جهل^(١) نفسه أو ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره والمستثنى
 بدل من ضمير يرغب لأنه في معنى النفي ، ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾: اخترناه
 للرسالة ، ﴿وَأِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: وهذه^(٢) حجة وبيان لقوله "ومن
 يرغب" ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ ، ظرف لاصطفينا أو بأضمار اذكر كأنه قال : اذكر ذلك

(١) فلم يعلم أنها مخلوقة لله ويجب عليها عبادة خالقها، وعن المبرد سفه بكسر الفاء متعد

وفي الحديث الكبير أن تسفه الحق وتغضب الناس / ١٢ منه .

(٢) أي مجموع قوله ولقد اصطفيناها الخ .

الوقت لتعلم أنه المصطفى ، ﴿لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ﴾^(١) : استقم على الإسلام أو أخلص العمل لله أو أسلم نفسك إلى الله وفوض أمرك إليه ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : حقق ذلك حيث لم يستعن بغير الله حين ألقى^(٢) في النار ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا﴾ : بالملة أو كلمة الإخلاص ، ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ ، أي وصى هو أيضاً بنيه ، ﴿يَا بَنِيَّ﴾ ، على إضمار القول أو متعلق بوصى لأنه نوع من القول ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ : دين الإسلام ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، أي : داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا عليه ، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ، منقطعة^(٣) والهمزة للإنكار أي : ما كنتم حاضرين ، وهذا رد على اليهود حيث قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ ، تم الكلام ثم ابتدأ بقوله : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ ، كأنه قال : اذكر ذلك الوقت حتى لا تدعى إليه اليهودية أو متعلق بقالوا نعبد ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ، نصبه على البدل من إله آبائك وإسماعيل عمه فهو من التغليب ، ﴿وَوَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ، حال من معمول نعبد ، ﴿تِلْكَ﴾ ، أي : إبراهيم

(١) إن كان الأمر قبل النبوة عند استدلاله بالكواكب فأسلم على ظاهره وإلا فالمراد منه الثبات أو غير ذلك / ١٢ منه .

(٢) وذلك حين قال جبريل عليه السلام "ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا" . / ١٢ منه .

(٣) قيل أم متصلة أي : تدعون على أنبياء اليهودية بلا سند أم كنتم حاضرين وفي البحر لا نعلم أحداً أحاز حذف هذه الجملة ولا نحفظ ذلك في شعر ولا غيره وقيل منقطعة بمعنى بل للإضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل بمعنى الأخذ فيما هو أهم وقيل قد يجيء المنقطعة بمعنى الهمزة وحدها ويكون مجرد الإنكار وهائنا كذلك / ١٢ منه .

ويعقوب وبنوها ، ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ : مضت ، ﴿لَهَا هَا مَا كَسَبَتْ﴾ : من العمل ، ﴿وَلَكُمْ﴾ : يا معشر اليهود ، ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ ، أي : انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم ، ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ : لا تؤاخذون بسيئاتهم ، كما لا تثابون بحسناتهم ، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ، قالت اليهود للمؤمنين : كونوا على ديننا فهو الحق ، وقالت النصارى مثله ، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، أي : نكون أهل ملته ، أو تتبع ملته ، ﴿حَنِيفًا﴾ : مائلًا عن الباطل إلى الحق حال عن إبراهيم ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، وهذا تعريض للمخلطين ، ﴿قُولُوا﴾ : أيها المؤمنون ، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ : القرآن ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ : أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء ، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ ، أفردهما بحكم^(١) أبلغ لأن التراع فيهما ، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ : المذكورون وغيرهم ، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ : كاليهود يكفر ببعض ويؤمن ببعض واحد بحسب^(٢) الوضع يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ : لله ، ﴿مُسْلِمُونَ﴾ : مخلصون متقادون ، ﴿فَإِنْ﴾^(٣) ﴿آمَنُوا﴾ ، أي : أهل الكتاب ، ﴿بِمِثْلِ مَا﴾^(٤) ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ ، المثل صلة والباء زائدة أي : مثل إيمانكم بالمذكور ، أو هو من باب التعجيز إذ لا مثل لدين الإسلام نحو قوله تعالى : "فأتوا بسورة من مثله" (البقرة: ٢٣) ، ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : أعرضوا

(١) وهو الإيتاء فإنه أبلغ من الإنزال / ١٢ منه .

(٢) فهو اسم لمن يصح أن يخاطب ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير موجب ، نص على ذلك أبو علي وغيره من أئمة العربية / ١٢ منه .

(٣) جاء بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير / ١٢ منه .

(٤) أي : حصلوا دينًا آخر مثل دينكم مساويًا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا / ١٢ منه .

عن الإيمان ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ : خلاف ونزاع ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ،
تسكين للمؤمنين ووعد بالحفظ والنصرة ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، من تمام الوعد
والوعيد لا في طلب حق ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ، من تمة المقول أي: قولوا التزمنا^(١) دين
الله ، أو صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغ حلية
المصبوغ ، نقل أن النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر ويقولون : هو تطهير لهم
وبه يحق نصرانيتهم فيكون للمشاكلة ، ونقل أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل يصبغ
ربك ؟ فناده^(٢) ربه أن قل نعم أنا أصبغ الألوان وأنزل الله على نبيه : " صبغة الله "
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾* : لا صبغة أحسن من صبغته ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ﴾ : مطيعون لا نشرك به كشركم عطف على آمنة ، ﴿قُلْ﴾ : يا محمد لأهل
الكتاب ، ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ : أجادلوننا^(٣) ، ﴿فِي اللَّهِ﴾ ، في دين الله وأمره حيث قالوا

(١) قدرنا التزمنا ليكون داخلاً في مقول قولوا آمنا لأنه لو قدرنا الزموا كما قدره كثير من
المفسرين يلزم فك النظم لأن قوله: "ونحن له عابدون" عطف على "آمنا" ، فيلزم
الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي وهو قوله: "صبغة الله ومن أحسن من الله
صبغة" فإنه ليس من مقول قولوا حيثئذ وقيل: نقدر الزموا ، وقوله: "ونحن له عابدون"
مقدر بالقول ، أي : وقولوا : نحن له عابدون فلا يلزم فك النظم وأنت تعلم أن ما
ذكرناه أقل حذفاً وأمتن فتدبر / ١٢ منه .

(٢) عن سيبويه أن صبغة الله مصدر مؤكد لقوله : " آمنا بالله " فإن الإيمان يطهر النفوس
كأنه قال : طهرنا الله تطهيره / ١٢ .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" ، (١٨٩/١) وعزاه إلى ابن مردويه ابن أبي حاتم
من طريق أشعب بن إسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً . وقال: "كذا
وقع في رواية ابن مردويه مرفوعاً ، وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح
إسناده" .

(٣) أجادلوننا في شأن الله واصطفاءه النبي من العرب دونكم؟! / ١٢ منه .

الأنبياء منا فنحن أولى بالله منكم ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ : لا اختصاص له بقوم دون قوم ، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ : لكلِّ جزاء عمله فليس ببعيد أن يكرمنا الله تعالى ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ : موحدون ، أي : لنا هذا المزيد دونكم ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ ، أم منقطعة والهمزة للإنكار ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ ، " ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا " (آل عمران : ٦٧) ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾^(١) *مِنَ اللَّهِ* ، يقرأون في التوراة أن الدين الإسلام وأن هؤلاء الأنبياء برآء من اليهودية والنصرانية ، فشهد الله بذلك فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، وعيد لهم ، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، كرر مبالغة في الزجر عما في الطباع من الاتكال بالأشراف من الآباء ، قيل : الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي الآية لنا ، وقيل : المراد بالأمة في الأول : الأنبياء وفي الثاني : أسلاف أهل الكتاب .

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

(١) الطرفان كلاهما صفة شهادة / ١٢ منه .

وَجِهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿سَيَقُولُ﴾^(١) السُّفَهَاءُ^(٢) مِنَ النَّاسِ: اليهود ومشركو مكة، ﴿مَا وَلَاهُمْ﴾: ما
صرفهم، ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، وهى الصخرة، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

(١) ظاهر فى الاستقبال وهو خير من الله قبل استقبالهم الكعبة، فهو من المعجزات، وذهب
قوم إلى أنه نزل أولاً " قد نرى تقلب وجهك فى السماء "، ثم نزل سيقول السفهاء
نص على ذلك ابن عباس وغيره وحديث البخارى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم صلى
فى المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً وكان يجب التوجه نحو
الكعبة، فنزل " قد نرى تقلب وجهك فى السماء " الآية، فقال السفهاء من الناس وهم
اليهود: " ما ولاهم عن قبلتهم " الآية فقال الله تعالى: " قل لله المشرق والمغرب " فعلى
هذا السين دل على أنهم كما صدر عنهم فى الماضى يصدر عنهم فى الآتى، فهم فى
ضلالتهم فى الأول والثانى / ١٢ وحيز [أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم... " (٤٤٨٦)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى
"المساجد ومواضع الصلاة" (١٦٠/٢)].

(٢) الذين خف أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر / ١٢ بياضوى .

وَالْمَغْرِبُ: ﴿مَلَكًا لَا يَخْتَصُّ بِهِ مَكَانٌ دُونَ مَكَانٍ، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فَتَارَةً إِلَى الصَّخْرَةِ ثُمَّ إِلَى الْكَعْبَةِ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كَمَا هَدَيْنَاكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَقِيلَ إِشَارَةً إِلَى وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، أَي: كَمَا اخْتَرْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١): عَدُولًا خَيْرًا، ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾: عَلَى صَدَقَتِكُمْ، ﴿شَهِدَاءَ﴾، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمَّةَ يَجْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلِيغَ الْأَنْبِيَاءِ، فَالْأَنْبِيَاءُ يَأْتُونَ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَيَشْهَدُونَ بِالتَّبْلِيغِ، فَتَقُولُ الْأُمَّةُ: مَنْ أَيْنَ عَرَفْتُمْ؟، فَيَقُولُونَ: أَخْبَرْنَا نَبِيَّنَا فِي كِتَابِهِ^(*)، ثُمَّ يَزْكِيهِمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿وَمَا^(٢) جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ^(١) الَّتِي كُنْتَ

(١) وَقَدْ ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَفْسِيرَ الرُّوسِ هَاهُنَا بِالْعَدْلِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ مَرْفُوعًا فَوَجِبَ الرَّجُوعُ إِلَى ذَلِكَ/١٢ فَتَحَ [بَلْ ثَبِتَ هَذَا التَّفْسِيرَ فِي الْبُخَارِيِّ مَرْفُوعًا (ح٤٤٨٧)].

(*) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "التَّفْسِيرِ"، بَاب: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا...". (٤٤٨٧)، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ صَحِيحِهِ.

(٢) قِيلَ: التَّصْيِيرُ الْإِنْتِقَالَ، فَالْمُتَّبَلِسُ بِالْحَالَةِ الْأُولَى هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ، وَبِالْحَالَةِ الثَّانِيَةِ هُوَ الثَّانِي، نَحْوُ: جَعَلْتُ الطَّيْنَ، حَزْفًا وَالجَاهِلُ عَالِمًا، فَعَلَى هَذَا، الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ، لَا كَمَا قَالَه الزَّمخَشَرِيُّ: مَا صَبَرْنَا قَبْلَتَكَ الْآنَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَالَ: كَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصَلِّي إِلَى الْكَعْبَةِ ثُمَّ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَصَلِّيَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَعْبَةِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ صَالِحٌ لِأَنَّ يَوْصَفُ بِقَوْلِهِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَتَوَجِّهًا إِلَيْهِمَا فِي وَقْتَيْنِ فَافْهَمُ / ١٢ مِنْهُ.

وَمَفْعُولُهُ الثَّانِي، إِلَّا لِنَعْلَمُ كَمَا تَقُولُ: ضَرْبُ زَيْدٍ لِلتَّأْدِيبِ، أَي: كَاتِنٌ لَهُ وَعَلَى هَذَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ بِالْقِبْلَةِ الْكَعْبَةُ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِذْ كُلُّ مِنْهُمَا مُتَّصِفٌ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ م ١٢ مِنْهُ .

عَلَيْهَا»، أى: أصل أمرك استقبال الكعبة، فإنها قبله إبراهيم، لكن جعلنا قبلتك بيت المقدس، وقوله: " التى كنت عليها " أحد مفعولى جعل، أى: الجهة التى كنت عليها^(٢)، وقيل: تقديره وما جعلنا تحويل القبلة التى كنت عليها، وعلى هذا التى صفة القبلة أقول والله أعلم بمراده: يحتمل أن يراد من التى كنت عليها الكعبة، أى: خاطرك مائل إليها، فإن الأصح أن القبلة قبل الهجرة الصخرة لكن خاطره الأشرف مائل إلى أن تكون الكعبة قبله، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ^(٣)﴾: علماً حالياً يتعلق به الجزاء، ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾: عند نسخ القبلة، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: يرتد، والظاهر أن تقديره متميزاً، ممن ينقلب حال من فاعل يتبع، أو ثانى مفعولى نعلم، وقد نقل أن كثيراً ممن المسلمين ارتدوا عند تحويل القبلة، ظناً منهم أن هذا حيرة منه عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأِنْ كَانَتْ﴾، أى التولية^(*)، وإن مخففة، ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أى: هداهم الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: بالقبلة الأولى، وتصديقكم واتباعكم نبيكم فى القبلة الثانية، أو صلاتكم إلى الصخرة، ففى

(١) (حديث) صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فى مسجد بنى سلمة ركعتين فتحول إلى الكعبة فى الصلاة، وتبادل الرجال والنساء الصفوف، فسمى المسجد ذا القبلتين، كذا ذكره البيضاوى، وقال السيوطى: هذا تحريف للحديث، فإن قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- إماماً، ولا هو الذى تحول فى الصلاة/١٢.

(٢) قبل هذا الوقت وهى بيت المقدس / ١٢ منه .

(٣) العلم هاهنا بمعنى الإدراك فلا يطلب إلا مفعولاً واحداً وثانى مفعوليه ممن ينقلب، وقيل: من استفهامية مبتدأ، ويتبع خبره فيكون العلم من المتعدى إلى مفعولين معلقاً بالاستفهام عن العمل / ١٢ منه .

وقيل: معناه فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم / ١٢ منه .

(*) فى حاشية النسخة: إلى الكعبة/١٢ منه.

الصحيح (*) أن الصحابة سألوا كيف حال إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى ؟
فترلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، فلا يضيع أجورهم والرءوف أبلغ من
الرحيم، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، أى: تردد وجهك في جهة السماء
انتظاراً لجبريل والوحى بتغيير القبلة، فإنه يجب أن تكون "قبلة" قبله أبيه إبراهيم،
﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ﴾، نمكنك استقبال قبلة من وليته كذا، أى صيرته والياً له، ﴿قِبْلَةً
تَرْضَاهَا﴾، تحبها، ﴿قَوْلٌ﴾: اصرف، ﴿وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أى: نحوه،
﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾، من ير وبجر، وهو بمعنى الشرط، أى: أينما كنتم^(٢) فالفاء،
﴿فَوُتُّوا﴾، للحزاء، ﴿وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، حين الصلاة، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ﴾: اليهود، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أمر الكعبة، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، ليقينهم بحقية
محمد عليه الصلاة والسلام، وبأن الكعبة قبلة إبراهيم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾:
من العلم وكمثانه، ﴿وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: دالة على أن
الكعبة قبلة، ﴿مَا^(٣) تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، لأنهم حساد جاحدون، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
قِبْلَتِهِمْ﴾، قطع لأطماع اليهود الرجوع إلى الصخرة ثانياً، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ^(٤) بِتَابِعٍ

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس... " (٤٤٨٦).

(١) قيل: معناه لرءوف بالمؤمنين فى الدارين رحيم على الفاسقين، وقيل: قدم الرءوف
محافظة على الفواصل / ١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون حيث ما كنتم ظرفاً لقوله فول لأنه يلزم اجتماع حرفى العطف / ١٢
منه .

(٣) قوله: " ما تبعوا " جواب قسم محذوف، دل عليه اللام الموطئة فى " ولئن أتيت " سد
مسد جواب الشرط / ١٢ منه .

(٤) قال الحافظ ابن القيم فى بدائع الفوائد: قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله؛
بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم فى الإنجيل ولا فى =

قِبْلَةَ بَعْضٍ: اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس، فمحال أن تراعى خاطرهم، إن أردت مثلاً لاختلافهم، ﴿وَلَكِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، مثلاً، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، بأن لك الحق بالوحي، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، مثلهم وبالْحَقِيقَةُ هذا تهديد لأمته، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماءهم، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: محمداً بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾: كمعرفتهم آبائهم بلا التباس، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، أي: نعته وصفته، أما العوام فلا يعرفون شيئاً، وأما المؤمنون منهم فلا يكتُمون، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فإنهم يقرؤون في كتابهم، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، مبتدأ أو خبر واللام للإشارة إلى الحق الذى يكتُمونه، أو إلى ما عليه محمد عليه الصلاة والسلام، أو تقديره هو الحق^(١) حال كونه من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِينَ﴾: الشاكين فيما أخبرتك، وهذا مبالغة في تحقيق الأمر، أو أمر للأمة .

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١١٤﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾ وَمِنْ

= غيره باستقبال المشرق وهم يقرون بأن قبلة المسيح قبلة بنى إسرائيل، وهى الصخرة وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبداً، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس فى التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا إليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة / ١٢ فتح .

(١) حال مؤكدة وجاز أن يكون خيراً بعد خبر / ١٢ منه .

حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٢٤﴾ كَمَا
أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ فَأَذْكَرُونِي
أَذْكَرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٢٦﴾

﴿وَلِكُلِّ﴾: من أهل الأديان، ﴿وَجْهَةٌ﴾: قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾: وجهه، ووجهة الله
حيث توجه المؤمنون، أو الله مولى الأمم إلى قبلتهم، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: بادروا،
﴿الْحَيْرَاتِ﴾: قبول أمر القبلة وغيره، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾، أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ
بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يحشركم إليه ويجازيكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الإمامة
والإحياء والجمع، ﴿قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: من أى مكان خرجت، افعل ما
أمرت به، فالفاء في، ﴿فَوَلِّ﴾، للعطف^(١) على مقدر، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ﴾، إذا صليت، ﴿وَأِنَّهُ﴾: المأمور به، ﴿لَلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) لا مساع في عمل " فول " في " ومن حيث خرجت " لاجتماع حرفي العطف، وإن
حوزنا إعمال ما بعد الفاء فيما قبله، فالوجه أنه متعلق بمحذوف كما قدرنا، وجاز أن
تجعل " ومن حيث خرجت " في معنى الشرط، أى: أينما كنت وتوجهت، فالفاء
للجزاء، صرح بذلك العلامة التفتازاني واخترناه في " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم "

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»، لما كان النسخ من مظان الفتن والشبهه، أكد وكرر وبالع مراراً، ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾، أحد من الآحاد، ﴿عَلَيْكُمْ﴾^(١) حُجَّةٌ^(٢)، فإن اليهود قالت: مادري^(٣) محمد أين قبلته حتى هديناه، فلما صرفت القبلة بطلت صورة حجتهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: من الناس، كمشركي مكة، فإنهم قالوا: محمد قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، والاستثناء متصل، قيل: معناه لئلا يكون لأحد من اليهود حجة، إلا للمعاندين منهم، فحجة المنصفين أن يقال لم لا يحول إلى قبلة إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ وحجة المعاندين، أنه ما ترك قبلة الأنبياء إلا ميلاً إلى دين قومه، والمراد من الحجّة ما يساق سياقها، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾، المشركين، فمطاعنهم لا تضركم، ﴿وَإِخْشَائِي﴾: فلا تخالفوا أمرى، ﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، بتكميل الشريعة، وهو عطف على قوله لئلا يكون، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا أنتم خصوصاً إلى قبلة إبراهيم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، متصل بما بعده، أى: كما ذكرتكم بالإرسال، فاذكروني، أو بما قبله، ومعناه: ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة كما أتممتها في الدنيا بإرسال رسول منكم، ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يملككم ما تصيرون به أزكياء من رذائل الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: بالفكر من الأحكام

(١) الظاهر أن عليكم حال من حجة، والناس خبر يكون ١٢ منه .

(٢) قيل: حجة الظالمين هي أنه يزعم أن دينه دين إبراهيم، فإن كان بيت المقدس قبلة إبراهيم فلم تحول عنه / ١٢ منه .

(٣) هكذا فسره أبو العالية ومجاهد وعطاء والضحاك وربيع بن أنس وقتادة والسدي/ ١٢

والشرائع، ﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالطاعة أو في الرخاء، ﴿أذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة أو في الشدة، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: نعمي، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، يجحد نعمي، ومن أطاع الله فقد شكر ومن عصاه فقد كفر .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٧﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٣٠﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٣١﴾ * إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ مِّنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ هُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٦﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصي،
 ﴿وَالصَّلَاةِ﴾، التي هي أم العبادات^(١)، ﴿إِنَّ^(٢) اللَّهَ مَعَ^(٣) الصَّابِرِينَ﴾: بالعون

(١) الفارق بين الكفر والإيمان والصبر أمر قلبي، والصلاة ثمرته، وهي من أشق التكاليف
 لتكررها في كل يوم وليلة / ١٢ وحيز .

(٢) قال شيخ الإسلام في شرح حديث التزول: ولفظ المعية في كتاب الله جاء عامًا، كما في
 قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم" [الحديد: ٤] وفي قوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا
 هو رابعهم" إلى قوله "هو معهم أينما كانوا" [المجادلة: ٧] وجاء خاصًا كما في قوله: "إن الله
 مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [النحل: ١٢٨]، وقوله: "إني معكم أسمع وأرى"
 [طه: ٤٦]، وقوله: "لا تحزن إن الله معنا" [التوبة: ٤٠] ولو كان المراد أن الله بذاته مع كل
 شيء، لكان التعميم يناقض التخصص فإنه قد علم أن قوله: "لا تحزن إن الله معنا" أراد به
 تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: "إن الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون" خصهم بذلك دون الظالمين والفجار، وأيضًا فلفظ المعية ليست في
 لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما في قوله:
 "محمد رسول الله والذين معه" [الفتح: ٢٩]، قوله: "فأولئك مع المؤمنين" [النساء: ١٤٦]،
 وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة: ١١٩]، وقوله: "وجاهدوا
 معكم" [الأنفال: ٧٥]، ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم" [الحديد: ٤]
 يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم،
 فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر، وبين أن
 لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى الجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد، ولم
 يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم
 بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى مختصرًا / ١٢ .

(٣) ولما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر، قال: "إن الله مع الصابرين" اندرج المصلون تحت
 الصابرين، اندراج الفرع تحت الأصل / ١٢ منه .

والنصرة، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هم، ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾، هم، ﴿أَحْيَاءٌ﴾، نزلت في قتلى^(١) بدر من المسلمين وأرواح^(٢) الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة، ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: ما حالهم، ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ﴾: ولنصيبكم إصابة من يختبركم، ﴿بِشْيَاءٍ﴾، أى: قليل، ﴿مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، أى: القحط، ﴿وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: خسران الأموال، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: الموت أو هو المرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: الحوائج، وحكى عن الشافعى رضى الله عنه: الخوف، خوف الله والجوع رمضان، ونقص الأموال الزكوات والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا محمد، ﴿الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾: مما ذكر، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيد أو ملكا، ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: في الآخرة فلا يضيع عمل عامل، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مغفرة^(٣)، أو ثناء من الله وأمنة من العذاب، ولكثرها وتنوعها جمعها، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(٤)، لطف وإحسان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصواب أو إلى الجنة، ﴿إِنَّ الصَّفَا

(١) هم أربعة عشر / ١٢ منه .

(٢) هذا الحديث مذكور في صحيح مسلم وتمتته (تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش) / ١٢ منه [أخرجه في الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (٤/٥٥٠)].

(٣) في مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجه (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها، فيسترجع، إلا أجدد الله له عند ذلك فأعطاه/ ١٢ منه [وهو حديث ضعيف، انظر تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة (١٧٥٩)].

(٤) قال الزمخشري: عطف الرحمة على الصلوات بمنزلة أن يقال: عليهم رافة ورحمة بعدد رحمة / ١٢ منه .

وَالْمَرَّةَ^(١)»: جلان بمكة، «مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»: من أعلام مناسكه، «فَمَنْ حَجَّ
الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ»، الحج والعمرة عبادتان معيتان في الفقه، «فَلَا جُنَاحَ»: إثم،
«عَلَيْهِ»، في، «أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا»: بالجبلين، كان فيهما صنمان معروفان، وأهل
الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الحق وزهق الباطل، كره المسلمون الطواف
بينهما فأنزل الله، وعند الشافعي: هو ركن الحج بدليل الأحاديث والآية لا^(٢) تنافيه،
«وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا»، من صلاة وزكاة وطواف وغيرها، أو تطوع بالسعى عند من
يرى أنه سنة^(٣)، ونصب خيرًا على المفعول المطلق، أو تطوع بمعنى: فعل وأتى، «فَإِنَّ
اللَّهَ شَاكِرٌ»: مجازيه بعمله، «عَلِيمٌ»، لا يخفى عليه خافية، «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا
أَنْزَلْنَا»، علماء اليهود، «مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى»، صفة محمد، وآية الرجم، وغيرهما،
«مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ»: التوراة، «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّاغْنُونَ»: جميع الخلق سوى الجن والإنس أو الملائكة والجن والإنس المؤمنون، يعني:
يقولون اللهم العنهم قد نقل^(٤) أن البهائم والطيور إذا اشتدت السنة تلعن عصاة بني

(١) ولما كان الحج أخص الجهاد، وسماه النبي -صلى الله عليه وسلم- أحد الجهادين، وفيه
نقص الأموال، والصبر على هجران الأصحاب، وترك الوطن، وفيه مشاهدة القبلة، وهي
متمنى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن الصفا والمروة من شعائر الله" / ١٢ /
وحيز.

(٢) إذا عرفت مورده كما ذكرناه، بل قوله: "من شعائر الله" أي: ما شرع الله تعالى في
مناسك الحج يؤيده / ١٢ منه .

(٣) وهو مذهب ابن عباس وأنس والزهري / ١٢ منه .

(٤) في الحديث: إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه، تسمعها كل دابة غير الثقلين، فتلعنه كل
دابة سمعت صوته، فذلك قوله تعالى: "أولئك يلعنهم الله" إلخ.. رواه ابن أبي حاتم /

آدم (*)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن الكتمان، ﴿وَأَصْحَابُوا﴾، ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُوا﴾: للناس ما كانوا كتموه، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: المبالغ في قبول التوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا على الكفر، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، المراد من الناس المؤمنون، أو هذا في الآخرة يوقف الكافر فيلعنه جميع الناس، حتى إنه يلعن نفسه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾^(١) عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أى: لا يمهلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، وقيل: لا ينظر إليهم نظر رحمة، ﴿وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، كفار قريش قالوا: يا محمدا! صف لنا ربك فأنزل الله، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ليس في الوجود إله غيره، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، هما كالحجة لوحدايته، فإنه مولى النعم وحده، فغيره لا يستحق العبودية، ولما سمعه المشركون، قالوا: إن كنت صادقاً في أن لا إله إلا الله فأتنا بآية، فأنزل الله .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدٌ

(*) أخرج ذلك سعيد بن منصور في سننه وابن جرير على مجاهد من قوله.

(١) هذه الآية مكذبة لمن يدعى أن الكفار بعد مدة في النار لا يجدون ألم الحرقه أو هم بغير

معذنين/١٢ وجيز .

الْعَذَابِ ﴿١٦﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلْتُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ﴾^(١) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: تعاقبهما،
﴿وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: ينفعهم أو بالذى ينفعهم من
الركوب والحمل، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾، السماء السحاب، أو
الفلك، أو جانب العلو، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جدوتها،
﴿وَوَيْتَ فِيهَا﴾، فرق في الأرض، عطف على أحياء، والمجموع صلة، أو على ما أنزل
بتقدير الموصول، أى: وما بثه، ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾، فى مهاجها
وأحوالها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أى: المذلل لأمر الله،
بينهما لا يتزل ولا ينقشع، ﴿لآيَاتٍ﴾: دلالات على وحدته، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:
يتفكرون فيها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾: أصناماً جعلوا له
أمثالاً يعبدونهم، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾^(٢) كَحُبِّ اللَّهِ: يعظمونهم كتعظيمه، أى: يسوون بينه

(١) أى إيجادهما أو خلقهما وشكلهما كما يقال: خلق فلان أحسن أى شكله/ ١٢ منه .
(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة: أما الشرك فهو نوعان أكبر
وأصغر فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو أن يتخذ من دون الله تعالى نداً يحبه كما يجب
الله تعالى، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولذا قالوا لآلهتهم
فى النار: "تالله إن كنا لفى ضلال ميين إذ نسويكم برب العالمين" [الشعراء: ٩٨، ٩٧] مع
إقرارهم بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا
تميت ولا تحيى وإنما كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر =

وبينهم في الطاعة، أو يحبوهم كحب المؤمنين الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾،

= مشركى العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله تعالى؛ وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله تعالى ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله تعالى، ويغضبون بتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم ما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقصت حرمت آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث أو الكلب، وإذا انتهكت حرمت الله تعالى لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم قد شاهدنا نحن وغيرنا هذا منهم جهرة انتهى . وقال الإمام تقي الدين أحمد بن على المقرئ رحمه الله: ومن أجل الشرك وأصله الشرك في محبة الله قال تعالى: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُباً لله " فأحبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذ نداءً من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية، أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" [الأنعام: ١] والمعنى: على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسبون بينه وبين غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين فيا لنار لأصنامهم "تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين" [الشعراء: ٩٨، ٩٧] ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله تعالى وحده، وأنه رب السماوات ورب العرش العظيم، وأنه هو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة، والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يجب الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله تعالى، فكيف بمن كان غير الله تعالى أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضات الله ؟، فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا ؟ فعياداً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد - انتهى .

لأنه لا تنقطع محبتهم عن الله عز وجل بحال، أما المشركون إذ اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول، وأيضاً يعرضون عن معبودهم^(١) حال البلاء، قال تعالى: "فإذا ركبوا في الفلك" [العنكبوت: ٦٥]، «وَلَوْ يَرَى»: لو يعلم، «الَّذِينَ ظَلَمُوا»، باتخاذ الأنداد، «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ»: عاينوه يوم القيامة، «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ»، ساد مسد مفعولى يرى، وجواب لو محذوف، أي^(٢): لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً لا قدرة لأندادهم، إذ يرون العذاب، أى: يوم القيامة، لندموا أشد الندامة، ومن قرأ ولو ترى بالتاء، فالذين ظلموا مفعوله من رؤية البصر، وإذ يرون العذاب بدل من الذين، وأن القوة بدل اشتمال من العذاب، وجواب لو محذوف أيضاً أى لرأيت أمراً فظيماً، «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: القادة من الملك وغيره، وهو بدل من إذ يرون، فيكون ظرفاً لقوله أن القوة، «مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: الأتباع، يقول الملائكة: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" [القصص: ٦٣]، «وَرَأَوْا الْعَذَابَ»، الواو للحال، وقد مضى، «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ»، أى: بسبب كفرهم، أو متلبساً ومتصلاً بهم، «الْأَسْبَابُ»، أى: المودة، أو كل وصلة بينهم في الدنيا، أو الأعمال التي يعملونها في الدنيا، أو الحيل وأسباب الخلاص، «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»: الأتباع، «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ»، أى: ليت لنا رجعة إلى الدنيا، «فَنَتَّبِرَ مِنْهُمْ»: من المتبوعين، «كَمَا تَبَرَّعُوا مِنَّا كَذَلِكَ»: مثل ذلك الإراء الفطيع، «يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ»: سيئاتهم، أو حسناتهم التي ضيعوها، «حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ»: ندامات وهو ثالث مفاعيل يريهم، أو حال على أنه من رؤية البصر، «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ»، أصلاً .

(١) نقله محي السنة عن قتادة / ١٢

(٢) في أيام حياتهم / ١٢ . منه .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٤﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
 اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
 أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ
 ﴿١٣٦﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ
 بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
 عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
 بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي
 بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١٤٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٤١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٤٢﴾ * ﴿

﴿يَا أَيُّهَا﴾ (١) النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا، نزلت في قوم حرّموا على
 أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر، وحلالاً مفعول كلوا، أو حال من ما في

(١) ولما بين من اتبع غير الأنبياء وهددهم بأن غيرهم في ما لهم وبال عليهم والتابع متريئ
 عن المتبوع تلتطف بالنداء لكل فقال: "يا أيها الناس" الآية / ١٢ منه .

الأرض، والطيب ما يستطاب في نفسه، غير ضار للأبدان والعقول^(١) أو المستلذ،
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أى: سبله وطرقه، يعنى لا تقتدوا به، **﴿إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**: ظاهر العداوة، عند ذوى البصيرة، **﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾**: المعاصى
كلها أو معصية لا حد فيها، **﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾**: معصية فيها حد أو البخل، **﴿وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**: كاتخاذ الأنداد، وتحليل الحرام وتحريم الحلال،
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لهؤلاء المشركين، أو طائفة من اليهود^(٢)، **﴿اتَّبِعُوا﴾**^(٣) مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا، **﴿عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**، الواو للعطف أو الحال والهمزة للتوبيخ والتعجيب، وجواب لنو
محذوف، أى: لو كان آباؤهم جهلاء لاتبعوهم، **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**: فيما هم فيه
من الجهل والضلال، **﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾**، أى:
كمثل الدواب السارحة التى لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أى: دعاها إلى
ما يرشدها لا تفقه ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، هكذا نقل في تفسيرها عن
السلف، وحاصله أنهم فى انهماكهم فى تقليد الجهل كالبهائم التى ينعق راعيها بها

(١) فسره بذلك أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) الأول: قول بعض السلف والثاني: قول ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيهاً على أنه لا
فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب
النظر والاستدلال وترك التأويل على ما يقع فى الخاطر أو على ما يقوله الغير من غير
دليل كذا فى الكبير وكم من آية بينة وأثر جلى تدل على ذم التقليد والمقلدين وألف
الحافظ الواحد المتكلم ابن القيم فى ذلك كتاباً ضخيماً سماه "إعلام الموقعين عن رب
العالمين" / ١٢ .

فتسمع الصوت ولا تفهم معناه، وقيل: تقديره مثل داعي الذين كفروا معهم "كمثل الذى" الآية وهو الأظهر، **﴿صَمٌّ﴾**: عن سماع الحق، **﴿بُكْمٌ﴾**: لا يتفوهون به، **﴿عُمِّيٌّ﴾**: من رؤية مسلكه، **﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**: ولا يفهمونه، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**: حلالات، **﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**: لما أباح الله للناس ما فى الأرض سوى ما حرم، أمر المؤمنين أن يتحروا حلالاته ويقوموا بحقوقها فقال: **﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾**: على ما أحل لكم، **﴿إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**: إن صح أنكم تحتصونه بالعبادة فإن عبادتكم لا يتم إلا بالشكر، **﴿إِنَّم حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾**: التى ماتت من غير ذكاة، **﴿وَالدَّمَّ﴾**، أى: دمًا^(١) مسفوحًا والسّمك والجراد والكبد والطحال مستثنى بالحديث^(*)، **﴿وَلَحْمَ الْخَيْرِ﴾**: وتخصيص^(٢) اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل، **﴿وَمَا أَهْلٌ﴾**^(٣) به لغير الله: ما ذكر اسم غير الله عند ذبحه، وهذه

(١) يعنى كل من الكبد والطحال يصدق عليه أنه دم مسفوح كالخمر المتجمد فإنه نجس لأنه مسكر مائع فإنه كان كذلك / ١٢ منه .

(*) يعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أحل لنا ميتتان ودمان، الحوت والجراد، والكبد والطحال" أخرجه أحمد (٩٧/٢)، وابن ماجه (٣٣١٤) وغيرهما، وانظر الصحيحة (١١١٨)، وصحيح الجامع .

(٢) مع أن جميع أجزائه حرام نجس كشحمه / ١٢ منه .

(٣) قوله وما أهل، أصل الإهلال رفع الصوت، أى: ما ذبح للأصنام والطواغيت وصيح فى ذبحه بغير الله، ولا خلاف فى تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن، قال مجاهد: يعنى ما ذبح لغير الله . أخرجه ابن أبى حاتم وفى تفسير النيسابورى للنظام قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى / ١٢ فتح، وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية فى كتابه الصراط =

الآية رد على من حرموا على أنفسهم أشياء من عند أنفسهم، فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً فلا يرد أن المحرمات غيرها كثيرات، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾: أخرج ولجئ إليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارج على السلطان^(١) أو مستحله أو آكله من غير^(٢) اضطرار أو متجاوز القدر الذي أحل له وقيل باغ بالاستئثار على مضطر آخر، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، متعدد عاص بسفره أو غيره متعدد ما حد له، فيأكل أكثر مما يمسك رمقه^(٣)، أو يتعدى حلالاً وهو يجد عن الحرام^(٤) مندوحة، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، في تناوله، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، حيث رخص بالأشياء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾،

= المستقيم في الكلام على هذه الآية: الظاهر أنه ما ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أركي مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم، وإن قال فيه: باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . انتهى.

أقول أراد بذلك أن النحر عبادة مختصة بالله تعالى، كالصلاة فالنحر للأمم عبادة لهم، قال تعالى: " فصل لربك وانحر "[الكوثر: ٢] والنحر من النسك، "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" [الأنعام: ١٦٢] / ١٢ .

(١) الأول قول سعيد بن جبير ومجاهد، والثاني لمقاتل بن حيان، والثالث للسدي، والرابع

لابن عباس وعثمان بن عطاء الخراساني/ ١٢ منه .

(٢) كأنه قال اضطراراً واقعياً / ١٢ منه .

(٣) هذا قول قتادة / ١٢ .

(٤) أي: سعة يعني يجد شيئاً يسد رمقه من الحلال / ١٢ منه .

رؤساء اليهود، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: من نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - وغيره، ﴿وَيَشْتَرُونَ^(١) بِهِ﴾: بما أنزل الله، ﴿ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾، من مال يأخذونه من سفلتهم كما مر، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، أى: لا يأكلون يوم القيامة ملاً بطونهم^(٢) إلا النار، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، كناية عن الغضب، أو لا يكلمهم بما يسرهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يمدحهم ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَى﴾: فى الدنيا، ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ^(٣)﴾: فى الآخرة، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، تعجب من حالهم، وما تامة مبتدأ، أو استفهامية توبيخية، ما بعدها الخير، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: ذلك العذاب، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ﴾، أى: جنس الكتاب أو القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، وهم أخذوه هزواً، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾، أى: فى جنس الكتاب، والاختلاف الإيمان ببعض دون بعض، أو فى التوراة، والاختلاف التحريف أو فى القرآن واختلافهم تكذيبه بأنه سحر وشعر، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفى خلاف بعيد عن الحق .

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ

(١) يستبدلون بأن يأخذوا ثمناً قليلاً ويكتمون ما أنزل الله / ١٢ منه .

(٢) قيل إن الرشاء التى يأكلونها تصير فى أجوافهم ناراً لكن لا يحسون بها إلا بعد الموت / ١٢ منه .

(٣) جاز أن يكون المراد اعتاضوا عن المغفرة، أى: أسبابها بأسباب العذاب فىكون هو أيضاً فى الدنيا / ١٢ منه .

ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي
 الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ
 بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ
 بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ
 بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
 الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ
 مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ
 مِن مَّوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
 ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أى: ليس البر أن تصلوا
 ولا تعملوا بعد ذلك شيئاً، كما هو في أول الإسلام، فهذا حين نزول الفرائض، أو
 قبلة^(١) اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق، فأنزل الله أو لما^(٢) تحولت القبلة شق
 ذلك على أهل الكتاب وبعض المؤمنين، فهذه الآية بيان حكمته، وهو أن المراد امتثال
 أوامر الله، وهو البر وليس في لزوم التوجه قبل مشرق أو مغرب بر إن لم يكن عن أمر
 الله، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أى: برٌّ من آمن، أو ذا البر من آمن بالله، ﴿وَالْيَوْمِ

(١) هذا قول أبي العالية والحسن والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد والسدى / ١٢ منه .

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ»، أى: جنسه، أو القرآن، ﴿وَالنَّيِّبِينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ^(١)﴾: حب المال، أى: أخرجه وهو محب له، وقيل: على حب الله، ﴿ذَوِي^(٢) الْقُرْبَى﴾: قرابات الرجل، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾، من لا يجد ما يكفيه، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر الذى انقطع عنه ما يكفيه فى سفره والضعيف صرح به السلف، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجأته الحاجة إلى السؤال، ﴿وَفِي الرِّقَابِ^(٣)﴾، أى: فى تخليصها بمعاونة المكاتبين، وقيل فى فك الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: المفروضة، ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾: المفروضة ويكون قوله: " وآتى المال " بيان المصارف، أو صدقات السنة، ﴿وَالْمُؤْفُونَ^(٤)﴾ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: الله والناس، عطف على من آمن، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾: حال الفقر ونصبه على المدح^(٥) لفضل الصبر، ﴿وَالصَّرَّاءِ﴾: المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: القتال لله، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، فى إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) قال عليه الصلاة والسلام: " وآتى المال على حبه " أن تعطيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتحشى الفقر رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه / ١٢ منه [انظر المستدرک (٢/٢٧٢)، وأقره الذهبى، لكن أخرجه موقوفاً على ابن مسعود وليس مرفوعاً كما ذكر].

(٢) المفعول الأول والمال مفعوله الثانى، وقدم لأن المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبه، هذا مذهب الجمهور / ١٢ منه .

(٣) قيل عبيد يشرون ويعتقون / ١٢ منه .

(٤) روى ابن أبى حاتم أنه قال عليه الصلاة والسلام (فى المال حق سوى الزكاة، ثم قرأ

• " ليس البر " إلى قوله تعالى: " وفى الرقاب " / ١٢ .

(٥) كأنه قال وأخص الصابرين من بينهم / ١٢ منه .

آمَنُوا كِتَابٌ»، أى: فرض، «عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ»، كان بين حين قتل
ودماء، وكان لأحد الحيين فضل على الآخر، فحلفوا أن يقتلوا بالعبد منهم الحر،
وبالمرأة الرجل، وبالواحد الاثنین فتزلت: «الْحُرُّ^(١) وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى
بِالْأَنْثَى»، أى: لیتساووا ولیتماثلوا فی القصاص فلا يدل على ألا یقتل الحر بالعبد،
والذكر بالأنتی كما لا يدل على عكسه، ومن قال بعدم قتل الحر بالعبد فدليلة
الحديث، وروی عن بعض^(٢) السلف أنها منسوخة بقوله تعالى: " النفس بالنفس "
فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنتی، «فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ»،
تقديره فمن عفى له عن جنايته من جهة أخيه، أى: ولى الدم شيء من العفو، فإن^(٣)
عفا لازم، یعنی: أخذ الدية بعد استحقاق الدم، «فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ»، أى: فعلى^(٤)
العافی أن یطالب الدية بالمعروف ولا یعنف، «وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ»، أى: وعلى
المعفو عنه أن یؤديها بإحسان لا بمطل ولا یبخس، «ذَلِكَ»، الحكم الذى هو أخذ
الدية، «تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ»: مما كان محتوماً على الأمم قبلكم، من القتل فى
اليهود، والعفو فى النصرارى، «فَمَنْ اعْتَدَى»: بالقتل، «بَعْدَ ذَلِكَ»: بعد العفو،
«فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: فى الآخرة، أو فى الدنيا بأن یقتل ولا یأخذ^(٥) منه الدية،

(١) أى الحر مقتول بالحر، أى: بقتله الحر، أى یقتص الحر بالحر/ ١٢ منه .

(٢) كابن عباس وأبى مالك وسعيد بن جبیر / ١٢ منه

(٣) یعنی فسرنا بشيء من العفو وهو يدل على أنه مفعول مطلق أقيم مقام الفاعل، لأن عفا
لازم یقال: عفوت لفلان عما جنى / ١٢ منه، قيل عفى بمعنى: محا، وإذا كان كذلك
فشيء مفعول به أقيم مقام الفاعل / ١٢ منه .

(٤) یعنی فاتباع مبتدأ، خبره محذوف، وقيل: تقديره الأمر اتباع / ١٢ منه .

(٥) هذا مذهب بعض السلف یعنی من قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فعذابه القتل وقد كان
الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم یظفر به فیقتله / ١٢ منه .

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أى: لكم فى حكم القصاص نوع حياة عظيمة، لأن العلم به يردع عن القتل مخافة القصاص ويدفع الفتنة المنجرة إلى القتال العظيم، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، دوى العقول، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١): عن القتل أو لكى تترجروا فتركوا محارم الله، ﴿كُتِبَ﴾: فرض، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ^(٢) أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أى: أسبابه، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أى: مالا أى مال، أو مالا كثيرا، واختلف فى الكثرة، فعن على رضى الله عنه: لا بد أن يزيد على أربعمائة دينار، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، وكان وجوبه فى بدء الإسلام فنسخ^(٣)، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل فلا يتجاوز الثلث، ﴿حَقًّا﴾، أى: حق ذلك حقًا^(٤)، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: عن الشرك، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾^(٥): غيره من الأوصياء والشهود، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾، أى: التبديل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، قد وقع أجر الميت على الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) فإن التقوى اسم جامع لتلك الطاعات وترك المنكرات / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن إذا ظرف لكتب بمعنى: أن توجه الإيجاب حين حضور أسباب الموت وجزاء أن ترك محذوف يدل عليه الكلام ولا يجوز أن يكون العامل فى إذا الوصية لأنه لا يتقدم معمول المصدر المعرف باللام عليه / ١٢ [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧٢٠)، والإرواء (١٤٠١)].

(٣) صرح بذلك جماعة لا يحصى من السلف وفى السنن وغيرها كان عليه الصلاة والسلام

يخطب وهو يقول: إن الله تعالى أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث / ١٢ منه .

(٤) قيل حقًا لا يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لأن على المتقين متعلق به أو صفة له وعلى

كلا الوجهين يخرج عن التأكيد، أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل على ما تقرر

فى النحو، وأما الثانى فلأنه حينئذ مخصص بالصفة ويخرجه عن التأكيد، فالأولى أنه

مفعول مطلق لكتب لأنه بمعنى وجب وحق فهو كقعدت جلوسًا / ١٢ بحر / ١٢ منه .

(٥) تذكير ضمير بدله وسمعه مع أنه للوصية لأنه بمعنى الإيضاء أو بمعنى أن يوصى / ١٢ منه .

سَمِيعٌ: يسمع كلام الميت، ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم تبديل المبدل، ﴿فَمَنْ خَافَ﴾^(١)، أى: علم، ﴿مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾، خطأ فى الوصية مثل أن يوصى بأكثر من ثلث، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: عمداً، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فى التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ذكر الغفران لمطابقة ذكر الاثم .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٩﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٩٠﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْئَنَ بَشِرُوهِنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

(١) استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شائع فى كلامهم/١٢ منه .

لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْوَيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٠٥﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٦﴾ * ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، صيام رمضان، أو ثلاثة أيام من كل شهر وعاشور إثم نسخ، ﴿كَمَا كُتِبَ﴾^(١) عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، من لدن^(٢) نوح أو أهل الكتاب، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، المعاصي فَإِنَّ الصَّوْمَ تَضْيِيقٌ لِمَسَالِكِ الشَّيْطَانِ، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، تقديره^(٣) صوموا أيامًا، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾^(٤) فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أى: فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أحر، إن أفطر بحذف الشرط، والمضاف والمضاف إليه للقرينة، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾،

(١) روى ابن أبي حاتم حديثاً فيه: أن صيام رمضان كتبه الله تعالى على الأمم قبلكم، وأما القول الثاني فقد ذكر الإمام أحمد حديثاً صرح فيه وهو قول أكثر السلف/ ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن ما مصدرية، أى: كتب كتابة مثل كتابته على من قبلكم / ١٢ منه .

(٣) لا يجوز أن يكون ظرفاً للصيام لعدم جواز الفصل بينه وبين معموله وأما كونه معمولاً لكما كتب فغير ظاهر معناه بل فاسد / ١٢ منه .

(٤) واختلف أهل العلم في السفر المبيح للإفطار فقبل مسافة قصر الصلاة والخلاف في قدرها معروف وبه قال الجمهور، وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق أن ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذى يباح عنده الفطر / ١٢ فتح وفي البخارى فى كتاب التفسير وقال عطاء يفطر من المرض كله [البخارى (٨/٢٨-فتح)].

أى: الصحيح المقيم، **﴿فِدْيَةٌ﴾**، إن أفطروا، **﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾**، كان في بدء الإسلام ^(١)
الخيار بين الصوم والإطعام عن كل يوم مسكيناً ففسخ، أو الآية غير منسوخة، والمراد
الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا تستطيعان الصوم، وعلى هذا معنى الذين يطبقونه
يصومون طاقتهم وجهدهم ويؤيده بعض القراء من مسكين كل ^(٢) يوم، **﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ
تَطَوَّعَ خَيْرٌ﴾** ^(٣)، بأن أطلع أكثر من مسكين كل ^(٣) يوم، **﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ
تَصُومُوا﴾**، أى: الصوم، **﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾**، أيها المطبقون أو المطوقون من الإفطار
والفدية، **﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**: فضائل الصوم، **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾**، مبتدأ خبره ما
بعده أو ذلكم ^(٤) شهر رمضان، **﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ﴾**، جملة ليلة القدر
السماء الدنيا، ثم نزل منجماً إلى الأرض، وهو خير شهر رمضان أو صفته والخير في
شهد، **﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾**، أى: هادياً بإعجازه، **﴿وَيَسِّرَ آيَاتِ وَاضِحَاتٍ﴾**، **﴿فَسَنُشَاهِدُ
الْهُدًى﴾**: مما يهدى إلى الحق، **﴿وَالْفُرْقَانَ﴾**: يفرق بين الحق والباطل، **﴿فَسَنُشَاهِدُ
حضر ولم يكن مسافراً، ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرَ﴾**، أى: فيه، **﴿فَلْيَصُمْهُ﴾**، أى: فيه،
﴿كَانَ مَرِيضًا﴾: مرضاً يشق، أو يضر عليه الصيام، وهذه لهما دون المقيم،
﴿أُخْرَى﴾، الآية الأولى تخيير للمريض والمسافر والمقيم، وهذه لهما دون المقيم،

(١) الأول روى البخارى عن سلمة بن الأكوع وعن ابن عمر أيضاً، والثالث
عن ابن عباس بروايات متعددة، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن
[رواية سلمة وابن عمر في صحيح البخارى (٤٥٠٦، ٤٥٠٧)، وكذا

(٤٥٠٥)].

(٢) نصب خير بترع الخافض، أى: بخير وقيل تقديره تطوعاً خيراً / ٢

(٣) أو بالجمع بين الصوم والفدية / ١٢ منه .

(٤) أى: على تقدير أن يكون شهر رمضان خير مبتدأ مقدر / ١٢

بل علم من هذه نسخ^(١) الأولى، **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾**،
فذلك أباح الفطر للسفر والمرض، **﴿وَلِتُكْمِلُوا^(٢) الْعِدَّةَ﴾**، عطف على اليسر مثل
"يريدون ليطفئوا" [الصف: ٨] أو تقديره وشرع لكم ذلك، أى: جملة أحكام الصوم
لتكملوا، أى: لتكملوا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في المرض والسفر،
﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: لتعظموه، **﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾**: أرشدكم إليه من وجوب الصوم
ورخصة الفطر بالعذر، أو المراد تكبيرات ليلة الفطر، **﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**: الله في
نعمه، أو رخصة الفطر، **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾**، أى: فقل أن
يب أطلع على جميع أحوالهم^(٣)، قال أعرابي يا رسول الله: أقرب ربنا فنناجيه، أم
فناديه فتزلت^(٤)، وروي^(٤) أن بعض الصحابة قالوا: أين ربنا، فتزلت، وروى لما
ادعوني أستجب لكم [آغاز: ٦٠] قال الناس: لو نعلم أى ساعة ندعو؟
وروى أن اليهود قالوا: كيف يسمع الله الدعاء وأنت تزعم أن بيننا وبين

نوله تعالى: "فمن شهد" عام خص عنه المريض والمسافر فعلم أن الصحيح لا
الإفطار بحال، وهو خلاف الأول على الوجه الأول، وأما ذكر المريض والمسافر
النسخ لم يطرأ عليهما / ١٢ .
لوا علة الأمر لمراعاة العدة وتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج
لفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وأشار إلى ذلك الشارح وهو
المسلك من اللف / ١٢ منه .
حاتم وابن جرير وابن مردويه / ١٢ .
والبغوي في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق
بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده. كما في الدر المنثور
/ ١٢ منه [أى: عن الحسن مرسلًا].

السماء كذا وكذا سنة؟ فترلت، ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا نِ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لِي﴾، أى: فليجيئوا لى إذا دعوتهم للطاعة كما أجيئهم إذا دعونى إلى مهامهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: أمر بالثبات والدوام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، راجين إصابة الرشيد، وهذه الآية المتخللة بين أحكام الصوم إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء فى الصوم والنفطر وروى: " ثلاثة لا ترد دعوتهم ^(١)، الإمام العادل والصائم حتى أو حين - يفطر، ودعوة المظلوم"، ﴿أَجِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: ليلة الصيام التى تصبح منها صائماً والرفث عبارة عن الجماع وعدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، كلان فى بدء الإسلام غير جائز، ﴿هِنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾، أى: سكن أو شبه باللباس لاشتمال كل على صاحبه، اشتمال اللباس على اللابيس، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، سكن أى: لما كان بينكم غاية الخلطة رخصنا لكم لئلا يشق ^(٢) عليكم، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تظلمونها بما هو حرام عليكم ووقع ذلك ^(٣) على عمر - رضى الله عنه - فقال: يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك الذى صنعت فترلت، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: لما تبتم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾، محام عنكم أثره، ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾، والمباشرة

(١) فى مسند الإمام أحمد وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجه / ١٢ منه [وهو ضعيف كما فى ضعيف ابن ماجه].

(٢) والله لا يريد بكم العسر عن ابن عباس هن فراش وأنتم لحاف / ١٢ منه .

(٣) روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم أن الآية فى عمر بن الخطاب كما نقلناه / ١٢ منه، زاد فى الوجيز ثم قام رجل بعد اعترافه واعترفوا فأنزله الله فحسن موقع "أنكم كنتم تختانون" / ١٢ منه [حسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٧/١) وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن كعب بن مالك].

كناية عن الجماع، ﴿وَابْتَغُوا^(١)﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما أثبتته في اللوح المحفوظ من الولد أو ليلة^(٢) القدر أو الرخصة التي كتب الله لكم وما أحل الله لكم، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، جميع الليل، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾، بياض الصبح، ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾: من سواد الليل، ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، بيان للخيط الأبيض، ﴿ثُمَّ اتَّمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فإنه آخر وقته، كان الأكل والشرب بعد العشاء، أو النوم حراماً فبعض الصحابة نام عن فطره فلما انتصف النهار غشى عليه فترلت، ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، كان إذا اعتكف الرجل فخرج من المسجد جامع إن شاء ورجع، فأنزل الله تعالى النهي عن المباشرة ما داموا عاكفين فيها، ﴿تِلْكَ﴾، أى: الأحكام المذكورات^(٣)، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾، أى: ذوات حدود الله، ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا^(٤)﴾، هى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل، لئلا تدانى الباطل فضلاً أن يتخطى، أو المراد من الحدود المحارم، وتكون تلك إشارة إلى لا تباشروهن، أى هذا وأمثاله محارم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة الأمر، ﴿وَلَا

(١) وفيه إشارة إلى أن المقصود الأصلي من المباشرة تحصيل الولد / ١٢ وحيز .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وقال الزمخشري هو قريب ممن بدع التفاسير / ١٢ منه .

(٣) من باشروا وابتغوا، أو كلوا واشربوا كلها للإباحة وأتموا للإيجاب ولا تباشروا للتحريم / ١٢ وحيز .

(٤) وأما الاستدلال بالآية في جواز النية في صوم رمضان بعد ظهور الصبح فليس يبعد مع مجال البحث لكنه خلاف الإجماع عملاً بالسنة / ١٢ وحيز .

تَأْكُلُوا^(١) أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»، أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه لم يبيحه الله، ﴿وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام، عطف على المنهى، أو نصب بتقدير أن، ﴿لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بما يوجب الإثم كاليمين الكاذبة، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطون .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

(١) ولما أمر بالصوم وهو الإمساك عن المفطرات في أكثر أوقات شهر الصوم، ثم أحل لهم في بعض أوقاته الأكل والشرب، أمرهم بوجوب حلية المأكل سيما في هذا الشهر المعظم وخص بالمنع هذا القسم من الحرام الذى فيه شبهة الحلية عند بعض كحكم حاكم بما ليدل على منح الباقي بطريق الأولى فقال: " ولا تأكلوا أموالكم " الآية / ١٢ وجيز .

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ
 الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ
 بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ
 بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي
 الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢١﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾^(١) عَنِ الْأَهْلِ، سأل بعض الصحابة ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد ثم
 ينقص؟ فترلت^(*)، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، سألوا عن حكمة اختلاف
 حال القمر فأجاب بأن الحكمة الظاهرة أنه معالم^(٢) للناس يوقتون بها أمورهم سيما
 الحج، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، كانوا إذا أحرموا في الجاهلية
 أتوا البيت من ظهره، أو الأنصار^(٣) إذا قدموا من سفر لم يدخلوا من قبل باهم فترلت،
 ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: بر، ﴿مَنْ اتَّقَى﴾: المحارم، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: واركبوا

(١) ولما بين أحكام شهر رمضان ولا يعلم الشهور إلا بالهلال والشمس والقمر آيتان من
 آيات الله، والله يبين آياته للناس تحركت العزم بالسؤال عن هذه الآية ما بين قوله:
 " يسألونك عن الأهلة " الآية / ١٢ .

(*) خرج ابن عساكر عن ابن عباس بسند ضعيف، كما في الدر المنثور للسيوطي
 (٣٦٧/١).

(٢) مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم / ١٢ منه .

(٣) الأول رواية البخارى عن البراء والثاني رواية أبي داود عنه / ١٢ منه .

سنة الجاهلية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، في تغيير أحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تظفروا بالفلاح والهدى، ووجه اتصال هذه الآية بما قبله أنه لما ذكر الحج ذكر أيضًا شيئًا من أفعالهم في الحج استطرادًا، وفيه تنبيه على أنهم يخترعون أشياء لا حكمة فيها، ولا يسألون ولا يتفكرون فيها ويسألون عن شيء حكمته ظاهرة، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إعلاء لكلمته، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كما أن همتهم قتالكم فلتنكس همتكم كذلك، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تظلموا في القتال، بأن تقتلوا النساء والشيوخ والصبيان وأنهم ليسوا من الذين يقاتلونكم^(١)، وبأن تفعلوا المثلة والغلول، وروى أنها أول آية نزلت في القتال بالمدينة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد بهم الخير، وعن بعض السلف أن قريشًا صدوا المسلمين عن الحج وصالحوهم على رجوعهم من قابل، فخاف المسلمون عن عدم وفاءهم وقاتلهم في الحرم شهر الحرام وكره المسلمون ذلك، فترلت، ومعناه: قاتل من قاتلك ولا تظلم بابتداء القتال، فالآية منسوخة، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّطْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم في حل أو حرم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾، أى: مكة فإن قريشًا أخرجوا المسلمين منها، والمسلمون أخرجوا المشركين يوم الفتح، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أى: شركهم في الحرم وصددهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم في الحرم وجزاء سيئة سيئة مثلها، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، حرمة له، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ^(٢) فِيهِ فَإِنِ

(١) عن أبي العالية: لما نزلت هذه الآية كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف حتى نزلت سورة براءة وفيما ذكر إشكال فتأمل / ١٢ منه .

(٢) ولهذا أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد يوم الفتح بأن لا يقاتل إلا مع من يقاتله / ١٢ وجيز .

قَاتَلُواكُمْ»، وابتدأوا بالقتال عنده، «فَاقْتُلُوهُمْ»: مكافأة، «كَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ»: يفعل بهم ما فعلوا، قال بعضهم: آية "واقتلوهم حيث ثقتموهم"
منسوخة بهذه الآية، وهذه منسوخة بآية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة
والأكثر على أنها محكمة لا يجوز الابتدء بالقتال في الحرم^(١)، «فَإِنْ انْتَهَوْا»: عن
القتال والكفر، «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، يغفر لهم ما قد سلف، «وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ»: شرك^(٢)، «وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ»، خالصاً فلا يعبد شيء غيره،
«فَإِنْ انْتَهَوْا»: عن الكفر، «فَلَا عُذْوَانَ»: لا قتل ولا هب، «إِلَّا عَلَى
الظَّالِمِينَ»، لا عليهم، فإنهم قد ارتدعوا عن الظلم، «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ
الْحَرَامِ»، صدهم المشركون عام الحديبية في ذى القعدة عن العمرة، وخرج المسلمون
لعمرة القضاء فيه سنة أخرى، وكرهوا القتال لحرمته، فزلت، أى: هذا بذاك وهتكة
هتكة فلا تبالوا، «وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ»، أى: كل حرمة وهو ما يجب المحافظة عليه
يجرى فيه القصاص، وهم هتكوا حرمة شهركم بصدكم فافعلوا به مثله^(٣)، «فَمَنْ
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»، أى: ادخلوا مكة عنوة
واقتلوهم إن قاتلوكم، «وَاتَّقُوا اللَّهَ»، فيما لم يرخص لكم، «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ»، فيحرسهم ويعلى كلمتهم، «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: في جهات الخير،

(١) في الصحيحين قال -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة: هذا البلد حرمه الله يوم خلق
السموات والأرض، فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم يحل لى إلا ساعة من
نهار، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا: إن الله أذن
لرسوله ولم يأذن لكم" / ١٢ منه .

(٢) فسر الفتنة بالشرك عامة السلف من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٣) إن وقع قتال / ١٢ .

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، بعدم^(١) الإنفاق فيها، وصح عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا: الآية في النفقة لا في القتال^(٢)، أو تقديره لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بالإسراف، بحيث لا يبقى لكم شيء أصلاً، أو معناه: أنفقوا في الجهاد^(٣) ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة بترك القتال والإمساك عن الإنفاق في الجهاد، والباء زائدة، والمراد من الأيدي الأنفس، أو تقديره ولا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، وعدى بالي لتضمن معنى الإتهاء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: أعمالكم، أو الظن بالله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: بمناسكهما وحدودهما وستهما، أو بأن تحرم من دوية أهلك، أو بأن تخرج لهما لا لغرض^(٤) آخر من تجارة وغيرها، أو بأن تكون النفقة حلالاً، ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾: منتم والمراد حصر العدو، أو أعم كالمرض فيه خلاف، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، أى: فعليكم ما تيسر، ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعنى من أحصر وأراد التحلل تحلل بذبح هدى من بدنة أو بقرة أو شاة، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾

(١) ودخل فيه عدم الإنفاق في الجهاد بطريق الأولى، فإنه رأس كل خير وذروة سنامه ١٢/ منه .

(٢) يعنى ليس معناه لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأن تواجهوا أو تحاربوا جمعاً تظنون فيهم أهم الأغلبون روى الحاكم وصححه أنه قال رجل لبراء بن عازب: إن حملت على العدو وحدى فقتلوني أكنت ألقىت نفسى إلى التهلكة؟ قال: لا، إنما هو في ترك الجهاد، وكذا قال أبو أيوب وغيره / ١٢ منه .

(٣) الفرق بين المعنى الأول والثالث، أن سبيل الله عام في جميع جهات الخير، في الأول وخاص بالجهاد في الثالث، والحديث الذى رواه الترمذى والنسائى وصححه الحاكم عن أبي أيوب صريح في هذا المعنى / ١٢ منه .

(٤) هذا قول سفيان الثورى / ١٢ منه .

حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ»، أى: أنتم محرمون حتى يصل هديكم محلاً يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس^(١) وعليه الشافعى، أو حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ الحرم وذبح وعليه الحنفى، «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا»: مرضًا يحتاج إلى الحلق، «أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ»، كجراحة وقمل، «فَفِدْيَةٌ»: فعليه فدية إن حلق، «مَنْ صِيَامًا»: ثلاثة أيام، «أَوْ صَدَقَةٌ»، ثلاثة أصابع على ستة مساكين، «أَوْ نُسْكَ»، ذبح شاة، وهو مخير في الثلاثة، «فَإِذَا أَمِنْتُمْ»، العدو، أو كنتم في حال أمن، أى: إذا تمكنتم من أداء المناسك، «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ»، أى: استمتع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة في أشهر الحج إلى أن وصل الحج فحج، أى: من اعتمر أشهر الحج وأحل ثم حج في تلك السنة، «فَمَا اسْتَيْسَرَ»، أى: فعليه ما استيسر، «مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ»، أى: الهدى، «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ»: في أيام الاشتغال به، أى: بعد الإحرام وقبل التحلل، أو في أشهر بين الإحرامين، «وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ»^(٢): إلى أهليكم، لا قبل الوصول، أو المراد من الرجوع الفراغ من الحج، «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ»، فائدهما العلم بأن الواو لا بمعنى أو، والمراد العدد المعين لا الكثرة، «ذَلِكَ»، أى: هذا الحكم، «لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»، هم أهل الحرم، أو أهل مكة، أو من كان وطنه من مكة دون مسافة القصر

(١) ولا شك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ذبحوا هديهم في الحديبية وحلقوا رؤوسهم، والحديبية خارجة من الحرم كما صرح به البخارى، ولا يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف، كيف وقد صرح عن جماهير من السلف أنها ليست من الحرم ؟ / ١٢ منه .

(٢) حكى أبو جعفر بن جرير على أن المراد من الرجوع، الرجوع إلى وطنه /

أو من دون الميقات، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أى: مخالفته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لم يتقه .

﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فِي بَابِ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٦٦﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٦٧﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٨﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٦٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧١﴾ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٧٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ بِأَيِّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
 لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾، أى: وقته، ﴿مَعْلُومَاتٌ﴾: معروفة، شوال وذو القعدة وعشر من
 ذى الحجة، أو تمامه وفائدته^(١) كراهة العمرة فى بعضه، أو فى تمامه والأكثر^(٢) على
 عدم جواز الإحرام بالحج فى غيرها، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: أوجب على نفسه
 بالإحرام، ﴿فَلَا رَفَثٌ﴾: لا جماع^(٣) ومقدماته من التقبيل والتكلم به فى حضورهن فى
 حكمه، ﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾: هى المعاصى، فإنها فى الإحرام أقيح، أو خاص^(٤) بمحظورات
 الإحرام فقط، ﴿وَلَا جِدَالٌ﴾: لا محاصمة، أو لا مراء، وروى أن المشركين يقفون فى

(١) فإن العمرة فى أشهر الحج مكروه ١٢/ منه .

(٢) يعنى من السلف كابن عباس وجابر وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن جريج
 وروى ابن مردويه عن النبى - صلى الله عليه وسلم-، "لا ينبغى لأحد أن يحرم بالحج إلا
 فى أشهره"، وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد جاز الإحرام بالحج فى غير أشهره لكن
 خلاف الأولى / ١٢ منه [وقوله: "لا ينبغى..."] أخرجه أيضاً الشافعى فى الأم وابن أبى
 شيبة والبيهقى فى الكبرى عن جابر موقوفاً مثله، وهو أشبهه].

(٣) قيل: لا رفث، ليس نفيًا لوجوده، بل نفيًا لمشروعيته، فيرجع النفي إلى وجوده مشروعًا لا
 محسوسًا، كقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" [الواقعة: ٧٩] وقوله: "المطلقات يتربصن"
 [البقرة: ٢٢٨] وهذه الدقيقة فاتت العلماء، فقالوا إن الخبر يكون بمعنى النهى / ١٢ منه .

(٤) كقتل الصيد وحلق الشعر ونحو ذلك / ١٢ منه .

الحج ويجادلون، فبعضهم يقول نحن أصوب وبعضهم يقول نحنن أو لا جدال في مناسكه، فإنه قد بين الله تعالى أشهره ومواقفه، **﴿فِي الْحَجِّ﴾**: في أيامه وفي شأنه، **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾**: فلا يضيع، حث على الخير بعد النهي عن الشر، **﴿وَتَزَوَّدُوا﴾**^(١)، كان أهل اليمن يحجون^(٢) بلا زاد مظهرين التوكل، ثم يسألون الناس فتزلت، **﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**، ومن التقوى الكف عن السؤال والإبرام، **﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾**، أى: واتقوا عقابي وغيظي يا ذوى العقول، **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾**: إثم، **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾**، أى: فى أن تبتغوا، **﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾**: عطاء ورزقاً منه بالتجارة حين الإحرام، كان المسلمون كرهوا التجارة فى الحج، فتزلت، وأيضاً روى أنه سئل هل للحالين حج؟ فتزلت، **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾**: انصرفتم عنها، **﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾**، بالدعاء والتلبية، **﴿وَاذْكُرُوهُ﴾**، بالتوحيد والتعظيم، **﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾**^(٣): كما ذكركم بالهداية فهداكم أو كما علمكم، **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ﴾**، أى: الهدى، **﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾**: الجاهلين بالطاعة، وإن: هى المخففة، واللام: هى الفارقة، **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾**، أى: من عرفه، كان القريش لا يخرجون من الحرم يقفون عند أدنى الحل قائلين: نحن أهل الله، فلا نخرج من الحرم بخلاف الناس، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة

(١) قيل سياق الكلام دال على أن المراد التزود وتحصيل الأعمال الصالحة التى هى كالزاد إلى سفر الآخرة، فمفعول تزودوا محذوف هو التقوى، ولما حذف مفعوله أتى بخبر إن ظاهراً ليبدل على المحذوف، ولولا الحذف لآتى مضمراً/ ١٢ منه.

(٢) هكذا قال ابن عباس وأناس من الصحابة لا تحصى / ١٢ منه .

(٣) ما إما مصدرية أو كافة كفت الكاف عن العمل، ولهذا دخلت على الفعل/ ١٢ منه .

(٤) من جوز تقديم المرور على العامل الواقع صلة فالعامل فى "من قبله لمن الضالين"، ومن لم يجوز فيقول: هو من طريق شريطة التفسير / ١٢ منه .

ويخرجوا من الحرم كسائر الناس، وحينئذ ثم: للتراخي في الإخبار، أو من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها، وحينئذ المراد بالناس: إبراهيم عليه السلام، أو جميع الناس، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾، من جاهليتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يغفر الذنب وينعم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: فرغتم من العبادات الحجية، ﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، أهل الجاهلية يقفون ويذكرون مفاخر آبائهم، فأمرهم الله بذكره كذكرهم مفاخر آبائهم، أو كقول الصبي: أبه أمه، كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه فالهجو أنتم بذكر الله بعد النسك، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، عطف على كذكركم، أو على ذكركم، والمعنى: ذكرًا أشد ذكرًا على الإسناد المجازي، وصفًا للشيء بوصف صاحبه كشديد الصفرة صفرتة، أو عطف على آبائكم، أى: كذكركم قومًا أشد مذكور به من آبائكم وأما عطفه^(١) على الضمير المضاف إليه لكذكركم فضعيف، قيل: أو بمعنى بل، ﴿فَمِنْ^(٢) النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، أى: اجعل إعطائنا في الدنيا خاصة^(٣)، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾، نصيب أو من طلب

(١) للعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، والزحشرى قد منعه في قوله تعالى: "تساءلون به والأرحام [النساء: ١]"، وأما الأجوبة بأن المنع إذا كان الجار حرفًا، أو بأن المجرور هاهنا في حكم المنفصل لأنه فاعل المصدر، أو بأن المراد العطف من حيث المعنى فضعيف كلها / ١٢ منه، أما بحسب اللفظ فهو على حذف مضاف معطوف على الذكر، أى: وذكر قوم أشد ذكرًا فهو أيضًا ضعيف كما لا يخفى / ١٢ منه .

(٢) هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك وفيه التفات لأن الظاهر أن يقول فممنكم ومنكم / ١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس، كان قوم من الأعراب يأتون الموقف فيقولون: اللهم اجعله لنا عام غيث وعام خصب وعام أولاد، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا فذمهم الله سبحانه تنفيرًا عن التشبه بهم / ١٢ منه .

خلاق، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا^(١) آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يدخل فيها كل خير في الدنيا وصرف كل شر، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، مثلها يدخل فيها الخير كله، ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، تخصيص بعد التعميم؛ لأنه هو الفوز، وبعض السلف خصص الحسنة في الموضوعين بشيء خاص، والتعميم أولى، ﴿أَوَلَيْكَ﴾، أى: الفريق الثانى، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، أى: مما دعوا به نعتيهم منه ما قدرناه، والدعاء كسب، لأنه عمل، أو من أجل^(٢) ما عملوا، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، يحاسبهم مع كثرتهم وكثرة أعمالهم في لحظة، وقيل: سريع الحساب مع الفريق الثانى لأن يتخلصوا من هوله، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾^(٣): أيام التشريق، والمراد: التكبير بعد الصلوات وعلى الأضاحى وعند الجمرات، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: عجل فى النفر، ﴿فِي يَوْمَيْنِ^(٤)﴾، ونفر بعد رمى اليوم الثانى ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾: فى النفر إلى اليوم الثالث، ﴿فَلَا إِثْمَ^(٥)﴾

(١) فى مسند الإمام أحمد "كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" ١٢/ منه [بل أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٨٩)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الذكر والدعاء" (٥٤٦/٥) فالعزو إليهما أفضل].

(٢) أو من أجزاء ما عملوا / ١٢ منه .

(٣) وهى أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده وصرح بذلك جماهير السلف / ١٢ منه .

(٤) الظرف المتخى إذا عمل فيه الفعل فلا بد من وقوعه فى كل من اليومين، وهاهنا لا يمكن فلا بد من توجيه إما بأن يجعل وقوعه فى أحدهما كأنه وقع فيهما كقوله تعالى: " يخرج منهما اللؤلؤ " [الرحمن: ٢٢]، و " نسيا حوتهما " [الكهف: ٦١]، وإما بحذف مضاف، أى: فى ثانى يومين / ١٢ منه .

(٥) قيل كثير من السلف كعلى وابن عباس وابن مسعود: أن معنى لا إثم عليه - مغفور، يعنى: ما بقى له إثم، وقال مجاهد: لا إثم عليه إلى العام القابل / ١٢ منه .

عَلَيْهِ»، في تأخره، لا كما قال بعض من أهل الجاهلية، فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر، ﴿لَمَنْ اتَّقَى﴾، أى: التخبير، أو الأحكام المذكورة؛ لأنه الحاج حقيقة، أو عدم الإثم لمن اتقى في حجه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، للجزاء، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم في نفسك قوله، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أى: قوله في أمور الدنيا، أو يعجبك فيها لا في الآخرة، ﴿وَيَشْهَدُ^(١) اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: يحلف^(٢) على أن ما في قلبه موافق للسانه، أو يبارز الله بما في قلبه من الكفر، كما قال تعالى: " يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله " [النساء: ١٠٨]، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ^(٣)﴾: أشد الخصومة والجدال، نزلت^(٤) في أخنس بن شريك، فإنه حلو الكلام سيئ السريرة منافق، أو عام في المنافقين، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: انصرف عنك، أو صار والياً، ﴿سَعَى^(٥)﴾، أى: قصد، ﴿فِي الْأَرْضِ^(٦)﴾ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، كما فعله الأخنس حين رجع إلى مكة أحرق زرع المسلمين وعقر الحمر، أو إذا تولى سعى^(٧) في الأرض فساداً - منع الله

(١) يقول: الله شاهد على ما في قلبي / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعزاه ابن جرير إلى ابن عباس/ ١٢ منه .

(٣) كلام الشارح مشعر بأن الخصام مصدر كما قاله الخليل، والحمل للمبالغة كزيد ضرب، وعند الزجاج أن الخصام جمع خصم، أى: أشد المخاصمين فلا مجاز حيثئذ/ ١٢ منه .

(٤) قاله السدي / ١٢ منه [أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١/٤٢٣)].

(٥) قيل: معناه سعى بقدميه بسرعة ليقطع الطريق / ١٢ منه .

(٦) قوله: في الأرض لإفادة العموم / ١٢ .

(٧) هذا الوجه الثاني قول مجاهد / ١٢ منه .

القطر فهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾: لا يرتضيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ﴾^(١) العِزَّةُ بِالْإِثْمِ، حملته الأنفة^(*)، وحمية الجاهلية على الإثم المأمور بتركه لجأجا - الخصومة - يقال: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته جزاء، ﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾، أى: والله لبئس المقر جهنم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾^(**): يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾، بالبدل في الجهاد، أو في جميع الأوامر، ﴿ابْتِغَاءً﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، نزلت في صهيب بن سنان الرومى، عذبه المشركون ليرتد فأعطى جميع أمواله وخلص دينه وأتى المدينة^(***)، وأكثر السلف على أنه عام في كل مجاهد في سبيل الله، ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، لإرشادهم إلى الهدى، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾^(٢): في الإسلام، أو في الطاعة، وكافة: حال من السلم، أى: خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه^(٣)

(١) قيل: معناه أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام / ١٢ منه، قيل: لعمر اتق الله فوضع خده في الأرض تواضعاً، وقال: هذا مقدرتى، ووقف يهودى بين يدي هارون وهو راكب فقال: يا أمير المؤمنين [لعل في الكلام سقطاً: "اتق الله"]، فنزل عن دابته وخر ساجداً وقضى حاجته، فقيل له في ذلك: فقال: ذكرت قول الله: " وإذا قيل له اتق الله " إلخ / ١٢ منه .

(*) الاستنكاف.

(**) خطأ في الأصل: يشتري.

(***) انظر الدر المنثور للسيوطى (١/٤٣٠، ٤٣١).

(٢) قال: في المعنى قول الزمخشري: حال من السلم وهم، لأن كافة مختص بمن يعقل وهم في قول الله تعالى: " وما أرسلناك إلا كافة" [سبأ: ٢٨] [في الأصل: " في قول الله تعالى: "ثم أشير فوقها: " في قول الله"]، أى: رسالة كافة وأيضاً وهم في خطبة المفصل إذ قال: محيط بكافة الأبواب / ١٢ منه .

(٣) ولا تخلوا بشيء منها / ١٢ منه .

أو حال من الفاعل، أى: ادخلوا^(١) فيه بكليتكم لا تخلطوا به غيره وهو خطاب للمسلمين وعن^(٢) بعضهم أنها نزلت في مؤمنى أهل الكتاب، فإنهم مع أن أسلموا عظموا السبب وحرموا الإبل وأحبوا قراءة التوراة، فأمرُوا بتركها، «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ»: آثاره التى زين لكم، «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»: ظاهر العداوة، «فَإِنْ زَلَلْتُمْ»: عدلتم عن الحق، «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ البَيِّنَاتُ»، على أن الإسلام هو الحق، «فَاعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ»: لا يعجزه الانتقام، «حَكِيمٌ»: لا ينتقم بظلم، «هَلْ يَنْظُرُونَ»، استفهام بمعنى النفسى، «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ^(٣) اللَّهُ»، مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكل علمه إلى الله تعالى، أو تقديره: يأتىهم بأسه، «فِي ظَلَلٍ»، جمع ظلة، «مَنْ الغَمَامِ^(٤)»،

(١) الظاهر أنه إذا كان حالاً من الفاعل أن يكون معناه ادخلوا جميعاً فى الإسلام لا يشرد بعضهم عنه، والشارح عدل عن الظاهر فى تفسيره بقوله: أى ادخلوا فيه إلخ لتمام الموافقة بسبب التزل، ولأن الخطاب مع المسلمين عند الشارح فلا وجه لأمر الجميع بالدخول فى الإسلام إلا بهذا المعنى فتأمل / ١٢ منه .

(٢) قول عكرمة ونسب أيضاً إلى ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) لفصل القضاء / ١٢ وحيز .

(٤) السحاب الأبيض "كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قالوا: أين كان ربنا قبل خلق العرش؟ قال: كان فى عمام، ما فوقه هواء وما تحته هواء" [حديث ضعيف أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف ابن ماجه]، ومذهب السلف الصالح الإيمان بمثل ذلك ووكل العلم إلى الله سبحانه / ١٢ وحيز .

وفى الفتح أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبى -صلى الله عليه وسلم- "قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء ويترل الله فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي" [ذكره ابن كثير فى التفسير =

السحاب الأبيض، والعذاب إذا جاء من مكان يجيء الخير منه يكون أصعب،

(٢٤٩/١) واستغربه]، وعن ابن عمر قال: يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا ينخلع له القلوب، وعن ابن عباس: يأتي الله يوم القيامة في ظلل من السحاب، قد قطعت طاقات.

وفي الخازن روى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- "قال: ظلل من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها مخفوفًا" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" انتهى. [أخرجه ابن جرير والديلمي بسند ضعيف، وانظر الدر المنثور للسيوطي (٤٣٣/١)].

واعلم أن إتيانه تعالى ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ثابت بهذه الآية وآية "هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك" [الأنعام: ١٥٨]، "وجاء ربك والملك صفاً صفاً" [الفجر: ٢٢] وغيرها من الأحاديث والآثار فذهب أهل التحقيق إلى الإيمان بظواهر هذه الآيات وسائر آيات الصفات وأحاديثها، ووجوب الاعتقاد بظواهرها، والإيمان بها كما جاءت، ووكول العلم إلى الله سبحانه مع تزيهه سبحانه عن التشبيه والتمثيل والتحريف والتبديل والتعطيل، وهو قول سلف هذه الأمة وأئمتها، وكان ابن عيينة والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك والثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وأما تأويل إتيان الله تعالى ومجيئه بإتيان عذابه - فخلافاً ما عليه السلف، وتحريف لكتاب الله وزيادة فيه، فالقول الثاني قول مردود؛ لأنه يعول إلى نفي صفة ثابتة بكتاب الله وكتاب رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو قول أهل الإلحاد في صفاته والله در من أنشد في هذا المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وإجرائها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفناً فإنها لتسلم دين المرء خير المراكب

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، هو على الحقيقة، ﴿وَقَضَى الْأَمْرَ﴾: تم أمر هلاكهم، أو فرغ من حسابهم فأوقعوا من عقابهم وذلك يوم القيامة، ﴿وَأِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فيجازيهم .

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٨﴾﴾ زَيْنَ لِلدِّينِ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢٩﴾﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِأُذُنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٠﴾﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٣١﴾﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرْهُ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهو سؤال تقريع، ﴿كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾، معجزة ظاهرة على نبوة موسى، أو آية في الكتاب على نبوة محمد عليهما السلام، وكم:

مفعول^(١) ثان^(٢)، أو مبتدأ^(٣) والعائد محذوف، وآية: مميزة، ومن: للفصل، والجملة إما مفعول^(٤) ثان لسئل وتقديره: سلهم قائلاً كم آياتناهم؟ أو في موقع المصدر، أى: سلهم هذا السؤال، «وَمَنْ يُدَلِّ نِعْمَةَ اللَّهِ»، أى: آياته، فإنها أجل نعمة لأنها سبب الهداية فجعلوها سبب الضلالة، أو حرفوها، «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ»، وعرفوها، «فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»: يعاقبه أشد^(٥) عقاب، «زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»، حسنت في أعينهم حتى أعرضوا عن غيرها، «وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»: فقراء

(١) أى: لآياتناهم / ١٢ منه .

(٢) مفعول ثان، أى: في موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهي عاملة في المعنى غير عاملة في اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب في ذلك / ١٢ منه .

(٣) قال في البحر: هذا لا يجوز عند البصريين إلا في الشعر و قال ابن مالك: لو كان المبتدأ غير كل والضمير مفعول به لم يجوز عند الكوفيين حذفه مع بقاء الرفع إلا في الاضطرار، والبصريون يميزون [في الأصل المطبوع: يخيرون وما أثبت من البحر المحيط لأبي حيان (١٣٥/٢) ط دار الكتب العلمية] ذلك في الاختيار ويرونه ضعيفاً، فعلى هذا فأى داعية إلى جواز ذلك في القرآن مع إمكان حمله على غير ذلك / ١٢ منه .

(٤) مفعول ثان، أى: في موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهي عاملة في المعنى غير عاملة في اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب في ذلك / ١٢ منه .

(٥) وهذا تهديد شديد للكافرين بمحمد عليه السلام وأشرف الصلاة وأكمل التسليمات/

المؤمنين كبلال وعمار، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، الشرك، ﴿فَوَقَّهْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتقواهم لأنهم في الجنة وهم في النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، في الدارين، فلربما يعطى الفقراء في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما، أو إشارة إلى أن كثرة الرزق لا يدل على الكرامة، بل ربما تكون استدراجًا، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً^(١)﴾، بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على الحق^(٢)، أو متفقين على الجهل على عهد إبراهيم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾، أى: اختلفوا فبعث على الوجه الأول، وحذف لدلالة قوله "فيما اختلفوا" عليه، ﴿النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، مع الأنبياء، لا مع كل واحد، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبسًا به، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، أى: الكتاب، مجازًا، أو الله، ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: فى شيء التبس عليهم، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فى الكتاب الذى أنزل لدفع الاختلاف، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أى: الكتاب المتزل لإزالة الاختلاف، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، الحجج الظاهرات الواضحات، ﴿بَعْثًا بَيْنَهُمْ^(٣)﴾، أى: اختلفوا حسدًا وظلمًا، واختلافهم: كفر بعضهم بكتاب بعض وتحريفهم كتاب الله، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: لمعرفة، ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾، بيان لما، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، كاختلافهم فى القبلة وفى إبراهيم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، لا من جمع له أسباب الهداية، ﴿أَمْ^(٤) حَسِبْتُمْ أَنْ

(١) قال الله تعالى فى سورة يونس: " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا " [يونس: ١٩] / ١٢ منه.

(٢) قاله ابن عباس وغيره / ١٢ .

(٣) يعنى: أنزلنا الكتاب ليتفقوا كما كانوا فازدادوا فى الاختلاف وعكس الأمر / ١٢ وحيز .

(٤) ولما كانت حكاية الاتفاق ومزيد الاختلاف بعد بعث النبىين وإنزال الكتاب لتشجيع المؤمنين وتثبيتهم على الدين خاطبهم بقوله: " أم حسبتم " الآية / ١٢ وحيز .

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»، أم منقطعة، ومعنى الهمزة الإنكار، لما هاجر المسلمون وتركوا الديار والأموال فأصاهم ما أصاهم من الجهد وضيق العيش نزلت تشجيعاً لهم وتطبيياً لقلوبهم، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾، أى: لم يأتكم وزيدت عليه^(١)، ما، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: حالهم التى هى مثل فى الشدة أو ستتهم ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾، الفقر والأسقام والمصائب والنوائب، ﴿وَوُزِّلُوا﴾، بأنواع البلايا وخوف العدو، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أى: إلى الغاية التى يقول الرسول ومن معه فيها، ﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾، أى: بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى استبطنوا النصر، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، أى: قيل لهم ذلك إجابة لطئبتهم، يعنى لا بد لكم أن يصيبكم مثل ما أصاهم فتصبروا كما صبروا، ﴿يَسْأَلُونَكَ^(٢) مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، نزلت فى شيخ كبير كثير المال، قال يا رسول الله: بما تصدق وعلى من نفق؟، ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، حاصله أن المنفق هو كل^(٣) خير والاهتمام فى شأن المصرف؛ لأن الخير لا يعتد به إلا بعد وقوعه موقعه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فيجازيكم بقدره، والآية فى نفقة التطوع، وعن بعضهم هى منسوخة بفرض الزكاة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾، شاق مكروه طبعاً عليكم، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

(١) وفيها معنى التوقع، يعنى الفعل الذى هو الإتيان منتظر / ١٢ منه .

(٢) وعلم من أول السورة إلى هذا الموضع فضل الإنفاق، ناسب السؤال من الإنفاق فقال:

" يسألونك ماذا ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فالجواب مطابق للسؤال، ولما كان أفضل الإنفاق ما هو فى سبيل الله وأفضل السبيل

الجهاد - أخذ يبين حال الجهاد ومكانه فقال: " كتب عليكم القتال " /

الآية/١٢ وجيز .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ»، وهذا عام في الأمور كلها، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ»: ما هو خير لكم، «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، واعلم أن الجهاد فرض كفاية .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨١﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(١)، نزلت في سرية قاتلوا المشركين أول رجب وهم يظنون أنه من الجمادى فغيرهم المشركون وقالوا: إن محمداً استحل الشهر الحرام^(*)، ﴿قَاتِلْ فِيهِ﴾، بدل اشتمال، ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، أى: ذنب كبير، واختلف في أنه منسوخ^(٢) أو لا، ﴿وَصَدَّ﴾: منع، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كمنعهم المسلمين عن العمرة، ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾: بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾^(٣) الحرام، أى: صد عنه، ﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾: أهل المسجد، وهم المؤمنون، ﴿مِنْهُ﴾: من المسجد، ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وزراً مما فعلته السرية خطأ، ﴿وَالْفِتْنَةِ﴾، أى: الشرك، أو ما يرتكبه من الإخراج والكفر، ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أظع مما ارتكبه، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، أى: المشركون، ﴿يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾، أى: ثم هم مقيمون على أحيث ذلك وأعظمه غير تائبين،

(١) والسائل من المؤمنين كباقي الأسئلة [سُئِلَتْ أَسْأَلُ سُؤَالًا: لغة في سألت، حكاه سيبويه، وحكى ابن جنى سؤال وأسئلة. لسان العرب (سول)] الخمسة، أو من المشركين لقوله: "ولا يزالون يقاتلونكم" وعلى هذا لم يعطف على الأول ولم يعطف الثالث عليه لاختلاف السائل/ ١٢ وجيز .

(*) صحح سنده السيوطى فى "الدر المنثور"، (٤٤٨/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى.

(٢) والأصح أنها غير منسوخ، والاستدلال بعموم بعض الآيات فى جواز القتال غير تام؛ فإن العام لا يكون ناسخاً للخاص / ١٢ وجيز .

(٣) عطف على سبيل الله والفاصلة بين المصدر وهو "صد" وصلته وهو "المسجد" جائز لما بين الصد عن سبيل الله وكفر به اتحاد معنوى كأنه لا فاصلة وأما عطف المسجد على الضمير وإن جوزه المحققون بلا إعادة الجار نحو "تساءلون به والأرحام" [النساء: ١] فليس للكفر بالمسجد الحرام معنى إلا بتكلف / ١٢ وجيز .

وحتى معناه التعليل، أى: يقاتلونكم كى يردوكم، ﴿إِنَّ اسْتَطَاعُوا﴾، هو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بنفسه: إن استطعت فاضربى، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ﴾: من يرجع عن دينه إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، أى: يرجع ثم يموت على الكفر، ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: النافعة وبطلت، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، لما يفوتهم بالردة ما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بسقوط الثواب، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قيد الردة بالموت عليها فى إحباط الأعمال وهو مذهب الشافعى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، نزلت فى تلك السرية لما ظن بهم أنهم لو سلموا من الإثم ليس لهم أجر، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ^(١) رَحْمَةَ اللَّهِ﴾: ثوابه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، لما فعلوا من قلة الاحتياط، ﴿رَحِيمٌ﴾: بإجزال الأجر، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ^(٢) وَالْمَيْسِرِ^(٣)﴾، أى: عن تعاطيهما، قال عمر ومعاذ

(١) ما أراد به تخصيص وجود الرجاء، فإن غيرهم قد يرجون، لكن خصص بهم استحقاق الرجاء يعنى: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله / ١٢ وجزير .

(٢) ولما كان الخمر مذهباً للعقل، لكن تعاطيه مفرج للكروب المجتمعة فى القلوب من مصائب الدنيا ومزيج للبخل ومشجع، سألوها عن تعاطيه فقال: "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية / ١٢ وجزير .

(٣) قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: كل شيء فيه قمار من نرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب إلا ما أبيض من الرهان فى الخيل والقرعة فى إضرار الحقوق، وقال مالك: الميسر ميسران، ميسر اللهو وميسر القمار، فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهى كلها، وميسر القمار: ما يتخاطر الناس عليه / ١٢ فتح .

وسعد: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فترلت (*)، والميسر: القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾، أى: فى تعاطيهما، ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، حيث يـؤدى إلى مخاصمة وفحش وزور وهذا لا يدل صريحاً على حرمتها لأنه مؤدى إلى الإثم لا أن الإثم يحصل منه، والمحرمة ما فى المائدة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: من كسب المال والطرب وغيرهما، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾، فإن مفسدهما التى تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا (١) يُنْفِقُونَ﴾، لما نزل قوله: " فللوالدين والأقربين " سأل عمرو بن الجموح عن مقدار ما ينفق فترلت، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، أى: ما فضل من المال عن العيال، أو أفضل مالك وأطيعيه، قيل: إنها منسوخة بآية الزكاة، وقيل: مبينة بما قاله مجاهد وغيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أى: مثل ما فصل وبين لكم هذه الأحكام، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾، أى: سائر الآيات فى أحكامه ووعدده ووعيده، أى يبين تبييناً مثل لهذا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾، أمر، ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، لتعلموا زوالها وفناءها وإقبال الآخرة وبقائها، وقيل: متعلق بيبين أى: يبين لكم الآيات فى أمر الدارين لعلكم تتفكرون، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، لما نزل (٢) " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً [النساء: ١٠] إى، اعتزلوا مخالطة اليتامى ولا يأكل أحد معهم، فشق ذلك عليهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فترلت، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ

(*) صحيح أخرجه أئمة وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٤٢).

(١) الأولى أن يكون ماذا كلها استفهامية فى موضع نصب ينفقون، وحينئذ الجواب بقوله: "العتفو" بالنصب مناسب للسؤال / ١٢ منه .

(٢) هكذا روى أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه / ١٢ منه [وهو حديث حسن، انظر صحيح أبى داود (٢٤٩٥)].

خَيْرٌ»، أى: على حدة، أو مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم، قيل: أو إصلاح أموالهم من غير أجره خير، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾، أى: إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم، وقيل: إن تصيبوا من أموالهم أجره من قيامكم بأمورهم، ﴿فَإِخْوَانِكُمْ﴾، أى: فهم إخوانكم، ولا بأس من الخلطة أو من إصابة بعضكم من مال بعض، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، أى: يعلم من قصده الإفساد أو الإصلاح فيجزيه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّاكُمْ﴾، العنت: المشقة، أى: لو شاء الله إعناتكم لأعتنكم: كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة مطلقاً دون المخالطة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يقدر على الإعنات، ﴿حَكِيمٌ﴾: يحكم بحكمته فيتسع لكم، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا^(١) الْمُشْرِكَاتِ^(٢) حَتَّى يُؤْمِنَ﴾، كانت لأبي مرثد الغنوى خليعة مشركة فبعدما أسلم أراد أن يتزوج بها، فزلت^(*) " والمشركات " هاهنا عامة في كل من كفرت بالنبى عليه الصلاة والسلام لكن خصت^(٣) منها حرائر الكنايات بقوله: " والمحصنات من الذين أتوا الكتاب " [المائدة: ٥]، وقيل: المراد بها عبدة الأوثان؛ فلا يدخل فيها أهل الكتاب، ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾، أى: من حرة مشركة كانت لعبد الله

(١) ولما رخص في مخالفة اليتامى لإصلاحهم فهم عن نوع مخالطة المشركات فقال: " ولا تنكحوا المشركات " الآية / ١٢ وجزير .

(٢) أى: عابدات الأوثان / ١٢ وجزير .

(*) أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر عن مقاتل بن حيان كما في الدر المنثور (٤٥٨/١).

(٣) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم: استثنى الله تعالى من ذلك نساء أهل الكتاب / ١٢ منه .

بن رواحة^(١) فأعتقها كفارة أن لطمها وتزوجها فطعنوا فيه وعرضوا عليه نسيية مشركة، فترلت، ﴿وَلَوْ أَعْجَبْتَكُمْ﴾، الواو للحال، ومعنى أن، أى: وإن أعجبتكم بما لها وجمالها، ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، أى: لا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾^(٢) وَلَوْ أَعْجَبْتَكُمْ﴾، أى: رجل مؤمن وإن كان عبداً خيراً من مشرك وإن كان سريراً، ﴿أُولَٰئِكَ﴾، أى: المشركون والمشركات، ﴿يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ﴾، أى: الأعمال الموجبة لها، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾، أى: العمل الموجب لهما، قيل: تقديره وأولياء الله يدعون، بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تعظيماً لهم، ﴿يَاذَنَّهُ﴾، أى: بأمره وشرعه أو بتوفيقه أو بقضائه، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكى يتذكروا، أو ليكونوا بحيث يرجى عنهم التذكر .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٠٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنفُسِكُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُوهُ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا

(١) هكذا ذكر السدى رضى الله عنه / ١٢ منه [انظر تفسير ابن كثير (٢٥٩/١)، والدر

المنثور للسيوطى (٤٥٩/١) وسنده معضل.

(٢) الحر المشرك فإن الشرك ذم يزيل جميع مدحه، قيل: فيه دليل لمن يعتبر الولي في

نكاحها/ ١٢ .

وَتَصَلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧٨﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾^(١) عَنِ الْمَحِيضِ، إذا حاضت نساء اليهود لا يؤاكلوهن ولا يخالطوهن فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فترلت^(*)، والمحيض مصدر، ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾، أى: الحيض مستقذر، ﴿فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، اجتنبوا مجامعتهن^(٢) إذا حضن، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾، بالجماع، ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾: من الدم، أو يغتسلن وقراءة حمزة والكسائي وهو " يطهرن " دالة عليه سيما مع قوله، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، أى: بالماء، ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾: بالوقاع، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، أو من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: من

(١) ولما بين أحكام النكاح بين المسلمين والمشركين وفي النكاح شائبة للوقاع ناسب سؤال زمان الغشيان ومكانه فقال: " ويسألونك عن المحيض " الآية / ١٢ وجزير .
 (*) أخرجه مسلم في " الحيض " .

(٢) أكثر السلف على أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج، ويدل على ذلك الأحاديث الصحيحة عن عائشة رضی الله عنها/ ١٢ .

الذنوب، **﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**: المترهين عن الأقدار، كإتيان الحائض وفي الدبر^(١)، **﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾**، أى: مزرع للولد، **﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾**: مزرع الولد لا غير، **﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾**، من أى جهة شئتم مقبلة أو مدبرة لا كما قالت^(٢) اليهود: إن جماعة المرأة من دبرها فى قبلها يجعل الولد أحول وذنس عند الله، **﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾**: ما يدخر لكم الثواب، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسمية عند الجماع، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**، فى معاصيه، **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾**، فاحذروا عن الفضيحة، **﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**: الكاملين فى الإيمان الذين اجتنبوا المعاصى، **﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾**، اسم لما يعرض^(٣) دون الشيء، **﴿لَا يُؤْمِنُكُمْ﴾**: أراد منها الأمور المحلوف عليها من السير

(١) لا خلاف لأحد من السلف أن غشيان المرأة والجارية فى دبرها حرام ملعون صاحبه، روى الدارمى فى مسنده عن ابن عمر أنه قيل له: ما تقول فى الجوارى أيمحض بهن قال وما التمحيض؟ [الذى فى سنن الدارمى (٢٧٧/١) ط الريان: ما تقول فى الجوارى حين أحمض لهن؟ قال: وما التمحيض؟]، فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وهذا إسناد صحيح البتة، وأيضاً نص مالك -رضى الله عنه- على حرمة وثبت عنه، فما نقل عنه افتراء من الرواة / ١٢ منه أقول: وقد اختلف النقل فيه عن ابن عمر روى البخارى فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر "فأتوا حرتكم أنى شئتم" قال يأتيتها فى [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٧)]، قال الشارح: أى: فى الدبر كما وقع التصريح به، قال المظهرى: إن الصحيح أن الوهم إنما هو من ابن عمر وقد حكم بكونه وهما من ابن عمر رأس المفسرين ابن عباس انتهى/ ١٢ [كما فى صحيح أبى داود (١٨٩٦)].

(٢) روى البخارى ومسلم وغيرهما أن قوله تعالى "نساءكم حرت لكم" إلتخ نزلت رداً لليهود وهم رووا عن جابر وسفيان الثورى / ١٢ [صحيح البخارى (٤٥٢٨)]، وصحيح مسلم (١٤٣٥)].

(٣) أى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزاً ومانعاً عنه / ١٢ .

والتقوى، وهى صلة عرضة أو الفعل، ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾، عطف بيان للإيمان، أى: لا تجعلوا الله مانعًا لما حلفتم عليه من الخير، بل افعَلوا الخير ودعوا اليمين كما قال السلف^(١) فى معنى الآية: لا تجعل الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير لكن كفر عن يمينك واصنع^(٢) الخير ويجوز أن يكون اللام للتعليل، أى: لا تجعلوا الله لأجل إيمانكم به مانعًا لأن تبروا، وقيل: والعرضة بمعنى المعرض للأمر وأن تبروا علة النهى، أى: لا تجعلوه معرضًا للإيمان فتبتذله بكثرة الحلف به أرادة بركم فإن الحلاف^(٣) مجترئ على الله وهو غير متق، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلَيْمٌ﴾: بمقاصدكم، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، هو^(٤) ما يجرى على اللسان عادة كـ: لا والله وبلى والله، أو

(١) كابن عباس وابن عمر وجماعة لا تخصى، وفى الصحيحين وغيرهما "عنه عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير" ١٢/ منه [أخرجه البخارى فى "الإيمان" (٦٧١٨)، وفى مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا مسلم فى "الإيمان" (١٦٤٩)].

(٢) حاصله لا تتركوا البر معللين بالحلف / ١٢ .

(٣) حاصله لا تكثرُوا الحلف بالله كى تكونوا بارين فعلى هذا اليمين على الحقيقة، واللام المقدر فى أن تبروا للتعليل، نحو: لا تكثر الكلام لتكون حكيماً / ١٢ .

(٤) التفسير الأول روى أبو داود عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عمر وابن عباس وعكرمة ومجاهد، والثانى لأبي هريرة ومكحول وطاوس وغيرهم وهذا القول أيضًا ثبت عن عائشة، والثالث لابن عباس أيضًا وروى أبو داود فى ذلك أثرًا، والرابع لسعيد بن جبير وهو أيضًا لابن عباس، والخامس لمغيرة وإبراهيم/ ١٢ .

هو حلف يرى أنه صادق ولا يكون كذلك، أو أنت تحلف وأنت غضبان، أو أن تحرم ما أحل الله لك، أو أن تحلف عن الشيء ثم تنساه، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: وهو أن يحلف ويعلم أنه كاذب، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لم يؤاخذ باللغو، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة وإن حلف كاذباً، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾، أى: يحلفون على أن لا يجامعوهم، وعدى بمن لمعنى البعد، وهو خير لقوله، ﴿تَرْتُبُصُ﴾، أى: توقف، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، أى: للحالف حق التلبث فى تلك المدة لا يطالب فيها بوطء ولا طلاق، ﴿فَإِنْ^(١) فَاعُوا﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، للمولى إثم الحنث وإضرار المرأة، والأصح^(٢) أنه يجب عليه الكفارة، ﴿وَأِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بما يقولونه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه، وعند كثير من السلف^(٣): أنه تقع تطليقة بمجرد مضى أربعة أشهر، إما بئنة أو رجعية، وفى الآية دلالة على أنه يوقف، فيطالب إما بهذا أو بهذا، وعليه كثير من السلف^(٤) أيضاً، ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ﴾: المدخول بهن من ذوات الأقراء، ﴿يَتَرْتَبِصْنَ

(١) وجامعها، فسر به ذلك السلف / ١٢ .

(٢) الذى عليه جمهور العلماء، وهو الجديد من مذهب الشافعى / ١٢ .

(٣) كعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر، وقد صح وثبت عنهم وعن

جماعة أخرى من السلف أنها تصير مطلقة بائنة / ١٢ .

(٤) روى البخارى عن ابن عمر وروى الشافعى عن سليمان بن يسار قال: أدركت

بضعة عشر من الصحابة كلهم يوقف المولى، وروى الشافعى عن على أنه وقف

المولى، وقال الشافعى: هكذا نقول، وهو موافق لما روينا عن عمر وابن عمر

وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب مالك

أيضاً / ١٢ .

بِأَنْفُسِهِنَّ»^(١)، يحملنها^(١) على الانتظار، خير معناه الأمر للتأكيد، ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أى: أطهار أو حيض، ثم يجوز لمن أن يتزوجن، ونصبه على الظرفية، أى: مدتها، أو المفعولية أى: مضيتها، وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت، فإنها تعتد بقرأين، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾، من حبل^(٢) أو حيض^(٣)، ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، هذا تغليظ وتأکید لا تقييد، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن جمع بعل والناء لتأنيث الجمع، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح والرجعة، ﴿فِي ذَلِكَ﴾: فى زمان التربص وهو العدة، وكان الرجل يرجع إلى امرأته وإن طلقها مائة إلى أن نزلت "الطلاق مرتان" [البقرة: ٢٢٩] فصار قسمين بائنة ورجعية، فليس الضمير أخص من المرجوع^(٤) إليه، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بالرجعة لا إضراراً وهو تقييد للأحقية^(٥)، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾، أى: لمن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع والمراد بالمماثلة ماثلة الواجب الواجب فى الحسنه لا فى جنس الفعل، ﴿وَاللرِّجَالِ

(١) يعنى فى ذكر الأنفس تهييج لمن على التربص، فإن أنفسهن طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يجبرها على التربص/١٢ .

(٢) إذا أرادت فراق زوجها فكتمت لثلا ينتظر بطلاقها أن تضع، وربما لا يطلقها إذا علم حبلها، أو كتمت حيضها وقالت حين الحيض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق/١٢ .

(٣) هكذا فسر ابن عباس وابن عمر وغيرهما / ١٢ .

(٤) كما قال بعض الأصوليين: لأن البعل كان أحق بردها من غيره وإن طلقها ألف طلقه حتى نسخ فافهم، كما ذكره السدى ومجاهد وابن جرير وغيرهم / ١٢ .

(٥) لا كما قال القاضى: وهو أنه ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة، بل التحريض عليه/١٢ .

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ^(١): زيادة^(١) في الحق وفضل فيه، أو شرف وفضل في الدنيا والآخرة،
 ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، يأمر كما أراد بمقتضى حكمته.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
 تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
 يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
 تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
 تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
 يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾
 وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا
 تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
 وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، كان^(٢) الطلاق غير محصور في الجاهلية في عدد، ثم إن رجلاً من
 الأنصار غضب على امرأته فقال: لا أطلقك ولا أؤويك أبداً، أطلقك حتى إذا دنا
 أجلك راجعتك وهكذا، فشكت ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام، فنزلت، وحاصله أن
 الطلاق الرجعي مرتان، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى: إذا طلقها واحدة أو اثنتين فلك

(١) لأن حقوقهم في أنفسهم، وحقوقهن المهر، وتركه الضرر ونحوهما/١٢ .

(٢) رواه الترمذى وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢ [وتعقبه

الذهبي كما في التلخيص (٢/٢٨٠) بقوله: في حميد بن كاسب: "ضعفه غير واحد".

الخيار في المراجعة وحسن المعاشرة^(١)، «أَوْ تَسْرِيحٍ يَأْخُذُ بِهَا» بالطلقة الثالثة^(٢)، أو بألا تراجعها ضراراً، «وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ» أيها الولاة «أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ»^(٣): من الصداق، «شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا» أى: الزوجان، «أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» من مواجب الزوجية، ولما كان الولاة يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع كأنهم الآخذون والمؤتون^(*)، «فَإِنْ خِفْتُمْ» أيها^(٤) الحكام في المزاوجة، «أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَالْأَجْنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» أى: لا جناح على المرأة فيما أعطت ولا على الرجل فيما أخذ، وحاصله أنه لا يجوز أن تضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق، نعم إذا تراضيا وطبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً، ولهذا كثير من السلف والخلف على أن الخلع حرام إلا أن يكون الشقاق من المرأة، لكن ذهب الشافعي إلى أنه إذا جاز في حال شقاقها^(٥) فبطريق الأولى عند الاتفاق، لكن في غير هاتين الصورتين فحرام، «تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا» بالمخالفة، «وَمَنْ يَتَعَدَّ

(١) فإمساك مبتدأ حذف خبره، أى فلك إمساك / ١٢ .

(٢) نقل أبو داود عن ابن عباس والنسائي عن علي بن الحسين، أن قوله: "الطلاق مرتان" ناسخ لقوله: "وبعولتهن أحق بردهن" من أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثاً فهو كان أحق برجعتها/ ١٢ .

(٣) "شئياً" إما مفعول به و"مما" حال مقدم أو بيان، وإما مفعول مطلق أى: شيئاً من الأخذ، و"مما" مفعول به / ١٢ .

(*) كذا في الأصل، وكأنه أراد أن يقول: ولما كان الولاة... قال، فسقطت قال من آخر الكلام.

(٤) الأولى أن يكون الخطاب للولاة والحكام، ولا يجوز أن يكون الخطاب في قوله: "وإن خفتم" للأزواج بقريئة "ألا يقيما"، وقيل: الخطاب لمجموع المؤمنين / ١٢ .

(٥) فيجوز حينئذ للرجل قبول الفدية / ١٢ .

حُدُودَ اللَّهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»: عقب النهى بالوعيد مبالغة في التهديد، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾، أى: بعد اثنتين، فهو مرتبط بقوله: "الطلاق مرتان"، نوع تفسير لقوله: "أو تسريح بإحسان"، وذكر بينهما الخلع دلالة على أن الطلاق يكون مجاناً تارة ويعوض أخرى، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أى: بعد ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أى: حتى يطأها زوج آخر، يعنى في نكاح صحيح، أو المراد من النكاح: العقد، والإصابة قد علم من الأحاديث الصحاح، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثانى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾، بنكاح جديد ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: من حقوق الزوجية، ﴿وَتِلْكَ﴾ أى: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون، ثم اعلم أن شرط التحليل فى النكاح فاسد إلا عند أبى حنيفة، وقد صح "لعن الله المحلل والمحلل له"، والخلاف فى أن النكاح بنية التحليل هو المحلل أم لا، وكلام السلف^(١) يدل على أنه المحلل الملعون.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١٠﴾ *

(١) روى الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، أن رجلاً جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له عن غير مؤامرة منه ليحللها لأخيه، هل تحل للأول؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم [المستدرک (١٩٩/٢) وأقره الذهبي]، وفى الحديث: "لا إلا نكاح رغبة لا دلسة" (الدلسة التحليل) ولا استهزاء بكتاب الله، ومثله صلى الله عليه وسلم بالتيس المستعار/١٢ [كما أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٨/٢) وغيرهما بسند حسن، انظر الإرواء (٣٠٩/٦، ٣١٠)].

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا
تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا
أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٠﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
يَتْرَبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢١﴾ وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ
أَنَّكُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنَّ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا
تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٢٢﴾

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، الأجل يطلق للمدة ولتتهاها والبلوغ:
الوصول، وقد يقال للدنو على الاتساع، وهو المراد هاهنا^(١)، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهن من غير ضرار، ﴿أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أو خلوهن
لتنقضى عدتهن من غير تطويل، وهذا إعادة لبعض ما سبق للاهتمام به، ﴿وَلَا
تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهن إرادة^(٢) إضرارهن كما سبق ﴿لَتَعْتَدُوا﴾

(١) فيصح قوله: "فأمسكوهن"، إذ لا إمساك بعد انقضاء العدة/ ١٢ .

(٢) فعلى ما فسرنا ضراراً مفعول له وقيل: حال بمعنى مضارين / ١٢ .

لتظلموهن بالتطويل والإلجاء إلى الافتداء وهو عين الضرر^(١)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» بتعريضها للعقاب، «وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا» كان الرجل يطلق أو يعتق أو ينكح فيقول: كنت^(٢) لاعبًا فترلت، «وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٣): التي منها الهداية، «وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ»: القرآن، «وَالْحِكْمَةَ»: السنة، وقيل: مواعظ القرآن، أفردهما بالذكر لشرفهما «يُعِظُكُمْ بِهِ»: بما أنزل، «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تأكيد وتهديد.

«وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلَهُنَّ» أى: انقضت عدتهن «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»^(٤):

(١) إذ المراد تقييده / ١٢ .

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصرى وابن جرير أيضًا عنه، وعن عبادة بن الصامت، وابن مردويه عن ابن عباس وفي الترمذى وأبي داود وابن ماجه قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، الطلاق والنكاح والعنقاق" / ١٢ [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٣٠٢٧)، وراجع الإرواء (١٨٢٦ و٢٠٦١)].

(٣) بأن تشكروها.

(٤) العضل: الحبس والتضييق / ١٢، وفي الفتح "فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن": الخطاب في هذه الآية إما أن يكون للأزواج، ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن من الأزواج، بعد انقضاء عدتهن لحمية الجاهلية، كما يقع لكثير من الخلفاء والسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم، لأهم لما نالوه من رياسة الدنيا، وما صاروا إليه من النخوة والكبرياء، يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بنى آدم، إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع، وإما أن يكون الخطاب للأولياء، ويكون معنى إسناد الطلاق أنهم سبب له، بكونهم المزوجين للنساء المطلقات / ١٢ .

لا تمنعوهن^(١) أيها الأولياء، وقيل: الضمير^(٢) للناس كلهم، أى: لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر، ﴿أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أى: الذين كانوا أزواجًا لهن، نزلت فى أخت^(٣) معقل بن يسار، طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، ومعقل منع أن يتزوجها، ﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ﴾ أى: الخطاب والنساء، وهو ظرف لا تعضلوهن أو لأن ينكحن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه الشرع، وهو حال^(٤) عن الفاعل، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: النهى والخطاب لكل أحد^(٥)، أو الكاف مجرد الخطاب دون تعيين المخاطب، أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، يعنى: ما أنزل إليك وقلنا لك ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ﴾^(٦) بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ﴾ أى: ترك العضل، ﴿أَرْكَى﴾: أنفع لكم وأطهر: من دنس الإثم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، النافع^(٧) الصالح، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لقصور علمكم.

(١) قيل: يدل هذا على أن ليس لهن اختيار فى تزويج أنفسهن، بل الاختيار للأولياء وفيه بحث، لأنه يمكن أن الله تعالى منع هذا الظلم والتسلط الذى هو غير الحق/١٢ .

(٢) وعلى هذا لا يكون فى الكلام انتشار الضمائر، فإن خطاب "وإذا طلقتم النساء" لا يصلح للأولياء قطعًا، ويصلح أن يكون للناس، ولهذا قيل: الوجه أن يكون الضمير للناس/١٢ .

(٣) هكذا رواه البخارى والترمذى وابن ماجه وغيرهم / ١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٩)، وفى مواضع آخر من صحيحه].

(٤) قيل: تقديره تراصوا كائنًا بالمعروف / ١٢ .

(٥) نحو ذلك: "خير لكم وأطهر" [المجادلة: ١٢] .

(٦) والمعنى: أن المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره / ١٢ فتح .

(٧) أو معناه: الله يعلم ما فى ذلك من الزكاة والطهر وأنتم لا تعلمونه / ١٢ .

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾^(١) يُرْضِعْنَ﴾، لفظه خير ومعناه أمر، على سبيل الاستحسان، ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ﴾: ستين، ﴿كَامِلِينَ﴾^(٢): تحديداً لا تقريباً ﴿لَمَنْ أَرَادَ﴾، أى: ذلك لمن أراد ﴿أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ فعلم أن أقصى مدتها ستان، ولا اعتبار بالرضاعة بعدها وعليه^(٣) السلف وأنه يجوز أن ينقص عنهما، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أى: الأب، وعبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، أى: على والد الطفل نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ حسبما يراه الحاكم وهو يقدر، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تعليل للتقييد بالمعروف ولإيجاب المؤن، ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾^(٤) بأن تدفعه عن نفسها لمضرة أبيه بتربيته، بل عليها إرضاعه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾، أى: الأب ﴿بِوَلَدِهِ﴾ بأن يتزع عنها إضراراً لها، ولا

(١) ولما كان النكاح قد يكون سبب ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون أجنبية، والزوجة متصلة أو منفصلة، والفراق بالطلاق أكثر منه بالموت وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة اهتماماً بشأن الولد، فقال: "والوالدات يرضعن" الآية/١٢ وجيز .

(٢) تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقي لا تقريبي، وفيه رد على أبي حنيفة في قوله: أن مدة الرضاعة ثلاثون شهراً، وعلى زفر في قوله: أنها ثلاث سنين/١٢ فتح .

(٣) وفي الدارقطني "قال عليه الصلاة والسلام: لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في حولين"/١٢ وجيز [وكذا أخرجه البيهقي في سننه (٤٦٢/٧) وهو صحيح]، وشذت عائشة -رضي الله عنها- من بينهم أن رضاع الكبير يؤثر في التحريم/١٢ منه [كما في صحيح مسلم (٦٣٥/٣) ط الشعب].

(٤) أضاف الولد إلى الأم أولاً، ثم إلى الأب ثانياً، استعطافاً لهما عليه وتبنيهاً على أنه حقيق بأن يتفقا على الإشفاق عليه / وجيز .

"تضار" إلخ تفصيل لما قبله، أى: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ عطف على "وعلى المولود له"، وما بينهما تعليل معترض، أى: وعلى وارث الأب وهو الصبى نفسه، فإنه إذا مات أبوه فمؤن مرضته من ماله إن كان له مال وإلا تجبر الأم، أو المراد وارث الطفل، يعنى إن مات الأب يجبر جميع ورثة الطفل على فرض موته -عصبة كانوا أو غيرهم- على نفقة مرضته، أو يجبر وارث الطفل المحرم منه بحيث لا يجوز النكاح بينهما على تقدير أن يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى لا الجميع، أو عصابات الطفل فقط ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: مثل ما على والده من الإنفاق وعدم الإضرار أو المراد^(١) عدم الإضرار فقط لا الإنفاق، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أى: الأبوان ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا صادرًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما قبل الحولين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فى ذلك ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد فى الفطام ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾: المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: إلى المراضع، ﴿مَّا آتَيْتُمْ﴾، أى: أردتم إتياءه، يعنى: أجرهما، أو إلى الأمهات أجرهن بقدر ما أرضعن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المتعارف شرعاً ومروءة، ونفى الجناح مقيد بالتسليم لأنه شرط جواز الاسترضاع، بل إرشاد إلى أن الأكثر ثواباً أن يكون الاسترضاع مقرونًا بتسليم ما يعطى المرضع، فشبه ما هو من شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة، فاستعيرت^(٢) له العبارة مبالغة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى محافظة حدوده، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، حث

(١) الأول قول الجمهور، والثانى قول مجاهد والشعبى والضحاك / ١٢

منه .

(٢) أى: استعير له العبارة الموضوعية لإفادة التعليق بوصف الصحة اهتمامًا بشأن ذلك الأمر

فافهم / ١٢ منه .

وتهديد، «وَالَّذِينَ^(١) يُتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ»: ويتركون، «أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ»: يحملنها على التوقف، خبر في معنى الأمر، «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^(٢)»،
أى: عشر ليال، وتقديره وأزواج الذين، أو تقديره يتربصن بعدهم، لأنه لا بد من
الضمير في الخبر إذا كان جملة، وخص عنه الحامل لقوله: "وأولات الأحمال
أجلهن" [الطلاق: ٤] إلخ والجمهور على أن عدة الأمة نصفها، «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ»:
انقضت عدتهن، «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ»: أيها الأولياء أو المسلمون، «فِيمَا فَعَلْنَ فِي
أَنْفُسِهِنَّ»: من التعرض للخطاب والترين، «بِالْمَعْرُوفِ»: بوجه لا ينكره الشرع،
«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، فيجازيكم عليه، «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم
بِهِ»، التعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول المحتاج: جئتك
لأسلم عليك، «مِنْ خِطْبَةٍ»، الخطبة بالكسر: طلب المرأة، «النِّسَاءِ»: المعتدات
للوفاة، كقولك: إنك جميلة وإن النساء من حاجتي ونحوه، وحرمة التصريح بخطبتهن،
وأما الرجعية فحرام على غير زوجها التصريح والتعريض، «أَوْ أَكُنْتُم فِي
أَنْفُسِكُمْ»: أضمرتم فيه من غير تصريح ولا تعريض، «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
سَتَذْكُرُونَهُنَّ»، أى: في أنفسكم فرغ عنكم الحرج في ذلك، «وَلَكِنْ»، أى:

- (١) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق، واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، عقب ذلك بذكر عدة الوفاة؛
لأن لا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق، فقال: "والذين يتوفون" الآية / ١٢ فتح .
(٢) قال صاحب البحر: إذا كان المعدود مذكراً، وحذف فالأصل أن يبقى العدد على ما
كان عليه لو لم يحذف المعدود، فيقول: صمت خمسة، أى: خمسة أيام، وهو الفصيح،
ويجوز أن يحذف منه التاء، وتقول: خمساً، ومنه ما في الحديث (ثم أتبعه ستاً من
شوال) [وهو في صحيح مسلم في كتاب الصيام (١١٦٤)]، والتذكير هو الجائز، فجاء
عشراً على أحد الجائزين، وحسنه هنا أنه مقطوع الكلام، فهو شبيه بالفواصل نحو " إن
ليبتنم إلا عشرا" [طه: ١٠٣] وعلى ما قال فلا حاجة إلى تقدير عشر ليال/ ١٢ وجزئ .

فاذكروهن ولكن، ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: بأن^(١) تأخذوا الميثاق عنهن في عدم تزوج غيره، وقال كثير من^(٢) السلف يعني^(٣): الزنا، وقيل^(٤): أن يتزوجها في العدة سرًّا، ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، أى: لا تواعدوهن بشيء إلا بأن تقولوا، أى: بالتعريض، أو لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة وهى التعريض، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا﴾^(٥) عَقْدَةَ النِّكَاحِ، أى: لا تعزموا عقد عقدة النكاح، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: حتى ينتهى ما كتب من العدة، والإجماع على أنه لا يصح العقد فى العدة، وعند مالك أن من تزوج امرأة فى عدة ودخل بها، حرام عليه تلك المرأة بالتأيد، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: من عزم ما لا يجوز، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾: فخافوا الله ولا تعزموا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وبجهم أولاً ثم لم يؤيسهم من رحمة .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ m وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ m

(١) هذا قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ .

(٢) كالحسن البصرى والنخعى وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) أى: المراد من السر الزنا / ١٢ .

(٤) قاله ابن زيد / ١٢ منه .

(٥) أى: لا تقصدوا قصداً جازماً نهي عن العزم ليكون النهى فى الفعل أبلغ، وقدر المضاف

لأن العزم إنما يكون على الفعل لا على نفس العقدة / ١٢ .

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَرْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي نَفْسِنَا مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٨﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٩﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾ * ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أى: لا تبعة من مهر، أو لا وزر لأنه ليس ببدعى، ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾، بتامعوهن، ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: توجبوا لهن صداقًا، ونصب فريضة بمعنى مفروضة على المفعول به، وأو بمعنى إلا أن، أو بمعنى إلى أن، أو بمعنى الواو، يعنى: لا تبعة من مطالبة مهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، ولم يُسَمَّ لها مهرٌ، فإذا كانت ممسوسة فعليه مهر المثل، وإذا كانت غير ممسوسة وسمى لها مهرًا فلها نصف المسمى، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾^(١)، تقديره: فطلقوهن ومتعوهن من مالكم وهى قبل المسيس وتسمية المهر تستحق المتعة فقط إجماعًا، ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾: الغنى، ﴿قَدْرُهُ﴾: ما يقدره ويليق به، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الفقير، ﴿قَدْرُهُ﴾: كذلك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتعًا، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المستحسن شرعًا ومروءة، ﴿حَقًّا﴾، واجبًا صفة متاعًا أو مصدر، ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على من أحسن إلى نفسه أو إلى المطلقات فسامهم بالمحسنين ترغيبًا، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، أى: فلهن أو الواجب لهن، ومنه يؤخذ أنه

(١) ظاهر الأمر للوجوب وضمير هن راجع إلى المطلقات قبل المسيس من غير فرض صداق

لا متعة^(١) حيثذ وأن الجناح المنفى هو تبة المهر، «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ»، على وزن يفعلن، أى: يتركن حقهن، «أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ^(٢)»، المراد الزوج بأن يسوق إليها المهر كلا^(*) فقيل: تسميتها عفواً على المشاكلة، أو لأن المقرر عند العرب سوق المهر إليها حين الزواج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف، فإن لم يسترد فقد عفا عنه، أو المراد الولي، يعنى: إذا كانت بكراً، وإليه ذهب مالك، وقيل: وإن كانت كبيرة، «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»، خطاب للرجال والنساء، «وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»، أى: لا تنسوا أيها الرجال والنساء أن يتفضل بعضكم على بعض، «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»: فلا يضع تفضلكم وإحسانكم، «حَافِظُوا^(٣)»: داوموا، «عَلَى الصَّلَوَاتِ»، ذكرها بين الآيات إشعاراً بألا تلهيكم الأزواج والأولاد عن ذكر الله، «وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى»، صلاة

(١) وما عليه الأكثر أن المتعة عام لكل مطلقة / ١٢ منه .

(٢) روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير، أنه قال -عليه الصلاة والسلام-: "ولى عقدة النكاح الزوج" [وحسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٥٢١/١)] وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى] وهو تفسير على وابن عباس فى إحدى الروايات وأكثر السلف / ١٢ منه .

(*) فى هامش الأصل: (ن) كملا.

(٣) ولما ذكر وفصل وبين أمر الطلاق والرضاع والصدقة والنفقة والإنفاق والتريص والتخلص والخمر والزمر، ثم رجع بعده إلى شيء من أحوال الزوج والزوجات وسط بينهما وصية حفظ الصلاة إشارة إلى ما قال: " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله " [المنافقون: ٩] فعلى أى حال وشغل وشغلكم لا تركوا الصلاة فقال: حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى الآية / ١٢ وجيز .

العصر^(١) وعليه الأكثرون، وأما بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو الصبح لأنها مثل العصر، أو الظهر لأنها في وسط النهار، أو واحدة من الخمسة لا بعينها كليلة القدر، وقيل: المغرب لأنها الوسطى في العدد بين الرباعية والثنائية، وقيل: العشاء لأنها بين جهرتين وقيل: صلاة الجماعة، وقيل: الجمعة، وقيل: العيد، وقيل: الضحى، وقيل: الوتر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢)، أى: خاشعين ذليلين بين يديه والمراد القنوت في الصبح، ﴿فَإِنْ حِفْتُمْ﴾، من عدو أو غيره، ﴿فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا راجلين وراكبين مستقبلي القبلة وغيرها وعند أكثر السلف يومئذ برأسه حيث كان وجهه،

(١) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر" رواه مسلم وغيره بروايات متعددة / ١٢ منه [انظر صحيح مسلم (٢٧٣/٢) ط الشعب]، وذكر في الفتح بعد تصحيح هذا القول، وأما حجج بقية الأقوال فليس فيها شيء مما ينبغى الاشتغال به؛ لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، وبعض القائلين عول على أمر لا يعول عليه، فقال: إنها صلاة كذا لأنها وسطى بالنسبة إلى أن ما قبلها كذا من الصلوات وبعدها كذا من الصلوات، وهذا الرأي المحض والتخمين البحت لا ينبغى أن تستند إليه الأحكام الشرعية، على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكيف مع وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم في علم السنة، وإعراضهم (٢) وقيل: معناه ساكتين قاله السدى ويدل عليه حديث زيد بن أرقم في الصحيحين وغيرهما، قال: كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية "وقوموا لله قانتين" فأمرنا بالسكوت [أخرجه البخارى في التفسير (٤٥٣٤)] فالمتغير هاهنا حمل القنوت على السكوت للحديث المذكور / ١٢ فتح

وفيه^(١) دلالة على جواز الصلاة حال المشى والمضاربة وإن لم يكن الوقوف، ﴿فَإِذَا
 أَمِنْتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، أى:
 فصلوا كما علمكم الله بلسان نبيه ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الأيمن وقيل: إذا
 أمتتم فاشكروا الله واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع،
 ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾، بالنصب أى: يوصون وصية، أو
 كتب الله عليهم وصية، وبالرفع أى: عليهم وصية، أو كتب عليهم وصية، أو حكم
 الذين يتوفون وصية، ﴿لأَزْوَاجِهِمْ﴾: لنسائهم، ﴿مَتَاعًا﴾، ناصبه يوصون، أو وصية
 فى قراءة الرفع على حذف الجار أى: بتمتع، ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾^(٢)، مصدر
 مؤكد لأنه دل يوصون لأزواجهم ما يتمتع به سنة على أفهن لا يخرجن فأكد، أو حال
 من الأزواج^(٣) يعنى وحق المتوفى^(٤) أن يوصوا قبل أن يحتضروا، بأن تمتع أزواجهم
 بعدهم حولاً كاملاً وينفق عليهن من تركته غير مخرجات من مساكنهن^(٥)، وهذا فى
 ابتداء الإسلام ثم نسخت المدة بقوله: أربعة أشهر وعشراً والنفقة بالإرث، هذا ما عليه

(١) عند أبى حنيفة يصلون فى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف / ١٢
 منه .

(٢) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالوا: الآية غير منسوخة، ومعناها: أن للزوجات
 السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن، لا يمنع من ذلك وإذا انقضت عدتهن
 بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل، واخترن الخروج والانتقال من ذلك
 المنزل فلهن الاختيار، وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمه الله عليه / ١٢
 منه .

(٣) أى: غير مخرجات / ١٢ .

(٤) المراد من المتوفى الجنس، فيرجع ضمير الجمع إليه / ١٢ .

(٥) أى: المساكن التى كن فيها حين حياة أزواجهن / ١٢ .

أكثر السلف^(١) فكانت الآية متأخرة في التلاوة متقدمة في التزل، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن منزل الأزواج، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من التطيب وترك الحداد، ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾: مما لم ينكره الشرع، وهذا يدل على أنها كانت مخيرة بين الملازمة فأخذ النفقة وبين الخروج وتركها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: لا يدفعه أحد عن الانتقام، ﴿حَكِيمٌ﴾: يرضى المصالح، ﴿وَاللْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتقون الشرك، لما نزل في المتعة: "حقاً على المحسنين"، قال رجل: إن شئت أحسنت وإن شئت لم أفعل، فترلت، وكثير من العلماء استدلوا بهذه الآية على أن المتعة لكل مطلقة^(٢)، ﴿كَذَلِكَ﴾، مثل أحكام الطلاق والعدة، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: في إحلاله وتحريمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون وتدبرون .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٣﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ

(١) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالوا الآية غير منسوخة ومعناها أن للزوجات السكنى سنة كاملة في بيت أزواجهن ولا يمنع من ذلك، وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل واختزن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلهن الاختيار وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمه الله عليه / ١٢ .

(٢) وهو أحد قولى الشافعى، وقال بعضهم: هو الجديد الصحيح، وأجابوا بأن الآية المتقدمة بعض أفراد العموم فلا تخصيص / ١٢ .

مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢١﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٢﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (١) إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا (٢) مِنْ دِيَارِهِمْ: فراراً من الطاعون، ﴿وَهُمْ أَلُوفٌ﴾: أربعة آلاف، أو ثمانية وأربعون ألفاً والاختلاف كثير، ﴿حَدَرَ الْمَوْتَ﴾،

(١) خطاب عام لكل أحد وإن لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب، دلالة على شيوع القصة وشهرتها، بحيث ينبغي لكل أحد أن يتعجب منها وصلة الرؤية بإلى إن كانت بمعنى الإبصار، فلا اعتبار معنى النظر، وإن كانت إدراكاً بالقلب، فللتضمنين على معنى: ألم ينته علمك إليهم / ١٢ .

(٢) ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء كانوا أهل بلدة في زمن بنى إسرائيل، وعن ابن عباس أن اسم البلدة داوردان من قبل واسط، فلما ماتوا حين فروا من الطاعون مر بهم نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له: حزقيل فدعا الله بإحيائهم فأحياهم / ١٢ منه.

مفعول له، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: في أثناء طريقهم، ﴿مُوتُوا﴾، أي^(١): حكم عليهم بالموت، فماتوا ليعلموا أن لا فرار من قدر الله، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بمعجزة نبي، ثم دعا ربه بعد مدة طويلة أن يحييهم^(٢) وهم قائلون: سبحانك لا إله إلا أنت، وكان فيها عيرة ودليل قاطع على المغاد الجسماني، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث أحياهم ليعتبروا ويصدقوا رسله، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، حيث لم يعتبروا، وكان سوق هذه القضية بعث على الجهاد فلذلك قال ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لما علمتم أنه لا ينفع الفرار من الموت، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله المتخلف، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضره، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾، مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا وإقراض الله مثل^(٣) لتقدم العمل الذى يطلب به ثوابه، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٤)، وهو الإنفاق فى سبيله، ﴿فِيضَاعِفَهُ﴾^(٥) لَهُ أَضْعَافًا، نصب على^(٦) الحال من الضمير المنصوب، أو على المصدر على أن الضعف اسم المصدر، وجمعه للتنويح، ﴿كَثِيرَةً﴾،

(١) وعبر بإماتتهم الله بهذه العبارة دلالة على أن موتهم كان شيئاً بامتنال أمر واحد من أمر مطاع، لا يتوقف فى امتثاله، فيكون دفعة خارجاً عن العادة فى موت الجماعات/١٢.

(٢) أى: فأحياهم وهم قائلون / ١٢ .

(٣) كما مثل بادل المال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء / ١٢ وجزى .

(٤) "قَرْضًا" إما مفعول به، لأنه ما يعطى من المال وكلام الرخصشرى يشعر بهذا، وإما مفعول مطلق، أى: إقراضاً حسناً من طيب نفس وقيل: حال من ثانى مفعولى "يقترض الله"

المخدوف، أى: يقترض شيئاً حال كون الشيء مقرضاً حسناً حلالاً/١٢

(٥) من قرأ "يضاعفه" بفتح الفاء فعلى جواب الاستفهام حملاً على المعنى: فإن "من ذا

الذى يقترض الله" فى معنى أيقترض الله أحداً/١٢ .

(٦) قيل مفعول ثان ليضاعف بتضمين معنى النصير / ١٢ .

عن^(١) ابن عمر لما نزلت " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
 " [البقرة: ٢٦١] الآية، قال عليه السلام: رب زد أمتي، فنزلت " من ذا الذي يقرض
 الله " [البقرة: ٢٦١] إلخ، قال رب زد أمتي فنزلت " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
 حساب " [الزمر: ١٠]، «وَاللَّهُ يَقْبِضُ»: بمسك الرزق، «وَيَبْسُطُ»: يوسع على ما
 أراد فلا تبخلوا، «وَأَلَيْهِ تُرْجَعُونَ»: فيجازيكم على ما قدمتم، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ»،
 أى: الجماعة، «مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ»: وفاة، «مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ»،
 أشمويل، أو شمعون أو يوشع، «ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا»: أئخذ أميرًا لنا للقتال نتتهى إلى
 أمره، «تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» حزمه على الجواب، «قَالَ»: لهم نبينهم، «هَلْ
 عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا»، هو خير عسيتم، والشرط فاصل
 بينهما، يعنى: أتوقع جنبكم عن القتال إن كتب^(٢) عليكم، وأدخل هل مستفهمًا عما
 هو المتوقع عنده تقريرًا وتثبيتًا، «قَالُوا وَمَا لَنَا»، أى: داع لنا، «أَلَّا نُقَاتِلَ»، أى:
 إلى أن نترك القتال، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا»، أى: أخذت
 منا البلاد وسبيت الأولاد «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا»: عن الحرب، «إِلَّا
 قَلِيلًا مِّنْهُمْ»، قيل: ثلاثمائة وثلاثة عشر، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»: فيجازيهم على
 ظلمهم فى ترك الجهاد، «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا»:

(١) رواه ابن أبي حاتم / ١٢ [وذكره الهيثمى فى "المجمع" (١١٢/٣) وعزاه إلى الطبرانى فى

الأوسط وقال: "فيه عيسى بن المسيب".

(٢) يعنى: لما كان المقصود مضمون الخبر، يعنى: أن لا تقاتلوا خير عسيتم كانت القيود من
 الاستفهامية والتوقع، ونحو ذلك عائدة إليه، حتى كأنه حاول إثبات تركهم المقاتلة،
 فقيدته بأنه على سبيل التوقع دون الجزم، ثم بكونه مستفهمًا عنه للتقرير، بل التحقيق أن
 الشرط أيضًا قيد فيه لا فى التوقع/ ١٢ .

أميراً سألتموه للقتال، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: من أين يستأهل الإمارة؟
﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ﴾^(١) أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ، لأنه لم يكن من سبط يهوذا^(*)، والملك كان
في سبطه، قيل: إنه سقاء، وقيل: دباغ، ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِّنَ الْمَالِ﴾، أى: وهو مع هذا
فقير لا مال له يقوم بالملك، ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، أجاب عن
اعتراضهم أولاً بأنه لست أنا الذى عيّته، بل الله أمرنى به، وهو أعلم منكم، وثانياً بقوله،
﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: ووفور العلم وقوة البدن عماد الملك لأنه
أعرف بطرق السياسة ولأنه أقوى على مقاومة العدو، وثالثاً بقوله، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي
مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾، أى: هو مالك الملك، فله أن يؤتیه من يشاء من غير اعتراض عليه،
ورابعاً: بقوله، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: يوسع على الفقير فيغنيه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك
نسيباً أو غيره، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾، لما طلبوا دليلاً على أن الله اصطفى طالوت، ﴿إِنَّ
آيَةَ مَلِكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: صندوق أخذ العمالقة منهم، ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ﴾: وقار^(٢) ورحمة، من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء، فوضع موسى فيه
الألواح^(٣)، وروح من الله إذا اختلفوا في شيء يحيرهم ببيان ما يريدون، وفيه أقوال^(٤)

(١) الواو في "ونحن" حال من ضمير له، والواو في "ولم يؤت" عطف على الجملة الحالية،
ويجوز أن يكون حالاً من ضمير "علينا" لأن "ولم يؤت" لا يصلح أن يكون حالاً منه
والحال ضمير له لا غير لأن "ولم يؤت" حال منه البتة / ١٢ .

(*) في الأصل: يهودا، بالدال.

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة، وقيل في الصندوق: توراته/ ١٢ .

(٣) رواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه / ١٢ .

(٤) فعن علي: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح حفاقة، أى: مصوتة أو شيء يشبه
الهرة، وكانوا إذا سمعوا تيقنوا بالنصر/ ١٢ منه، أقول هذه التفسير المتناقضة لعلها وصلت
إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمعهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب =

آخر ، وفي الجملة في أى مكان كان فيه تطمئن القلوب، ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ (١) مِمَّا تَرَكَ (٢) آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴿عَصَاهُ﴾ (٣) ورضاض الألواح والتوراة، وقيل: ثياب هارون وقفيز من المن، ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض، حتى وضعته بين يدي طالوت، والناس ينظرون، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، أى: رجوع التابوت،

= بالمسلمين والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً، وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، وهكذا كل منقول عن بنى إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا رأياً رآه قائله فهم أحمل قدراً عن التفسير بالرأى، وبما لا مجال للاجتهاد فيه، إذا تقرر ذلك، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، لوجب علينا المصير إليه، والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن، كما في صحيح مسلم عن البراء بن عازب، قال: "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل الفرس ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة نزلت للقرآن" [ظاهر هذا العزو يشعر بأن مسلماً أخرجه دون البخارى، وهذا غير صحيح، فقد أخرجه البخارى في "فضائل القرآن" (٥٠١١)، ومسلم في صلاة المسافرين] وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ، فالله أعلم، فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة/م.

(١) لم يعين الله البقية والاختلاف كثير / ١٢ وجيز .

(٢) أراد من آلها الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، أو الآل مقحم زيد لتفخيم شأنهما/ ١٢ .

(٣) الأول لابن عباس، والثاني لقتادة وعكرمة والسدي/ ١٢ .

﴿لَايَةٌ لَّكُمْ﴾: علامة لصدقي في اصطفاؤه، ﴿إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين، وهذا من تمة كلام ذلك النبي عليه السلام، وجاز أن يكون ابتداء خطاب من الله .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٧﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤٩﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفاً، ﴿قَالَ﴾، لهم طالوت، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: يعاملكم معاملة المختبر، ﴿بِنَهَرٍ﴾: هو بين الأردن وفلسطين، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾، أى: شرب بفيه من النهر، ﴿فَلَيْسَ

مِنِّي: ليس من أشياعى فلا يصحبنى، **﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**، من طعم
الشيء، إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً، **﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾**، استثناء منقطع^(١)
من قوله فمن شرب، **﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾**، أى: وقع أكثرهم فى النهر
وكرعوا إلا قليلاً، أو أفرطوا إلا قليلاً، فإنه أيام الحر فكان من اغترف روى، ومن
شرب منه لم يرو، والقليل ثلاث مائة وبضعة عشر، أو أربعة آلاف من ثمانين ألفاً،
﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾، أى: النهر، **﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾**، أى: القليل الذى لم يخالفوه،
﴿قَالُوا﴾: بعضهم لبعض، أو ضمير قالوا للذين خالفوا وشربوا، **﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾**: لكثرتهم وقتلتنا، **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾**: يعلمون، **﴿أَنَّهُمْ مُّلاقُوا
اللَّهِ﴾**: يتقنوا لقاءه وثوابه، وهم العلماء من القليل، ومن قال ضمير قالوا للذين
خالفوا، يقول: المراد من الذين يظنون، هم القليل بجملتهم، فهم والكثيرون تقاؤلو
بذلك والنهر بينهما، **﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾**: فرقة، وكم خيرية، أو استفهامية، ومن زائدة أو
مبينة، **﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾**: بحكمه وأمره، **﴿وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾**: بالنصر والإثابة، **﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾**: ظهوروا ودنوا، **﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾**: أصب وأنزل، **﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا﴾**: بتقوية قلوبنا،
﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ﴾: كسروهم، **﴿يَأْذِنُ اللَّهُ﴾**: بقضائه
ونصره، **﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾**، كان فى عسكر طالوت، وقد وعده إن قتل
جالوت أن يزوجه ابنته ويشركه فى أمره ونعمته، فوفى بوعده، ثم آل الأمر إلى داود،
﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: ملك بنى إسرائيل، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: النبوة، **﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا
يَشَاءُ﴾**، من صنعة الدروع ومنطق الطير، **﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾**،

(١) لأن من اغترف ليس ممن شرب بمعنى كرع ولا ممن أفرط / ١٢ .

كما دفع العمالقة بجنود طالوت، ﴿لَفَسَدَتِ^(١) الْأَرْضُ﴾: بغلبة الكفار، أو بشؤمهم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: فيدفع عنهم ببعضهم بعضاً، ﴿تِلْكَ﴾، إشارة إلى حديث الألوף، والتابوت، وطالوت وجالوت، ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَأَتَىكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ومنها يعلم رسالتك، حيث تخبر بها عن تلك المغيبات من غير أن تقرأ وتسمع، أو إنك منهم، فلا بد أن تصر كما صبروا، ﴿تِلْكَ^(٢) الرُّسُلُ﴾: المذكورة قصصهم، أو اللام للاستغراق، ﴿فَضَّلْنَا^(٣) بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، بأن خصصناه بمنقبة، وإن استووا في

(١) يعنى بفساد الأرض، إما فساد الكفار وقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضى إلى خرابها، وإما إهلاك أهلها بالكلية لشؤم عموم الكفر وظهوره / ١٢ .

(٢) أي : تلك الرسل التي ثبت علمهم عندك / ١٢ .

(٣) اعلم أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين حديث الصحيحين، عن أبي هريرة مرفوعاً "لا تفضلوني على الأنبياء"، وفي لفظ: "لا تخيروا بين الأنبياء" فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى، وليست معلومة عندنا، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له، وهو ممنوع منه، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرض للجمع بينهما زاعماً أنهما متعارضان فقد غلط غلطاً بيناً / ١٢ فتح .

القيام بالرسالة ، ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: هو موسى كلمه في الطور ، قيل : هو
 ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلمه ليلة المعراج ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ، أي:
 محمداً عليه الصلاة والسلام ، فخواصه أكثر، وأهمه^(١) لأنه متعين الرجحان ، وقيل:
 إبراهيم ، وقيل: إدريس ، وقيل أولو العزم ، ﴿وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ﴾:
 الحجج القواطع ، خصه بالذكر لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه ،
 ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٢): بجزيل عليه السلام ، كان يسير معه حيث سار ،
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، هداية الناس واتفاقهم ، ﴿مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد

(١) ولا يخف أنك أن الله سبحانه أهم هذا البعض المرفوع ، فلا يجوز لنا التعرض للبيان له إلا
 ببرهان من الله سبحانه أو من نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو ما يرشد إلى ذلك ،
 فالتعرض لبيانه هو من تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي ، وقد عرفت ما فيه من
 الوعيد الشديد ، مع كون ذلك ذريعة إلى التفضيل بين الأنبياء ، وقد نهينا عنه ، وقد
 حزم كثير من أئمة التفسير أنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأطالوا في ذلك واستدلوا بما
 خصه الله به من المعجزات ومزايا الكمال وخصال الفضل ، وهم بهذا الحزم بدليل لا
 يدل على المطلوب ، وقد وقعوا في خطرين وارتكبوا نهين ، وهما تفسير القرآن بالرأي ،
 والدخول في ذرائع التفضيل بين الأنبياء ، إن لم يكن ذلك تفضيلاً صريحاً فهو ذريعة
 إليه بلا شك وشبهة لأن من حزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي الفلاني
 انتقل من ذلك إلى التفضيل المنهي عنه ، وقد أغنى الله نبينا المصطفى صلى الله عليه
 وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من الفضائل والفواضل ، فإياك أن تقترب إليه
 صلى الله عليه وسلم بالدخول في أبواب هناك عن دخولها ، فتعصيه وتسيء وأنت تظن
 أنك مطيع محسن / ١٢ فتح .

(٢) قد فسرنا من قبل روح القدس بمعان مختلفة ، فما أعدنا إلا الأصح / ١٢ منه ، وقد
 ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة ، وورد في ذلك أحاديث
 صحاح / ١٢ .

الرسول ، فلا يختلفون في الدين ، ولا يكفر بعضهم بعضاً ، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ﴾ : الواضحات ، ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ عَامِنٌ﴾ : ثبت على الإيمان
 بتوفيقه ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ : كالنصارى ، صاروا فرقاً وتجاربوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 مَا اقْتَتَلُوا﴾ ، كرره تأكيداً ليعلم كل أحد أنه من عند الله لا من عند أنفسهم ،
 ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق بعضهم فضلاً ، ويخذل بعضهم عدلاً .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ
 وَلَا خِئْلَةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
 الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
 مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٢٥﴾﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ
 يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ
 لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
 الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا﴾^(١) الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، أراد الزكاة المفروضة ، أو الإنفاق
 في سبيل الخير مطلقاً ، ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ﴾ ، فتحصلون ما تنفقونه ،

(١) ولما ذكر دفع الله الناس بعضهم ببعض ، والدفع لا بد له من إنفاق فحرض المؤمنين
 عليه ، فقال : " يأبها الذين آمنوا أنفقوا " الآية / ١٢ و جيز .

أو تفتدون به من العذاب ، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ، حتى يعينكم ، "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" (الزخرف: ٦٧) ، ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ ، حتى تتكلموا على شفعاء ، إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا ، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، قيل: وضع الكافرون موضع التاركون للزكاة تغليظاً ، ويمكن أن يكون المراد منه : والكافرون هم الذين يضعون الأشياء غير موضعها ، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم ، في ألا تنفقوا ، فتضعوا أموالكم غير موضعها ، ﴿اللَّهُ^(١) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ : هو المتفرد بالألوهية للكائنات ، ﴿الْحَيُّ﴾ : في نفسه لا يموت أبداً ، ﴿الْقَيُّومُ﴾ : دائم القيام بتدبير الخلق ، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ : فتور يتقدم النوم ، أي : لا تأخذه سنة بلا نوم ، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ : فلا يستغني ذكر أحدهما عن الآخر ، وفي تقدم السنة مراعاة ترتيب الوجود ، وهو كالميلين^(٢) للحي القيوم^(٣) ، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ : ملكاً وخلقاً ، تقرير لقيوميته ، وتفرد بالألوهية ، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ^(٤)﴾ ، يبين

(١) ولما ذكر اختلاف العباد في الانقياد والعباد ، واعتماد بعضهم على شفاعة الآباء ، بين لهم أنه متفرد بالألوهية ، وهو المدير القائم على كل شيء ، لا حراك لأحد إلا بإرادته ، وهو العالم بذرات العالم من الجواهر والأعراض والمقاصد والأغراض فقال : " الله لا إله إلا هو " / ١٢ وجيز .

(٢) لأن من جاز عليه النوم ، جاز عليه الموت ، فلا يكون حياً ولا يكون قيوماً / ١٢ منه .

(٣) فلهذا لم يأت بينهما بالعاطف / ١٢ .

(٤) وفيه من الدفع في صدور عبّاد القبور ، والصك في وجوههم ، والفت في أعضادهم ما لا يقادر قدره ، ولا يبلغ مداه ، والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالى : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " (الأنبياء: ٢٨) ، وقوله تعالى : " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " (النجم: ٢٦) ، وقوله تعالى : " لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن " (النبأ: ٣٨) بدرجات كثيرة / ١٢ .

لعظمته وجلاله ، ونفي لزعم الكفار أن الأصنام شفعاء ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما قبلهم ، أو أمور الدنيا ، أو ما يعلمون ، أو ما حضر عندهم ، والضمير لما في السموات وما في الأرض ، فإن فيهم العقلاء ، ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ ، ما بعدهم ، أو أمور الآخرة ، أو ما لا يعلمون ، أو ما غاب عنهم ، ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ : من معلوماته ، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ : أن يعلموا ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، الكرسي : العلم^(١) ، أو الكرسي المشهور^(٢) وهو يدل على عظمته ، وقيل : هو الملك

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وروى عن سعيد بن جبير مثله / ١٢ .

(٢) قوله : أو الكرسي المشهور ، أي : الذي هو تحت العرش ، روى الحاكم وصححه ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي ، أنه عليه الصلاة والسلام "قال : والذي نفسي بيده ما السماوات السبع عند الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" / ١٢ منه ، وفي الفتح ، والظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطئوا في ذلك خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً ، وما قال التفتازاني والبيضاوي : إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق ولا كرسي في الحقيقة ، ولا قاعد وهو تمثيل مجرد - فقول باطل ، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا بمجرد خيالات تتسبب عن جهالات وضلالات عن الفلاسفة أقماهم الله تعالى . انتهى . وفي الدر المنثور للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله (١/٥٨٠) . أخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في الصفات ، والطبراني وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، والبيهقي ، والخطيب عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن أبي موسى الأشعري قال : الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرجل ، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي عاصم ، في السنة والبراز وأبو يعلى وابن جرير ، وأبو الشيخ في العظمة ، والطبراني وابن مردويه عن عمر قال : "أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإن له أطيطاً كأطيط الرجل الجديد إذا

= ركب من ثقله ، ما يفضل منه أربع أصابع" انتهى/ ١٢ [حديث عمر هذا قال عنه الشيخ الألباني: منكر، راجع كلامه في الضعيفة] ، (وعلمه التأويل وفقهه في الدين أمين) [وقعت هذه العبارة هكذا في الأصل] ، وفي كتاب العرش للحافظ الذهبي بعد نقله حديث عمر هذا ، هذا حديث محفوظ عن أبي إسحاق السبيعي إمام الكوفيين في وقته ، سمع من غير واحد من الصحابة وأخرجوا حديثه في الصحيحين ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة، تفرد بهذا الحديث عن عبد الله بن خليفة من قدماء التابعين ، لا نعلم حاله بجرح ولا تعديل ، لكن هذا الحديث حدث به أبو إسحاق السبيعي مقرأً له كغيره من أحاديث الصفات ، وحدث به كذلك سفیان الثوري ، وحدث به أبو أحمد الزبيري ، ويحيى بن أبي بكر ووكيع عن إسرائيل ، وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة والرد على الجهمية له عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفیان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه ، ولفظه : إذا جلس الرب على الكرسي سمع له أطيظاً كأطيظ الرجل الجديد ، ورواه أيضاً عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه : إذا جلس الرب على الكرسي ، فاقشعر رجل، سماه أبي، عند وكيع فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونها ، قلت : وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين ، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في صحيحه ، وهو من شرط ابن حبان ، فلا أدري أخرجه أم لا فإن عنده أن العدل الحافظ إذا حدث عن رجل لم يعرف بجرح فإن ذلك إسناد صحيح ، فإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والأعمش وإسرائيل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزبيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم، ممن يطول ذكرهم وعددهم، الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى - قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ، ولم ينكروه ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحلق عليهم ، بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله عز وجل ، قال الإمام أحمد: لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنت وإن نبت عنه الأسماع ، فانظر إلى وكيع بسن الجراح =

والسلطنة ، ﴿وَلَا يُؤُودُهُ﴾ ، لا يتقلها* ، ﴿حَفِظْهُمَا﴾: السموات والأرض ،
والإضافة إلى المفعول ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾^(١): ذاتا وقدراً وقهراً، المتعالي عن الأنداد ،

= الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله ، وكان يشبهه به في سمته وهديه ، كيف
أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وتذكر ما حفظ عن
الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم بأن الله في السماء على العرش ، وذلك في حكم
الأحاديث المرفوعة، لأنهم رضي الله عنهم لم يقولوا شيئاً من ذلك، وقد أخذوه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لا مساع لهم في الاجتهاد في ذلك ، ولا أن
يقولوه بأرائهم ، وإنما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنه قول أبي بكر
الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم: من كان يعبد محمداً فإنه قد
مات ، ومن كان يعبد الله الذي في السماء فإنه حي لا يموت ، أخرجه هكذا الدارمي
بإسناد صحيح والبخاري في تاريخه من حديث نافع وأطال بذكر أقواله الخلفاء الأربعة
خصوصاً وسائر الصحابة عموماً/ ١٢ .

(*) كذا في الأصل وعليه فالضمير يعود على العظمة، وهذا غير صحيح إذ الضمير في " ولا
يؤده" المقصود به الله تعالى.

(١) الرفيع فوق خلقه ، المتعالي عن الأنداد والأشباه ، قاله البغوي ، قال العلامة بن القيم في
كتابه زاد المعاد : من ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وأن نسبة
ذاته تعالى إلى عرشه كنسبته إلى أسفل السافلين فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن بأنه
أسفل كما هو أعلى ، ومن قال: سبحان ربي الأسفل كما قال: سبحان ربي الأعلى ،
فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ، أو وصف به
رسوله [وقع في هامش الأصل هاهنا: أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، أو وصف به
رسوله] فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن به أن أحداً يشفع عنده بغير إذنه ، وأن بينه
وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه ، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون
بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجاتهم إليه
سبحانه وتعالى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه / ١٢ .

﴿الْعَظِيمُ﴾^(١): كل شيء دونه حقير ، ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾^(٢) فِي الدِّينِ ، نزلت في رجل مسلم له ابنان نصرانيان أراد إكراههما لدخولهما في الإسلام ، فالحكم خاص بأهل الكتاب ، أو منسوخ بآية القتال ، وهو خير بمعنى الأمر ، وقيل : خير حقيقة ، إذ الإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً ، لكن قد تميز الإيمان من الكفر بالحجج والآيات ، فلا يحتاج إلى الإكراه ، ولهذا قال : ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ : بالشيطان ، ﴿وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ : طلب الإمساك من نفسه أو تمسك ، ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ : من الحبل الوثيق المحكم ، ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ : المأمون من الإنقطاع ، وهو الإيمان ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ : بالأقوال ، ﴿عَلَيْمٌ﴾ : بالنيات ، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : ناصرهم ، ومتولى أمورهم ، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ : الجهل ، وهو أجناس كثيرة ، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ : الهدى والعلم ، وهو واحد ، والجملة خير بعد خير أو حال ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ : الشياطين يتولون أمورهم ويزينون الجهل لهم ، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ : الفطرى ، أو لما كان سبباً لعدم إيمانهم كأنه أخرجهم ، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، وعيد وتحذير .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

(١) الكبير الذي لا شيء أعظم منه / ١٢ معالم .

(٢) ولما أوضح الدلائل للعالم وللجاهل صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف إلى إكراه فيه ، فقال : " ٧ إكراه في الدين " جملة خبرية صورة ومعنى يدل عليه قوله : " قد تبين

الرشد من الغي " الآية / ١٢ وجيز .

فَأْتَى اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْوِيلَهُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (١) إِلَى الَّذِي حَاجَّ: جادل، تعجب من حماقة نمrod ، ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ عَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ ، أي : لأن آتاه ، يعني : بطر الملك حمله على ذلك ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ، ظرف لحاج ، ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، أي : الدليل على وجوده حدوث الأشياء بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، فإنه يدل على وجود فاعل مختار ، ﴿قَالَ﴾: الذي حاج ، ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: بالعبث عن القتل والقتل*) ، أو

(١) ولما بين أن الدين واضح بحيث لا احتياج فيه إلى إكراه ، وأن متولي أمور المؤمنين هو الله ، ومتولي أمور الكافرين الطاغوت -عقبه بالحكايتين والآيتين للتعجب عن حماقة نمrod الذي تولاه الطاغوت ، وإبراهيم الذي ربه رب السموات والأرض، ولتوضيح البعث والنشور ، فقال : " ألم تر إلى الذي حاج " الآية / ١٢ و جيز .
 (٥) يعني بأنا أحيي: العفو عن القتل، وأميت: والقتل.

قاله عناداً ومكابرة ، وأوهم أنه الفاعل لذلك ، وهذا القول أظهر ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، أي : إذا كنت كما ادعيت^(٢) من الإمامة والإحياء فمن هذا صفته هو المتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير الكواكب وحركاتها ، وهذه الكواكب تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلهاً تحيي وتميت فأت بها من المغرب ! ، ﴿فَبُهِتَ^(٣) الَّذِي كَفَرَ﴾ : أحرس في هذا المقام ، وصار مبهوتاً مغلوباً ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ : الذين ظلموا أنفسهم بالاتباع عن الحق ، قيل : لا يهديهم محجة الاحتجاج ، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ، الأول في قوة قوله : أرأيت مثل الذي حاج ، فعطف عليه بقوله : " أو كالذي " ، وقيل : الكاف مزيدة والمر عزير ، أو الخضر^(٤) ، أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس ، حين خربه بختنصر ، ﴿وَوَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ : ساقطة على سقفها ، أي : حرت سقفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ، أو من حوى إذا خلا ، أي : خالية مع سلامة عروشها ، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ : استبعاداً لتعميرها بعد شدة خرابها ، والظاهر أن المراد به أهل القرية ، فيكون استعظاماً لإحيائها ، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ ، أي : فألبثه مئتيًا مائة عام ، أراه آية في نفسه ، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ : بالإحياء ، ﴿قَالَ﴾ : الله له بواسطة ملك ، أو بلا واسطة ، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ

(١) ذكر السدي ، أن هذه المناظرة كانت بينهما بعد أن خرج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع به إلا في ذلك اليوم / ١٢ منه .

(٢) اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير ، إنه انتقال من دليل إلى أوضح منه ، بل من الثاني على ما قررنا يعلم بطلان الأول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) وقال : إن هذا إنسان مجنون فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على أهلكم فكسرها ، وأن النار لم تأكله ، وخشي أن يفتضح في قومه / ١٢ در منشور .

(٤) منقول عن وهب بن منبه / ١٢ منه .

قَالَ لَبِثُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، كقول الطان ، ﴿ قَالَ بَل لَّبِثَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾ ، ذكر أن معه عنبًا وتينًا وعصيرًا ، فالطعام الأولان ، والشراب الأخير ، ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ : لم يتغير لا العنب والتين تعفنا ، ولا العصير استحال ، أفرد الضمير ، لأهما كجنس واحد ، ﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ ، كيف تفتت عظامه ، حتى تعلم مكثك مائة سنة ، ﴿ وَلَنَجْعَلَكَ عَايَةً لِلنَّاسِ ﴾ ، أي : فعلنا ذلك لنجعلك ، وقيل عطف على مقدر ، أي : فعلنا ذلك ليزداد بصيرتك ولنجعلك ، قيل : كان هو أسود الشعر وبنو بنيه شيب ، ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴾ : عظام الحمار ، ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ : نحياها ، أو نرفعها ، فركب بعضها على بعض ، والجملة حال من العظام ، وكيف منصوب بنشزها ، ﴿ ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ : ما أشكل عليه ، قيل : تقديره لما تبين له أن الله على كل شيء قدير ، ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ففاعل تبين مضمرة يفسره ما بعده ، أي : صار العلم عينًا بعدما كان غيبًا ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ، ذكروا السؤاله أسبابًا منها ، أنه لما قال لنمورد : ربي الذي يحيي ويميت ، أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، ومنها أنه رأى جيفة أكلتها السباع والطيور فسأل ، ﴿ قَالَ ﴾ : الله ، ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ : بأبي قادر على الإحياء ، قال له ذلك ليحيب بما أجاب ، فيعلم الناس غرضه ، أي : أنتكر ولم تؤمن؟ ، ﴿ قَالَ بَلَى ﴾ ، آمنت ، ﴿ وَلَكِن ﴾ ، سألت ، ﴿ لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي ﴾ ، بالمعينة ، ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ ، اختلفوا في أنها ما هي ، قيل : غرنوق وطاوس وديك وحمامة ، ﴿ فَصُرْهُنَّ^(١) إِلَيْكَ ﴾ ، أي : قطعهن منضمت إليك ، أو اضممهن إليك لتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء ، ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ ﴾ : من الجبال التي بحضرتك ، وكانت أربعة أو سبعة ، ﴿ مِّنْهُنَّ

(١) صرت الشيء: قطعته وفصلته / ١٢ منه .

جُرْعًا ، تقديره على المعنى الثاني: فصرهن وجزئهن، ثم اجعل إلخ ، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾: قل تعالين ، ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾: ساعات مسرعات ، أمر بخلط ريشها ولحومها ففعل ، وأمسك رؤوسها ثم دعاهن فجعلت أجزاءهن يطير بعضها ببعض، حتى اتصلت ثم أسرعن إلى رءوسهن ، ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٧﴾ * قَوْلٌ مُّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٩﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْبِهًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصْبَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿مَثَلٌ^(١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعته أو الجهاد أو هو والحج ، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ حث على الخير بعد أدلة التوحيد ، وتقديره: مثل نفقتهم كمثل ، أو مثلهم كمثل باذر حبة ، ﴿أَثْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُتْبَلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ^(٢)﴾ أي : يخرج منها ساق له سبع شعب لكل منها سنبله فيها مائة حبة ، وهذا تمثيل لا يجب وجوده ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾: تلك المضاعفة ، أو على تلك المضاعفة ويزيد عليها ﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾ ، بحسب الإخلاص ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا يضيق عليه الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾: بقدر الإنفاق ونياتهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ^(٣) أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾: لا بقول ولا بفعل على من أعطوه ﴿وَلَا أَدَى^(٤)﴾: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً ، ثم للفتاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَهُمْ^(٥) أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بلا منة أحد ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من أهوال القيامة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، على ما فات منهم ، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلام

(١) ولما ذكر قصتين هما أدل دليل على البعث، أخذ يبين ما ينتفع به يوم البعث ، وفيه أيضاً ما يدل على البعث ، فقال : " مثل الذين ينفقون " الآية / ١٢ وجزير .

(٢) وهذا العدد يوجد في الذرة / ١٢ وجزير .

(٣) ولما بين مضاعفة الإنفاق لمن يشاء وأهمه، بين نوع تبين لمن يشاء فقال : " الذين ينفقون أموالهم " / ١٢ .

(٤) والأذى شامل لـ "المن" حصصه أولاً ، لأنه كثير الوقوع ، والمن من الكبائر ، ففي مسلم : " أن المان أحد من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم " [أخرجه مسلم في "الإيمان" ، (٣٠٤/١)] ، ومن الأذى أن تقول : ما أشد إلحاحك ، وخلصنا الله منك / ١٢ وجزير .

(٥) قيل : ترك الفاء في الخبر مع أن المبتدأ متضمن للمعنى الشرط ، لإيهام أنهم أهل لذلك ، وإن لم يفعلوا ، فكيف بهم إذا فعلوا ؟ / ١٢ .

حسن ورد جميل ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عفو عن ظلم ، أو تجاوز عن استطالة السائل ، ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاق كل منفق ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل في العقوبة ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا﴾ ، ثواب ﴿صَدَقَاتِكُمْ﴾^(١) بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾ ، أي : كإبطال^(٢) المنافق الذي ينفق ، ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ ، نصب على المفعول له^(٣) أي : كمن يتصدق لأجل مدحة الناس وشهرته بالصفات الجميلة ، مظهرًا أنه يريد وجه الله ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل المرائي ، أو مثل من أتبع إنفاقه منًا أو أذى ، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾: حجر أملس ، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابُهُ وَابِلٌ﴾: مطر كبير القطر ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أملس نقيًا من التراب ، كذلك أعمال المرائين تضحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال مما يرى الناس كالتراب ﴿لَا يَقْدَرُونَ﴾ ، الضمير للذي ينفق ، باعتبار المعنى فإنهم كثيرون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ، لا ينتفعون بما فعلوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ، الخير وفيه إيماء إلى أن الرياء من صفة الكفار ، فعلى المؤمن أن يحذر عنها ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: تصديقًا وبيقنًا من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على ذلك ، أو يشنون أين يضعون صدقاتهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾^(٤) ، أي : مثلهم في الزكاء كمثل بستان ، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بموضع مرتفع ،

(١) نصح المؤمنين عناية وإحسانًا بأنواع من العبارات الرادعة من تلك الخصلة الرديئة والفعلة القبيحة / ١٢ وجز .

(٢) على هذا التفسير : الكاف في موضع المفعول المطلق على حذف المضاف ، وقيل : جاز أن يكون حالاً من فاعل " لا تبطلوا " بلا حذف / ١٢ منه .

(٣) وقيل : على الحال ، أي : مرآيًا / ١٢ منه

(٤) مثل حالهم بحال الجنة ، في أن نفقتهم كثرت أو قلت زاكية ، كما أن الجنة يضعف ثمرها قوى المطر أو ضعف ، فلوحظ الشبه فيما بين المفردات ، فلا يلزمنا حذف في =

زاد ابن عباس والضحاك: فيها الأنهار ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد ﴿فَنَاتَتْ﴾: أعطت ، ﴿أَكَلَهَا﴾: ثمرتها ، ﴿ضَعِيفِينَ﴾ ، بالنسبة إلى غيرها من البساتين ﴿فَإِنْ لَمْ يُصَبِّهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي : فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر ، يعني : نفقاهم زاكية عند الله ، وإن كانت تتفاوت بسبب أحوالهم ، كما أن الجنة تثمر قلَّ المطر أو كثر ، أو يضعف ثواب صدقاتهم قلَّت النفقة أو كثرت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص ﴿أَيُّودٌ﴾ ، الهزمة للإنكار ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ^(١) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، هما لما كان أشرف وأنفع الأشجار جعل الجنة منهما تغليبا لهما ، ثم ذكر سائر الأشجار ليدل على التغليب ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: كبر السن ، فإن الفقر فيه أصعب ، والواو للحال^(٢) بتقدير: قد ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: صغار ونسوان ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ، فصار أحوج ما كان إليها عند الشيخوخة وكثرة ضعاف الأولاد ، والمثل لرجل^(٣) غني يعمل بطاعة الله ، ثم نکص على عقبه فعمل آخر عمره بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله ، أو للمنافق^(٤) والمرائي

= الكلام أو تشبيه لحال النفقة حال الجنة ، في كونها زاكية ، كيف ما كانت الحال ، فاحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف ، أي : مثل نفقة هؤلاء كمثل جنة/١٢ منه .
(١) كأنه ليس في البستان إلا هذان النوعان من الأشجار ، وهما الأصل والباقي كالفرع فافهم/١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون عطفاً على "تكون له جنة" ، لأن أن المصدرية دخلت عليه ، فصارت للاستقبال ، فلا يجوز عطف الماضي عليه ، فلهذا قلنا: الواو للحال/١٢ منه .

(٣) هكذا رواه البخاري عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم / ١٢. [صحيح البخاري

كتاب التفسير (٤٥٣٨)]

(٤) وهذا منقول عن الحسن ، ومروى عن ابن عباس أيضاً / ١٢ منه .

فإنهم إذا ماتوا واحتاجوا غاية الاحتياج إلى أعمالهم، فقدوها بمرّة ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ، لكي تفكروا فاعتبروا .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٨٠﴾ إِنْ تُبَدُّوا إِلَى الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِعَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾: تصدقوا ، ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(١): حلاله وخياره ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ، أي : من طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن ، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: لا تقصدوا الرديء^(٢) ، ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾^(٣) ، حال من الفاعل ، أو من المفعول ، ومنه متعلق به ، والضمير للخبيث ، أي تخصونه بالإنفاق ، أو منه حال من الخبيث ، والضمير للمال ، كانت^(٤) الأنصار يعلقون أقناء البسر على حبل في مسجد المدينة للفقراء ، فعمد الرجل منهم إلى الحشف ، فأدخله مع أقناء البسر ، فأنزل الله فيمن فعله "ولا تيمموا" إلخ ، ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ ، أي : والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ، إلا^(٥)

- (١) قيل: فيه دليل على إباحة الكسب ، وفي الحديث عن المقدم "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أكل أحد طعاماً، خيراً من أن يأكل من عمل يده"، أخرجه البخاري/ ١٢ فتح . [في "البيوع"، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٢٠٧٢)]
- (٢) روى الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : "لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيتقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يحو السيئ بالسيئ ، ولكن يحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يحو الخبيث" / ١٢ منه . [أخرجه أحمد (٣٨٧/١) وضعف سنده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٦٧٢)، وكذا الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع (١٦٢٥)].
- (٣) أي : لا تقصدوا المال الرديء ، و في الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث ، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة ، وذهب آخرون إلى أنها تعم الفرض والتطوع ، وهو الظاهر / ١٢ فتح .
- (٤) رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والترمذي والحاكم في مستدرکه وقال صحيح على شرط مسلم / ١٢ . [وهو كما قال، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩)]
- (٥) إشارة إلى أنه حذف الجار ، وهو متعلق بأخذه ، على معنى : لا تأخذونه بوجه من الوجوه إلا بالإغماض والتسامح / ١٢ منه .

ياغماض بصر ومساهلة ، فلا تجوزوا في حق الله ما لا تجوزون في حقوقكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١) معناه : لو كان لكم على أحد حق ، فجاء بحق دون حقكم ، لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ ، عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ ، بقبوله وإثابته ، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ : يخوفكم الفقر لتبخلوا ولا تنفقوا في مرضات الله ، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ : بالبخل ، أو المعاصي مطلقاً ، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ ، الوعد للخير والشر ، أي : يعدكم^(٢) جزاء إنفاقكم مغفرة ذنوبكم ، ﴿وَفَضْلًا﴾ ، خلفاً^(٣) أفضل مما أنفقتم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ : واسع الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ : بالإنفاق ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾^(٤) : تفسير القرآن ، أو الإصابة في القول ، أو خشية الله ، أو الفهم ، أو السنة ، أو الفقه في الدين ، أو العقل ، أو النبوة^(٥) ، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ، مفعول أول ، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ، في الحديث^(٦) "لا حسد إلا في

(١) فعلى هذا معناه : إلا أن تغوروا فيه وتفتشوا عن حاله ، يقال : مسألة غامضة ، أي : غير واضحة المعنى تطب الغور والتأمل / ١٢ منه .

(٢) قال الفراء : وعدته خيراً وشرّاً ، فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا : في الخير الوعد والعدة ، وفي الشر الإيعاد والوعيد / ١٢ .

(٣) في الآخرة ، أو في الدنيا ، والخلف : العوض / ١٢ .

(٤) ولما حث على الإنفاق عن الطيب والاجتناب عن الخبيث ، وعدم الخشية عن الفقر والرجاء بالمغفرة والفضل وعدم اتباع المن والأذى ، حرض عبيده على قبول ما حث عليه بمدح العلم والعمل ، فقال : " يؤتي الحكمة " الآية / ١٢ .

(٥) الأول : لابن عباس ، والثاني : لمجاهد ، والثالث : لابن مسعود وأبي العالية ، والرابع : للنخعي ، والخامس : لابن مالك ، والسادس : لمالك ، والسابع : لزيد بن أسلم ، والثامن : للسدي / ١٢ منه .

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما / ١٢ . [أخرجه البخاري في "العلم" ، ومسلم في

"صلاة المسافرين"]

اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها" ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ : ما يتعظ بالآيات ، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَبْيَابِ﴾ : ذوو العقول ، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ ، قليلة أو كثيرة ، حق أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ ، في طاعة ، أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ، فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ : الذين يضعون المال في غير موضعه ، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ : ينصرونهم ويمنعونهم من العقوبة ، ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا^(١) هِيَ﴾ : إن أظهرتموها فنعيم شيئاً إبداءها ﴿وَأِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْثَرُوهَا الْفُقَرَاءُ﴾ ، تعطوها مع إخفائها ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : إخفائها ، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ، والآية عامة في كل صدقة ، لكن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن السر في التطوع أفضل من العلانية بسبعين ضعفاً ، وصدقة الفريضة علانيتيها أفضل بخمسة وعشرين ضعفاً ، ﴿وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ﴾ أي : الله ، أو الإخفاء ، ومن قرأ مجزوماً فهو عطف على محل جواب الشرط ﴿مَنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ، "من" للتبويض^(٢) ، أو لتبيين الجنس ، أي يكفر شيئاً ، هو السيئات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ، ترغيب في الإخفاء ﴿لَيْسَ^(٣) عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي لا يجب عليك جعل الناس مهديين ، فإنه ليس في يدك وقدرتك ، ولكن الهداية من الله ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي : ثوابه ، فلا تمنوا على أحد ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ، الواو حال ، أو عطف ، يعني : المؤمن لا ينفق إلا لمرضات الله ،

(١) فضمير هي هو المخصوص بالمدح ، لكن على حذف المضاف ليحسن ارتساط الجزاء بالشرط ، ويدل عليه تذكير الضمير في " فهو خير لكم " فإنه يرجع إلى الإخفاء / ١٢ .

(٢) فيكون من السيئات ما تكفرها الصدقة ومنها ما لا تكفرها .

(٣) ولما رغب في لزوم الهدى ووجوه الخير ، وأكثرهم معرضون ، لأن ما دعا إليه هادم لما جبلوا عليه من حب المال ، صار صلى الله عليه وسلم شديد الوجد دائم الحزن ، شفقة عليهم ، فخفف عليه الوجد ، فقال : " ليس عليك هداهم " الآية / ١٢ وجزير .

وقيل : نفي في معنى النهي ، قال عطاء الخراساني : معناه : إذا أعطيت لوجه الله ، فلا عليك ما كان عمله ، فإنك مثاب لنيتك ، سواء كان السائل مستحقاً أو غيره ، برّاً أو فاجراً^(١) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ : ثوابه ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ، فلا ينقص ثواب صدقاتكم ، " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بأن لا يتصدق إلا على المسلمين ، حتى نزلت ليس عليك هداهم ، فأمر بالصدقة بعدها على كل سائل من كل دين^(٢) " ، وهذا في التطوع ، أما الواجب^(٣) ، فلا يجوز صرفه إلى الكافر ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾^(٤) أي : الصدقات لهم ، وهم الأولى والأحق ، وإن جاز صرفها إلى غيرهم كما علم من الآية الأولى ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، حبسوا أنفسهم في الجهاد ، أو أصحاب الصفة ، الذين انقطعوا بكليتهم إلى الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ : ذهاباً فيها للتجارة لاشتغالهم بالجهاد ، أو بالله ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من أجل

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين ، وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة ، وخالفه سائر العلماء في ذلك / ١٢ فتح .

(٢) يدل على هذا التفسير ما ثبت أن أسماء بنت أبي بكر حجت فأتتها أمها تسألها وهي مشرقة فأبت أن تعطيها، فترلت / ١٢ منه . [أخرجه البخاري في "الأدب" ، (٥٩٧٩) ، ومسلم في "الزكاة" ، (١٠٠٣)]

(٣) رواه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس / ١٢ منه . [أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء عن ابن عباس مرفوعاً ، كما في الدر المنثور (٦٣١/١)]

(٤) قال ابن عباس : هم أصحاب الصفة ، يعني : فقراء المهاجرين ، كانوا نحو أربع مائة رجل ، لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ، وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة ، أو طاعة الله عامة / ١٢ فتح .

تعفهم عن السؤال ، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من التخشع وأثر الجهد والصفاء ، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا﴾ أي : إن سألوا عن ضرورة لم يلحوا في السؤال ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ، ترغيب في الإنفاق سيما على من تعرفه بسيماه .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٢﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: يعمُّون الأحوال بالخير ، نزلت (١) في ربط الخيل يعلفونها دائماً في سبيل الله ، أو في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان له أربعة دراهم فتصدق درهماً ليلاً ، ودرهماً نهاراً ، ودرهماً سرّاً ، ودرهماً علانية*، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم ، قال تعالى : " لا يجزئهم الفزع الأكبر " (الأنبياء: ١٠٣) ، ﴿الَّذِينَ﴾ (٢) يَأْكُلُونَ الرِّبَا لما ذكر الأبرار المخرجين للصدقات ، شرع في ذكر أكلة الربا وأمواال الناس بالظلم ، وعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأكل أعظم المنافع ، والربا شائع في المطعومات ، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي : إلقاء كقيام المصروع ، ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ (٣) ، أي : الجنون ، وهو متعلق بلا يقومون ، أو بيقوم ، وفي الحديث "مر عليه

(١) الأول: رواه ابن أبي حاتم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان، كذا قال الهيثمي في "المجموع" (٣٢٤/٦)]، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبير عن أبيه ، وكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٢٧/١) وضعفه.

(٢) ولما ذكر الأبرار النافعين المنفقين، أتبعهم حال الأشرار الآكلين أموال الناس بالظلم فقال: "الذين يأكلون الربا" / ١٢ .

(٣) وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطباع ، وقال: إن الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الإنسان ، وليس بصحيح وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخطبه الشيطان ، كما أخرجاه النسائي وغيره / ١٢ .

السلام ليلة الإسراء على قوم بطونهم^(١) كالبيوت^(٢) ، و أخير أنهم أكلة الربا" ،
«ذَلِكَ» أي : العقاب ، **«بِأَنَّهُمْ»** : بسبب أنهم ، **«قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا»** :
اعترضوا^(٣) على أحكام الله ، وقالوا : البيع مثل الربا ، وإذا كان الربا حراماً فلا بد أن
يكون البيع كذلك ، **«وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا»** ^(٤) يحتمل أن يكون تنمة كلام
المعترض المشرك ، ويحتمل أن يكون من كلام الله ردّاً عليهم ، أي : اعترضوا ، والحال
أن الله فرق بين هذا وهذا ، وهو الحكيم العليم ، **«فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ»** :
بلغه وعظ من الله ، **«فَأَنْتَهَى»** : فاعتظ وتبع النهي حال وصول الشرع إليه ، **«فَلَهُ مَا
سَلَفَ»** من المعاملة ، أي : له ما كان أكل من الربا زمن الجاهلية ، **«وَأَمْرُهُ إِلَى
اللَّهِ»** : يحكم يوم القيامة بينهم ، وليس من أمره إليكم شيء ، **«وَمَنْ عَادَ»**^(٥) إلى

(١) رواه البيهقي وابن ماجه والإمام أحمد / ١٢ . [وهو ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجه
(٤٩٦)، وضعيف الجامع (١١٣)] .

(٢) قيل : يقومون من قبورهم ، فيسقطون كالمصروع لا يستطيع المشي والقيام من كبر
بطونهم وتقلهم / ١٢ منه .

(٣) الظاهر أن مرادهم أن المحللَ والمحرّم أمرُك وشهوتُك ، لا حُكْمُ الله سبحانه ، فإنه لو
كان حكم الله لكان الربا حلالاً مثل البيع ، والبيع حراماً مثل الربا ، فتأمل / ١٢ منه .

(٤) ولا شك من أحد أن البيع حلال ، فكذا الربا [حرام] / ١٢ . (ما بين المعقوفتين []
زيادة من عندنا ليست في الأصل أضفناها ليستقيم السياق)

(٥) إلى الاعتراض " فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لأنهم كفروا ، كما اعترض
إبليس وكفر ، هكذا فسره المفسرون من أهل السنة ، والأصوب أن الأصوب تفسير
الزنجشري ، عفا الله عنه ، وحاصله ومن عاد إلى الأكل والارتكاب ، فإن الجزاء مرتب
على مطلق المرتكب ، لا على الكافر المرتكب ، لأن كون الانتهاء في قوله : " فمن
جاءه موعظة من ربه فانتهى " عبارة عن الانتهاء عن الفعل ، يأتي أن يكون العود
في قوله : " ومن عاد " عوداً إلى الاعتقاد والاستحلال ، وأيضاً إذا كان خلود النار =

تحليله وأكله ، ﴿فَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم ، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا﴾: يذهب بركته ، فلا ينتفع في الدنيا والآخرة به ، قد ورد: "ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة" (*) ، ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾: يكثرها وينميها ، وقد (١) ورد "إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوله أو فصيله حتى يكون مثل أحد" (٢) ، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: لا يرتضي ، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصر على تحليل الحرام ﴿أَتِيمٍ﴾: فاجر بارتكابه ، ﴿إِنَّ (٣) الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بما جاء من الله ، ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ عطفهما على الأعم لشرفهما (٤) ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائت ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا إِنْ

= للاستحلال .. إلخ ، فجزاء مرتكب الفعل غير مذكور في الكلام ، مع أنه المقصود الأتم الأهم ، وإذا جعلنا الخلود جزاء الفعل ، علم أن جزاء الاعتقاد الذي هو كفر فوفه بخلاف العكس ، فالأولى أن نجعل هذه الآية طباق آية " ومن قتل مؤمناً متعمداً " (النساء: ٩٣) إلى آخره ، ولا بد لنا من تأويلها ، ومن أحسن التأويلات: أن ارتكاب بعض الكبائر من غير توبة ينجر إلى سوء العاقبة من القتل وأكل الربا / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٢).

(١) رواه ابن ماجه والإمام أحمد / ١٢ وجيز . [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح

الجامع (١٨١٥)]

(٢) يعني الداعي إلى الربا تحصيل المزيد، والصارف عن الصدقة الاحتراز عن النقصان ، فيبين أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة والمآل ، والصدقة وإن كانت نقصاناً في الصورة إلا أنها زيادة في الحقيقة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر حال أكل الربا ، وصفه بأنه كفار أئيم ، ذكر ضده من المطيعين الممثلين

شرائع الإسلام ، فقال : " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) وللحث على إيتاء الزكاة في مقابلة الربا / ١٢ وجيز .

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رأس المال بعد الإنذار ، إن كنتم مؤمنين بنسرع الله ، كان بين ثقيف وبني مخزوم ربا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، طلبت ثقيف فتشاجروا فترلت ، ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ولم تذروا ما بقي من الربا ، ﴿فَأَذِّنُوا﴾: فاعلموا ، ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، يقال (١) يوم القيامة لاأكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، أو لا بد للإمام أن يستتبيهم ، فإن تابوا وإلا وضع فيهم الحرب والسلاح ، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بوضع رءوس الأموال ، وقيل فهم منه أن المصر ، أي : على التحليل ليس له رأس ماله ، لأنه مرتد وماله فيء ، ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ وقع غريم ذو عسرة ، ﴿فَنظِرَةٌ﴾ أي : فعليكم تأخير ، ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: يسار ، لا كفعل الجاهلية إذا حل الدين ، يطالب إما بالقضاء وإما بالربا ، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بإبراء رأس المال ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أكثر ثوابا ، وقيل: خير مما تأخذونه ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه من الأجر ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: يوم القيامة ، أو يوم الموت ، ﴿ثُمَّ تُوفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي : جزاء ما عملت ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وهذه (٢) آخر آية نزلت من القرآن ، عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها تسع ليال ، أو واحد وثلاثين (٣) يوما .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِرَيْدِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ

(١) كذا قاله ابن عباس وغيره / ١٢ وحيز .

(٢) فقال صلى الله عليه وسلم : "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين" / ١٢ وحيز .

(٣) ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة / ١٢ فتح .

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَخْسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَنَاهُ فُسُوقًا بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ، أي : تعاملتم بمعاملات مؤجلة فاكتبوها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنزلت في السلف ، حرم الله الربا وأباح السلف ، وهذا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ، وعن كثير من السلف : أن الأمر للرجوع ، ولكن نسخ بقوله : " فإن أمن بعضكم بعضاً " (البقرة: ٢٨٣) ، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ : بالسوية ، لا يزيد ولا ينقص ،

(١) ولما أمروا بالصدقة وترك الربا ، ويحصل منها تقيص المال ، نبه على طريق حلال فيه تنمية المال ، وأكد في كيفية حفظه ، وأمر فيه بعدة أوامر ، فقال : " يا أيها الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي : لا يأب أن ينفع الناس بكتابته ، كما نفعه الله بتعليمها ، أو مثل ما علمه من كتابة الوثائق ، قال عطاء ومجاهد : واجب على الكاتب أن يكتب ، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أمر بها بعد النهي عن الإباء تأكيداً ، قيل : جاز أن يتعلق كما علمه الله به ، فالنهي مطلق والأمر مقيد ، ﴿وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ : الإملال والإملاء واحد ، أي : وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أمر بأن يقر بمبلغ المال من غير نقصان ، ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ : محجوراً عليه بتبذير ونحوه ، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ : صيباً ، أو مجنوناً ، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ بخرس ، أو جهل باللغة ، ﴿فَلْيَمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ : الذي يلي أمره ، من وكيل ، أو قسيم ، أو مترجم ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾ : بالصدق ، ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ ، اطلبوا شاهدين ، أن يشهدوا على الدين ، ﴿مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ : رجال المسلمين ، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي : إن لم يكن الشاهدان رجلين ، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي : فالمستشهد رجل وامرأتان ، وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعي ، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ، ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لعلمكم بعدلتهم ، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي : إن نسيت إحدى المرأتين الشهادة ، ذكرتها الأخرى ، فهو علة اعتبار العدد ، والعلة في الحقيقة التذكير ، ولما كان الضلال سبباً له نزل مترلته ، ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لأداء الشهادة ، وعند بعض^(١) معناه : إذا دعوا للتحمل^(٢) ، وحينئذ سميتهم شهداء باعتبار المشاركة ، وما زائدة ومنه علم أن تحمل

(١) كقتادة والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) روى عن ابن عباس والحسن البصرى أنها عام في الأداء والتحمل قيل : في الأداء

واجب ، وفي التحمل ندب / ١٢

الشهادة فرض كفاية ، ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملوا ، ولا تمنعكم الملالة أن تكتبوا الحق ، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلاً كان الحق أو كثيراً ، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾^(١): إلى وقت حلوله ، ﴿ذَلِكُمْ﴾^(٢) إشارة إلى أن تكتبوه ، ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أعدل ، ﴿وَأَقَوْمٌ لِمَشْهَادَةِ﴾: أثبت لها ، وهما مبنيان من أقسط^(٣) وأقام على مذهب سيويه ، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي : أقرب في ألا تشكوا ، لأن ترجعوا بعد الشك في كتابتكم ، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ التجارة ، ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ استثناء من الأمر بالكتابة ، وإدارتها بينهم: تعاطيهم إياها ، بدأ بيد ، ومن قرأ : "تجارة" بالرفع فعنده كان تامة ، أو تديرونها خير كان ، ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقاً مؤجلاً ، أو معجلاً ، وهذا الأمر محمول^(٤) على الندب ، وعند الشعبي والحسن للوجوب لكن نسخ ، ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ فهي عن الضرر بهما ، مثل أن يكلفا ترك حاجتهما^(٥) ومهامهم ولا يعطى جعل

(١) أي : أن تكتبوا الصغير والكبير منضمًا منتهيًا إلى وقت حلوله ، يعني : كما يكتب أصل الدين يكتب الأجل أيضًا / ١٢ وجيز .

(٢) كل ذلك ضبط لأموال الناس ، وتحريض على ألا يقع بينهم نزاع / ١٢ وجيز .

(٣) يعني : "أقسط" من المزيد لقصد الزيادة في العدل ، "إن الله يحب المقسطين" لا من المجرّد لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر ، "وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا" ، وكذا أقوم أشد إقامة لا قيامًا ، هذا ما قال المصنف في الحاشية .

وفي الوجيز قال صاحب البحر: قسط من الأضداد وفي الصحاح القسطنط: -بفتح القاف- الجود -وبكسرهما-: العدل، فعلى هذا بناء أفعل من الثلاثي ، الذي هو القسط فلا يكون شاذًا ، وكذا أقوم من قام بمعنى: اعتدل/ ١٢ .

(٤) عند الجمهور والأحاديث يؤيده / ١٢ منه .

(٥) الأول: لابن عباس وعكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية والسدي ومقاتل بن حبان والربيع بن أنس، والثاني: للحسن وقتادة وغيرهما/ ١٢ منه .

الكاتب ، وعلى هذا يضار مبني للمفعول ، أو معناه نهيها عن الضرار بزيادة ونقصان ، وتحريف وتغيير ، فعلى هذا يكون مبنيًا للفاعل ، «وَأِنْ تَفْعَلُوا» ما نهيتم عنه ، «فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» أي : لاحق لازم بكم ، «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في مخالفة أمره ، «وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ» أحكامه وشرائعه ، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» تكرر لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلال كل منها ، ولأنه أدخل في التعظيم ، «وَأِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ» أي : مسافرين ، «وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا» يكتب لكم ، «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ» أي: فليؤخذ بدل الكتابة ، رهان مقبوضة في يد صاحب الحق ، وعند بعض السلف أن الرهن لا يجوز إلا في السفر^(١) ، والحديث يرده ، «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا»: بعض الدائنين بعض المديونين ، «فَلْيُؤَدِّ^(٢) الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ» سمي الدين أمانة لائتمانه عليه بترك الإرهان منه ، «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» في الخيانة ، «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» قلبه فاعل آثم ، أو مبتدأ ، وآثم خيره ، والجملة خبر إن ، وإسناده إليه للمبالغة ، كقوله: هذا مما عرفه قلبي ، ولثلا يظن أنه من آثام اللسان^(٣) ، بل من آثام القلب ، الذي هو أشرف الأعضاء ، قال ابن عباس

(١) فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم، رهن درعه في المدينة من يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير / ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "الجهاد"، (٢٩١٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "المساقاة"، (١٢٣/٤) ط الشعب]

(٢) قال الشعبي: إذا اتّمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تشهدوا ، قال أبو سعيد الخدري: هذه نسخت ما قبله / ١٢ منه. وفي الفتح، بعد نقل قول أبي سعيد، وأقول : رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالائتمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الائتمان / ١٢ .

(٣) أخرج ابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين ، وأخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش، آية الربا وآية الدين / ١٢ وحيز .

رضي الله عنهما : كتماها من أكبر الكبائر ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تهديد ووعيد .

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٤﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّكَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُقْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٢٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي (١) السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً ، ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ : ما خطر (٢) ببالكم من السوء ، ﴿يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ في

(١) ولما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة سرية وجهرية بدنية وقلبية واعتقادية وعملية ناسب ختمها بهذه، فقال: "لله ما في السموات وما في الأرض" الآية/١٢ وجيز .

(٢) قال بعض المفسرين: المراد ما عزم عليه لا ما خطر بباله، فإنه لا يؤاخذ به لأنه ليس في وسعه، وفي تفسيرهم بذلك مخالفة للجماهير من السلف وللأحاديث الصحاح/١٢ منه .

الآخرة ، لما نزلت ^(١) غمت الصحابة "فقالوا هلكننا ، فقلوبنا ليست بأيدينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها" فنزلت "آمن الرسول" إلى "عليها ما اكتسبت" فنسختها ، وتجاوز لهم عن حديث النفس وصرح بنسخها أكثر السلف ^(٢) ، وبعضهم صرحوا بعدم نسخها ، وقالوا: يخبرهم الله يوم القيامة بما أخفوا في أنفسهم ، فيغفر للمؤمنين ، ويؤاخذ أهل الشك والنفاق ، فمعنى المحاسبة: الإخبار ، وعن عائشة ^(٣) رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سألت عن الآية : هذه معاتبه الله العبد بما يصيبه الله من الحمى والنكبة ، حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدتها ، فيفزع لها ، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير" ، فعلى هذا المحاسبة المؤاخذة ، لكن المحاسبة إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ مغفرته ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المحاسبة وغيرها ، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وجه نزول الآية قد ذكرناه وهو أنهم قالوا : "سمعنا وأطعنا" لا كما قال أهل الكتاب : "سمعنا وعصينا" (البقرة: ٩٣) قوله : "والمؤمنون" عطف على الرسول ، ﴿كُلٌّ﴾ : من الرسول والمؤمنين ، ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ، ﴿لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ في الإيمان بهم ، ولا نقول : "نؤمن ببعض ونكفر ببعض" (النساء: ١٥٠) ، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ ، قول الله ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمره ، نسال ، أو اغفر ،

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة وروى الإمام أحمد عن ابن عباس وابن جرير عنه أيضاً / ١٢ منه . [أخرجه مسلم في الإيمان]
(٢) وضح الرواية بنسخها عن علي وابن عباس وابن مسعود وكعب الأحمري وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم / ١٢ منه . [أخرجه الترمذي (٣١٧٦-أحدوي)

﴿غَفْرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت ، ﴿لَا يُكَلِّفُ﴾^(١) اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿ ما يسعه قدرتها ويتسع فيه طوقها ، لا ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شر، ولما كان الشر مما تشتهييه النفس ، وهي أَحَدٌ وَأَعْمَلُ فيه ، جعلت لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير ، فإنها لما لم تكن فيه كذلك وصفت بما ليس فيه الاعتمال ، فقال: كَسَبَتْ ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾^(٢) أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿ سألوا^(٣) الله التجاوز عنهما فأجاب ، ففي^(٤) الحديث "وضع عن أمي الخطأ والنسيان" ، وأما دعاؤنا حينئذ بهما ، فيمكن أن يكون لإدامة الوعد ، وأن يجعلنا ممن وعد له التجاوز عنهما ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: تكاليف شاقة ، تأصر صاحبه: تحبسه في مكانه، وإن أطقناها ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ، مثل الذي حَمَلْتَهُ إياهم فيكون صفة إصرا وهو التكاليف الشاقة وما أصابهم من الحن ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾:

(١) ولما أخبر سبحانه عن عقائدهم وتضرعهم في المسألة بحيث بيان منه رضاؤه ، استأنف بخبر معه ، أنه سبحانه لا يكلف عباده من أفعال القلوب وأفعال الجوارح إلا بما هو وسع المكلف ، " لا يكلف " الآية / ١٢ .

(٢) قيل الخطأ: والنسيان قلما يتفقان ، إلا عن تقصير سابق ، فالمراد من الدعاء عدم المؤاخذة به / ١٢ منه .

(٣) ودعاؤنا بعد وضع الخطأ والنسيان عنا، كالدعاء بالألأ توأخذنا بتفريط، أو أفعال تفضي إلى خطأ أو نسيان، أو الغرض من الدعاء تذكّر الفضل بالعرف عنهما والتدلل بين يديه / ١٢ وحيز .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه، [وكذا البيهقي بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١١٠)، وراجع الإرواء (ح٨٢)] وفي مسلم عن أبي هريرة وابن عباس "قال الله: قد فعلت" / ١٢ منه .

من المصائب، والتشديد هاهنا لتعديته إلى مفعول ثانٍ ، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ : امح عنا ذنوبنا ، ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ : واستر لنا عيوبنا ، ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ في الدنيا ، فلا توقعنا في ذنب^(١) آخر ، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ : ولينا وناصرنا ، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، وفي الحديث: "في آخر كل دعوة^(٢) من هذه الدعوات ، قال الله تعالى: فعلت ونعم" ، وفي الحديث ، "فضلنا على الناس بثلاث: أوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة^(٣) من بيت^(٤) تحت العرش ، لم يعطها أحد قبلي ولم يعطها أحد بعدى^(*) .
والحمد لله حق^(٥) حمده .

-
- (١) عن بعض السلف، المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره / ١٢ منه .
- (٢) الظاهر أن دعاءه عليه السلام بهذه الدعوات قراءته بهذه الآية ، ويحتمل أن يكون قد دعا بها، فترلت الآية حكاية / ١٢ منه .
- (٣) وفي مسلم أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً / ١٢ منه .
- (٤) كناية وتمثيل لما فيه من كثرة الخير والبركة والثواب / ١٢ منه .
- (٥) أخرجه بنحوه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة مرفوعاً بلفظ: "أعطيت هذا الآيات من آخر سورة البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي" وانظر صحيح الجامع (١٠٦٠) .
- (٥) روى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال : لا أدري أن أحداً يعقل لغة الإسلام ينام، حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنها من كثر تحت العرش/ ١٢ .

سورة آل عمران

وآياتها مائتان وركوعاتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿الم﴾ قد مر تفسيرها^(١)، فلا نعيده ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ المتفرد بالألوهية

(١) قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، وكان بعضهم يجعلها أفسامًا، وكان بعضهم يجعلها حروفًا مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المفتوح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن =

﴿الْحَيِّ﴾ الذي يصح أن يعلم أو يقدر ﴿الْقِيَوْمِ﴾ دائم الحفظ للكائنات ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ﴾

= عباس في "كهيعص": إن الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقال الكلبي: هو كتاب كاف هاد حكيم عالم صادق، ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجاً منها إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء، وتفرق بينها فإذا قال القائل: قرأت "المص" أو قرأت "ص"، أو "ن" دل بذلك على ما قرأ كما تقول: لقيت محمداً، وكلمت عبد الله فهي تدل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل "حم"، و"الم" لعدة سور - فإن الفصل قد يقع بأن تقول "حم السجدة" و"الم البقرة" كما يقع الوفاق في الأسماء فتدل بالإضافات وأسماء الأباء والكنى.

وإن كانت أقساماً فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال: "الم" وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل: تعلمت "أ ب ت ث" وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اجترأ بذكر بعضها، ولو قال: تعلمت "حاء طاء صاد" لدل أيضاً على حروف المعجم كما دل بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت "الحمد لله"، يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها هذا الأكثر وربما دلوا بغير الأول أيضاً، أنشد الفراء:

لما رأيت أنها في حطى أخذت منها بقرون شط

يريد في "أبي جاد"، فدل بحطى كما دل غيره بأبي جاد.

وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها، وفضلها، ولأنها مباني كتبه المتزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحدون.

وقد أقسم الله في كتابه بالفجر، والطور، وبالعصر، وبالتين والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون - يقال لأحدهما: طور زيتا، وللآخر: طور تينا بالسريانية - من الأرض المقدسة، فسماهما بما ينبتان.

الكتاب: القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق، أو بالعدل؛ وهو حال ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب أنه من عند الله ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ على موسى ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ في زمانهما ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ الفارق بين الحق والباطل، وهو جنس^(١) الكتب الإلهية عم بعد ما خص ذكر الثلاثة، أو القرآن^(٢) كرر ذكره بوصفه تعظيمًا له ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يوم القيامة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغلب ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة على من خالف الرسل ﴿إِنَّ^(٣) اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ^(٤) وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ قيده

= وأقسم بالقلم إعظامًا لما يسطرون، ووقع القسم بها في أكثر السور على القرآن فقال "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة: ٢، ١)، كأنه قال وحروف المعجم هو الكتاب لا ريب فيه. و"الم الله لا إله إلا هو" أي: وحروف المعجم هو الله لا إله إلا هو. و"المص كتاب أنزل إليك" (الأعراف: ٢، ١)، أي: وحروف المعجم هو كتاب أنزل إليك و"يس والقرآن الحكيم" (يس: ٢، ١) [وفي الأصل: ياسين]، و"ص والقرآن ذى الذكر" (ص: ١)، و"ق والقرآن المجيد" (ق: ١)، كله أقسام/ م تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

(١) فإن الكتب السماوية كلها فارقة بين الحق والباطل، قيل: فيه إشارة إلى أن للقرآن تنزيلًا وإنزالًا بخلاف الكتابين فهما إنما نزلا جملة واحدة لا منجما أي: المراد من الفرقان القرآن، وفائدة التكرير وصف القرآن بالإنزال والتنزيل، فإنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم منه نزل منجماً إلى الأرض بخلاف سائر الكتب فإنه أنزلها جملة على الرسل لا منجما/ ١٢.

(٢) وهو قول قتادة/ ١٢.

(٣) وصف ذاته الأقدس بالحياة، والقيومية، وإنزال الكتب، وإعداد العذاب للكافر، والعزة والانتقام المتفرع على الألوهية من غير شركة ووصفه أيضًا بالعلم فقال: "إن الله لا يخفى" / ١٢.

(٤) يعنى عبر عن العالم بالسماء، والأرض لما أهما العالم كله في النظر الظاهر/ ١٢.

بهما، إذ الحس لا يتجاوز عنهما **﴿هُوَ﴾** ^(١) الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ **﴿** من الصور المتنوعة **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾** ^(٢) الغالب في الأمور **﴿الْحَكِيمُ﴾** في الأفعال **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** القرآن **﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾** ^(٣)

(١) ولما قدم صفة العلم أتبعه صفة القدرة، والتدبير فقال: "هو الذي" إلخ/٢١ وجزير.

(٢) ولما ذكر من الصفات الحسنى ما دل على أنه هو المتفرد بالإلهية، وهو الغالب الحاكم ذكر نتيجته فقال: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

(٣) قال صاحب الفتح: "والأولى أن يقال: إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا يظهر دلالاته لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره وإذا عرفت هذا عرفت أن الاختلاف الذي قدمناه ليس كما ينبغي، وذلك لأن أهل كل قول عرفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها ثم نقل تحت قوله تعالى: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به" أقوال العلماء في أن الراسخين في العلم هل يعلمون معنى التشابهات أم لا؟ إلى أن قال: وأقول هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أعظم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه، وقد قدمنا ما هو الصواب في تحقيقهما ونزديك هاهنا إيضاحاً وبيئاً، فنقول: إن جملة ما يصدق عليه تفسير المتشابه الذي قدمناه - فواتح السور فإنها غير متضحة المعنى، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة إلى أنفسها لأنه لا يدري من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الم، المر، حم، طس، طسم ونحوها، لأنه لا يجد بيئاً في شيء من كلام العرب، ولا من كلام الشرع فهي غير متضحة المعنى لا باعتبارها نفسها ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها ومثل ذلك الألفاظ المنقولة عن لغة العجم، والألفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع - ما يوضحها، وهكذا ما استأثر الله به كالروح، وما في قوله: "إن الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث ويعلم ما في الأرحام" إلى آخر الآية (لقمان: ٣٤)، ونحو ذلك وهكذا ما كانت دلالاته غير ظاهرة لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره كورود الشيء محتملاً لأمرين احتمالاً لا =

واضحات الدلالة «هَنَّ أُمَّ الْكِتَابِ»^(١) أصله يرد إليها^(٢) غيرها، وهن ناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه^(٣) وما يؤمن به، ويعمل به أو قوله: "قل تعالوا" (آل عمران: ٦١)، والآيات بعدها، وقوله: "وقضى ربك" (الإسراء: ٢٣)، إلى ثلاث آيات بعدها، والآيات كلها في تكاملها كآية^(٤) واحدة، أو كل واحدة منهن أم الكتاب.

= يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه، وذلك كالألفاظ المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة وكذلك ورود دليلين متعارضين تعارضًا كليًا بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه، ولا باعتبار أمر آخر يترجح، وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفًا في لغة العرب أو في عرف الشرع أو باعتبار غيره، وذلك كالأموال المحملة التي ورد بيانها في موضع آخر في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة والأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب والسنة أو سائر المرححات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذه من المحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب فاشدد يدك على هذا فإنك تنجو به من مضائق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما تذهب إليه محكمًا وما دل على ما يذهب إليه من يخالفها متشابهًا سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم/١٢.

(١) عن سعيد بن جبير: إنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب/١٢.

(٢) أي: يرجع إليها غيرها فإن لم يكن مخالفا لها تقبل، وإلا فيحكم ببطلان ما فهمنا منه/١٢ منه.

(٣) الأول: قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة والضحاك، والسدي وغيرهم،

والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير/١٢.

(٤) يعني القياس أن يقال هن أمهات الكتاب فأفرد على أن الكل بمترلة آية واحدة أو على

تأويل كل واحدة/١٢ منه.

﴿وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ﴾ فيها اشتباه في الدلالة لكثير من الناس إلا للمهرة من العلماء، وبهذا يظهر فضلهم، وهن المنسوخة، والمقدم والمؤخر منه، والأمثال والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به، أو الحروف التي في أوائل السور^(١) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق، كاليهود، وقالت: الحروف المقطعة بيان مدة أجل هذه الأمة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون به ليرتلوه على مقاصدهم الفاسدة، وأما المحكم فتركوه لأنه لا نصيب لهم فيه. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: الإضلال. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ما يشتهونه أو بطلب^(٢) حقيقته وما يتوول أمره إليه. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾^(٣) أي ما هو

(١) روى عن ابن عباس ومقاتل بن حيان/١٢ منه.

(٢) هذا قول مقاتل والسدي/١٢ منه.

(٣) ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من تأويله على اللغة والمعنى ولم يترل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعله.

وهل يجوز لأحد أن يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه، وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" — جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم علياً التفسير، ودعا لابن عباس فقال: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين" [أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٥٣٦/٣)]، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين بلفظ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب"]، وما روى عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: "كل القرآن أعلم إلا أربعاً [في الأصل: ربعاً] غسلين وحنائاً والأواه والرقيم" — كان هذا من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد/م تأويل مشكل القرآن بتصرف.

الحق، أو حقيقته. **﴿إِلَّا اللَّهَ﴾** ^(١) **وَالرَّاسِخُونَ** ^(٢) **فِي الْعِلْمِ** اختلفوا في الوقف على "الله" عند أكثر السلف أن تأويل بعض الآيات لا يعلمه أحد إلا الله، ومن القراء من يقف على قوله: "والراسخون في العلم"، وهو قول مجاهد وربيع بن أنس، وروى عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. **﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾** خبر الراسخون إن جعلته مبتدأ، وإلا فهو استئناف أو حال. **﴿كُلُّ﴾** : من المتشابه، والمحكم. **﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** وما يتعظ بالقرآن ولا يفهمه إلا ذوو العقول السليمة، وفي الحديث ^(*) حين سئل عن الراسخين: "من برت يمينه وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم".

﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا﴾: من مقال الراسخين أي: لا تملها عن الحق إلى اتباع لمتشابهه بتأويل غير مراد الله. **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾**: إلى الإيمان بالمحكم، والمتشابه. **﴿وَهَبْ لَنَا**

(١) وبعض الأحاديث يؤيدهم، وفي قراءة ابن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون، وكذا في قراءة أبي بن كعب/ ١٢ منه، وهو المتبادر إلى الفهم من سوق كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٢) قال بعض العلماء: التأويل يطلق على المعنيين.

أحدهما: حقيقة الشيء وما يتول إليه أمره كقول الله حكاية عن يوسف: "هذا تأويل رؤياي من قبل" (يوسف: ١٠٠)، وقوله: "يوم يأتي تأويله" (الأعراف: ٥٣).

والثاني: التفسير والبيان فإن أريد به الأول فالوقف على الله، وإن أريد به الثاني فالوقف على قوله: "والراسخون في العلم" / ١٢ منه.

(*) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٢٤/٦) وقال: "رواه الطبراني وعبدالله بن يزيد ضعيف".

من لذنك رحمة ﴿ تثبت بها قلوبنا ﴾ ﴿ إنك أنت الوهاب ﴾ ^(١) : لكل سؤال . ﴿ ربنا
 إنك جامع الناس ﴾ ^(٢) ليوم : لجزء يوم أو في يوم . ﴿ لا ريب فيه ﴾ : في وقوعه . ﴿ إن
 الله لا يخلف الميعاد ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ
 هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ ﴿ كَذَّابِ عَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

(١) أخرج الهروي في ذم الكلام عن الإمام الشافعي قال: حكى في أهل الكلام حكم عمر
 في ضبيع [كذا في الأصل، والذي في تفسير القرطبي والقاموس (صغ) صبيغ] أن يضرىوا
 بالجرىد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء
 من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: "إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات
 القرآن فحنسوههم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وأخرج نصر المقدسى
 في الحجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في
 القرآن هذا يترع بأية، وهذا يترع بأية فكأنما فقى في وجهه حب الرمان، فقال: "أهكذا
 خلقتم أم بهذا أمرتم؟"، أن تضرىوا كتاب الله بعضا ببعض! انظروا ما أمرتم به فاتبعوه
 وما نهيتم عنه فانتهوا". وأخرج ابن الضريس ونصر المقدسى في الحجة عن أبي هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، والمرء في القرآن
 كفر ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" / ١٢ در منشور [ذكره الحافظ
 ابن كثير في "التفسير" (٣٤٨/١) من طريق أبي يعلى الموصلي وقال: "إسناد صحيح
 ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة".

(٢) إضافة الجامع إلى الناس إضافة إلى المفعول وليوم متعلق به على حذف المضاف لأن
 الجمع ليس لليوم نفسه أو للام بمعنى في، والأول أظهر فلا حاجة إلى تقدير/١٢ منه.

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢٠﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ
 الْأَتَقَتَا فَمَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ
 وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٢١﴾ زَيْنٌ
 لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٢٢﴾ * قُلْ أُوَسِّعُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
 مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢٤﴾ الصَّابِرِينَ
 وَالصَّالِحِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٢٥﴾ شَهِدَ
 اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢٧﴾ فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
 وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ؕ فَإِن أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا
 وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٢٨﴾

﴿١﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محمد (صلى الله عليه وسلم) أو المراد يهود قريظة والنضير.

(١) ولما استعاذوا من الزيف لحرف الجزاء في القيامة بين تعالى حال بعض الزائغين ومآلهم
 فقال: ﴿إن الذين﴾ الآية/١٢.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع عنهم شيئاً^(١) من عذاب الله أو ما أجزأ عنهم وما كفاهم من رحمة الله شيئاً من الإجزاء على أن يكون شيئاً مصدرًا. ﴿وَأَوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾: حطباها.

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بـلن تغني أي: لن تغني عنهم كشأن آل فرعون يعني: مثل ما لم تغن عنهم، أو استئناف أي: صنعهم^(٢) وستهم كصنيع آل فرعون. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على آل فرعون. ﴿كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: حال بإضمار قد أو استئناف، وقيل: الذين من قبلهم مبتدأ وكذبوا خبره ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تهويل وتشديد للمواخذه.

﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا. ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ جهنم وهو استئناف أو تمام ما يقال لهم لما رجع^(٣) (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من بدر حذر اليهود أن يتزل عليهم ما نزل على قريش، فقالوا: لا يغرنك أن قتلت أعمارًا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت الناس فترلت إلى قوله: "العبرة لأولى الأبصار" (*). وقيل: الخطاب لقريش.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها اليهود وقيل: أيها المشركون والمؤمنون. ﴿آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْ التَّقَاتِ﴾: يوم بدر. ﴿فِتْنَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾

(١) ويصح أن يكون مفعولا به؛ لأن معنى أغنى عنه كفاه، فشيئاً ثانياً مفعوليه كقوله تعالى "وكفى الله المؤمنين القتال" (الأحزاب: ٢٥)، ١٢/.

(٢) يعني صنيع هؤلاء الكفرة الذين لا يؤمنون بك/١٢.

(٣) رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس وعن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنهم/١٢ منه.

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه عنعنه ابن إسحاق وهو مدلس. وانظر الدر المنثور (١٦/٢).

يَرَوْنَهُمْ^(١) مَثَلِيهِمْ^(٢) الجملة^(٣) حال، وتقاتل خبر لفظة أو صفة لها، والجملة خبرها أي: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلى عدد المسلمين أو المشركين، ليحصل لهم الرعب، والمسلمون كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر، وهم ما بين تسع مائة إلى ألف، وهذا في أول الأمر وأما في حال القتال فكل من المسلمين والكافرين قتلوا الآخر كما قال تعالى: "وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتِمِ فِي أَعْيُنِكُمْ" (الأنفال: ٤٣)، إلخ. لتقدموا^(٤) عليهم، ويقضى الله أمراً كان مفعولاً أو يرى المسلمون الكافرين مثلى عدد المسلمين مع أنهم أكثر ليقوى قلوبهم بوعدهم الله، وهو قوله: "وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين" (الأنفال: ٦٦). أو مثلى عدد المشركين ليتوكلوا أو يطلبوا الإعانة من الله، وحين القتال قللهم الله في أعينهم حتى سأل^(٥) بعض المسلمين بعضهم: هل تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. ﴿رَأَيْ الْعَيْنِ﴾ : رؤية ظاهرة معاينة. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ : نصره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : أي: التقليل والتكثير وغلبة القليل عليهم. ﴿لَعِبْرَةٌ﴾ : عظة. ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ : لذوى البصائر.

(١) وقراءة نافع في قوله: "تروهم" بالتاء محمول على الالتفات على ما قدرنا إلا على قول من قال الخطاب في "قد كان لكم" إما للمشركين أو للمؤمنين، فإنه لا يكون من باب الالتفات/١٢ منه [والالتفات هو تحول الكلام من صيغة إلى أخرى كما في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله: الحمد لله رب العالمين... إلخ، فقد تحول الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب لغرض بلاغي هو استحضار مقام العبودية، وتجلي الذات الإلهية] د/هنداوي مراجعه.

(٢) أي جملة يروهم/١٢ منه.

(٣) أي ليقدموا كل منهما على الآخر/١٢.

(٤) السائل عبد الله بن مسعود رضی الله عنه/١٢.

﴿زَيْنٌ﴾^(١) لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴿أي: المشتبهات سماها شهوات مبالغة. ﴿مِنْ النَّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِرِ﴾ القناطر^(٢) المال الكثير. ﴿الْمَقْنَطَرَةُ﴾ ذكرت للتأكيد كبدرة مدبرة أو القنطار ألفا أوقية أو ألف دينار أو ألف ومائتا دينار، وقيل غيرها. ﴿مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء. ﴿الْمُسَوِّمَةُ﴾: الراعية^(٣)، والمطهمة^(٤) الحسان أو الغرة والتحجيل وقيل غيرها. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل، والبقر، والغنم. ﴿وَالْحَرْتِ ذَلِكَ﴾^(٥): إشارة إلى ما ذكر. ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وهى فانية. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي: المرجع والثواب وفيه تزهد من الدنيا. ﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿أَوْبِئْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَُمْ﴾ أأخبر بخير مما زين للناس؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ^(٦) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾: من تحت أشجارها. ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وسائر الدنس. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ

(١) لما ذكر أنه لا يغنى أولادهم ولا أموالهم من الله شيئاً فصل الأموال والأولاد وغيرها مما هو شاغل عن ذكر الله فقال: "زين للناس"/١٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه [المستدرک (١٧٨/٢) وأقره الذهبي] والثاني قول أنس وابن عباس والحسن البصرى وغيرهم والثالث قول الضحاك من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار وعن أبي سعيد الخدرى ملء مسك الثور ذهباً/١٢ منه.

(٣) كذا فسره ابن عباس وأكثر السلف، والثاني قول مكحول/١٢ منه.

(٤) أي: تام الخلق سمينة/١٢.

(٥) فإفراده وتذكيره مع أنه للإشارة إلى جميع ما ذكر نظراً إلى المذكور، وقد جوزوا في الضمير الأفراد، والتذكير، والتأنيث بالنظر إلى الخير/١٢ منه.

(٦) الظاهر أن "جنت" مبتدأ، و"للذين اتقوا" خبره وقيل: جاز أن يكون للذين متعلقاً بخبر، وجنت خبر مبتدأ محذوف أي: هو جنت/١٢ منه.

اللَّهِ: فلا يسخط عليهم أبداً. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ بأعمالهم وأحوالهم، فيعطيهم ما يستحقونه.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: مرفوع أو منصوب^(١) بالمدح. ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: بإيماننا لك. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على الشرع. ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: في اللسان. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين الخاضعين. ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: من أموالهم في أموالهم في جهات الخير. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾^(٢) بِالْأَسْحَارِ فَإِنَّمَا وَقْتُ الْإِجَابَةِ، أو المصلين، قيل: هو الذي يصلى الصبح بالجماعة ﴿شَهْدٌ﴾^(٣)

(١) قيل: جاز أن يكون مجروراً بصفة للذين اتقوا وهذا بعيد جداً، وأما جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى، حيث خص كونه بصيراً بالعباد المخصوصين/١٢ منه.

(٢) عن ابن عباس قال: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة"، وعن سعيد الجري قال: "بلغنا أن داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدرى إلا أن العرش يهتز في السحر وقد ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يتزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيته، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له" [أخرجه البخاري في "التهجد" (١١٤٥)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "صلاة المسافرين"] وفي الباب أحاديث، وفيه وفي أمثاله مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره، ونفى الكيفية عنه وهو الحق/١٢فتح.

(٣) ولما بين أن المتقين هم القائلون بوحداية رهم أتبعهم ما يدل على صدق مقالهم، وأنهم مندرجون في زمرة الشهداء الذين هم الملائكة، والأنبياء، والأرلياء فقال: "شهد الله" الآية/١٢وجيز.

اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: (١) بأن نصب أدلة التوحيد أو بين الله أو حكم الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ﴾ (٢) بالإقرار، وهذه مرتبة جليلة للعلماء. ﴿قَائِمًا﴾ (٣) بِالْقِسْطِ: بالعدل في أحكامه، وهو حال من الله. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: كرره تأكيداً، وليبنى عليه قوله ﴿الْعَزِيزُ﴾ فلا يرام جنابه عظيمة. ﴿الْحَكِيمُ﴾ (٤) فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٥) جملة مؤكدة للأولى أي: لا دين مقبول عنده سوى الإسلام، وهو اتباع سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مطلقاً

(١) أخرج ابن عدى والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطان قال: "أتيت الكوفة فترلت قريباً من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، فقام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية "شهد الله أنه لا إله إلا هو" إلى قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" فقال: "وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي وديعة عند الله" قالها مراراً، نقل هذه القصة السيوطي في الدر المنثور [٢١/٢] قال "الحشي محمد بن عبد الله الغزنوي: وأنا أشهد مراراً وأنادي بهذه الشهادة على رءوس الأشهاد جهاراً أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله أشهد أن لا إله إلا هو قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ثم أشهد، ثم أشهد إلى يوم أموت ويوم أبعث حيا/١٢.

(٢) من الأنبياء والأتقياء بأن أقرؤا واعترفوا وبنوا أدلة التوحيد وكفى للعالمين هذه المرتبة الجليلة/١٢ وحيز.

(٣) نصب قائماً على أنه حال من فاعل شهد وجاز لأنه لا لبس نحو رأيت السلطان وعبيده راكباً/١٢ وحيز.

(٤) قال المحرر: وأنا على ذلك من الشاهدين/١٢.

(٥) قال بعض المحققين: الإسلام انقياد الرسل واتباعهم في كل حين حتى ختم بسيد الرسل الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته/١٢.

أو اليهود في دين الإسلام بأنه حق أو باطل ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾^(١): بحقبة الإسلام. ﴿بَعِيًّا﴾: حسداً. ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بما أنزله في كتابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المجازاة.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: جادلوك في الدين، والتوحيد. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾^(٢): أخلصت نفسي وعبادتي له. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾^(٣): عطف على الضمير المتصل^(٤) يعنى: ديني دين التوحيد الذي ثبت عندكم أيضاً وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الذين لا كتاب لهم من العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ لما وضحت الحجة لكم أم أنتم بعد على الكفر؟ وفي هذا النوع من السؤال تعبير^(٥) لهم،

(١) فإنهم علموا من كتبهم حقية الإسلام وقرءوا فيها نعته صلى الله عليه وسلم فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم/١٢ منه.

(٢) أي: انقدت لله بلساني، وعقدى والوجه زيادة كما قال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص: ٨٨)، يريد إلا هو، وقوله تعالى: "إنما نطعمكم لوجه الله" (الإنسان: ٩)، أي: لله، قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية:

أسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاهما فلما استوت شددا	سواء وأرسي عليها الجبالا

(٣) ولا يبعد أن يكون المراد كفاني إسلام أصحابي، فإن أسلمتم فلکم، وإن كفرتم فعليكم، وما علي إلا البلاغ، ولهذا قال: "وقل للذين أوتوا الكتاب" الآية/١٢ وجيز.

(٤) وحاز للفصل/١٢.

(٥) بمعاندتهم وعدم إنصافهم كما إذا أوضحت مسألة على أحد، ثم تقول له: هل فهمت؟! توبيخًا له على البلادة/١٢.

وقيل: استفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: وقد بلغت وليس عليك هداهم. ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ بِالْعِبَادِ﴾: وعد ووعيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّانَ بَعِيرٍ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِعَرِيضٍ حِسَابٍ ﴿١٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرْكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كأهل الكتاب كفروا بنعت محمد صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم. ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: كبنى إسرائيل قتلوا أربعين نبياً في ساعة من
أول النهار وفعل آباؤهم فعلهم، وذلك لأن الأنبياء على طريقتهم راضون عن
فعلهم^(١). ﴿بَغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي: عندهم أيضاً وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى.
﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: قام^(٢) مائة وسبعون
رجلا من بنى إسرائيل أمروا على من قتل الأنبياء بالمعروف فقتلوا في آخر النهار.
﴿فَبَشَّرْنَاهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اعلم أن من لم يجوز^(٣) الفاء في خير إن قال: خيره "أولئك
الذين" نحو قولك زيد فافهم رجل صالح.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت. ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لأنها لم تحقن دماءهم وأموالهم
﴿وَالْآخِرَةِ﴾: ما استحقوا ثواباً ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾: ليدفعوا عنهم العذاب.

(١) الدائرور حول قتل سيد الأنبياء، فكأن الأسباط هم الأسلاف فالبشارة بالعذاب
للأسباط؛ ولهذا أورد قبائح أجدادهم بصيغة المضارع لأنها بمنزلة فعل أسباطهم
وليتذكروها كأن أفعالهم شاهدة/١٢ وجزير.

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢ منه [ذكره
ابن كثير في "التفسير" (٣٥٦/١) من طريق ابن أبي حاتم، وفي سنده ضعف].

(٣) والصحيح جواز دخول الفاء في خير إن إذا كان اسمها متضمنا معنى الشرط نحو: "إن
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم" الآية (الأحقاف: ١٣)، "إن الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات" الآية (البروج: ١٠)، "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله"
الآية (محمد: ٣٤)، /١٢ وجزير.

﴿أَلَمْ تَرَ^(١) إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: كاليهود ومن للتبعيض. ﴿يَذْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾: التوراة أو القرآن. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: نزلت في الرجم سألوا محمداً عليه الصلاة والسلام حد المحصن فحكم بالرجم فما صدقوه فطلب التوراة، فلما أتوا بها ستروا آية الرجم بأكفهم، وابن السلام^(*) رفع كفهم عنها وقرأها على اليهود فغضبوا وانصرفوا، أو نزلت لما قالوا: كان إبراهيم يهودياً. فلما قيل لهم هلموا التوراة فأبوا، وعن ابن عباس وقتادة إنهم دعوا إلى القرآن فأعرضوا عنه. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ﴾، ثم لاستبعاد توليهم مع العلم. ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ قوم عادتهم الإعراض أو معرضون عن كتابهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإعراض. ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، أربعين يوماً بعدد أيام عبادة العجل أو سبعة أيام بإزاء كل ألف سنة يوم أي: الإعراض بسبب تسهيلهم عذاب الله ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كقولهم: "لن تمسنا النار" وأن الله وعد يعقوب أن لا يعذب ذريته. ﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾: لجزاء يوم. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك في وقوعه مع أنهم كذبوا رسلهم، وقتلوه، وافتروا. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاءه. ﴿وَهُمْ﴾ أي: كل نفس لأنه في معنى كل إنسان. ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصان الحسنات وتضعيف السيئات. ﴿قُلِ^(٢) اللَّهُمَّ﴾: يا الله. ﴿مَالِكِ الْمَلِكِ﴾: لك الملك كله وهو نداء ثانٍ عند من يجعل الميم مانعاً من الوصفية. ﴿تَوَاتَىٰ

(١) ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن/١٢.

(*) المشهور أنه: ابن سلام.

(٢) ولما بين ضلال أهل الكتاب، وحال مآلهم بعد الموت أشار إلى مآلهم في الدنيا بأن لهم الذل وانتزاع ديارهم وملكتهم منهم، وعز المسلمين وانتقال ملك أهل الضلال إليهم فقال: "قل اللهم مالك الملك" الآية/١٢ وحيز.

المَلِكِ مَنْ تَشَاءُ: كمحمد وأصحابه أو الملك بمعنى النبوة. ﴿وَتَتَرَعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾: أن تتزع منه كاليهود، وصناديد القريش. ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: إذلاله كاليهود والمشركين. ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ اكتفى بالخير، لأنه المرغب فيه أو لأن الكلام في الملك والنبوة وهما خير، أو لأن الخير مقضى بالذات إذ ما من شر إلا وفيه أنواع الخير أو مراعاة الأدب في الخطاب وتقديم الخير للحصر. ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الخير والشر. ﴿قَدِيرٌ﴾، وهذه الآية إرشاد إلى شكر نعمه، من تحويل الملك والنبوة والعز للمسلمين، والذل لليهود، وقيل: نزلت لما فتح مكة ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح ملك فارس والروم وقالت اليهود والمنافقون: هيهات.

﴿تُولِجُ﴾^(١) تدخل أي: بالتعقيب أو بالزيادة والنقص. ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: كالحيوان من النطف والنطف منه، والبيض من الطير وعكسه أو كالمؤمن من الكافر وعكسه. ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: فمن قدر على مثل ذلك قدر على كل شيء. ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: هُؤَاف عن موالاتهم بصداقه، أو قرابة أو غيرهما ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى أنهم الحقيقيون* بالحبة. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: اتخاذهم أولياء بأن يظهر عليهم أسرار المسلمين. ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾: من دين الله

(١) ولما ذكر أنه على كل شيء قدير بين ذلك بقوله "تولج" إلخ/١٢.

(٢) ولما بين أن الخير كله بيده، وهو القادر على كل شيء وهو الرزاق فعلى عبده أن يتوكلوا في جميع أمورهم على رهم ولا يتجاوزوا بوجه من الوجوه وحال من الأحوال عن طاعة مولاهم ولا يركنوا إلى أعداء الله - حذر من الركون إليهم فقال: "لا يتخذ المؤمنون" الآية/١٢ وجيز.

(٥) في النسخة (ن): الأحقاء.

وولايته. ﴿فِي شَيْءٍ﴾: فإن محبتي متعادين لا تجتمعان. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾^(١) مِنْهُمْ تَقَاةً﴾ أي: إلا أن تحافوا من جهتهم ما يجب أن يتقى فيكون تقاة مفعولاً به وجاز أن تضمن تتقوا معنى تحذروا فيكون معدى بمن، وتقاة مصدر فهو عن الموالة في جميع الأوقات إلا وقت المخافة فإنه جازت المداراة حينئذ باللسان. ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني عن عقاب يصدر عن نفسه، وهذا غاية التحذير كما يقال: احذر غضب السلطان نفسه، ﴿وَأَلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاحذروا كل الحذر.

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من ولايتهم وغيرها، ﴿أَوْ تُبَدُّوهُ﴾ قيل: إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تظهروه بحربه، ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾: يحفظه الله حتى يجازيكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فكيف لا يعلم سركم وجهركم؟! ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبة متخذى الولاية لهم كأنه قال: "يحذركم نفسه" فإنه متصف بعلم ذاتي محيط^(*) بجميع الكون وقدرة ذاتية تعم المقدورات. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أي: جزاء ما عملت أو صحائفه، وعامل يوم "تود" أي: تمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمداً يوم تجد الخير والشر حاضرين عنده، ولو للتمنى وجملة "لو أن بينها" كالبيان للتمنى أو تقديره: اذكر يوم تجد، وتود حال من فاعل عملت أو ما عملت مبتدأ لا عطف على ما عملت

(١) وتتقوا من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الالتفات في غاية الحسن؛ لأنه

حين نهاهم عما لا يجوز جعلهم غائبين، ولما حصل الإذن في بعض ذلك واجههم إبدأً

بلطف الله، وتشريعاً بخطابه إياهم/١٢ وحيز.

(*) وفي نسخة (ن): يحيط.

وتود خبره، وحينئذ ضمير "بينه" لما عملت. ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرره تأكيداً ليكون على بال منه. ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ : ومن رأفته بهم حذرهم بنفسه.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴿٦٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٧١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ مَنْ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٢﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٧٣﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَكِيدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ أَلَّفَهُ اللَّهُ بِفَعْلٍ مَا يَشَاءُ ﴿٧٥﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذَكَرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾: نزلت (١) حين سجدوا للأصنام* زعما منهم أن الباعث لعبادتهم حب الله، وقيل: نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا نعبد المسيح حباً لله. ﴿يُحِبِّكُمْ﴾ (٢) الله أي: يرض

(١) منقول عن ابن عباس ذكره البغوي والواحدى وغيرهما/١٢ منه.

(٥) في الأصل: الأصنام.

(٢) قوله تعالى: " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ " فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله "يحببكم الله" فجزمه جواباً للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعوني يحببكم الله ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحببة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول، والمنازعون منهم من يقول: ما ثم محبة ، بل المراد ثواباً مخلوقاً، ومنهم من يقول: بل ثم محبة قديمة أزلية إما الإرادة وإما غيرها والقرآن يدل على قول السلف، وأئمة السنة المخالف للقولين وكذلك قوله: "ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه" (محمد: ٤٧)، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها وكذلك قوله: "فلما آسفونا انتقمنا منهم" (الزخرف: ٥٥)، وكذلك قوله: "إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم" (الزمر: ٧)، علق الرضى بشكرهم وجعله مجزوماً جزاءً له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده، وكذلك قوله: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة: ٢٢٢)، ويحب المتقين، ويحب المقسطين، و"يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً" (الصف: ٤)، ونحو ذلك فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهي جزاء لهذه الأعمال، والمسبب والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (.....) [ما بين القوسين رموز غير مفهومة لعلها تشير إلى أنه من كلام شيخ الإسلام كما أوضح في الموضع الذي أشار فيه بعد] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرائى قدس الله روحه وسيأتى بعض ما يتعلق بالمحبة في تفسير قوله تعالى ﴿وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٦)، إن شاء الله تعالى.

عنكم ويشبكم، **﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**: والجزم لجواب الأمر يعنى يحصل لكم فوق ما طلبتم^(١) كما قيل: "ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب" **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**: باتباعكم للرسول.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الطاعة. **﴿فَإِن اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾**^(٢): لا يرضى عنهم أتى بالظاهر بدل المضمّر^(*) دلالة على أن التولى كفر. **﴿إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَى﴾**^(٣): بالرسالة **﴿آدَمَ وَنُوحًا﴾** ونوح أول رسول بعثه لما عبد الناس الأوثان. **﴿وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ﴾** منهم سيد البشر عليه الصلاة والسلام **﴿وَأَلِ عِمْرَانَ﴾**: هو والد^(٤) مريم أو والد موسى وهارون. **﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**: ومن العالمين الملائكة.

(١) فإنهم طلبوا مرتبة المحبة فيحصل لهم مرتبة المحبوبة، ومن أين إلى أين ١٢/.

(٢) فيه دلالة على أن التولى كفر، وعلى أن مرتكب السيئات يحوم حول وادي الكفر، ولما أوجب طاعة الرسل وبين أنها الجالب لمحبة الله عقبه ببيان مناقبهم تحريضًا على طاعتهم، فقال: "إن الله اصطفى آدم" الآية/١٢.

(*) وذلك لأن أصل السياق أن يقول "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم" فلما قال "إن الله لا يحب الكافرين" بإيقاع الاسم الظاهر "الكافرين" مكان الضمير "هم" علم أن الله تعالى قد سمى المتولى أى المعرض عن طاعة الله ورسوله كافرين. د/هنداوي.

(٣) عام يراد به خاص ولم يصطفهم على محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا أمهم على أمته ألا تراه يقول: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (آل عمران: ١١٠)، وإنما أراد عالمي أزممتهم هذا كقوله سبحانه: "قالت الأعراب آمنوا قل لم تؤمنوا" (الحجرات: ١٤)، وإنما قاله فريق من الأعراب، وقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون" (الشعراء: ٢٢٤)، لم يرد كل الشعراء/١٢.

(٤) هذا قول محمد بن إسحاق، والثاني قول قتادة/١٢ منه.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من نوح والآلين أي: إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الناس، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفى مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ مفعول لا ذكر، قيل: ظرف لسميع وعليم أي: سميع عليم بقول امرأة عمران وبناتها إذ قالت ﴿امْرَأَةٌ عِمْرَانُ﴾: هي أم مريم. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ أو جبت على نفسي أن يكون ما في بطني لك لا أستخدامه، ﴿مُحَرَّرًا﴾ حال أي: معتقًا مخلصًا للعبادة قيل: كانت لا تحمل فرأت طائرًا يُطعم فرخه؛ فاشتهد الولد؛ فدعت؛ فاستجيب دعاؤها، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: بقولي، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنبئي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ تأنيث الضمير لأن ما في البطن كان أنثى. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قالته تحسرًا وعدرًا مما نذرت فإنها ترجو ذكرًا، ولذلك حررتة، وأنثى حال عن مفعول وضعت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: هو قول الله تعظيمًا لموضوع كان آية للعالمين، وقرئ: "وَضَعْتُ" فيكون من كلامها تسليية لنفسها لعل لله فيها سرًا، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ فيما نذرت لما فيها من الحيض والنفاس وعدم القوة، وقيل: هو قول الله أيضًا أي: ليس الذكر الذي طلبت كالأُنْثَى التي وهبت، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا^(١) مَرْيَمَ﴾: عطف على إني وضعتها أنثى قيل: معنى المريم في لغتهم العابدة. ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بَكَ﴾: أجيها بحمايتك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(٢)﴾: المطرود، في الحديث: "ما من مولود يولد؛ إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه،

(١) أشار بقولها إني سميتها مريم إلى أن تفاءلت باسمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها/١٢ منه.

(٢) وذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبًا لأن يصحبها [تصحفت في الأصل إلى (يصحبها)] حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها/١٢.

إلا مريم وابنها" (*) ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: رضى بها مكان الذكر. ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾: بوجه (١) حسن يقبل به الذائر، ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾: رباها، ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ بشكل مليح، ومعرفة وطاعة بالله وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، ﴿وَوَكَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾؛ لتقتبس منه علماً وعملاً، وكان (٢) زوج خالتها أو زوج (٣) أختها وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكريا على أن يكون مفعولاً تانياً والفاعل هو الله. ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ (٤) أي الغرفة التي بنى لها في المسجد، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فأكهة الصيف في الشتاء وبالعكس، أو

(*) أخرجه البخاري في "الأنبياء" (٣٤٣١)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" (٢٣٦٦)

(١) الظاهر أن يقال فتقبلها قبولاً لأنه مصدر فاحتجنا لتصحيح معنى الباء إلى حمل القبول على الاختصاص المذكور الذي هو ما يقبل به الشيء يجعله بمعنى المفعول بالواسطة أعني ما يقبل به وهو قريب من الآلة/١٢.

(٢) كما ذكره ابن اسحق، وابن جرير، وغيرهما/١٢.

(٣) كما ورد في الصحيح [يعني في حديث المعراج، وقوله فيه: "فإذا بيعني وعيسى وهما ابنا الحالة"].

(٤) أخرج ابن المنذر عن السدي: المحراب: المصلى، وأخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا هذه المذابح" يعني: المحاريب [أخرجه البيهقي في "الكبرى" (٤٩/٢)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٦٠/٨): "رواه الطبراني وفيه عبدالله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن المديني في روايته عن الأعمش وليس هذا منها"]، وأخرج ابن أبي شيبه في المصنف عن موسى الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذبح كمدابح النصرى" /١٢ در منشور [الدر المنثور (٣٧/٢)]، وفي الفتوح: قد رويت في كراهية ذلك آثار كثيرة من الصحابة/١٢.

صحفاً^(١) فيها علم والأول أصح، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا﴾: من أين لك في غير أوانه والأبواب مغلقة؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فلا يستبعد قيل: هي كعيسى تكلمت صغيرة، وقيل: لم ترضع ثدياً ويأتى رزقها من الجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ لكثرة وسعة جوده، وهو يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلامها.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو الوقت الذي رأى الأشياء في غير أوانها، وعلم منزلتها، وكرامتها على الله، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: طمع في الولد من العاقر، ورجب في أن يكون له ولد. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: من غير أسباب ظاهرة^(٢) ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لأم مريم العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ بجيبه.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جنس الملائكة فإن المنادى جبريل وحده، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾: في الصلاة،^(٣) ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ﴾^(٤) أي: بأن الله، ﴿يُبَشِّرُكَ بِبَيْحَى﴾ أي: بولد من صلبك اسمه يحيى سمي به لأنه أحياه الله بالإيمان، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى سمي بالكلمة لأنه أوجده بخطاب كن دون أب، وهو أول من صدق عيسى، كانا ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطنى يسجد لما في بطنك، وقيل بكلمة من الله أي: بكتاب الله، ﴿وَسَيِّدًا﴾: حليماً يفوق في الخلق والكرم والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتى النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يتزل الماء وقيل

(١) الأول لمجاهد وعكرمة وقتادة وجم غفير من السلف وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أنه صحفاً من علم/١٢.

(٢) فإن زوجته أيشاع كانت عاقراً عجوزاً، وكانت أختها حنة أم مريم كذلك. ١٢/.

(٣) خير بعد خير، أو صفة لقائم، أو حال/١٢ منه.

(٤) ومن قرأ "إن" بكسر الهمزة فعلى إرادة القول أي: فنادته الملائكة وقالت: "إن الله" أو لأن النداء نوع من القول/١٢ منه.

والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتي النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يتزل الماء وقيل حصوراً في حبس النفس عن الشهوات(*)، وفي الحديث^(١): "كل ابن آدم يلقي الله بذنوب إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً وحصوراً" ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها فقال: "كان ذكره مثل هذه القذاة" (**). ﴿وَبَيًّا﴾: ناشئاً، ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) أو كائناً ممن لم يأت ذنباً. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ استبعاد من حيث العادة واستعظام أو استفهام عن كيفية حدوثه، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي

(*) هذا هو الأرجح لأن الفضيلة لا تتم إلا بحبس النفس عن المعصية مع توفر داوعياها. د/هنداوي

(١) رواه ابن أبي حاتم بروايات متنوعة، وابن المنذر في تفسيره وقد صح عن كثير من الصحابة أنه لم يأت النساء إما لحبس نفسه عن الشهوات أو لأنه عين، وقد منعه قاضي عياض في الشفاء بأن العنة عيب ونقيصة لا يليق بالأنبياء وقال: "بل معناه أنه معصوم عن الفواحش"، وقال ابن كثير في الحديث المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام: في هذا المعنى نظر، والموقوف إلى الصحابة أقوى إسناداً من المرفوع/١٢ منه.

(**) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٦٢/١) من طريق ابن أبي حاتم واستغربه، وهو كذلك إذ إن العنة -وهي عدم الميل إلى النساء- صفة نقص وذم منافية لصفات الكمال التي جبل الأنبياء عليها، فضلاً عن أنها قاذحة في رجولتهم وفحولتهم، وقد ثبت أن سليمان -عليه السلام- طاف على سبعين امرأة وفي رواية: مائة امرأة في ليلة واحدة، وكذا نبيا -صلى الله عليه وسلم- طاف على نساته التسع في ليلة واحدة.

(٢) فمن للابتداء فإنه كان من أصلاب الأنبياء/١٢.

(٣) قال الزجاج: الصالح الذي يؤدي لله ما افترض عليه وللناس حقوقهم/١٢ فتح.

(٤) قيل لما وعده الله تعالى جاءه الشيطان وقال: "إن الصوت الذي سمعت ليس من الله بل من الشيطان" فقال: "رب أن يكون لي غلام" دفعاً للوسوسة فلذلك طلب الآية/١٢ منه.

﴿وَأَمْرَاتِي﴾^(١) عَاقِرٌ: لا تلد. ﴿قَالَ﴾: أي الملك، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
 أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل^(٢) ذلك الفعل، فكذلك متعلق يفعل وقيل:
 "كذلك الله"^(٣) مبتدأ وخير و"يفعل ما يشاء" بيان أو تقديره: الأمر كذلك، و"الله
 يفعل" بيان. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة أستدل على وجود الولد، فأزيد في
 العبادة شكراً لك، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: لا تقدر عليه مع أنك
 سوى صحيح تقدر الحمد والتسبيح، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾^(٤): إشارة بنحو يد ورأس
 وحاجب، والاستثناء متصل جعله من جنس الكلام؛ لأنه فهم من الرمز ما يفهم من
 الكلام أو منقطع^(٥) ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾: في أيام الحبسة، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾^(٦):
 آخر النهار. ﴿وَالْإِنْبَارِ﴾: أول النهار.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
 الْعَالَمِينَ﴾^(١) يَمْرَيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّكْعِينَ^(٢)
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَلِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ

(١) أيكون من هذه المرأة أم من امرأة أخرى أو صيرت صغيراً ولوداً وهذا قول الحسن رحمه
 الله لكن قوله: "قال كذلك الله يفعل ما يشاء" مشعر بالوجه الأول كما لا
 يخفى/١٢ منه.

(٢) وهو إيجاد الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر/١٢ منه.

(٣) أي على نحو هذه الصفة الله/١٢ منه.

(٤) الرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتاباً/١٢ م.

(٥) كذا ذكره ابن جريج، والسدي عن ابن عباس، والحسن وقتادة، والضحاك،
 وغيرهم/١٢ منه.

(٦) أي ما بين زوال الشمس إلى غروبها، فصلاة الظهر والعصر صلاة العشي/١٢ منه.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١١٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ
يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَتَمَّهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٥﴾ وَكَلَّمْنَا النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ
كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١١٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلِأَحِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١٢١﴾ * فَلَمَّا
أَحْسَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل وهو من جنس الملك، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك أولاً لشرفك^(١)، ﴿وَوَهَّبْنَاكِ﴾ من الأكدار والوساوس، وقيل من الحيض أو من همة اليهود ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) : مطلقاً أو على عالمي زمانها، ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرت بالخشوع والطاعة وغاية الخضوع والصلاة مع الجماعة، وجماعة الرجال، أفضل أو كوني^(٤) معهم، قيل ركدت^(٥) في محرابها رابعة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها، ﴿ذَلِكَ﴾: القصص، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: من الغيوب التي لا تعرفها إلا بالوحي، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ﴾: ليعلموا، ﴿أَيُّهُمْ﴾^(٦) يكفل مريمَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها وذلك أن أمها يوم ولدتها أتت به سدنة بيت المقدس وقالت: "دونكم هذه النذيرة فإن حررتما فتنافس الأبحار

(١) حين تقبلك من أمك وأبيك/١٢ منه.

(٢) روى الترمذي وصححه قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله اصطفى من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله، وآسية امرأة فرعون"، ورواه ابن مردويه أيضاً/١٢ منه [وهو صحيح، انظر صحيح الترمذي (٣٠٥٣) ولفظه: "حسبك من نساء العالمين..."].

(٣) عن مجاهد قال: "لما قيل لها اقنيتي لربك" قامت حتى ورمت قدميها/١٢ در منشور.

(٤) في عدادهم لا في عداد غيرهم/١٢.

(٥) قاله الأوزاعي/١٢.

(٦) لا يمكن تعلق "أيهم يكفل مريم" بيلقون؛ لأنه ليس من الأفعال التي تعلق بالاستفهام، فلا بد من تقديره ليكون الاستفهام في موقع مفعوله وهو ليعلموا فإنه لا بد أن يكون من أفعال القلوب، ويدل عليه بيلقون أقلامهم/١٢ منه.

فيها لأنها ابنة إمامهم فأقرعوا بالأقلام التي يكتبون بها التوراة عليها؛ فخرجت القرعة لذكريا فكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل بدل من إذ يختصمون على أن الاختصاص^(١)، والبشارة في زمان متسع أو من إذ قالت، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾^(٢): من الله أي: عيسى، ﴿اسْمُهُ﴾^(٣) ذكر ضمير الكلمة؛ لأن المسمى مذكر، ﴿الْمَسِيحُ﴾^(٤) معرَّب مسيحا بالعبرية أي: المبارك قال بعض السلف لكثرة سياحته سمي به، أو لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبه إلى أمه حيث لا أب له، ﴿وَجِيهًا﴾: له وجهة ومكانة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ نصب وجيهاً ومن المقربين على الحال من كلمة؛ لأنها نكرة موصوفة، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، عطف

(١) فإن وقت الاختصاص ظاهر أنه قبل البشارة بمدة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتد يقع الاختصاص في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أهمما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة/١٢ منه.

(٢) وفي تفسير أبي السعود في سورة النساء يحكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء الرشيد فناظر على بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له: "إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله"، وتلا هذه الآية أي قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فقرأ له الواقدي: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ وقال: "إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزء منه سبحانه؛ فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحا شديداً وأعطى الواقدي صلة فاخرة/١٢فتح.

(٣) الاسم أحد الثلاثة، وهو عيسى، والمسيح لقبه، وابن مريم صفته والمراد من الاسم هذه العلامة التي بها الامتياز، وهي مجموع الثلاثة لا واحد أو كل واحد علامة مميزة، وليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقب، والكنية فافهم/١٢.

(٤) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله لا على طريق الأبناء الآخر من مادة، وأب، ومدة/١٢.

على وجهها، ﴿فِي الْمَهْدِ^(١)﴾: طفلاً وهو آية ﴿وَكَهَلًا﴾ بالمرّة، وقيل إنه رفع شاباً فامراد (*) كهلاً بعد نزوله فهو آية أخرى قيل: في ذكر "وكهلاً" بشارة لمريم ببقائه أو إشارة إلى أنه لا يصل إلى سن الشيخوخة أو إلى أن كلامه في الحالتين من جنس واحد، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في قوله وعمله عطف على وجهها أو على في المهدي.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ استبعاد عادي؛ لأنها كانت محررة لله والمحررة لا تتزوج أبداً. ﴿قَالَ﴾: جبريل، ﴿كَذَلِكَ^(٢) اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي يخلق مثل ذلك الأمر، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: احدث فيحدث، كان تامة، والمراد تمثيل حصول ما تعلق به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف أو القول حقيقي، ﴿وَيَعْلَمُ^(٣)﴾

(١) الظاهر أن في المهدي ظرف لغو ليكلم لا حال، لكن عطف كهلاً عليه يدل على أنه حال/١٢.

(*) كذا في الأصل.

(٢) نجاز في إعرابه الأوجه الثلاثة التي مرت في "كذلك الله يفعل ما يشاء" وأختار نصبه بأنه صفة لمفعول مطلق؛ لأنه يتبادر إلى الذهن/١٢ منه.

(٣) أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكتاب فدفعته إليه فقال: "قل" بسم، فقال: بسم الله، قال المعلم قل: الرحمن، قال عيسى: الرحيم، فقال المعلم قل أبوجاد، فقال: هو في كتاب الله، فقال عيسى أتدرى ما ألف؟ قال: لا قال: آلاء الله، أتدرى ما باء قال لا، قال بهاء الله أتدرى ما جيم؟ قال، لا قال جلال الله أتدرى ما اللام قال لا قال: لا إله إلا الله، فجعل يقرأ على هذا النحو فقال المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني؟! قالت: فدعه يقعد مع الصبيان فكان يخبر الصبيان بما تدخر لهم أمهاتهم في بيوتهم هكذا نقل السيوطي في الدر المنثور وصححه [٤٦/٢] لكن لا أثق بتصحيحه فالعهدة عليه والله أعلم/١٢ [الخبر ليس بصحيح لانقطاعه].

الكتاب» أي: الكتابة أو جنس الكتب المترلة وهو عطف على يشرك أو وجيهاً^(١) أو كلام مبتدأ من تمام بشارة مريم، «وَالْحِكْمَةَ»: الفهم أو معاني كلام الله وقد مر، «وَالْتَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ» نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى، وكان يحفظهما. «وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ» تقديره ويجعله^(٢) رسولاً مختبراً بأني قد جئتكم أو عطف على وجيهاً أو كهلاً^(٣) وطفلاً مضمناً معنى النطق كأنه قال: وناطقاً بأني، وتخصيص بني إسرائيل بتخصيص بعثته بهم أو للرد على من قال: إنه ليس مبعوثاً إليهم، «أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ» أقدر وأصور «مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ»: مثل صورته بدل من "أني قد جئتكم" أو من آية أو تقديره: هي أني أخلق «فَأَنْفُخُ فِيهِ» أي: في المثل، فالضمير له كاف «فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ» أي: حيّاً طياراً بإذن الله، «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ»: من^(٤) ولد أعمى، وقيل من يبصر نهاراً لا ليلاً، وقيل بالعكس، «وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» تكرار "بإذن الله" لدفع وهم الألوهية فإن الإحياء ليس من فعل البشر، «وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ»: الآن، «وَمَا

(١) التوجيه الآخر في العطف هو الأولى؛ لأن قراءة من قرأ و"نعلمه" بالنون يرد الباقي إلا أن يقدر إن الله يشرك بعيسى، ويقول نعلمه الكتاب وأما حديث الالتفات فما لا يلتفت إليه فتأمل/١٢ منه.

(٢) قيل: تقديره وأرسلت رسولا بأني على تقدير القول أي: ويقول أرسلت ليكون عطفاً على يعلمه/١٢ منه.

(٣) لا يجوز أن يكون معطوفاً على المعطوفات المتقدمة؛ لأنها في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لتعلق قوله: إني قد جئتكم فلم يصح بعث الله عيسى مصدقاً أنا، ولكن مصدقاً هو فلذلك وجه بوجهين/١٢ منه.

(٤) الوجهان الأخيران هما قولان لبعض السلف فأوردناهما/١٢.

تَدَخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»: للغد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ :
مصدقين للحق.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ منصوب بفعل^(١) مقدر أي: وجئتكم مصدقًا ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ﴾: لكتاب
أنزل من قبلي، ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ﴾ تقديره: وقد جئتكم لأحل، قيل عطف
على معنى مصدقًا نحو: جئتكم معذرًا ولأطيب قلبك^(٢)، ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ﴾، في شرع موسى كالشحوم، ولحوم الإبل، وغيرها، وفيه دلالة على أن شرعه
نسخ بعض شرع موسى، وهو الصحيح من القولين، ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:
حجة على صدقي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: فيما أقول.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: لما أظهر المعجزة شرع في الدعوة، وقيل الآية قوله:
"إن الله ربي وربكم" فإنه الجمع عليه بين الأنبياء والفارق بين النبي والساحر، ﴿هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق مشهود له بالا ستقامة، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ
الْكُفْرَ﴾: تحقق عنده تحقق المحسوسات، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من يتبعني
إلى الله أو إلى بمعنى^(٣) مع وقيل بمعنى في أو اللام أو تقديره: من أنصارى ذاهبًا إلى الله
أو في الدعوة إلى الله، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ من الحور، وهو البياض الخالص، وحوارى
الرجل خالصته، وقيل: كانوا قصارين سماوا بذلك لبياض أثوابهم، وقيل: ملوكًا لا
يلبسون إلا البيض، ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا

(١) لا أنه معطوف على رسولا والأحوال قبله لأنه وجب أن يقول لما بين يديه
فافهم.

(٢) يمكن عطفه على محذوف أي: جئتكم مصدقًا لأهديكم ولأحل لكم/١٢ منه.

(٣) أي: مع الله، والعرب تقول: "الذود إلى الذود إبل" أي: مع الذود أ والذود قطع من

الإبل الثلاث إلى التسع/١٢ م.

مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ مع أمة (١) محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: مع الأنبياء فإنهم شهداء لأتباعهم، وقيل: مع الشاهدين بوحدانيتك، ﴿وَوَكِّرُوا﴾ أي: الذين أحس منهم الكفر في قتل عيسى، ﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ (٢): جازاهم (٣) على مكرهم حين رفع عيسى، وألقى شبهه على أحد، فأخذوه، وقتلوه، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أقواهم وأقدرهم.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي مَتُوفِيكَ وَرَأْفِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وصححه، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس/١٢ منه.

(٢) المكر في العبد عيلة يجلب بها غيره إلى مضرة، ولا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة ووصف تعالى نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بما لكن ليس المكر كالمكر والكيد كالكيد، والله المثل الأعلى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى: ١١) /١٢.

(٣) هذا من باب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، والمعنيان مختلفان نحو قول الله تعالى: "إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم" (البقرة: ١٤، ١٥) — أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء وكذلك "سخر الله منهم" (التوبة: ٧٩)، "ومكروا ومكر الله"، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" (الشورى: ٤٠)، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز جزاء وقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة: ١٩٤)، فالعدوان الأول ظلم والثاني: جزاء والجزاء لا يكون ظلمًا وإن كان لفظه كلفظ الأول، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "اللهم إن فلانا هجانى وهو يعلم أنى لست بشاعر اللهم عنه عدد ما هجانى أو مكان ما هجانى" [لا يصح، انظر العلل لابن أبي حاتم (٢٢٨٣)]، أي: جازه جزاء الهجاء، وكذلك قوله تعالى "نسوا الله فأنسىهم" (التوبة: ٦٧) /١٢.

مَرَجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٢٢﴾ ذَلِكَ نَقَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ
مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٢٤﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٢٥﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِن لَّهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٧﴾
فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٨﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ المراد من الوفاة ها هنا
النوم^(١)، وعليه الأكثرون أو في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلى ومتوفيك
يعنى بعده أو توفاه الله ثلاث ساعات حين رفعه إليه أو سبع^(٢) ساعات ثم أحياه
أو متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت أي: قابضك من الأرض وافيًا لم ينالوا منك
شيئًا من توفيت مالى، ﴿وَرَافِعُكَ﴾^(٣) ﴿إِلَىٰ﴾^(٤) إلى محل كرامتى، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

(١) صرح بذلك الحسن، وغيره نقله ابن أبي حاتم/١٢.

(٢) قال ابن إسحاق: النصرارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه/١٢ منه والإجماع
على أنه حي في السماء يترل، ويقتل الدجال، ويؤيد الدين/١٢ وحيز.

(٣) الرفع النقل من أسفل إلى علو/١٢ وحيز.

(٤) قوله: "ورافعك إلى" هذه الآية الشريفة دلت بظاهاها على أن الله تعالى فوق سماواته، =

= وكذلك قوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء: ١٥٨)، وقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ (السجدة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لعلى أبلغ الأسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧)، يعنى: أظن موسى كاذبًا في أن إلهه في السماء ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى إله في السماء لما قال هذا إذ لو كان قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هذا القول من فرعون عبثًا، وكان بناؤه القصر جنونًا.

وقال الحافظ شمس الدين بن القيم في إغاثة اللهفان: والأساطين قبله - يعنى أساطين الفلاسفة قبل أرسطو - كانوا يقولون بحدوثه يعنى: بحدوث العالم، وإثبات الصانع ومباينته للعالم وأنه فوق العالم، وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم، فقال: فيه القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال: فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأن إبطاله إبطال الشرائع، ولم تنزل أساطينهم معظمين للرسول والشرائع معترفين بأن ما جاءوا به طورًا آخر وراء طور العقل، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام =

كَفَرُوا: من سوء جوارهم، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: هم المسلمون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من النصارى. أو الحواريون، ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى

= إلى الرسل، ويقولون علومنا إنما هي الرياضيات، والطبيعات، وتوابعها إلى آخر ما ذكر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في النقص على المريسي: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتاب شعار الإيمان: إن إنكار الفوقية شئ سرقه المتأخرون من الفلاسفة، وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله انتهى.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك: "لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض هاهنا بل على العرش استوى، وقيل له كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه انتهى ذكره شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني/١٢.

وقال الإمام أبو عبد الرحمن بن حنبل رحمه الله: ما فطر العباد إلا على أن ربه في السماء/١٢ وقال شاه ولي الله رحمه الله في رسالته الذب عن تقي الدين بن تيمية: والحق في هذا المقام أن الله أثبت لنفسه جهة الفوق وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه انتهى/١٢.

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الأجابة المصرية ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة فمنهم من يقول: هو في جهة، ومنهم من يقول: لا أطلق لفظ الجهة وربما قال بعضهم: ليس بجهة، وذلك لأن هذا اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع [تحرفت في الأصل إلى: الشارح (بالحاء)] حتى يتفقوا ومعناه محتمل فمن أثبت به أنه فوق العرش ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال انتهى/١٢. وسيأتي إيضاح ذلك في سورة يونس تحت قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (يونس: ٣)، إن شاء الله تعالى.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بالغبلة والعزة وإلى الآن لم تسمع غلبة^(١) اليهود، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أيها التابعون والكافرون، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢) من أمر عيسى ودينه.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالسبي والقتل والجلاء وهو بيان حال الفريقين لا تفصيل الحكم الأخرى؛ لأنه ينافية قوله: في الدنيا، ﴿وَالْآخِرَةَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: لا يرحمهم فهو سبحانه لا يظلم.

﴿ذَلِكَ﴾: ما سبق من القصص، ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾: حال من مفعول تتلوه، أو خير ذلك وتلوه حال والعامل معنى الإشارة أو خير بعد خير، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي من القرآن المحكم الممنوع عن الباطل أو من اللوح المحفوظ، أو من الذكر المشتمل على الحكم. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: شأنه الغريب كشأنه، ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: خلق قلبه من تراب، والجملة مفسرة للتمثيل، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾: بشرا، ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية شبه الغريب وهو ما لا أب له بالأغرب وهو ما لا أم ولا أب له ليكون أحسم لمادة شبهة الخصم. ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هو الحق أو الحق المذكور من الله، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد ثباته ونهى غيره عن الشك.

(١) وشردهم الله تعالى أي تشريد ليس لهم مدينة يختصمون بها وهم مفرقون في أقطار تحت

قهر اليهود والنصارى/١٢ وحيز.

(٢) ثم فصل المحكوم بينهم إلى مؤمن وكافر وذكر جزاء كل منهما فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ

كفروا﴾ الآية/١٢ وحيز.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا، ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، أنفسنا: رسول الله، وعلى بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام^(*)، والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه، وأبناءنا: الحسن، والحسين، ونساءنا: فاطمة رضي الله عنهم هكذا^(١) ذكره السلف، وقيل: معناه يدع كل مني ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه إلى المباهلة، وقدم الأبناء والنساء على النفس؛ لأن الرجل يقدمهم على نفسه ويفدى بنفسه لهم، ﴿ثُمَّ نَبِّهْهُمْ﴾ تتضرع في الدعاء أو تتلاعن من الابتهاال الاتعان ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ الفاء على المعنى الأول ألقى، وسبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة في وفد^(٢) نجران النصراني يجاحون في عيسى يزعم بعضهم أنه هو الله، وبعضهم أنه ولد الله وبعضهم أنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله فيهم صدر هذه السورة إلى بضع وثمانين آية، فخرج^(٣) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي ودعاهم إلى المباهلة فقالوا: دعنا

(*) كذا قال، والأولى أن يقال: علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كسائر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن اختصاصه دونهم بالصلاة والسلام عليه، قد يوهم ما عليه من يعتقد نبوته من الشيعة. د/هنداوي.

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن بعض الصحابة وقال: صحيح على شرط مسلم وهو المروى عن ابن عباس والبراء وغيرهم من أكثر السلف/١٢ منه.

(٢) وفد نجران وهم ستون راكبا وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وعلماهم/١٢.

(٣) رواه ابن مردويه، والبيهقي، والنسائي كل منهم من [كذا بالأصل، و"من" تأتي بمعنى "عن" انظر مع الهوامع للسيوطي بتحقيق د/عبد الحميد هنداوي] أحد من الصحابة وروى البخاري، ومسلم [أخرجه البخاري في "المغازي" (٤٣٨٠)، ومسلم في "الفضائل" (٢٤٢٠)]، والترمذي بعض هذا الذي نقلناه وذكره ابن إسحاق في سيرته بتفصيل، وتطوير/١٢ منه.

ننظر، فاستشاروا فقال كبيرهم: ما لاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإن أراهم وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزال، فأتوا وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وتركك على دينك ونرجع على ديننا ونبذل لك الخراج.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أى: قصص عيسى ومريم، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: دون ما ذكره، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ: رداً على النصارى فى تثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلا أحد يساويه فى القدرة، والحكمة، فلا إله غيره، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما أوحيت إليك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، وضع المظهر موضع المضمرة، دلالة على أن الإعراض من (*) التوحيد والحجج إفساد للدين .

(١) فيه دلالة على أن الإعراض عن التوحيد والحجج إفساد للدين، ولما أتم الحججة أمر بندائهم إلى إذعان النتيجة، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ الآية/٢ ووجيز.

(٥) كذا فى الأصل، وسبق التنبيه عليه آنفاً.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي يَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتِ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتُتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِن أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود، والنصارى، ومن جرى مجراهم، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا يختلف فيها رسول، ولا كتاب، والكلمة تطلق على الجملة وتفسيرها قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾: نوحده بالعبادة، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: في استحقاق العبادة، ﴿وَلَا يَتَّخِذُ^(١) بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

(١) اختلفوا في معنى اتخاذهم إياهم أربابا بعد الاتفاق على أنه ليس المراد أنه جعلوهم آلهة فقال أكثر المفسرين المراد أنهم أطاعوهم في أوامره ونواهيهم ثم نقل حديث عدى بن حاتم الذى رواه الترمذى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿اتخذوا

لا^(١) يطبع بعضنا بعضاً في معصية الله، أو لا نسجد لأحد، قيل: كما اتخذت النصرى عيسى واليهود عزيزاً، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن إجابة التوحيد، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾^(٢) بآنا مُسَلِّمُونَ: مقرون بالتوحيد دونكم.

﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ^(٣) تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تنازعت نصرى بجران، وأخبار اليهود فى أن كلاً منهما ادعوا أن إبراهيم منهم، ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، الجملة حالية أى: اليهودية والنصرانية حدثتا بترولهما على موسى وعيسى،

= أخبارهم وربهانهم أرباباً من دون الله﴾ قال: "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه" [وهو حديث حسن، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٧١)] نقله بلفظ آخر وذكرت هنا لفظ الترمذى، ثم ذكر قول الربيع أنه قال: قلت لأبى العالىة كيف كانت الربوبية فى بنى إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الأخبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم الله تعالى قال العلماء: إنما يلزم له تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج؛ لأن الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه يلغنه، ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين قال الإمام فخر الدين الرازى: قد شاهدت من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وكانوا ينظرون إلى كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً فى عروق الأكثرين انتهى ما فى التفسير النيسابورى.

(١) كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) / ١٢ منه.

(٢) يعنى لزمتمكم الحجة فوجب عليكم الاعتراف بإسلامنا وهذا كما يقول الغالب للمغلوب

اعترف بأنى أنا الغالب/١٢ وجيز.

(٣) و"لم" أصله "لما" حذف الألف وما استفهامية/١٢.

وإبراهيم قبلهما بدهر طويل، فكيف يكون عليهما؟! **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**: فتدعون المحال.

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: ها: حرف تنبيه، وقيل: أصله أأنتم على الاستفهام التعجبي، فقلبت هاء وأنتم مبتدأ خبره هؤلاء، والجملة التي بعده مبينة للأولى، وقيل: هؤلاء بمعنى الذين، وحاججتم صلتها، وقيل: هؤلاء نداء أي: أنتم يا هؤلاء الحمقى جادلتم عناداً فيما وجدتموه في كتابكم، ولكم به علم، **﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾**: ولم يذكر في كتابكم من دين إبراهيم، فإنه ربما يجادل الرجل فيما يعلم عناداً لكن فيما لا يعلم لا يبحث عنه إلا فهماً وطلب علم، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾**: شأنه، **﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، صرح بما دلت عليه الحجة، **﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾**: مائلاً عن الباطل إلى الحق، **﴿مُسْلِمًا﴾**: منقاداً لله **﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** تعريض بهم لإشراكهم به عزيزاً والمسيح ورد على مشركي قريش في زعمهم أنهم على دين إبراهيم، **﴿إِنَّ أَوْلَىٰ﴾** (١) **النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾**، أقرهم وأحقهم به، **﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾**: على دينه، **﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾**: من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم في (٢) الحديث: "إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن ولي منهم أبي وخليل ربي" ثم قرأ (٣) الآية، **﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾**: ينصرهم لإيمانهم برسوله.

(١) مشتق من الولي وهو القرب/١٢ منه.

(٢) رواه الترمذى والبخارى وغيرهم/١٢ منه [وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٥٨)].

(٣) قال الرازي: الأصول واحد في الجميع وأما الفروع فالمخالفة فيها بين دين محمد ودين إبراهيم عليهما السلام قليلة جداً/١٢ وحيز.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أى: اليهود حين دعوا بعض الصحابة إلى اليهودية ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ لو بمعنى أن، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، فإن المؤمنين لا يقبلون قولهم، ويحصل لهم إثم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ اختصاص ضرره بهم.

﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: من التوراة والإنجيل أو القرآن، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: صدقها.

﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تخلطونه بما تخترعونه حتى لا يميز بينهما، أو لم تجعلونه ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبون فى خلاله أو تخطون الإيمان يعيسى بالكفر بمحمد، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: عالمون بحقيقة ما تكتُمون.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾ * وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بَقِنطَارٍ يُؤَدِّمَهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّمَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَّ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ

مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ﴾، أوله سمى وجهًا لأنه أول ما يواجهه الناظر، ﴿وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾: عن الإسلام، أطلع الله نبيه على مكيدة اليهود، فإنهم اشتوروا أن يظهرُوا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا؛ ليقول المسلمون: ما رجعهم إلى دينهم إلا اطلاع نقيصة في ديننا ولعلهم يرجعون عن الإسلام.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: لا تعترفوا، ولا تظهروا التصديق إلا لأشياعكم، ﴿قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُدَى اللَّهِ﴾: يهدى من يشاء، ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ﴾^(١) عِنْدَ رَبِّكُمْ، متعلق بلا تؤمنوا أي: لا تعترفوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم، والمعجزات، ولا بأن يغالبوكم بالحجة يوم القيامة إلا لأشياعكم^(٢)،

(١) قال الواحدي: وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيرًا وإعرابًا ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أحد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم/١٢ فتح.

(٢) قال بعض المفسرين: معناه لا تظهروا ما بأيديكم من العلم إلا لأتباعكم لا إلى المسلمين ليسا وركم فيه ويحاجوكم به عند الله وعلى هذا "أن يؤتى" علة للنهي كأنه قيل: لا

ولا تفشوه لا إلى المسلمين ولا إلى المشركين يعني: إن علمكم بذلك حاصل، لكن لا تظهروه وأوثر في العطف كلمة "أو" ليفيد العموم مثل: "ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً" (الإنسان: ٢٤)، وقوله: "إن الهدى هدى الله" جملة معترضة دالة على أن كيدهم لا طائل تحته، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: "إلا لمن تبع دينكم"، والمعنى على الوجهين الأولين الآتين ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر، وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم قبل ذلك ثم أسلم لعلهم^(١) يرجعون، فإن رجوعهم أرجى عندكم، وأشجى لخلق المسلمين حينئذ، ففي موقع "أن" يؤتى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتعلق بفعل مضمّر على حذف اللام أى وقل فعلتم ما فعلتم من الكيد لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة، أى: لم يكن لكم داع إلى هذا الكيد سوى الحسد، ووجه العدول عن الواو إلى حينئذ الإشارة إلى أن كلا من الأمرين مستقل بكونه سبباً للحسد.

الثاني: أن يكون الخبر إن الهدى وهدى الله بدل من الهدى وحين أو بمعنى إلى أن يعنى حتى يجاجوكم فيدحضوا حججتكم.

الثالث: أن ينتصب بفعل مضمّر تقديره^(٢) قل إن الهدى هدى الله ولا تنكروا أن يؤتى أحد أو يكون لأحد وسيلة غلبة عليكم عند الله، ويدل على هذا المضمّر لا تؤمنوا إلا

= تظهروا سرّكم وما عندكم؛ لأن يكون لكم المزية والغلبة في الدنيا والآخرة وقوله: "قل إن الهدى هدى الله" معترضة دالة على أن من يعلمه ويفضله فهو الهادي وهو الذى هدى المسلمين وفضلهم/١٢.

(١) وحقيقة المعنى أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأن الإيتاء والمحااجة المذكورين كائنان ألبتة/١٢.

(٢) هو من جملة مقول الطائفة، وحاصله أظهروا الإيمان بدين المسلمين لكن كونوا على دينكم واستمروا عليه ولا تبدلوا دينكم فقليل: "قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى".

لمن تبع دينكم؛ لأن معناه حينئذ لا تقرؤا بحقية دين لأحد إلا لمن هو على دينكم فإنه لا دين سواه يماثله، وهذا إنكار لأن يؤتى أحد مثل دينهم، وقد بسطت الكلام هنالك فاستفده، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيء.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: لحكمته، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ هذا كله رد وإبطال لزعهم الفاسد.

﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب، فأداه، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنَ إِن تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كفضاحص بن عازوراء أودع ديناراً فجحده، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائماً على رأسه مبالغاً بالتقاضى أو الترافع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ أى: ترك الأداء بسبب أنهم قالوا: ليس علينا فى شأن العرب ذم وعتاب، وأحل الله أموالهم لنا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾: اخترعوا، واختلقوا، وليس فى التوراة شيء مما قالوا، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: إنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ أى: بلى عليهم فىهم سبيل، وقوله: ﴿مَن أَوْفَى﴾ إلى آخره استئناف، ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أى بعهد الله الذى عهد^(١) إليه فى التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وأداء الأمانة أو بعهد^(٢) نفسه، ﴿وَأَتَقَى﴾ أى: الكفر والخيانة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: يحبه فإنه متق، وقيل: بلى بمعنى لكن.

(١) أى: بعهد عهد أى: عهد كان فعلى هذا ضمير بعهد راجع إلى من

(٢) وفى بعهده فإله يحبه فإن من عهدته مع الله أن لا يشرك به شيئاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ^(١) بَعْدَ اللَّهِ﴾: يستبدلون بما عاهدوا من الإيمان برسله، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾، وبما حلفوا من قولهم: والله لنؤمنن به، ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا رشوة في تحريف التوراة، وتبديل نعت محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿أَوْ لَيْتَكَ لَا خَلَقَ﴾: لا نصيب، ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: بما يسرهم، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر رحمة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فعلى هذا الآية في اليهود أو نزلت^(٢) في ترافع بين صحابي ويهودى في أرض فتوجه الحلف على اليهودي، أو في رجل أقام سلعة في سوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها أحدًا من المسلمين^(*).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: من اليهود، والنصارى، ﴿لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ^(٣) بِالْكِتَابِ﴾ يميلونها عن المترل إلى المحرف ويفتلونها عنه، فالباء للاستعانة أو الظرفية، والمضاف محذوف أى:

(١) واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد؛ وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله؛ فثبت أن هذه العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات، والوفاء بالعهد كما يمكن في حق الغير يمكن أيضاً في حق النفس، لأن الوافي بعهد النفس هو الآتى بالطاعة والتارك للمحرمات؛ لأن عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب/١٢ كبير.

(٢) رواه البخارى عن العوام وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي أوفى/١٢ [أخرجه البخارى في "الأيمان والنذور" (٦٦٧٦)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا أخرجه مسلم في "الأيمان" عن ابن مسعود] وليس عن أبي أوفى.

(٥) أخرجه البخارى في "الشهادات" (٢٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه عن ابن أبي أوفى.
(٣) قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: كيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟ والجواب لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون

بقراءة الكتاب **﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾**، أيها المؤمنون، وضمير المفعول لما حصل باللى وهو المحرف، **﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾**: التوراة، **﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾**: التوراة، **﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**: تأكيد لقوله وما هو من الكتاب، وتشنيع عليهم **﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**: أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغي له، وما يتأتى منه، **﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾**: الحكمة أو إمضاء الحكم من الله، **﴿وَالنَّبِيُّ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**، رد على اليهود حين قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك بعثي؛ فزلت^(*)، أورد على النصارى حيث قالوا: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا فزلت، **﴿وَلَكِنْ^(١)﴾**: يقول^(٢)، **﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾**:^(٣) حكماء،

= هذا التحريف ممكننا والأصوب عندي في تفسير الآية وجه آخر، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر، وتأمل القلب، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين، واليهود كانوا يقولون: مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم، فكان هذا هو المراد بالتحريف، وبلى الألسنة وهذا مثل ما أن الحق في زماننا إذا استدل بآية من كتاب الله تعالى فالبطل يورد عليه الأسئلة والشبهات، ويقول: ليس مراد الله ما ذكرت فكذا في هذه الصورة، انتهى بلفظه/١٢.

(*) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٣٨٤/٥)، وفي سنده محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(١) والمعنى: ما استقام لبشر أن يؤتاه الله الكتاب، ثم يترتب عليه أن يقول للناس كونوا عبادًا لى، ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبين أربابًا فالخطاب في "ولا يأمركم" التفات/١٢.

(٢) لما كان يقول تذكيرًا وإعادة ليقول المذكور ينبغي أن يكون بالنصب/١٢.

(٣) دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه، وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس

وحلماء وعلماء، أو فقهاء، أو من يرب^(١) علمه بعمله أو منسوب^(٢) إلى الرب بزيادة الألف والنون ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٣): أى: بسبب كونكم معلمين الكتاب^(٤) ودارسين له.

= شجرة حسناء موقنة بمنظرها، ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع) / ١٢ تفسير كبير [أخرجه مسلم في "الذكر والدعاء" (٥/٥٦٩) ط الشعب].

(١) وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره/١٢.

(٢) وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته؛ لأن الشيء إنما ينسب إلى من اشتهر أو ما اشتهر به سيما وزيادة الألف والنون تؤذن بمبالغة زائدة هذا قول طاوس [في الأصل: طاوس] والحسن البصرى وقتادة/١٢ منه.

(٣) وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وأن من أعظم العمل بالعلم بتعليمه، والإخلاص لله سبحانه، والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدلّت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع عمله وخاب سعيه، وحاصل الكلام أن العلم والتعليم والدراسة توجب على صاحبها كونه ربانياً، والسبب لا محالة مغاير [في الأصل: مغاير] للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانياً أمراً مغايراً لكونه عالماً ومعلماً ومواظباً على الدراسة وما ذاك إلا أن يكون بحيث يكون تعلمه لله، وتعليمه ودراسته لله، وبالجملة أن يكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضات الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله، وإذا ثبت أن الرسول يأمر جميع الخلق بهذا المعنى ثبت أنه يتمتع منه أن يأمر [كذا العبارة في الأصل] الخلق بعبادته وحاصل الحرف شيء واحد وهو أن الرسول هو الذى يكون منتهى جهده وجده صرف الأرواح والقلوب عن الخلق إلى الحق فمثل هذا الإنسان كيف يمكن أن يصرف عقول الخلق عن طاعة الحق إلى طاعة نفسه وعند هذا يظهر أنه يتمتع في أحد من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يأمر غيره بعبادته/١٢ تفسير كبير.

(٤) أى حافظين قارئين له، وجاز أن يكون معناه يدرسون على الناس والأول أولى فافهم/١٢.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾: بقراءة النصب عطف على "ثم يقول"، ولا لتأكيد معنى النفس، وبالرفع استئناف، وقيل حال، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: كما فعلت النصرى، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ﴾، استفهام تعجب، والضمير للبشر، ﴿بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون لله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٠﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِمْ
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: كل (١) نبي بعثه من لدن آدم، ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، أى رسول كان والسلام لتوطئة القسم، وما شرطية، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، جواب القسم والشرط أو موصولة (٢) أى: للذى آتيتكموه، وقرئ بكسر اللام وحيثذ ما مصدرية أى: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم مجيء مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به أو المراد من النبيين أنبياء بنى إسرائيل، والمراد من رسول مصدق محمد عليه الصلاة والسلام، أو النبيين عام كما تقدم، لكن المراد من رسول محمد عليه الصلاة والسلام كما صح (٣) عن على، وابن عباس رضى الله عنهم ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالإيمان والنصر، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدى، ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ﴾: الله، ﴿فَاشْهَدُوا﴾: ليشهد بعضكم على بعض بالإقرار أو قال الله تعالى للملائكة: "اشهدوا" ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على إقراركم وتشاهدكم.

(١) وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل أى أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أمهم وقيل: المراد ما يعمهم والأمم لكن استغنى بذكرهم عن ذكر الأمم/١٢ منه.

(٢) الموصولة مبتدأ ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدأ، وقد رنا الضمير فى آيتكم لامتناع خلو الصلة عن العائد، وأما على تقدير الشرط فهى مفعولها/ ١٢ منه.

(٣) رواه عبد الرزاق عن ابن طاوس [فى الأصل: ابن طاوس] عن أبيه مثل قول على، وابن عباس/١٢ منه.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، عطف جملة على جملة، والهمزة توسطت للإنكار، وقدم المفعول؛ لأنه المقصود بالإنكار قيل: نزلت في أهل الكتاب حين اختصموا فزعم كل فريق أنه على دين إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — "كل منكم برئ من دينه" فقالوا: لا نرضى بقضائك ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾: الملائكة والمسلمون، ﴿وَوَكَّرَهَا﴾: الكفرة حين البأس^(١) أو لأنهم مسخرون تحت حكمه وسلطانه أو خوف السيف والسي أو المراد^(٢) منه الأسير يجاء به في السلاسل^(٣) قيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم: "ألست بربكم" (الأعراف: ١٧٢)، فقال بعضهم: "بلى" (الأعراف: ١٧٢) كرهاً، ونصبهما على الحال أى: طائعين، ومكرهين، ﴿وَأِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٤) وعيد لهم أى: أيغون غير دين الله مع أن المرجع إليه. ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: من الصحف والوحي، ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾: هم بطون بن إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أمر للرسول أن يخبر

(١) قال تعالى: "فلم يك ينفعهم إيمانهم" (غافر: ٨٥) / ١٢.

(٢) وعلى هذا المعنى الرابع نقل الطبراني حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [انظر تخريجه في الهامش الذى بعده] ثم اعلم أن المراد بمن في السماوات والأرض عموم الخلائق، وعلى التفسيرين المتوسطين لا يبقى عمومه فافهم/١٢ منه.

(٣) يقادون به إلى الجنة وهم كارهون هكذا ورد في الحديث/١٢ منه [ذكره الهيثمى في "المجمع" (٣٢٦/٦) وقال: "رواه الطبراني وفيه محمد بن محصن العكاشى وهو متروك"].

(٤) من قرأ بالياء المنقوطة من تحت فظاها، ومن قرأ بالتاء فلأن الباغين هم المتولون والراجعين جميع الناس فناسب الخطاب/١٢ منه.

عن نفسه ومتابعيه أو أن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك تعظيماً له، ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَوَعْنُ لَهُ﴾: لله، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون.

﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾: غير الانقياد، والتوحيد، ﴿دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بإبطال فطرته السليمة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾، استفهام إنكار ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ عطف^(١) على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ البراهين على صدق ما جاء به الرسول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ^(٢) أَجْمَعِينَ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر نظر رحمة إليهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الارتداد، ﴿وَأَصْحَابُ﴾: ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: فيقبل توبتهم، الآية في رجل من الأنصار^(٣)

(١) وقيل: حال بتقدير قد من فاعل كفروا، وليس عطفًا على كفروا؛ لأن الظاهر تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه، وشهادتهم هذه لم يكن بعد إيمانهم بل معه أو قبله/١٢.

(٢) قيل: المراد بالناس المؤمنون، أو العموم فإن الكافر يلعن كل كافر حتى نفسه يوم القيامة كما ورد في الحديث، وقيل: الكافر في الدنيا يلعن منكر الحق فهو يلعن نفسه لكن لا يعرف/١٢.

(٣) كما رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢ وحيز [أخرجه النسائي في "السنن" (٤٠٦٨)، وفي "التفسير"، وابن حبان (١٨٢٨)، والحاكم (١٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبي، وغيرهما، وانظر صحيح النسائي (٣٧٩٢)].

آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة؟ فزلت فرجع وأسلم، وقيل: في اليهود آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه ثم كفروا لما بعث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؛ لأن توبتهم حين إشرافهم على الموت، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ نزلت في اليهود كفروا ببعسى عليه السلام بعد ما آمنوا بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد عليه الصلاة والسلام، أو في اليهود والنصارى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون فزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: نصب على التمييز، ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ أى: لا يقبل منهم ذلك بوجه من الوجوه من التصدق وغيره ولو كان بوجه الافتداء^(١)، وقيل: الواو مقحمة، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ في رفع العذاب، وفي الحديث (يقال للرجل يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ يقول: نعم، فيقال له: قد أردت منك شيئاً أهون من ذلك وأقل فأبيت، فيرد إلى النار)*.

(١) الذى ليس فيه منة نحو: "أعطوا السائل ولو جاء على فرس" و"ردوا السائل ولو بظلف محرق" [الحديث الأول ضعيف، كما في ضعيف الجامع (١٠٤٣)، والضعيفة (١٣٧٨)، والثانى صحيح، كما في صحيح الجامع (٣٥٠٢)] كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغي أن يؤتى به، لأن السائل إذا كان على فرس مشعر غناه فلا يناسب أن يعطى فقوله: "لو" على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه أن يأتى بمثل الأرض ذهباً وهذا أحسن التوجيهات، بل هو المتحتم/١٢ وجيز.

(٥) أخرجه البخارى في "الأنبياء" (٣٣٣٤)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفة القيامة والجنة والنار" (٦٧١/٥) ط الشعب.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتَّلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: (١) تنالوا البر: الجنة، أو التقوى، أو كمال الخير، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أى: بعضه، والمراد منه أداء الزكاة أو صدقة السنة، ويدل على الثانى أن كثيراً من الصحابة تصدقوا بأراضيهم، وأعتقوا جواريتهم حين نزلت، أو المعنى: لن تنالوا البر حتى

(١) ولما أبحر أنه لا يقبل من مات على الكفر ملء الأرض ذهباً على سبيل الفرض حض المؤمنين على الصدقة النافعة فقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ ١٢/ وحيز.

تَنفِقُوا وَأَنْتُمْ أَصْحَاءُ أَشْحَاءُ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازى بحسبه.

﴿كُلُّ^(١) الطَّعَامِ^(٢)﴾ أى: المطعومات، ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى: حلالاً لهم، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ﴾، وهو لحمان الإبل، وألبانها، أو العروق ﴿إِسْرَائِيلُ﴾: وهو يعقوب، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لنذر: نذر فى مرض لئن عافاه الله لا يأكل أحب الطعام والشراب ولحم^(٣) الإبل ولبنه أحب إليه، أو نذر لا يأكل العروق لأن وجعه عرق النسا^(*)، أو العروق تضره فاتبعه بنوه فى إخراج العروق من اللحوم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ جاز أن يتعلق بجرم أو بحل^(٤) نزلت رداً على اليهود حين طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان حراماً عليه أشياء من لحم، ولبن الإبل أو العروق وأنت تحلله فترلت إن كل المطعومات حلال على الخلائق قبل نزول التوراة، وبشؤم ذنوبهم حرم فى التوراة ما حرم ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن لحم ولبن الإبل أو العروق حرام على الأنبياء كلهم فلما قال لهم بهتوا.

(١) ولما بين أن نيل البر بإنفاق المحبوب من المال ذكر أن إسرائيل حرم على نفسه للتقرب

إلى الله أحب الطعام إليه فقال: (كل الطعام) الآية/١٢ وجيز.

(٢) أى الذى كان مباحاً لإبراهيم عليه السلام فإن الميتة والخنزير ما كانا مباحين لأحد كما

قاله القفال/١٢ وجيز.

(٣) على ذلك حديث رواه الإمام أحمد والترمذى، وقال حديث حسن/١٢ وجيز [بل هو

صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٩٢)، والصحيحة (١٨٧٢)].

(٤) كذا فى الأصل مهموزاً، والذي نص عليه فى مختار الصحاح مادة (نسا) أنه مقصور.

(٤) أما تعلقه بجرم فهو خلاف الأولى فإن بين بنى إسرائيل ونزول التوراة مدة مديدة فيكون

من توضيح الواضحات/١٢ وجيز.

﴿فَمَنْ افْتَرَى﴾: ابتدع، ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بأن الله حرم لحم ولبن الإبل عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ما علم أن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أو الآية رد على اليهود حيث زعموا أن كل ما هو حرام عليهم كان حراما على الخلائق قبلهم لا أن الله حرم عليهم بشؤم ظلمهم، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: في جميع ما أخبر، وكذبتهم أنتم، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، وهى ملة الإسلام التى فى الأصل ملته أو مثل ملته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض على اليهود.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾^(١) أى: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض قبل خلق الأرض بألفى عام، أو بيت بناه ملائكة هم سكان الأرض قبل آدم عليه السلام أو بناه آدم أو أول بيت وضع لعبادة الله، وكانت البيوت قبله، وهو قول^(٢) على رضى الله عنه، قيل سبب نزوله أن اليهود قالوا: قبلتنا أفضل وأقدم فأنزل الله، ﴿لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَّةَ﴾ أى: للبيت الذى بيكة وهى لغة فى مكة أو مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، أو هى البيت والمسجد، وما وراءه مكة أو موضع البيت، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير حال من ضمير الظرف، ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ فإنه قبلتهم ومتعبدتهم، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كلُّ جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل قهره، ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى من جملتها أو بدل من الآيات بدل البعض وأثر قدميه فى المقام آية بينة، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ أى: مكة، ﴿كَانَ آمِنًا﴾: من القتل، والغارة ما دام فيه لكن لا يطعم ولا يسقى حتى يخرج فيؤخذ بذنبه، أو من دخله

(١) ولما أمر باتباع ملة إبراهيم ومن ملته حج بيت الله تعالى أخذ فى ابتداء أمره إلى منتهاه

• فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ الآية/١٢ وحيز.

(٢) رواه ابن أبي حاتم، وصح الرواية عنه/١٢.

معظمًا^(١) له أمن يوم القيامة من العذاب قيل: جملة شرطية عطف على مقام من حيث المعنى أى أمن من دخله من جملتها.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أى: قصده على وجه مخصوص، ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ كل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله، وهو بدل من الناس مخصص له والاستطاعة ألا يكون عاجزًا بنفسه يقدر على الركوب بلا مشقة شديدة وله راحلة وزاد رواح ورجوع فاضل عن نفقة من يلزم عليه نفقته وكسوته، ثم إن^(٢) اليهود حين أمروا بالحج قالوا: ما وجب علينا فترل قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أى: جحد فرضيته، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أى: من وجد ما يحج به، ولم يحج حتى مات فهو كفر^(٣) به وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تغليظًا، ﴿قُلْ﴾^(٤) يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: النقلية، والعقلية الدالة على صدق القرآن، ومن أنزل عليه، ﴿وَاللَّهُ﴾، الواو للحال، ﴿شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾، فلا ينفعكم التحريف، والكتمان.

(١) هو قول بعض من الصحابة روى البيهقي قال عليه الصلاة والسلام "من دخل البيت دخل في حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له" فعلى هذا ضمير من دخله للبيت/١٢ منه [الحديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٥٨٤) والضعيفة (١٩١٧)].

(٢) كذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد من السلف/١٢ منه.

(٣) هكذا نقله أبو بكر بن مردويه عن علي، وروى الترمذى عن غيره من الصحابة، وروى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ عن عمر بن الخطاب مثل هذا المعنى/١٢ منه [ولفظ كلام عمر: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا" وصححه سننه ابن كثير فى التفسير (٣٨٧/١)].

(٤) ولما فرغ من بيان البيت، والحج وأهل الكتاب لا يحجون - أعرض عن خطاهم إيذانا بشدة الغضب عليهم، فقال مخاطبًا لرسوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الآية/١٢ وحيز.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، وكانوا يمتالون لصددهم عن الإسلام، ﴿مَنْ آمَنَ﴾، مفعول تصدون، ﴿تَبْغُوثَهَا عِوَجًا﴾: حال من فاعل تصدون أى: طالبين لسبيل الله اعوجاجًا بتلييسكم على الناس وتغييركم صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحريشكم بين المؤمنين، وهو متعد إلى مفعوليه بلا واسطة، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أن الصد عن الإسلام ضلال، وكمسان أمر محمد غواية، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ولما كان إنكارهم للقرآن مجاهرة منهم قال: (والله شهيد)، ولكن الصد عن الإسلام والتحريف من أسرارهم قال: (وما الله بغافل).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾: ثانی مفعولی یرد فإنه بمعنى التصير، نزلت إلى قوله (لعلكم تهتدون) في الأوس والخزرج حين ذكرهم اليهود الحروب وعداوات الجاهلية؛ ليفتنوا ويعودوا^(١) لمثل ما فيهم من الجاهلية ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾: القرآن، وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾^(٢): الزاهر الباهر السراج الظاهر عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ﴾: يلتجئ إليه ويتمسك بدينه، ويؤمن به، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق واضح لا اعوجاج له .

(١) ناداهم بوصف الإيمان تنبيها على تباين ما بينهم/١٢.

(٢) هكذا نقله محمد بن إسحاق، وغيره من الثقات/١٢.

(٣) وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال يوماً لأصحابه (أى المؤمنين أعجب إليكم إيماناً قالوا: الملائكة قال: (وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم) قالوا: فالأنبياء قال: فكيف لا يؤمنون والوحى يتزل عليهم؟ قالوا فنحن قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن؟ قال: (قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها) /١٢ وجزير ومنه [صحيح، وله شواهد].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾
وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٤﴾
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ (١) آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، أصله وقاة فقلبت الواو تاء كتودة
وتخمة، وهو أن يطاع ولا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر (٢) فلا ينسى، وكثير من

(١) ولما حذرهم من إضلال أعدائهم أمرهم بجامع الطاعات التي بالحقيقة هي السترهيب إذ
التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله ثم أردف الرهبة بالرغبة وهي قوله (واذكروا
نعمة الله) وأعقب الأمر بالتقوى بنهى هو من تمام الاعتصام فقال (يأيتها الذين آمنوا
اتقوا الله) الآية/١٢ وحيز.

(٢) هكذا رواه الحاكم، وابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢ وحيز [أخرجه
الحاكم (٢/٢٩٤) مرفوعاً، وموقوفاً عن ابن مسعود، والموقوف أصح، كما قال ابن
كثير في "التفسير" (١/٣٨٩)].

السلف قالوا: هذه الآية نسوخة بقوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم" (التغابن: ١٦)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إنها لم تنسخ لكن حق تقاته أن يجاهد في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم، وأبنائهم، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أى لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت فهو في الحقيقة أمر بدوام الإسلام، ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾: واستمسكوا، ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أى: بدين الله أو بالجماعة أو بعهد الله أو بالقرآن، ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾ أمرهم أن يكونوا على الحق مجتمعين ثم نهاهم عن التفرقة كما افترق أهل الكتاب، ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: التى من جعلتها الإسلام والتألف، ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾: أيها الأوس والخزرج ﴿أَعْدَاءً﴾: وقع بينكم القتال والخوف، ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: متحابين، ﴿وَكُنْتُمْ﴾: فى الجاهلية ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: مشفين^(١) على الوقوع فى جهنم لكفركم^(٢) وشفاء بمعنى الطرف، ﴿فَأَنْقَذَكُمُ﴾: أنجأكم ﴿مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للشفاء، أو للحفرة أو للنار، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى.

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ﴾، من للتبعض؛ لأن الأمر بالمعروف من فروض الكفايات وللمتصدى له شروط قال الضحاك: هم الصحابة، والمجاهدون، والعلماء، والخطاب للجميع؛ لأنه لو تركوه أمثوا جميعا أو للتبيين كما ورد (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(*) ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى

(١) أى مشرفين/١٢.

(٢) لو أدرككم الموت فى تلك الحالة لوقعتم فيها/١٢.

(*) أخرجه مسلم فى "الإيمان".

الخير: اتباع^(١) القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ﴿وَيَأْمُرُونَ^(٢) بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عطف الخاص على العام لشرفه^(٣)؛ لأن الخير أعم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ^(٤)

(١) الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيدان بشرفه كقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ (البقرة: ٢٣٨)، والأمر بالمعروف من فروض الكفايات فالخطاب عام، والمطلوب التصدي من بعض من له قابلية فلو ترك الكل أثموا وقيل من للتبعيض، وفي صحيح مسلم (من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [سبق تحريجه في الصفحة السابقة]، وعدم الاستطاعة لتقصيره في حق التقوى فصدق أنه أضعف الإيمان/١٢ وحيز.

(٢) وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها/١٢ فتح.

(٣) فإن الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيدان بشرفه كقوله: "حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى" (البقرة: ٢٣٨)/١٢.

(٤) منهم اليهود والنصارى فقد تفرق كل منهما فرقا، واختلف كل منهما باستخراج التأويلات الزائغة وكنم الآيات النافعة وتحريفها لما أدخلوا إليه من حطام الدنيا قيل: النهي عن التفرق مختص بالمسائل الأصولية، وأما المسائل الفروعية الاجتهادية فالاختلاف فيها جائز، وما زال الصحابة فمن بعدهم مختلفين، وفيه نظر فإنه مازال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا وتخصيص بعض المسائل بجواز الاختلاف فيها دون البعض الآخر ليس بصواب، فالمسائل الشرعية متساوية الأقدام في اتسائها إلى الشرع، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأمر بالكون في الجماعة، والنهي عن الفرقة/١٢.

تَفَرَّقُوا^(١) وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ: الحجج الميينة للحق كالأمم السابقة، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وعيد لهم وتهديد للتشبه بهم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود^(٢) وجوه أهل البدعة أو المؤمنين والكافرين أو المخلصين والمنافقين، قيل: البياض والسواد كنايةتان عن بھجة السرور وكآبة الحزن، والأصح أنهما علامتان حقيقتان، والظرف لمتعلق لهم أو نصب بإضمار اذكر ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم الميثاق أو هم المرتدون أو هم المنافقون تكلموا بالإيمان أو هم أهل الكتاب، والهمزة للتوبيخ، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: جنته عبر عنها بالرحمة إشارة إلى أنه لا ينالها من ينالها إلا برحمته، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أخر ذكرهم ليكون أول الكلام وآخره صفة المؤمنين.

(١) بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من تلك النصوص، ثم اختلفوا بأن حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه، وتفرقوا بأبداهم بأن صار كل واحد من أولئك الأخبار رئيساً في بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله الرحمة والعفو/١٢ كبير.

(٢) من فسر سواد الوجوه بسواد وجوه أهل البدعة، فالمراد الخوارج المرتدون كما نقل الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده أن أبا أمامة رأى رجلاً من الخوارج منصوبة على درج دمشق فقال: (هذا كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه) ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية، ثم قال: (لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عد سبعا ما حدثتكموه/١٢ منه) [وهو حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٨)، وصحيح سنن ابن ماجه].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: حججه، ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسة به لا شبهة فيها، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)؛ لأنه حكم عدل لا يجرى في ملكه إلا ما يشاء فلا يحتاج إلى ظلم لأحد فهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ﴾^(٢) مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازى بما وعد وأوعد وأما بحث إنه على الظلم قادر لكن لا يظلم كما دل عليه القرآن والأحاديث أو ليس بقادر؛ لأنه محال في حقه — فقد أفردناه في رسالة.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ لَا يُبْزَأُ مِنْكُمْ أَجْرٌ وَأَنْ تَضُرُّوهُمْ لَا يَضُرُّوهُمْ لَكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أُولَئِكَ بِمَا عَصَوْا فَيُكْفَرُونَ بِأَيِّتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٤٥﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٤٦﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾

(١) أى: لا يريد شيئاً من الظلم على أحد من العالمين فإن التنكير للتقليل بقرينة المقام والجمع

المعرف في سياق النفي لعموم النفي لا لنفى العموم بقرينة المقام أيضاً/١٢ منه.

(٢) ملكاً وخلقاً وعبيداً حتى يسألوه، ويعبدوه ولا يعبدوا غيره/١٢ افتح.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً
 مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
 وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
 هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ أَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
 ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمُ وَإِنْ تَصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
 بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ أَلَّفَ بِمَا يَعْمَلُونَ
 مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أى: فيما مضى بين الأمم أو فى اللوح المحفوظ أو فى علم الله تعالى،
 ﴿أَخْرَجَتْ﴾: أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾: يعنى هم خير الناس للناس وأنفع الناس للناس،
 والأصح أنه عام وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأمم كلهم، ﴿تَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ﴾ استئناف بين به خيريتهم، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أحر
 الإيمان إشعاراً بأن أمرهم ونهيهم للإيمان بالله وإظهار دينه، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾:
 محمد، ﴿لَكَانَ﴾: الإيمان، ﴿خَيْرًا﴾ (١) لَهُمْ مِنْهُمْ (٢) الْمُؤْمِنُونَ: كعبد الله بن سلام،

(١) لأنهم لو آمنوا لكان لهم مع الرياسة وحظوظ الدنيا التى آثروها، النجاة من العذاب المقيم

والفوز بالنعيم المؤبد/١٢. ولا يضرب عليهم الذلة/١٢.

(٢) هذه الجملة التى بعدها أعنى (لن يضروكم) واقع على سبيل الاستطراد/١٢ منه.

«وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»: المتمرّدون. روى أن اليهود قالت - مع عصاة من الصحابة - نحن أفضل، وديننا خير، فترلت (كنتم خير أمة) إلخ، «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى»: ضرراً يسيراً قيل: قصدت اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه فترلت: «وإن يُقاتِلوكُم يُؤلُّوكُم الأذبار»: يهزموا، ولا يضروكم بالقتل، «ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ»: ثم لا يكون لهم النصر أبداً، «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ» ألزهمهم الله المذلة والصغار، «أَيْنَ مَا تُقِفُوا»: أينما وجدوا وكانوا، «إِلَّا بِحَبْلٍ^(١) مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ» أى: ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا معتصمين بذمة الله، وعهده، وأمان المسلمين وعهدهم، وهو عقد الذمة، وضرب الجزية والمعاهدة والمهادنة أى: لا عز لهم^(٢) قط إلا هذه الحالة الواحدة^(٣) «وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ»: رجعوا به مستوجبين، «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ»: الجزية أو الفقر والتذلل كضرب القبة، «ذَلِكَ» أى: ضرب المسكنة، والذلة، والبوء بالغضب، «بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ»: بسبب كفرهم بآية الرجم، وأمثالها، وقتل الأنبياء بسبب الحسد وهم يعلمو أنه غير حق، «ذَلِكَ» أى: الكفر، والقتل، وقيل: هذا أيضاً إشارة إلى المشار إليه بذلك الأول أى: الصغار والهوان له سببان «بِمَا^(٤) عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»: بسبب

(١) قوله: "بحبل من الله" فى محل النصب على الحال/١٢.

(٢) لما كان استقامة معنى المفرغ عند التحقيق راجعة إلى تقدير النفى أشرنا إليه بقولنا: لا عز لهم إلخ/١٢ منه.

(٣) هكذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، والسدى، وغيرهم فىكون الحبلان واحداً من باب "الله ورسوله أحق أن يرضوه" (التوبة: ٦٢)/١٢.

(٤) جعل علة الكفر وقتل الأنبياء هى المعصية، وذلك لأنهم لما توغلوا فى المعاصى والذنوب فكانت ظلمات المعاصى تتزايد حالاً فحالاً ونور الإيمان يضعف حالاً فحالاً، ولم ينزل كذلك إلى أن بطل نور الإيمان، وفضلت ظلمة الكفر، وإليه الإشارة بقوله: "كلا بل

عصياتهم واعتدائهم في^(١) حدود الله فإن الإصرار^(٢) والمداومة على الذنوب يفضي إلى الكفر ومقت الله تعالى.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: نزلت في اليهود حين قالت: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، وأرادوا به عبد الله بن سلام وأصحابه^(*) أى: ليس أهل الكتاب على حد مستو. ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾، استئناف بين نفى الاستواء، ﴿قَائِمَةٌ﴾: على الحق مستقيمة، وقيل: قائمة في الصلاة ﴿يَتْلُونَ﴾^(٣) آيات الله: يقرءون القرآن، أو يتبعونها ﴿آثَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون التهجّد أو العشاء^(٤) فإن أهل الكتب لا يصلونها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) بالله واليوم الآخر ويأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

= ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (الطففين: ١٤)، فقوله: "ذلك بما عصوا" إشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعاني: من ابتلى بترك الآداب وقع في ترك السنن، ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة، ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحغار الشريعة، ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر/١٢ كبير.

(١) ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن إسحاق/١٢.

(٢) قوله: فإن الإصرار والمداومة مرتب على كلا التفسيرين فافهم/١٢.

(*) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٢٧/٦)، وقال: "رواه الطبراني ورجاله ثقات".

(٣) عبر بقوله: "يتلون آيات الله آثاء الليل وهم يسجدون" عن التهجّد والعشاء/١٢.

(٤) في مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام أحر صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، ثم قرأ (ليسوا سواء من أهل الكتاب)/١٢ [أخرجه أحمد والنسائي والبخاري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بسند حسن عن ابن مسعود مرفوعاً كما في الدر المنثور للسيوطي (١١٦/٢)].

(٥) قوله: يتلون ويؤمنون صفتان لأمة/١٢.

وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿١﴾، وصفهم بما ليس في اليهود إلا نقيضه كإلحاد في صفاته ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته، وهم مدهانون في الحق متباطئون عن الخير، ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، فاستحقوا رضاه ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: لا يضيع عند الله، ولا ينقص ثوابه، ولتضمنه معنى الحرمان عدى إلى مفعولين، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ لم يقل عليهم بهم إشعاراً بأنهم موصوفون بالنقوى أيضاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿شَيْنًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: ملازموها، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلٌ مَا يَنْفِقُونَ﴾: مثل ما ينفق الكفار، وقيل: نفقة اليهود على علمائهم، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾^(١): برد شديد، أو سموم^(٢) حارة ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرع، ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصي، ﴿فَأَهْلَكْتَهُ﴾: فلم يتفعوا بحرثهم لدى احتياجهم إليه، فكذا أعمال الكفار، وتقديره: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ليطابق المثالان، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، بأن فعل بهم ما ليسوا أهلاً له، ﴿وَلَكِنْ أَنْفَسَهُمْ﴾^(٣) يَظْلِمُونَ ﴿لَأَنَّهُمْ ارْتَكَبُوا مَا اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ.

(١) قال الزمخشري: الصر: الريح الباردة ففيه إشكال لأنه يلزم أن يقال ريح فيها ريح باردة وتوجيهه أنه نعت وصف به البرد للمبالغة كبرد بارد أو هو مصدر في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله أو من باب التجريد انتزع من الريح الباردة ريحاً مبالغة في بردها/١٢ منه.

(٢) هذا قول ابن عباس، ومجاهد، قيل: هذا يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد فيها نارياً تحرق الثمار والزروع/١٢.

(٣) تقديم المفعول لرعاية الفاصلة لا للاختصاص أى: مسا ظلمناهم، ولكن ظلموا أنفسهم/١٢ منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ بطانة الرجل خاصة أهله الذي يطلعه على أسراره، ﴿مَنْ دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين، متعلق بلا تتخذوا أو صفة بطانة أى لا تتخذوا أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، ﴿لَا يَأْتُواكُمْ﴾^(١) خبالاً: لا يقصرون في الفساد، وخبالا مفعول ثانٍ لتضمين معنى المنع، والجملة مستأنفة أو صفة بطانة، وكذا^(٢) الجملتان بعده، ﴿وَدُّوا﴾^(٣) مَا عَنْتُمْ: تمنوا شدة ضرركم، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾: ظهرت علامة العداوة، ﴿مِنْ أَقْوَاهِهِمْ﴾: فلتات^(٤) كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من البغضاء ﴿أَكْبَرُ﴾ أكثر مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: الدالة على صلاح أحوالكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بين لكم، نزلت في مواصلة اليهود لما بينهم من القرابة^(٥) أو في مصافاة المنافقين، ﴿هَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أى أنتم أولاء الخاطئون في موالاتهم، والجملة بعده بيان خطئهم أو أولاء نداء أو بمعنى الذين كما مر، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أى: يجنس الكتاب حال^(٦) من مفعول لا يجبون

(١) ألا في الأمر قصر ثم لتضمين معنى المنع عدى إلى مفعولين كما يقال لا ألوك نصحا، والخبال الفساد/١٢ منه.

(٢) أعنى ودوا، وقد بدت تحتل كل منهما أن تكون صفة، ومستأنفة للتعليل عن هـى اتخاذهم بطانة/١٢ منه.

(٣) ما مصدرية أى ودوا عنتكم، والعنت شدة الضرر/١٢.

(٤) يقال: كان الأمر فلتة بلا تدبر وتفكر/١٢ صراح.

(٥) يعنى الآية نزلت في منع مواصلة المؤمنين اليهود مطلقاً بلقاءهم المنافقين من اليهود/١٢ منه.

(٦) وجاز العطف على تحبوتهم، ففيه التنبيه على موقع الخطأ أيضاً على معنى هأنتم هؤلاء تؤمنون بالكتاب كله، وهم لا يؤمنون بشيء من الكتاب لأن إيمانهم، كلا إيمان فأين جامع الحبة/١٢ منه.

أى: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقاً، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: خلا بعضهم مع بعض، ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أى: من أجله تأسفاً حيث لم يجدوا سبيلاً إلى الغلبة عليكم، وهذا يدل على أن الآية للمنافقين، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بدوام غيظهم وزيادته بتضاعف^(١) أهل الإسلام حتى يموتوا به، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢): بما فيها من خير وشر، فيجازيكم، وهو يحتمل أن يكون من المقول.

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ﴾: خير ومنفعة، ﴿تَسُوهُمُ﴾: تحزهم، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر وشدة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾، فهم في نهاية العداوة معكم، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاةهم أو ما حرم الله، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٣) كَيْدُهُمْ شَيْئاً^(٤): كتتم

(١) وقوتهم وعزهم، وذلل اليهود وحزبهم/١٢.

(٢) ذات هاهنا تأنيث بمعنى صاحبة الصدور/٢٢فتح.

(٣) يعنى لا يضركم فعل مضارع وقع جزاء، وجزاء الشرط في غير المضاعف مجزوم وفي مشدد المضاعف مفتوح، فلا بد أن يقال ضمة الراء لاتباع الضاد كضمة مد/٢٢منه.

(٤) معنى الآية أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى، وألقى كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين وتحقيق الكلام في ذلك هو أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: ٥٦) فمن وفى بعهد العبودية في ذلك فالله سبحانه أكرم من أن لا يفى بعهد الربوبية في حفظه عن الآفات والمخافات وإليه الإشارة بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢، ٣) إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره، وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فاجتهد في اكتساب الفضائل/١٢.

في كنف الله؛ فلا يضركم كيدهم، وضمة الراء في لا يضركم كضمة مد للاتباع؛ لأنه جزء شرط مضارع مضاعف، فجاز فيه أربعة أوجه، وقرئ لا يضركم بكسر الضاد من ضاره بمعنى ضره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازيهم بما هم أهله .

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (III) إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (III) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (III) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ لَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاءَ الْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (III) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاءَ الْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (III) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (III) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (III) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (III) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (III)﴾

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ﴾ أي: واذكر إذ عدوت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: منزل عائشة رضي الله عنها ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تسوي وهسي لهم، ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواقف وأماكن له، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم وأحوالكم، هذه وقعة أحد، وقيل (1) يوم

(1) رواه ابن جرير عن الحسن البصري، وهو غريب فإن ما بعده إلى قريب من آخر السورة في وقعة أحد فلا يعول على هذا القول/١٢.

الأحزاب، **﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾**، بدل من إذ غدوت أو متعلق بسميع عليهم، وهما بنو حارثة، وبنو سلمة، **﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾**: تجبنا وتضعفا، فإنهم هموا بالانصراف عن الحرب، لكن عصمهم الله، **﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾**: ناصرهما فعصمهم عن اتباع الخطرة أو قبالهما^(*) تفشلان، **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**: لا على العَدَدِ والعَدَدِ.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بقصة إفادتهم التوكل، وهو موضع بين مكة^(**)، والمدينة، **﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾**: بقلة العدد والسلاح، **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**: في الثبات، **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** عاقبته بمزيد الإناعام، وقيل معناه اتقوني فإنه شكر نعمتي، **﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** ظرف لنصركم، وهو في بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت، وهو في أحد، وقالوا: لم يحصل الإمداد يوم أحد لا بخمسة آلاف ولا بثلاثة؛ لأن المسلمين لم يصبروا بل فروا، **﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾**، هو فاعل يكفيكم، **﴿رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ﴾**: للنصر، **﴿بَلَى﴾**: إيجاب لما بعد لن، أى: بلى يكفيكم، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى فقال: **﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾**: على العدو، **﴿وَتَتَّقُوا﴾**: مخالفتي، **﴿وَيَأْتوكُمْ مِّنْ قَوْرِهِمْ هَذَا﴾**: من غضبهم فإنهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، أو من ساعتهم، والمعنى إن يأتوكم في الحال، **﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾** في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، **﴿مُسَوِّينَ﴾**^(١): معلمين بسيما الصوف الأبيض أو بالعهن الأحمر في نواصي حيولهم أو بالعماثم البيض، أو السود أو الصفر^(٢) أو بسيما القتال

(٥) كذا بالأصل وفي الكشاف (٢١٥/١) "فما لهما".

(**) كذا في الأصل.

(١) مسومين من السومة، وهى العلامة وفى تعيينها خلاف والله أعلم بالصحيح من ذلك/١٢ وجيز.

(٢) الأول قول على بن أبى طالب رواه بن أبى حاتم، الثانى لأبى هريرة، الثالث لابن عباس، والرابع رواه ابن مردويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ذكره الهيثمى فى "المجمع"

أنزل الله الملائكة يوم بدر ألفا كما قال: (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف) (الأنفال: ٩)، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم^(١) خمسة آلاف، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أى: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: ولتسكن، ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: لا من عدة وعدد، ﴿الْعَزِيزِ﴾: الذى لا يغالب فى قضائه ﴿الْحَكِيمِ﴾: فى أفعاله، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى: لقد نصركم الله بيدى ليهلك طائفة، أو يهدم ركنا من أركان الشرك، أو متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله) ﴿مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمْ﴾^(٢): يخزيهم^(٣) وأو للتنويح، ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: منقطعى الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر كله إلى الله، نزلت حين^(٤) قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلا من قراء

= (٣٢٧/٦) وقال: "رواه الطبراني وفيه عبدالقدوس بن حبيب وهو متروك"، والخامس رواه ابن مردويه عن الزبير [أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن عباد بن عبدالله بن الزبير بلاغا كما فى الدر المنثور (١٢٥/٢)]، السادس لعكرمة وفتادة/ ١٢ منه.

(١) فلا منافاة كما صرح بذلك فتادة وغيره، وقوله هاهنا مردفين مشعر بذلك إذ معناه يردفهم غيرهم، ويتبعهم آخرين/ ١٢.

(٢) وأصل الكبت فى اللغة صرع الشيء على وجهه، والمراد منه القتل، والهزيمة، والإهلاك، واللعن، والخزي/ ١٢ فتح.

(٣) يعنى نصرتكم فى بدر لأنواع من الفوائد: إهلاك بعض، وإذلال بعض بالهزيمة، وتوبة بعض بالإيمان، وتعذيب بعض بالأسر فيمكن أن يقال ليس لك من الأمر شيء نزل لأحد هذا الوجهين المذكورين، ويكون اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم ذكر بقية الأقسام، لكن فيه تكلف/ ١٢ منه.

(٤) رواه البخارى، والنسائي بروايات متعددة/ ١٢ منه [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٠)، وفى مواضع أخر من صحيحه، ومسلم فى "المساجد"].

الصحابة بعثوا ليعلموا الناس، أو نزلت^(١) يوم أحد حين شج في رأسه الأشرف، ويقول (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم!) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، عطف على الأمر بإضمار أن أى: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم أو على شيء أى ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة أو تعذيبهم أو بمعنى إلا أن أى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم، أو عطف على أو يكتبهم، (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض وقع في البين، وأنت تعلم أن هذا توجيه لو يلائمه. سبب النزول يلائم اللفظ والمعنى، ﴿فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: استحقوا التعذيب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقا وملكا فالأمر له لا لغيره، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: غفرانه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تبادر إلى اللعن، والدعاء عليهم .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

(١) رواه البخارى، وأحمد عن أنس/١٢ وجزير [هذا يوهم أن الحديث أخرجه البخارى، وليس كذلك وإنما ذكره معلقاً في المغازى (٧/٤٢٢-فتح)، ووصله مسلم في "الجهاد" (١٧٩١)].

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِيًّا مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٦٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١٦٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾ إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٧١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ﴾ (١) آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً (١)، أي: لا تزيّدوا زيادات مكررة فإنهم إذا بلغ الدين محله زادوا في الأجل؛ فاستغرقوا بالشيء الحقيق مال المديون، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: راجع في الفلاح، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ

(١) ولما نهى عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، واستطرد لما بينا ذكر بعض المحاربات، والمؤمنون في أول الإسلام ذوو إعسار والكفار من اليهود وغيره ذوو أيسار، وأكثر مخالطتهم للمديون ومعاملتهم بالربا نهى عن التقدم للمخالطة، والمساهلة للمعاملة، وبين أن ما في السموات والأرض ملك له لا يجوز التصرف في شيء من ذلك إلا بالإذن وأكل الربا تصرف في ماله بغير إذنه نهى عنه، فقال: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ ١٢/وجيز.

لِلْكَافِرِينَ»: بالتحرز عن متابعتهم، وفيه تنبيه على أن النار بالذات للكافر وبالعرض للعاصي، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا﴾: بادروا، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أعمال توجب المغفرة، كالإسلام، والتوبة، وأداء الفرائض، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أى: عرضها^(٢) كعرضها قيل فيه تنبيه على اتساع طولها كما قال تعالى: (بطائنها من إستبرق) (الرحمن: ٥٤) أى: فما ظنك بالظهاير؟! وقيل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، ﴿أَعِدَّتْ﴾: هيئت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالجنة بالذات للمتقين، وبالعرض لفساق المؤمنين^(٣)، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾، صفة مادحة لهم، ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: فى اليسر والعسر أو المراد جميع الأحوال؛ لأنه لا يخلو الإنسان منهما، ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الكافين عن إيمائه مع القدرة

(١) لزيادة التوبيخ والتنبيه على أهم على هذه الطريقة الرديئة التي يستقبلها من له أدنى مروءة، وليس لتقييد [فى الأصل: لتقييد، بلامين] النهى وقوله: "أضعافاً" حال، ومضاعفة صفة لها/١٢ وجيز.

(٢) كما فى سورة الحديد ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (الحديد: ٢١) قال الزجاج: لا يراد عرض ولا طول يقول العرب: بلاد عريضة أى: واسعة أو فيه إشارة إلى أن طولها كعرضها لأن الكرة كذلك، وقيل هو من عرضة المتاع للبيع نحو، ﴿وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (الكهف: ١٠٠) كما عرضت الدنيا بسماواتها وأرضها على أهل الدنيا، وكل هذه التمحلات لما أشكل عليهم أن جنة عرضها السموات والأرض كيف تسعها السماء! ولا إشكال، فإن الجنة فى الكرسي، والسموات فى جنبه كحلقة فى فلاة/١٢ وجيز.

(٣) كما يقال القصر معد للسلطان وفيه غير السلطان بالتبع، وبهذا يندفع كلام الزمخشري أن فى هذه الآيات بيانا قاطعاً أن المؤمنين على ثلاث طبقات: متقين، وتائبين، ومصرين وأن الجنة للأولين دون الأخير ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله، وعاند ربه/١٢ منه.

عليه، **﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**: التاركين عقوبة من استحقها، **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**: إشارة إلى أن هؤلاء في مقام الإحسان، **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾**: قبيحة بالغة في القبح، نزلت^(١) حين قال المؤمنون: (كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا؛ لأنهم إذا أذنبوا ذنباً أصبحت كفارة ذنوبهم مكتوبة على عتبة أبواهم، أو نزلت لرجل قبل امرأة وعانقها ثم ندم، وقيل الفاحشة الزنا والكبائر، **﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**: بالصغائر وما دون الزنا، **﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾**: أى: وعيده، أو ذكروه باللسان: **﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾**، استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوف والمعطوف عليه دال على سعة رحمته، **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾**: لم يقيموا على ذنوبهم، بل أقروا واستغفروا وفى الحديث^(٢) (ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة)، **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**: أنها معصية أو أن الإصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب، أو أنهم إن استغفروا غفر لهم **﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾**، أى: من تحت غرفها وأشجارها **﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، خير للذين إذا فعلوا إن جعلته مبتدأ، وإلا فجملة مستأنفة مبينة لما قبلها، **﴿وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾** أى: ذلك، يعنى المغفرة والجنات، وكم فرق بين القبيلتين فصل آيتهم بالحبّة والإحسان، وفصل آية هؤلاء بالعمل والأجر، **﴿قَدْ خَلَتْ^(٣) مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾** أى: وقائع سنّها الله فى الأمم الماضية، وقيل معنى السنن

(١) نقلهما محبى السنة، ووافقه الواحدى فى الثانى/١٢ منه.

(٢) الذى رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما/١٢ [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٠٠٦)، وضعيف أبى داود].

(٣) قد استطرد لما بينا آية الربا الذى هو حرب مع الله كما قال تعالى: **﴿فَأَذْنُوبًا مَّحْرَبًا مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** فى سورة البقرة، ثم رجع إلى حكاية الحروب فقال: **﴿قَدْ خَلَتْ^(٣) مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾** وجز.

الأمم، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾: فتعتبروا ولا تحزنوا على ما وقع عليكم يوم أحد فإن آخذهم أشد الأخذ عاقبة الأمر لما فرغ عن حديث الربا الذي هو حرب مع الله كما قال الله - استأنف حديث الجهاد الأكبر الذي كان الكلام فيه، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ أى: القرآن، وقيل إشارة إلى مفهوم قد خلعت، أو فانظروا أى: القرآن بيان الأمور للناس عامة، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى زيادة بصيرة، وزاجر لهم خاصة، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب بسبب غلبة الكفار يوم أحد، ولا تحزنوا على ما وقع عليكم، ﴿وَأَنْتُمْ^(١) الْأَعْلَوْنَ﴾، والحال إنكم الأعلى والغالب في الدنيا والآخرة، والعاقبة لكم، والخسار لهم، ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلق بلا هتوا أى: لا هتوا إن صح إيمانكم؛ فإن الإيمان يورث قوة القلب، ويمكن أن يتعلق بأنتم الأعلون أى: غلبتكم، ونصرتكم متحققة إن كتتم

(١) فانظر إلى خطاب هذه الأمة حوطبوا كما خاطب موسى عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: ٦٨) بل في هذا مزيد اعتناء قال: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريح قال: انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب يوم أحد فسألوا ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل فلان؟ فنعى بعضهم لبعض وتحدثوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن، فبينما هم كذلك علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم على الجبل، وكانوا على إحدى جنبتي المشركين، وهم أسفل من الشعب فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء فلا تهلكهم"، فتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ ٢/فتح [أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريح معضلا، كما في الدر المنثور للسيوطي (٢/١٤٠)].

مؤمنين أى: إن كان إيمانكم متحققاً فالنصرة متحققة، ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾: جراح وكسر يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: يوم بدر، ولم يجبنوا فأنتم أحق ألا تهنوا، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ أى: أيام الدنيا أو أيام الغلبة، ﴿نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرتها بينهم نديل لهؤلاء تارة، وتارة لهؤلاء، وهو خير لتلك، والأيام صفتها، ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: علم رؤية ومشاهدة أى: ليميزوا عن المنافقين، وهو عطف على علة محذوفة أى: نداؤها ليكون كذا، وكذا، أو ليعلم الله إشارة إلى تعدد العلة أو تقديره: وليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ذلك، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، وليكرم قوماً بالشهادة فى سبيله، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: يعنى: غلبتهم لا محبتهم بل لما ذكرنا، ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليظهرهم من الذنوب بما يقع عليهم من قتل وجرح، وجملة "والله لا يحب الظالمين" معترضة، ﴿وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾: يهلكهم فإنهم إذا ظفروا بغوا فهو سبب هلاكهم أو مغلوية المؤمنين لتطهيرهم، ومغلوية الكفار لإهلاكهم فى الدارين، والحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: بل أحسبتم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ^(١) اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ أى: لا تحصل الجنة لكم حتى يرى الله منكم المجاهدين، ويتليكم بالشدائد أو معناه لا تحصل لكم والحال أنكم لما تجاهدوا كما يقال: ما علم الله فى فلان خيراً، أى: ما فيه خير، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: ويرى الصابرين على القتال، أو نصبه بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أى: الشهادة أو الحرب فإنها من أسباب الموت، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: تشاهدوا وتعرفوا شدته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ

(١) لما كان علم الله بالشيء من لوازم تحققه جعل عدم العلم كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله الجهاد لم يجاهد فلما بمعنى لم إلا أن فيه ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل/١٢ منه.

وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: رأيتموه معانين له حين قتل من قتل من إخوانكم فأنتم تمنيتم غلبة الكفار لأنكم تمنيتم الشهادة أو إذا طلبتم لقاء العدو فاصبروا^(١).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالموت، أو القتل، فيخلو محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: عن الدين، ورجعتم إلى دينكم الأول وذلك لما شاع يوم أحد أن رسول الله صلى الله

(١) وذلك أن طائفة منهم لم يحضروا غزوة بدر، وفاز في بدر من في الحرب بما فاز به من كرامة الدنيا والآخرة، فتمنوا لقاء العدو، وليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لأحد، فلما كان حرب أحد وشاع أن محمداً قد قتل انقلبوا فارين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عباد الله فرجعوا، واستعدروا بأن جاءنا خير قتلتك فرعبت قلوبنا فترلت الآية تلومهم على ما صدر عنهم مع ما قرروا في أنفسهم من تمنى الموت (وما محمد إلا رسول) الآية/١٢ وجز.

عليه وسلم قد قتل قال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول فترلت^(١) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى: محال أن يموت أحد إلا بقدر الله، ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ أى كتب الموت كتابا مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فالتأخير عن القتال والإقدام عليه لا يزيد ولا ينقص في العمر، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أى: من عمله، ﴿ثَوْتَهُ مِنْهَا﴾ إن أردنا، قيل هذا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد، وتركوا المركز الذى وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾: كمن ثبت حتى قتل، ﴿ثَوْتَهُ مِنْهَا﴾ أى: من ثوابها، ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٢): الذين لم تشغلهم زينة الدنيا، ﴿وَكَائِنَ﴾ أصله أى دخلت الكاف عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنوين،

(١) رواه البيهقى/١٢.

(٢) أخبر الله تعالى فى هذه الآية أن من طلب الدنيا لا بد أن يصل إلى بعض مقصوده ومن طلب الآخرة فكذلك، وتقريره قوله عليه السلام ﴿إنما الأعمال بالنيات﴾ إلى آخر الحديث [أخرجه البخارى فى "بدء الوحى" (ح ١)، وفى مواضع أخر من صحيحه، واللفظ له، ومسلم فى "الإمارة" (٥٧١/٤) ط الشعب] واعلم أن هذه الآية وإن وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر فى جلب الثواب المقصود والدواعى لا ظواهر الأعمال، فإن من وضع الجبهة على الأرض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الإسلام، وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر، وروى أبو هريرة عنه عليه السلام (أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمقاتل فى سبيل الله فى ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم إن الله تعالى يأمر به إلى النار/١٢ كبير للرازي [والحديث أخرجه مسلم فى "الإمارة" (٥٦٨/٥) ط الشعب].

عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون في الخط، وهى تنوين، ومعناه كم، ﴿مَنْ نَبِيٌّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ أى: جموع^(١) كثيرة منسوب إلى الربة وهى الجماعة أو علماء كثير، وفاعل قاتل ربيون^(٢) أو ضمير للنبي ومعه ربيون حال عنه، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: ما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من قتل بعضهم أو من قتل نبيهم^(٣)، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن العدو، ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾^(٤): ما تخشعوا وما ذلوا لعدوهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ^(٥) الصَّابِرِينَ﴾: فينصرهم فى الدين، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: مع أنهم ثابتون

(١) فسر بذلك ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والحسن وقتادة، والسدى، وجماعة أخرى/١٢.

(٢) من ربايون، والكسر والحذف من تغييرات النسب/١٢.

(٣) قال قتادة والربيع ومحمد بن إسحاق والسدى: ما أصابهم من قتل نبيهم/١٢.

(٤) أصل استكن من السكون؛ لأن الخاضع يكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع الفتحة، ومن استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن يخضع له/١٢.

(٥) والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد فى طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلوع - فإن الله يحبه، ومحبة الله للعبد ثابتة بالكتاب والسنة وكرر فى مواضع من كتابه أثبتها له رسوله وشهد به سلف أمته، فليس لمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينكر أو يستبعد ذلك، نعم لمن يتبع الفلسفة أن يفسر ذلك برأيه ثم يحتل التحمل فى ذلك، أو فينفية برأسه كقولهم: المحبة مناسبة بين الحب والمحجوب، ومناسبة الرب للخلق نقص، فيقال المناسبة لفظ مجمل فإن أراد بها التوالد والقراية فيقال هذا نسب فلان ويناسبه إذا كان بينهما قراية مستندة إلى الولادة، والله سبحانه مآثره عن ذلك أو يراد بها المماثلة فيقال: هذا يناسب هذا أى يماثله، والله سبحانه أحد صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أو يراد بها موافقة فى معنى من المعانى وضدها المخالفة والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله يوافقونه فيما يأمر فيفعلونه، وفيما يحبه فيحبونه، وفيما نهى

ربانيون مصابون ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ اسم كان ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

= عنه فيتركونه، وفيما يبغضه فيبغضونه، والله وتر يحب الوتر [صح ذلك عنه مرفوعاً—صلى الله عليه وسلم— انظر صحيح الجامع (١٨٢٩)] جميل يحب الجمال [صح ذلك عنه مرفوعاً—صلى الله عليه وسلم— أخرجه مسلم في "الإيمان"] عليم يحب العلم نظيف يحب النظافة [ورد ذلك في حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٥٩٦)] محسن يحب المحسنين مقسط يحب المقسطين إلى غير ذلك من المعاني، بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحته عليها طعامه، وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته كما ثبت ذلك في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم [أخرجه البخاري في "الدعوات" (٦٣٠٨)، ومسلم في "التوبة" (٢٧٤٤)] فإذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله فهذه المناسبة حق، وهي من صفات الكمال كما تقدم الإشارة إليه فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يجب هذا، ولا يبغض هذا كان الذي يجب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال والموجود إما ألا يكون له علم كالجماد فالذي يعلم أكمل منه والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم، وإما ألا يجبهما، وإما أن يجبهما ومعلوم أن الذي يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يجبهما أو يبغضهما وأصل هذه المسألة هي الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا فرق بينهما فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجمعون على أنه لا يجب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة في بعض رسائله/١٢.

أمرنا: صغائرنا، وكبائرنا، ﴿وَبِتَّ أَقْدَامَنَا﴾: بحولك وقوتك، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النصر، والعافية، والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَسَلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمْ غَمًّا بَعْمًا لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نِعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: (١) اليهود، والمنافقين حين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم ﴿يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: يرجعوكم إلى الشرك، ﴿فَتَقَلَّبُوا خَاسِرِينَ﴾: مغبونين في الدارين، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فلا تستنصروهم، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: لما ارتحل المشركون عن أحد عزموا في أثناء الطريق الرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فلم يقدرُوا على الرجوع ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾: بسبب إشراكهم، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أى: أشركوا شيئاً لم ينزل الله بإشراكه حجة ودليلاً ﴿وَمَا وَاهُمُ النَّارُ وَيَسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾: أى: النار، وضع الظاهر موضع المضمَر تغليظاً وتعليلاً، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر والظفر بشرط الصبر والتقوى ﴿إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ﴾: تقتلون المشركين أول الأمر يوم أحد (٢) ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بقضاء الله، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبتم، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أراد اختلاف الرملة حين انزعج المشركين قال بعضهم ندع مكاننا للغنيمة، وقال بعضهم: ترك الغنيمة، ولا نخالف نبي الله ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: الرسول بترك المركز، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرَأَيْتُمْ﴾: الله ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذا محذوف وهو امتحنكم أو منعكم نصره، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: وهم من ترك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: وهم

(١) وذلك حين حسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل/١٢.

(٢) قد يستدل بهذه الآية على أن قوله: (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم

ربكم)(آل عمران: ١٢٤) الآية كان يوم أحد، وهو الوعد بالنصر، لكن بشرط الصبر

والثبات والطاعة/١٢.

الثابتون عند المركز، ﴿ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفكم عنهم، وردكم بالهزيمة
﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: يمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: مخالفة الرسول لندمكم، أو عفا
عنكم فلم يستأصلكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبتعدون
في الهزيمة متعلق بعفا عنكم، أو بصرفكم، أو ليبتليكم، ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾: لا تقفون، ولا
تقيمون، ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾: ولا يلتفت بعض إلى بعض، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَاكُمْ﴾: أى: فى جماعتكم الأخرى أى المتأخرة^(١) يقول: (إلى عباد الله فأنا رسول الله
من يكره له الجنة) * ﴿فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾: جازاكم عن فشلكم غما متصلاً بغم غم
الذنب وظن قتل نبيكم والخوف وظفر المشركين^(٢) وقيل غمًّا بسبب غم أذتموه
رسول الله بمخالفته، ﴿لَكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: من الغنيمة^(٣)، والظفر
بعدوكم، ﴿وَلَا﴾: على، ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾: من القتل والجراح وقيل معناه لتتمرنوا على
الصبر فى الشدائد؛ فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق، وقيل لا فى لكيلا
زائدة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: عالم بأعمالكم وقصدكم، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ
بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾: أمنة^(٤) مفعول، ونعاساً^(٥) بدل منه، وهذا كما قال الزبير: لقد

(١) الأول منقول عن كثير من السلف رواه ابن مردويه عن عمر بن الخطاب وابن عباس
وابن أبى حاتم عن قتادة/١٢.

(٥) سبق تخريجه والتنبيه على ضعفه.

(٢) على الوجه الأول الظرف أعنى بغم مستقر وعلى الثانى متعلق بأتابكم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وقتادة، والسدى
.١٢/

(٤) على أن النعاس الأمنة أو نعاسا مفعول، وأمنة حال مقدم/١٢.

(٥) الحديث الذى ذكرنا فى شرح الآية يدل على أن النعاس بعد الهزيمة حين وجدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أنه لم يُصب والكفار على الرجوع/١٢.

رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا أَرْسَلَ^(١) اللَّهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ فَمَا مِنَّا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَفَنَهُ فِي صَدْرِهِ، وَاللَّهُ لَا أَسْمَعَ قَوْلَ مَعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ إِلَّا كَالْحَلْمِ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ^(٢) مَا قَتَلْنَا هَاهُنَا، وَعَنْ^(٣) ابْنِ مَسْعُودٍ: النَّعَاسُ فِي الْقِتَالِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، **﴿يَعِشَى﴾**: النَّعَاسُ **﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾**، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، **﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾** مَا هُمْ إِلَّا هُمْ أَنفُسُهُمْ وَطَلَبَ خِلَاصَهَا، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، **﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾**: نَصَبَ غَيْرِ الْحَقِّ بِالمَصْدَرِ^(٤) أَيْ يَظُنُّونَ غَيْرَ الظَّنِّ الْحَقِّ، وَظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ بَدَلُهُ أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وَغَيْرِ الْحَقِّ مَصْدَرٌ لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ أَيْ يَظُنُّونَ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ قَوْلًا غَيْرَ الْحَقِّ، وَهُوَ أَهْمُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ، **﴿يَقُولُونَ﴾**^(٥) **﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾** أَيْ: هَلْ لَنَا مِنَ النُّصْرَةِ وَالغَلْبَةِ شَيْءٌ، وَنَصِيبُ قَطْ؟ وَهَذَا إِنكَارٌ مِنْهُمْ، **﴿قُلْ﴾**: يَا مُحَمَّدُ، **﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾**: النُّصْرَةُ وَالظَّفَرُ وَالْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ، **﴿يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾**: مِنَ النِّفَاقِ اسْتِثْنَاءً، أَوْ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ يَقُولُونَ، **﴿مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾**^(٦)، بَدَلٌ^(٧) مِنْ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ أَيْ إِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُونَ، **﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾** أَيْ: لَوْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ،

(١) رواه ابن إسحاق بن يسار، وابن أبي حاتم/١٢.

(٢) رواه الطبراني/١٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم/١٢.

(٤) على طريق النوعية دون التأكيد/١٢.

(٥) استفهام إنكاري/١٢.

(٦) في أنفسهم ما لا يبديون لك/١٢.

(٧) إذ لو قالوا ذلك مع المؤمنين مجاهرة لما كانوا منافقين، ولا يمكن أن يكون بدلا من

يخفون إلخ/١٢.

﴿مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: لما قتل منا في هذه المعركة، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي: لخرج الذين قدر القتل عليهم إلى مصارعهم فلم يستطيعوا الإقامة في المدينة ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، ليبتحن، ويظهر سرائركم من الإخلاص وعدمه، وهو عطف على محذوف أي برز لنفاذ القضاء وليبتلى، أو علة فعل محذوف أي: فعلنا ذلك، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يكشفه، ويميزه أو يطهره، ويخلصه من الوسواس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بضمائرهما، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿يَوْمَ اتَّقَىٰ الْجَمْعَانَ^(١)﴾: في أحد، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ^(٢) الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: انهزم من انهزم لأجل استزلال الشيطان إياهم ببعض الذنوب، وإيقاعهم فيه يعني اقترفوا ذنوبا لم يستحقوا معها التأييد الإلهي، وتقوية القلب فلذا فروا أو لأجل أنه حملهم على الذلّة التي هي الفرار بسبب ذنب هو بمخالفة الرسول أعنى ترك المركز أو بشؤم ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها بعضًا كالطاعة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ تلك الخطيئة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة العصاة .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٦﴾ وَلَٰكِن قُتِلْتُمْ

(١) المسلمون، والكافرون/١٢.

(٢) استزلمهم: طلب منهم الزلل، وإذا قلت استزلمه بكذا جاز أن يكون الزلل المحرض عليه هو ما دخل عليه الباء وجاز أن يكون غيره، والمعنيان اللذان في الشرح بناء على ذلك/١٢ منه.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَمِّعَةً لِمَعْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن
 مُّتَّمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ
 فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
 فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنْ
 يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَىٰ مَنْ يَغْلُلُ يَأْتِ بِمَا
 غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤١﴾ أَفَمَنْ
 اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّجَهُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ هُمْ
 دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
 بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ
 مِثْيَبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنْتِ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
 لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
 أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٤٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ

يَا الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٤﴾ *
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: المنافقين، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾:
لأجل أصحابهم وفيهم، ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾^(١): سافروا أى قالوا لأجل الأحوال العارضة
للإخوان إذا ضربوا بمعنى حين كانوا يضربون، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: للتجارة وغيرها فماتوا
في تلك السفر: ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾، فقتلوا جمع غاز ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا
قُتِلُوا﴾، مقول قالوا، ﴿لِيَجْعَلَ﴾^(٢) اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى: لا تكونوا مثلهم
في ذلك الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد حسرة في قلوبهم خاصة دون قلوبكم أو معناه
قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل، وحيثذ اللام لام العاقبة كقولهم: (لدوا للموت وابنوا
للخراب) ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أى: المؤثر فيهما هو الله لا الإقامة والسفر،
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فلا تكونوا أيها المؤمنون كالكفار، ﴿وَلَكِن قُتِلْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾ أى: في سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ﴾، جواب القسم^(٣) ساد مسد الجزاء أى لو وقع القتل أو الموت فما تنالون
من المغفرة بالموت خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية، ﴿وَلَكِن مِّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

(١) حاصل ما قررنا أن إذا ضربوا ظرف لما يحصل للإخوان أى: الأحوال العارضة لهم في
زمان مفرهم لا ظرف قالوا حتى يلزم أن قالوا ماض وإذا ضربوا مستقبل فلا يصح،
وكان ما ذكره الشارح أولى مما ذكره الزمخشري فانظر فتاوى/١٢.

(٢) فاللام متعلق بلا تكونوا أو بقالوا وعلى الأول ذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من
الاعتقاد/١٢.

(٣) إشارة إلى أن اللام في (ولكن قتلتم) هي الموطعة للقسم، وكذا اللام في (ولكن
متم)/١٢ منه.

لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لا إلى غيره، فلا رجاء ولا خوف إلا منه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، ما مزيدة للتأكيد أى: برحمة وإحسان منه سهلت أخلاقك يا محمد لهم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾: سئى الخلق، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لَا نَفَضُوا﴾: تفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: فيما تصح المشاورة فيه تطيبًا لقلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: وجزمت على أمر بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١): فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم، ويهديهم، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾: بغلبة العدو ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾: من بعد الخذلان، أو من^(٢) بعد الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فليخصوه بالتوكل^(٤) عليه لما علموا ألا ناصر سواه، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾^(٥): ما ينبغي لنبى أن يخون فى الغنيمة، نزلت فيما قال

(١) وفيه إشارة إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل مراعاة الأسباب الظاهرة مع تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه بالقلب/١٢فتح.

(٢) ومن علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له ومن خذله لا ناصر له فوض أمره إليه، وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره/١٢.

(٣) رواه العوفى عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٤) وقد وردت فى صفة التوكل أحاديث كثيرة صحيحة، وقد عد النبى المتوكل من سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، كما فى مسلم/١٢فتح [وهو أيضًا فى البخارى أخرجه فى "الطب" (٥٧٠٥)، ومسلم فى "الإيمان"].

(٥) ولما أمر نبيه بالعفو فى سوء أدهم، والاستغفار فى ذنوبهم بين فى إفراد إساءة الأدب والذنب "وما كان لنبى أن يغل" الآية/١٢وحيز.

المنافقون^(١) يوم بدر حين فقد قطيفة حمراء لعل رسول الله أخذها، أو في ظن الرماة^(٢) يوم أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعطيهم الغنيمة، ولهذا اشتغلوا بالغنيمة، وتركوا المركز أو معناه ما كان لنبي أن يكتم شيئاً من الوحي^(٣) وقرئ على البناء للمفعول أى ينسب إلى الخيانة، أو يخونه أتمه فقبل نزلت^(٤) يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حاملاً^(٥) له على عنقه، وقد^(٦) ورد أن الحجر ليرمى به في جهنم فيهوى سبعين خريفاً ما يبلغ قعرها^(*)، ويؤتى بالغلول فيقذف معه، ثم يقال لمن غل ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاؤه وإذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال لعظم ذنبه بذلك أولى، ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾: بنقص الثواب، وازدياد العقاب، ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بطاعته، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: بمخالفة شرعه، ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أى أهل الخير وأهل الشر^(٧)

(١) نقله الترمذى وأبو داود عن عبد الواحد بن زياد، وابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبي حاتم وابن جرير عنه أيضاً/١٢ ووجيز [وهو حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٠٧)، والصحيحة (٢٧٨٨)].

(٢) رواه العوفي عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٣) هذا قول محمد بن إسحاق/١٢ منه.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة والربيع/١٢ منه.

(٥) والأحاديث التي تدل على هذا توجد في الكتب الستة، وغيرها/١٢ منه.

(٦) رواه ابن مردويه/١٢ منه.

(٧) أخرجه مسلم في "الزهد".

(٨) وفي الوجيز: هذا بعيد جداً أى إرجاع الضمير لأهل الخير والشر جميعاً إذ لا يقال أن للكافر درجة عند الله تعالى فإن الدرجة ما يتوسل به إلى مكان علو وما سمعناه يستعمل

درجات أى كدرجات^(١) فى التفاوت أو ذو درجات، **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**، فيجازيهم على حسب الأعمال، **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾**: من جنسهم لا من ملك وغيره ليفهموا كلامه، ويتمكنوا من مجالسته والانتفاع به، **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** أى: القرآن، **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾**: من دنس الشرك والجهل، **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾**: القرآن، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: السنة، **﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ﴾**، إن هى المخففة أى: إن الشأن كانوا قبل بعثته، **﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**: ظاهر، **﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ﴾**^(٣) يوم أحد من قتل سبعين منكم، **﴿فَدَأْصَبْتُمْ مِّثْلَهَا﴾**: يوم بدر من قتل سبعين، وأسر سبعين، **﴿قَاتِلْتُمْ﴾**^(٤) **﴿أَنَّى هَذَا﴾**: القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فىنا، والهزمة متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو ما سبق من^(٥) قصة أحد

= إلا فيمن له شرف ومكان عال حسن، بل الضمير لمن اتبع فإنه هو المحدث عنه أى هم ذوو درجات، وفى تلك العبارة مبالغة لا تخفى/١٢.

(١) فيكون التشبيه بحذف الأداة/١٢ منه.

(٢) ولما بين فضل المؤمنين، وأهم هم الواصلون إلى رضوانه تعالى، ولهم الدرجات العلى من فضل الله تعالى، وَمِنَّمَا مَنَّهُ عَلَيْهِمُ بَعَثَ أَشْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ فِيهِمْ، فقال: (لقد منَّ الله) الآية/١٢ وجزير.

(٣) ولما من على المؤمنين ببعثة رسول عالم مظهر صلى الله عليه وسلم فرما يذهب وهم واهم إلى أن خذلان المؤمنين فى بعض الأحيان لماذا؟ فقال: (أو لما أصابكم) الآية/١٢.

(٤) أى كيف أصابنا هذا الكسر، والقتل، ونحن نقاتل أعداء الله تعالى؟ فأنى سؤال عن الحال على سبيل التعجب، ولا يناسب أن يكون أنى بمعنى أين ومتى لأن الاستفهام لم يقع هنا من المكان، والزمان/١٢ وجزير.

(٥) من قوله (لقد صدقكم الله وعده) إلى قوله (لفى ضلال مبين) لأن الكل يتعلق بقصة أحد من غير تحلل أجنبى/١٢ منه.

للتقرير والتفريع^(١) وقلتم جواب لما فإنه ظرف بمعنى حين يستعمل استعمال الشرط مضاف إلى الجملة بعده، وناصبه ما وقع موقع الجزاء، وأنى خير هذا وقع مقول القول، وقد أصبتم صفة لمصيبة، **﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾**: من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك المركز أو فيما صنعتن من أخذكم^(٢) الفداء يوم بدر، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: من النصر، ومنعه **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾**: جمع المسلمين، والمشركون يوم أحد، **﴿فِيَا ذَنَ اللّٰهِ﴾**: فهو بقضائه، وقدره، **﴿وَلِيَعْلَمَ﴾**، عطف على ياذن الله، **﴿الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾** أى: لتمييز المؤمنون من المنافقين ويظهر إيمان هؤلاء، وكفر هؤلاء، **﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾** أى: لعبدالله بن أبي وأصحابه لما انصرفوا في أثناء الطريق، عطف على نافقوا أو كلام مبتدأ، **﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾**: عتأ القوم بتكثيركم سوادنا، وقيل تخيير بين المقاتلة للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال، **﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا﴾**، لكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا في هذا أيضًا، لأنهم ظنوا القتال ورجعوا وقيل معناه لو نعلم أن ما ترتكبونه قتال لا تبعناكم، لكن هو إلقاء الأنفس إلى التهلكة، **﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾**، لانخراهم وكلامهم، **﴿يَقُولُونَ بَأْفَوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: من كلمة الإيمان، وقولهم لو نعلم قتالا على التوجيه الأول، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**: من النفاق، **﴿الَّذِينَ﴾**، بدل من فاعل يكتمون أو نصب أو رفع على الذم، **﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾** أى: لأجل أقاربهم المقتولين يوم أحد أو قالوا لإخوانهم من

(١) أى الحمل على الإقرار والتفريع على مضمون المعطوف/١٢ منه.

(٢) فإن المسلمين اجتمع رأيهم على أخذ الفداء فأخذوا الفداء قبل أن يأذن الله لهم كما سيحيى، رواه ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب، وابن جرير عن علي بن أبي طالب، والترمذى، والنسائى عن محمد بن سيرين/١٢ منه.

المنافقين، ﴿وَقَعَدُوا﴾ أى: والحال أنهم قد قعدوا عن الحرب، ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أى: شهداء أحد في الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا﴾: كما لم نقتل، ﴿قُلْ فَادْرَعُوا﴾: ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنكم تقدرون دفع القتل عنكم كتب عليه، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾، نزل^(١) في شهداء أحد أو في شهداء بدر أو في سبعين من الصحابة قتلوا في بئر معونة حين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد، ﴿بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في دار كرامته، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: من الجنة حيث شاء، فإن أرواحهم في أجواف طيور خضر^(٢)، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: لوقوع محذور، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣): لفوات محبوب وألا خوف بدل اشتغال من

(١) الأول روى الحاكم في مستدركه، وأبو داود عن ابن عباس [وكذا أحمد بسند صحيح، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥)]، وكذا قال قتادة والربيع والضحاك، والثاني قول مقاتل، ومجاهد، والثالث روى ابن جرير عن أنس بن مالك/١٢ منه.

(٢) ترد أثمار الجنة، وتأكّل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش/١٢ منه.
(٣) أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقى في الأسماء والصفات عن نعيم بن حماد أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الشهداء أفضل؟ قال (الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك ينطلقون في الغرف العالية من الجنة، ويضحك إليهم رهم وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه/١٢ در منثور) [أخرجه أحمد (٢٨٧/٥) بسند رجاله ثقات خلا إسماعيل بن عياش وهو صدوق في روايته عن أهل بلده، وهذا منها].

قوله صلى الله عليه وسلم (ويضحك إليهم رهم).. إلخ ضحك الرب عز وجل من صفاته، وقد جاء ذكر الضحك في الأحاديث الصحيحة الثابتة يجب الإيمان به قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية قدس الله سره في بعض فتاواه:

الذين أى يستبشرون بعدم الخوف والحزن على الذين خلفهم من المؤمنين بشرهم الله

= وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل خفة الروح أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" فقال له أبو رزين العقيلي، يا رسول الله أو يضحك الرب قال: "نعم"، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابي العقل بصحة فطرته ضحكه دليل على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب "يوما عبوسا قمطريرا" (الإنسان: ١٠)، وقد روي أن الملائكة قالت لآدم حياك الله وبياك أي: أضحكك والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزما لشيء من النقص، فالله تعالى مفره عن ذلك، وذلك النقص محتص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم ألا يكون الرب موجودا وألا يكون له ذات ومن هنا ضلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله، فأرادوا أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفي وإثبات، فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود، ولا موصوف ولا لا موصوف لما في ذلك على زعمهم من التشبيه وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا، وهو مقتض للتشبيه بالمتنوع، والتشبيه الممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات في شيء من خصائصها أو أن يكون مماثلا لها في شيء من صفاته كالحياء والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل في صفة الخالق صفة المخلوق كالحادث والموت والفناء والإمكان انتهى.

بذلك أو يسرون^(١) بلحوق من لحقهم عن إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من الكرامة قال السدى: يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا، فيسر بذلك كما تسرون بقدم الغائب، وقال: بعضهم لما قتلوا ورأوا الكرامة قالوا: يا ليت إخواننا^(٢) يعلمون ما عرفناه، فباشروا القتال بالرغبة، فأخبر الله نبيه بأمرهم، ثم الله أحرهم بأنى قد أخبرت بأمركم نبيكم، فاستبشروا بذلك فذلك قوله: (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا) إلى آخره ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، كرره تأكيداً، وليتعلق به قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، ثواباً لأعمالهم، ﴿وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عطف على نعمة أى: استبشروا لما عاينوا من وفاء الموعد .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٧٧) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (٧٨) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (٧٩) إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٠) وَلَا يَجْزِنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ

(١) هو قول محمد ابن إسحاق، وهذا الذى نقلنا عن السدى يوافقه/١٢.

(٢) فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة نزل فىهم قرآن قرأناه زمانا حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا [أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٠٩٠، ٤٠٩١)، وفى غير موضع من صحيحه، وحده دون مسلم] وفيما نقله محمد بن جرير أنه لنسخت، ورفعت وأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله﴾ الآية/٢ منه.

شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا لِيَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا
 وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٣٣﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
 الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن
 رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾
 وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ
 لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: الجرح، وهو صفة
 للمؤمنين أو نصب على المدح، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾: بطاعة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومن للتبيين، وهو أى للذين خبر قدم على مبتدئه، والجملة استثنائية أو
 الذين استجابوا مبتدأ وجملة للذين أحسنوا إلخ خبره، ﴿وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ
 الَّذِينَ﴾، بدل من الذين، ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾: رسول المشركين، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، أى:
 المشركين، ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾، ذلك القول، ﴿إِيمَانًا﴾ يقيناً
 وتصديقاً، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: محسبنا وكافينا، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: الموكل
 إليه هو، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، سلامة بدن، ﴿وَفُضِّلَ﴾: ربح مال، ﴿لَمْ
 يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: قتل وجرح، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: فى طاعة رسوله، ﴿وَاللَّهُ
 ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، أنعم عليهم بإنعامات حمة دينية ودنيوية نزلت آية (الذين استجابوا)
 إلخ فيمن بقى من غزوة أحد فإنهم أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جراحهم
 فى الخروج عقب المشركين فإنهم إذا رجعوا من أحد ندموا فى أثناء الطريق، وقالوا:

نرجع ونستأصلهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع^(١) من كان معه في أحد فلما سمع المشركون بخروجهم ألقى الله الرعب فيهم فأرسلوا أحدا يخوف المسلمين منهم، والمسلمون يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا فرجع المسلمون بعافية وريح وهو أن^(٢) غيراً مرت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح فيها مالاً وقسم بين أصحابه^(٣) أو نزلت فيمن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل من غزوة أحد حين خرج المشركون من مكة وألقى الله الرعب فيهم في أثناء الطريق، وندموا من الخروج وأرسلوا أحدا يخوف المسلمين في المدينة، وهم متأهبون للقتال قائلون حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا من الطريق فرجع المسلمون بسلامة وريح في تجارة من سوق^(٤) بدر ورضاً من الله، ﴿إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ﴾ أى: قائل إن الناس قد جمعوا لكم شيطان يصدكم عن سبيل الله، مبتدأ، وخبر، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾:

(١) ولم يأذن في الخروج معه أحدا غيرهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بنى أبي عتبة، شك سفيان/١٢.

(٢) عمر الظهران/١٢.

(٣) رضى الله عنهم هذا هو المنقول الثابت الذى صححه ابن كثير في تفسيره والبغوى أيضاً، وهو قول جميع قدماء المفسرين والمؤرخين فالآية جميعها في غزوة حمراء الأسد المتصلة بغزوة أحد، لا أن بعض الآية، وهو ﴿الذين استجابوا﴾ إلى قوله ﴿أجر عظيم﴾ فى تلك الغزوة وبقايتها وهو الذين (قال لهم الناس) إلى آخر الآية فى غزوة بدر الصغرى التى تذكرها كما قال الرازى وغيره من المتأخرين، فلا تعتمد على الرازى والزحخشري وغيرهما/١٢ منه وجيز.

(٤) وهو المسمى بغزوة بدر الصغرى، فإن المسلمين انتظروا المشركين فى البدر فلم يأتوا فرجع المسلمون من بدر بتجارة وريح ورضاً من الله قال الشيخ المحدث الناقد أبو الفداء عماد الدين بن كثير: الصحيح أن الآية فى غزوة حمراء الأسد لا فى بدر الصغرى/١٢ منه.

يخوفكم أوليائه بإيهاكم أنهم ذوو قوة وبأس، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين موقنين، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم، ولا تبال بمن يبادر إلى العناد وكسر^(١) الإسلام، وهم كفار قريش أو المنلقون أو هم واليهود، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى: دين الله، وشيئا مصدر أو مفعول، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: نصيبا من الثواب فيها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، مع حرمان الثواب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، ولكن يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لَّأَنْفُسِهِمْ﴾، ما مصدرية، وإن مع ما فى حيزه مفعول، وفى قراءة: "ولا تحسبن" بالتاء تقديره لا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا أن الإملاء أى: الإمهال خير بحذف مضاف أو إنما على بدل من المفعول، واستغنى به عن المفعول الثانى ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، استئناف بما هو علة الحكم قبلها، وما كافة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت فى مشركى مكة، أو فى قريظة والنضير، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: يا معشر المسلمين من التباسكم بالمنافقين أو يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾؛ المنافق من المخلص بالوحى أو بتكاليف لا تدعن لها إلا الخلص كما ميز يوم أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، فتعرفوا قلوب المخلصين والمنافقين، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ^(٣) رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فيخبره ببعض المغيبات

(١) بهذا التقرير دفع ما يقال من شأن الرسول أن يحزن بكسر الإسلام فكيف يؤمر بعدم الحزن/١٢ منه.

(٢) ومن هذا علم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى/١٢ وحيز.

(٣) من بيانية، أو تبعيضية/١٢ منه.

نزلت حيث قال المشركون: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا بمن يؤمن به، ومن يكفر أو لما قال عليه الصلاة والسلام: (عرضت على أمي وأعلمت من يؤمن لي ومن يكفر لي) قال المنافقون: إنه يزعم عرفان المؤمن من الكافر، ونحن معه ولا يعرفنا، ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بصفة الإخلاص، ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا﴾: حق الإيمان، ﴿وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، بقراءة التاء تقديره ولا تحسبن بخل الذين بخذف مضاف، وكذا بقراءة الياء إن كان الفاعل ضمير الرسول وأما إذا كان الذين يبخلون فاعله فتقديره ولا يحسبن البخلاء بخلهم^(١) هو خيرا لهم نزلت في مانعي الزكاة^(٢) وقيل في أهل الكتاب^(٣) بخلوا بما في أيديهم من الكتب المترلة، ﴿بَلْ هُوَ﴾ أى: البخل، ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يجعل ماله الذى لم يؤد زكاته حية يطوق في عنقه تنهشه من فرقه إلى قدمه، أو يجعل طوقاً من نار، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يفنى البلاك، وتبقى الأملاك بلا مالك إلا الله، فلا تبخلوا، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من المنع، والإعطاء^(٤)، ﴿خَبِيرٌ﴾، فيجازيكم .

(١) عند الزمخشري جاز حذف أحد مفعولى باب علمت عند ظهور القرينة وهاهنا كذلك على أن الفاعل لما اشتمل على ذكر البخل صار هذا في حكم إيجاد الفاعل، والمفعولين/١٢ منه.

(٢) ففي البخارى ومسلم أنه عليه السلام قرأ بعد أن أوعدهم/١٢ [أخرجه البخارى في "التفسير" (٤٥٦٥)، وفي غير موضع من صحيحه دون مسلم].

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس، والأول أصح/١٢ منه.

(٤) قال الرازى في التفسير الكبير: إن الإنفاق الواجب أقسام كثيرة منها إنفاقه على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه مؤنتهم، ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة ومنها ما إذا احتاجه المسلمون إلى دفع عدو يقصد قتلهم ومالههم فهاهنا يجب عليهم إنفاق الأموال على من

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا
 وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ
 نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّسَارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن
 قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِن
 كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ كَذَّبَتْكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ
 ﴿١٢٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ
 عَنِ النَّسَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٢٥﴾ *
 لَتَبْلُؤَنَّ فَحِ أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن
 قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَبِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن
 عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا
 تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَيَتَسَمَّ مَا يَشْتَرُونَ
 ﴿١٢٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
 تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٩﴾

= يدفعه عنهم؛ لأن ذلك يجرى بجرى دفع الضرر عن النفس، ومنها إذا صار أحد من
 المسلمين مضطرا فإنه يجب عليه أن يدفع إليه مقدار ما يستبقى به رفقه فكل هذه
 الإنفاقات من الواجبات، وتركه يكون من باب البخل، والله أعلم/١٢٠.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ (١) قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قالت اليهود لما نزلت: (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) (البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١) أو لما دعاهم أبو بكر إلى الإسلام قالوا: إن الله إلينا لفقير ونحن عنه أغنياء، ولولا ذلك ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ﴿سَكَتَبُ مَا قَالُوا﴾: فى صحيفة أعمالهم أو سنحفظه ولا نهمله، ﴿وَوَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾: بحسد وعناد قرنه به لأنهما كجنس (٢) واحد فى العظم، ﴿وَوَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المحرق أى: ننتقم منهم بأن نقول لهم ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أى: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ذنوب صدرت من أنفسكم، وهو من جملة المقول معهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣)﴾، عطف على ما قدمت أى: عدلنا يقتضى تعذيبكم، وصيغة المبالغة لكثرة العبيد فإنها جمع محلى باللام، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أى: حتى يأتى بتلك المعجزة الخاصة، وهى أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه تنزل نار من السماء تأكلها كما كانت لأنبياء بنى إسرائيل ﴿قُلْ﴾: يا محمد تكذبياً لهم، وإلزاماً؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾:

(١) لا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد، أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة/١٢ منه.

(٢) وبأن هذا ليس بأول ما ركبه من العظام، بل هم أصلاء فى الكفر، والكفر منهم ميراث، ورثوه من أجدادهم/١٢.

(٣) وفيه إشارة ظاهرة بأنه لو عفى عن تلك الجرائم العظام التى هى الكفر وأشد الظلم على أفضل الخلائق لكان الله تعالى كثير الظلم، والعجب كل العجب أن فى الآيات القرآنية أكثر من عشرة وعشرين أن تقيص الحسنات وتضعيف السيئات وتعذيب المحسن والإحسان مع المسيء فى القيامة ظلم من الله تعالى، وهو تعالى بفضله وإحسانه لا يظلم مثقال ذرة وحرم على نفسه الظلم، وصرح بذلك علماء الخلف وعظماء السلف، وليس فى كتب اللغة التى عندنا تفسير الظلم إلا بوضع الشيء فى غير موضعه اللائق ومع هذا كله فضلاً لنا المتأخرون فسروا الظلم بالتصرف فى ملك الغير بغير إذنه قالوا: الظلم على الله محال، وما فطنوا بالفسادات الواردة على ذلك، وقد بينا ذلك فى رسالة مفردة/١٢ وجزى للمصنف.

تلك المعجزة الخاصة التي تطلبون مني، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تتبعون من جاء بتلك المعجزة، ثم قال مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: فليس يبدع منهم، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: الكتب المقصورة على الحكم وعلى المواعظ، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المعنى المتضمن للشرائع والأحكام، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: وعد للمصدق، ووعد للمكذب، ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: تعطون تماما جزاء أعمالكم، ﴿فَمَنْ زُحْرِحَ﴾: جنب، وبعد: ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالبغيعة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: زخارفها، ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المستام^(١) فيغير ويشترهه فمن اغتر بها وآثرها فهو مغرور، ﴿لَتَبْلُونَ﴾ أي: والله لتختبرن، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بإهلاكه، والأمر بالإفناق، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾: بالجهاد والقتل، والأمراض، والحقوق كالصلاة، والحج، ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى^(٢) كَثِيرًا﴾، من هجاء الرسول، والظعن، وتشبيب النساء أمرهم بالصبر قبل الوقوع ليوطنوا أنفسهم عليه، ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا﴾ على الأذى، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾: أي الصبر، والتقوى، ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: معزوماتها^(٣) أي: التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله وأمر وبالغ فيه قال عطاء: من حقيقة الإيمان، ﴿وَوَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي: اذكره، ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ^(٤) بلسان أنبيائهم، ﴿لَتُبَيِّنَنَّ

(١) المشتري/١٢.

(٢) من الظعن وتشبيب النساء، والتشبيب هو ذكر أوصاف الجمال، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف بنساء المؤمنين/١٢فتح.

(٣) يعني أن العزم مصدر بمعنى المفعول أي المعزوم عليه، والفاعل هو العبد أي: يجب عليه أن يعزم على ذلك، والله تعالى أراد وقطع وفرض أن يكون ذلك ويحصل قال الإمام المرزوقي: حقيقة العزم توطين النفس، وعقد التغلب ولذلك لم يجز على الله/١٢.

(٤) والظاهر أن المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب أي كتاب كان كما يفيد التعريف الجنسي في الكتاب قال الحسن وفتادة: إن الآية عامة لكل عالم وكذا

لِلنَّاسِ: حكاية لمخاطبتهم أى: والله لتبينن الكتاب بجملته لهم، ﴿وَلَا تَكْتُمُوهُ فَنَبِّدُوهُ﴾ أى: الميثاق، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: هو مثل (١) فى ترك الاعتداد والاعتبار (٢)، ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أخذوا بدله قليلاً من حطام الدنيا، ﴿فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٣): يختارون، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ (٤): تأكيد للأول، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ (٥): منجاة، ﴿مَنْ الْعَذَابِ﴾ أى: فائزين بالنجاة منه، ومن قرأ بالياء ففاعله الذين، ومفعوله الأول متصل بالتأكيد (٦) ولا

= قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبى هريرة: لولا ما أخذته الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ فتح.
(١) ونقيضه: جعله نصب عينيه، وألقاه بين عينيه/١٢ منه.

(٢) اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان محتصا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضاً دخول المسلمين فيه لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب/١٢ كبير. قال قتادة: هذا ميثاق أخذته الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ معالم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سئل علماً يعلمه فكنمه أجم بلجام من نار) أخرجه الترمذى/١٢ فتح [صحيح، أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعاً، وانظر صحيح الجامع (٦٢٨٤)].

(٣) معناه أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا، فكل من لم يبين الحق للناس وكنم شيئاً منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب لقلوبهم أو لجر منفعة أو لتقية وخوف، أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد/١٢ تفسير كبير.

(٤) والفاء للإشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحساب والنهي عنه قال الزجاج: العرب تعيد إذا طالت القصة فى حسبت وما أشبهها إعلاما بأن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد تقول لا تظنن زيدا إذا جاعك وكلمك بكذا أو كذا فلا تظنه صادقاً/١٢ منه.

(٥) بمعنى فائزين ثانى مفعولى تحسبن/١٢.

(٦) يعنى: جعل التأكيد وهو لا تحسبن هو الفاعل والفاعل إذ ليس المذكور سابقاً إلا الفعل والفاعل، فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الأول، ولا حذف وهو أولى مما قاله الزمخشرى/١٢.

حذف، **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** بكفرهم، وكتماهم آيات الكتاب، وقد صح^(١) أن مروان أرسل أحدًا إلى ابن عباس رضى الله عنهما وقال: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل منعذبا لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: مالكم وهذه إنما نزلت في أهل الكتاب، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع، فظنوا أن قد استحمدوا^(٢) إليه بما أخبروه، وفرحوا بكتماهم أو نزلت^(٣) في قوم تخلفوا عن الغزو، ثم اعتذروا وحلفوا واستحمدوا وقيل في المنافقين يفرحون بنفاقهم، ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان، **﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: فلا يعجز عن الانتقام.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ﴾** **﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾** **﴿رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾** **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ**

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف/١٢ منه [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٨)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٦٤٨/٥)].

(٢) أى: طلبوا الحمد متوسلين إليه بذلك/١٢، أى: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى/١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٣)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٦٤٨/٥) ط الشعب].

بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٢٥﴾ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٢٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٢٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، هذه في ارتفاعها واتساعها مع ما فيها من الكواكب المختلفة، وهذه في انخفاضها، وكثافتها، وما فيها من البحار، والجبال، والأشجار، والأثمار، والزررع، والثمار، ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما، وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا أو يقصر ذلك، ثم يعتدلان، ثم يطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ﴿لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: دلالات على الوجود، والوحدة والعلم، والقدرة لذوى العقول الخالصة، وقد ورد: "ويل لمن قرأها^(١) ولم يفكر فيها"، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾، وصف لأولى الأبواب، ﴿قِيَامًا وَقَعُودًا^(٢) وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: يصلون قائمين فإن لم يستطيعوا فقعودا، فإن لم يستطيعوا فعلى جنب، أو المراد مداومة الذكر لأن الإنسان قلما يخلو عن إحدى هذه

(١) رواه ابن مردويه وابن حبان في صحيحه/١٢.

(٢) قوله قِيَامًا مصدر بمعنى الفاعل، وقعودا يمتثل أن يكون جمع قاعد ومحل على جنوبهم

نصب على الحال عطف على ما قبله/١٢ أى على قِيَامًا وقعودا/١٢.

الحالات **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** وما أبدع فيهما استدلالاً قائلين: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ^(١) هَذَا﴾** أى: الخلق، **﴿بِاطِلًا﴾** أى: خلقاً عبثاً بل خلقتة لحكم عظيمة، **﴿سُبْحَانَكَ﴾**: أنزه تترىها لك من خلق العبث، **﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**: علمنا أنك مآثره عن خلق العبث، بل ليحزى الذين أساءوا بما عملوا، ويحزى الذين أحسنوا بالحسنى فقنا عذاب النار بحولك، **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾** للخلود فيها فإنه الحزى كما قال تعالى (يوم لا يحزى الله النبي) (التحریم: ٨) ^(٢) الخ، **﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ^(٣)﴾**، أهنته غاية الإهانة، وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أظلم، **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ^(٤)﴾**: يصرونهم في الخروج من النار، وضع الظاهر موضع المضمرة ليعلم أن سبب الخلود ظلمهم، وهذا دليل على أن المراد بالدخول هاهنا الخلود لأن للداخلين من المؤمنين أنصاراً، **﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾** أى: محمداً عليه الصلاة والسلام أو القرآن، **﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾**، والنداء يعدى ^(٥) بإلى، والسلام لتضمنه معنى الانتهاء والاختصاص **﴿أَنْ آمَنُوا^(٦) بِرَبِّكُمْ﴾** أى: بأن آمنوا، **﴿فَأَمَّا رَبَّنَا﴾**

(١) هذا إشارة إلى الخلق في خلق السماوات على أن المراد به المخلوق أو إشارة إلى السماوات والأرض لأحدهما في معنى المخلوق، وباطلا صفة مصدر محذوف كما أشرنا إليه وقيل حال من هذا/١٢ منه.

(٢) يعنى هذه الآية تدل على أن الإجزاء لا يكون للمؤمنين، ولا شك أن بعض المؤمنين بشئوم ذنوبهم يدخلون النار مدة أرادها الله فعلم أن المراد من الدخول هنا الخلود كما قال أنس وقتادة وسعيد بن المسيب/١٢ منه.

(٣) العار والتخزية يبلغ من ابن آدم في القيامة بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار، روى الحافظ أبو يعلى الموصلى أنه قال عليه السلام/١٢ منه.

(٤) قيل: النصره هى الدفع بطريق الغلبة والشفاعة بطريق المسألة ففى الناصر لا يدل على نفى الشفيع قال تعالى: (لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (البقرة: ١٢٣)/١٢ قلت: وإن سلم فالتبادر من نفى الناصر فى مثل هذا الموقع عدم الخلاص لهم بوجه من الوجوه، تأمل منتصفاً/١٢.

(٥) يعنى أن فى الدعاء إلى الشئى والنداء له والهداية إليه اختصاصاً للفعل به وانتهاء إليه فسواء عبرت باللام التى للاختصاص أو بإلى التى لانتهاى الغاية حصل المقصود/١٢.

(٦) فإن مصدرية، وحاز أن يكون مفسرة بمعنى أى/١٢.

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا: كباثرتنا، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا بقبول الطاعات ﴿وَتَوْفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: معدودين في زمرة الصالحين، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: أى: على ألسنتهم أو على تصديق رسلك من الثواب فعلى الحقيقة استعادة من سوء العاقبة مخافة ألا يكونوا من الموعودين، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: لا تفضحنا على رعوس الأشهاد، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ^(١) الْمِعَادَ﴾ البعث بعد الموت، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: يعدى بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾: أى: بأنى، ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾: بيان^(٢) عامل، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: فى الدين أو كلكم من آدم أو لأن الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر قالت^(٣) أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم) إلخ. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: تفصيل للأعمال، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾: الكفار، ﴿وَقَاتَلُوا﴾: فى الجهاد، ﴿لَا كُفْرَانَ﴾: لأخون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَادْخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تحت أشجارها، ﴿ثَوَابًا^(٤) مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أى: لأتيسرهم ثوابًا من عند الله العظيم، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: على الطاعات.

﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: من السعة والتبسط فى المكاسب والمزارع والمتاجر قال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن فى الجهد نزلت فالخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: أى: ذلك التقلب متاع قليل لقلته مدته وفى جنب ما أعد الله للمؤمنين، ﴿ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: ما مهدوا

(١) قد صح عن ابن عباس أن الميعاد البعث بعد الموت وعدم خلف الميعاد بإثابة المطيع، وعقاب العاصي/١٢.

(٢) يعنى أن من بيانية فالمراد بالعامل الشخص العامل ليعم الذكر والأنثى/١٢.

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه، وقال: صحيح على شرط البخارى، ولم يخرج/١٢ منه [وهو كما قال وأخرجه أيضاً الترمذى والطبرانى وغيرهما، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٢٠)].

(٤) يعنى أن ثوابا مصدر مؤكّد فإن قوله لأكفرون عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأتيسرهم لا أن تقدر عامله كما يظهر من كلامنا بادهى الرأى/١٢.

لأنفسهم، أو الفراش جهنم، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: هو ما يعد للنازل، ونصبه على الحال من
جنان، والعامل الظرف، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار في الدنيا،
﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، دخلت اللام على اسم إن للفصل بالظرف
نزلت^(١) لما توفى النجاشي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى كما يصلى على
الجنائز فقال المنافقون: تصلى على علعج^(٢) مات بأرض الحبشة أو في ابن سلام وأصحابه، أو في
جمع من الحبشة والروم أسلموا أو في مؤمن أهل الكتاب كلهم، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: القرآن
﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من كتبهم، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، حال من فاعل يؤمن، ﴿لَا يَشْتُرُونَ﴾،
حال آخر، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: لا يأخذونه بدلها كما يفعله المحرفون ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، فالأجل الموعود سريع الوصول إليهم.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: على دينكم وعلى أمر الله أو على البلاء، ﴿وَاصْبِرُوا﴾:
على عدوكم، ﴿وَرَابِطُوا﴾ أنفسكم في مكان العبادة أى داوموا أو أبدانكم^(٣) وحيولكم
في الثغور أو المراد انتظار الصلاة بعد^(٤) الصلاة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في جميع الأمور وفيما
بينه وبينكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكى تفلحوا في الدنيا، والآخرة.
والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه.

(١) رواه ابن مردويه وابن جرير عن قتادة وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن
مالك/١٢ منه [حسن، أخرجه النسائي في "التفسير"].

(٢) العلعج الكافر الضخم/١٢ .

(٣) هذا قول مقاتل والسدى وغيرهما/١٢ منه.

(٤) هكذا قال ابن عباس وسهل بن حبيب ومحمد بن كعب وغيرهم، وفي مسلم والنسائي
(ألا أخيركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره،
وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط،
فذلكم الرباط)/١٢ وحيز [أخرجه مسلم في "الطهارة"].

سورة النساء

وهي مائة وست وسبعون آية وأربعة وعشرون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّىٰ وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ
خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾
وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا
مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ
فِيهَا وَآكِسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا
النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا
وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ
أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ وَلَيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: (١) هي آدم. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء من ضلع من أضلاعها. ﴿وَبَثَّ﴾: نشر. ﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به، كما تقولون: أسألك بالله، أدغمت التاء الثانية في السين، وقرئ بطرحها ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ (٢) أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها (٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٤) حافظا مطلعا فاتقوه.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ﴾ (٥) أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت في رجل معه مال لابن أخ يتيم له فطلبه بعد البلوغ ومنعه ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا حرام أموالهم بحلال

(١) فلا فخر لأحد على أحد، والقادر على خلق أشخاص مختلفين من شخص واحد قادر على إحيائهم بعد الموت / ١٢ وجيز.

(٢) وفيه عظيم مبالغة في احتساب قطع الرحم / ١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمع لا يخصى من السلف، وقيل: عطف على محل

به فإن العرب كثيرا ما يقولون: أسألك بالله وبالرحم، وقراءة من قرءوا الأرحام بالجر مشعر

بذلك / ١٢ منه، وفي الوجيز لكن الوجه الأول أولى؛ لأنه ليس في السؤال بالأرحام ترغيب في

تقوى الله، ولا فائدة في ذكر الأرحام أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها / ١٢.

(٤) لما أمرهم بالتقوى عن مخالفة أمر الله تعالى الذي هو رقيب على جميع أحوالهم بنأهم عن

أقبح شيء منهم فقال: (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ) الآية / ١٢ وجيز.

(٥) أي: أتوا اليتامى إذا بلغوا، وفيه إشارة وحث على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم

قبل أن يعلم الإزالة اسم اليتيم عنهم / ١٢ وجيز.

أموالكم، نقل أنهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتامى ويجعلون مكانه الردى فقرلت، وعلى هذا أيضاً الجيد هو الخبيث باعتبار حرمة فلا يرد عليه شيء ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: منضمة. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي (١): لا تنفقوهما معاً ﴿إِنَّهُ﴾: الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوبًا﴾: إثماً ﴿كَبِيرًا﴾.

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَى فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ نِسَاءِ﴾ أي: إن خفتم يا أولياء اليتامى ألا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فأنكحوا غيرهن من (٢) الغرائب، وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا أيضاً من عدم العدل بين النساء فأنكحوا مقدراً يمكنكم الوفاء بحقوقه أي: كما تخافون هذا فخافوا ذاك أيضاً، أو كما خفتم من ولاية اليتامى فخافوا من الزنا فأنكحوا ما طاب لكم ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣) أي: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة حال مما طاب ﴿فَإِنْ

(١) قوله: "إلى أموالكم" الأولى ألا يكون قيذا احترازيا بل جيء لتقبيح فعلهم فهيا عما صدر عنهم كما في: "أضعافاً مضاعفة".

(٢) المعنى الأول هو الثابت في صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- في سبب نزولها وهو الأوفق بوجوه، والوجه الثاني منقول عن ابن عباس، والثالث عن مجاهد وغيره/ ١٢. [حديث عائشة: أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (٤٥٧٤)]

(٣) وضع البخاري باباً في صحيحه فقال: "باب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع". وقال علي بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع، قال ابن حجر في شرحه فتح الباري: وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم، وأيضاً قال قبل ذلك بعدة أبواب في شرح حديث "كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة" حديث قد اتفق العلماء على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن. انتهى، وعن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة أسلم وله عشر نسوة

خَفْتُمْ أَلَّا تَعْدُلُوا: بين هذه الأعداد أيضاً. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فاختاروها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين واحدة والسراري من غير تعيين عدد فإنه لا قسم بينهم^(١) وعبر عن النساء بما في الموضوعين لنقصان عقلهن أو ذهاباً إلى الصفة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التقليل، أو اختيار الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾: أقرب ألا تميلوا ولا تجوروا.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾: الخطاب للأزواج أو الأولياء؛ لأنهم كانوا يأخذون مهور موليائهم ﴿نِحْلَةً﴾ أي: فريضة أو عطية وهبة عن طيب نفس، مصدر أي: إيتاء نحلة ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنِ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الضمير للصدوق أو للإيتاء، ونفساً تميز، وعدى الطيب بعن لتضمين معنى التحافي أي: إن وهبن لكم من الصدوق عن طيب نفس ﴿فَكُلُّوهُ هَنِئًا مَّرِيئًا﴾ هنأ الطعام ومرأ إذا ساغ من غير غص، صفتان أقيمتا مقام المصدر أو صفة مصدر أو حال.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ هم النساء والصبيان كما قال^(٢) ابن عباس: لا تعدد إلى ما جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو أولادك ثم تنظر إلى مافي أيديهم لكن أمسكه وأصلحه وكن أنت منفقا عليهم^(٣)، أو اليتامى فيكون منعا للأولياء من إعطاء

= فأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعاً. رواه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وأعله البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، وذكر هذا الحديث ابن حجر في بلوغ المرام مع هذا البيان، وقال محي السنة الإمام البيهقي في معالم التنزيل: وهذا إجماع أن أحدا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة. انتهى.

(١) وترك القسم من الكبائر فقد ورد في الحديث اللعن على تاركة/ ١٢ وجيز.

(٢) وكثير من السلف/ ١٢ وجيز.

(٣) وعلى هذا السفهاء باعتبار بعض منهم وهو النساء والصغار وغير الراشدين من الأولاد/

١٢ وجيز.

الذين لا رشد لهم أموالهم، وإضافة المال إلى الأولياء لأنه في تصرفهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتتعشون بها، فعلى الثاني تأويله التي من جنس ما جعله الله لكم قيامًا، وسمى ما به القيام قيامًا مبالغة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اجعلوا لهم فيها رزقا وكسوة بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قولنا لطيب به أنفسهم.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾: اختبروهم قبل البلوغ في عقلهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كناية عن البلوغ، لأنه عند البلوغ يصلح للنكاح ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ﴾: أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُّشْدًا﴾ صلاحًا في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فدفع المال بعد البلوغ بشرط الرشد ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ حال، أو مفعول له ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ أي: مسرفين مبادرين كبرهم مخافة نزعها عن أيديكم عند كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ من الأوصياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل شيء منها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) أجره مثله، أو القرض فيجب الأداء، أو لا يأكل إلا أن يضطر كأكل الميتة ويقضي، أو لا يأكل إلا بقدر الحاجة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ والرشد ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢) قبضهم، وهذا أمر إرشاد لقطع الخصومة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسبًا فاعدلوا في أموالهم.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي: المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مما ترك

(١) وظاهر القرآن أن الوصي الغني لا يجوز له أكل شيء من ماله بوجه من الوجوه، وأن الوصي

الفقر جاز أكله قدر أجره الحفظ ولا تعبة عليه في الدنيا ولا في الدين/ ١٢ وحيز.

(٢) وظاهر القرآن وجوب الإشهاد لكن الأكثرون على أنه أمر إرشاد/ ١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر حال مال اليتامى كان سائلا يسأل من أين لليتامى مال؟ فقال: للرجال.

﴿نَصِيْبًا مَّفْرُوضًا﴾ مصدر مؤكّد، أو بتقدير: أعنى، نزلت لما كانوا يجعلون المال للرجال الكبار دون النساء والأطفال^(١).

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث ﴿أَوْلُوا الْقُرْبَى﴾: ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: مما ترك، وهو أمر ندب للبلّغ، أو أمر وجوب على الصغير والكبير منسوخ^(٢) أو غير منسوخ، أو المراد أن الميت يوصي لهم، أو واجب مما طابت به النفس^(٣) ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: هو أن يدعو لهم ويلطف في العبارة معهم، وإن كانت الورثة صغاراً اعتذروا^(٤) إليهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أمر لمن حضر الميت بأن يخشوا على أولاد المريض خشيتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم ويسددوه للصواب، أو للأولياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم بعد وفاتهم، وأن يقولوا لليتامى بالشفقة وحسن الأدب ولو بما في حيزه صلة للذين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾: ظالمين أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾^(٥) ناراً: ملء بطونهم ما يجر إلى النار، وقد نقل أن في القيامة يخرج لهب

(١) وقوم من يونان لا يعطون إلا للبنات فرد على الفريقين / ١٢ وجيز.

(٢) هذا صح عن ابن عباس / ١٢ منه.

(٣) كثير من السلف على أنه يجب عليهم أن يرزقوهم إذا حضروا بشرط أن يطيب به نفوس أهل الميراث / ١٢ منه.

(٤) كأن يقول الولي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم، وإن يكبروا فسيوفون حقكم. هذا هو القول بالمعروف، هكذا نقل عن ابن عباس / ١٢ منه.

(٥) حقيقة فقال - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء: "رأيت قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من

النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينه يعرفه من رآه ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلون ناراً.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

= أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً". / ١٢ وجيز. [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٨٧/٤) وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤٨٨٤) من طريق: أبو هاردين العبدى عن أبي سعيد الخدرى.]

خَلْدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾^(١): يعهد إليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٢) فَإِنْ كُنَّ أَى: المولودات ﴿نِسَاءً﴾ خلصاً ليس معهن ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ صفة نساء ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾^(٣) وللبنتين حكم ما فوقهما، لأنهما أمس^(٤) رحمًا من الأختين، وقد فرض لهما الثلثين بقوله: فلهما الثلثان مما ترك، وقيل: لفظ الفوق صلة زائدة وما فوق الواحدة جماعة ﴿وَلَأَبْوَابِهِ﴾^(٥) أَى: الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾: للميت ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى، يعني: بطريق الفرضية ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبْوَاهُ﴾ فحسب ﴿فَلَأُمُّهُ الثَّلَاثُ﴾ يعني: وللأب الباقي وهو الثلثان ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ﴾: للميت ﴿إِخْوَةٌ﴾^(٦) وحكم الأخوين كحكم الأخوة^(٧) ﴿فَلَأُمُّهُ

(١) لما أهتم في قوله: ﴿نصيب مما ترك الوالدان﴾ في المقدار وأهم الأقربين بين الكل فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ / ١٢ وجيز.

(٢) أنث الضمير مع أنه راجع إلى الأولاد، لتأويل المولودات أو باعتبار الخير/ ١٢.

(٣) وفيه دليل على أن الواحد له جميع المال، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين وللواحدة النصف/ ١٢ وجيز.

(٤) أقرب ١٢ .

(٥) ولما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون أخذ في ذكر الأصول ومقدار ما يرثون فقال: "ولأبوية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٦) أعم من أن يكونوا من أب وأم أو من أحدهما، وأعم من أن يكونوا ذكورا أو إناثا/ ١٢ وجيز.

(٧) خلافا لابن عباس فإن الأخوين عنده كواحد خلافاً للجمهور/ ١٢ وجيز.

السُّدُسُ» وإن كانوا لا يرثون مع الأب^(١) «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ^(٢)» أي: هذه الأنصبة للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين، وقدم الوصية على الدين وإن كان الدين مقدماً حكماً، لأنها تشبه الميراث شاققة على الورثة «أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا»: لا تعرفون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم، فاتبعوا ما قررت لكم من الميراث ولا تكونوا على ما كنتم عليه في الجاهلية من حرمان النساء والأطفال، وعلى ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من كون المال للولد وللأبوين الوصية «فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ» مصدر يوصيكم الله، لأنه في معنى: يفرض عليكم أو مصدر مؤكد «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بالمصالح «حَكِيمًا» فيما قضى.

«وَلَكُمْ^(٣) نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ» وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ» أي: الزوجات «الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ» وسواء في الربع والثمن الواحدة والأكثر «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ»: منه «كَلَالَةً»

(١) لا يرثون مع الأب خلافاً لابن عباس فعنده أنهم يأخذون السدس الذي حججوا عن الأم، والجمهور على أن الباقي وهو خمسة أسداس للأب/ ١٢ وحيز.

(٢) وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء، إذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من التركة والموصى فيه، ولا يسقط من الدين بهلاك شيء من التركة وأو هنا كأو في جالس الحسن أو ابن سيرين/ ١٢ وحيز للمصنف.

(٣) لما ذكر ميراث الفروع من الأصول وميراث الأصول من الفروع أخذ في ذكر ميراث المتصلين بالسبب وهو الزوجية فقال: "ولكم نصف" آية.

(٤) كلاله مصدر من تكلله النسب أي: أحاط به، وبه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس، وهو الميت الذي لا ولد له ولا والد، قال ابن كثير: وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة،

لا ولد له فيورث: صفة رجل من ورث، وكلاية: خير كان، والرجل هو الميت **﴿أَوْ امْرَأَةً﴾** عطف على رجل **﴿وَلَهُ﴾** أي: للرجل، ومنه يعلم حكم المرأة فاكتفي به **﴿أَخٍ أَوْ أُخْتٍ﴾** من الأم بالإجماع وهو مذكور في بعض القراءة **﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا﴾** الضمير لمن يرث، وجمعه محمول على المعنى **﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾** أي: من واحد **﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾** ذكرا كانوا أو أنثى **﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ﴾** (١) لورثته بحرمان بعضهم أو زيادة أو تنقيص مما قدر من الفريضة، ولا يكون غرضه من الوصية الإضرار بل القرية، حال من فاعل يوصى، وفي قراءة البناء للمفعول ما يدل عليه وهو الفاعل المتروك **﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾** مصدر أو مفعول به لغیر مضار **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾**: بالمضار وغيره **﴿حَلِيمٌ﴾** لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي (٢): ما تقدمت من الأحكام شرائعه التي كالحُدود التي لا يجوز مجاوزتها **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**: من تحت أشجارها **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾** جمعه باعتبار المعنى **﴿وَذَلِكَ﴾** أي: الخلود فيها **﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**.

= وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع غير واحد وورد فيه حديث مرفوع انتهى / ١٢ فتح.

(١) يعني: غير مضار حال مما يدل يوصى عليه / ١٢.

(٢) وقد ورد في الترغيب في تعلم علم الفرائض وتعليمها أحاديث وآثار وهو ركن من أركان الشريعة، وذكروا من تخارج هذا العلم ما لم يكن له مستند إلا محض الرأي، وليس مجرد الرأي مستحقاً للتدوين فلكل عالم رأيه واجتهاده مع عدم الدليل، ولا حجة في اجتهاد بعض أهل العلم على البعض الآخر، ويكفيك منه ما ثبت في الكتاب والسنة وما عرض لك مما لم يكن فيهما، فاجتهد فيه برأيك عملاً بحديث معاذ - رضي الله عنه - المشهور / ١٢ فتح.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يتجاوزها ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لأنه لم^(١) يرض بما قسم الله وحكم به بل ضاد في حكمه، وخالدين: حال وكذا خالداً لا صفة جنات وناراً؛ لأنه لا بد أن يقول حيثئذ: خالدين هم وخالدا هو فيها؛ لأنهما جريا على غير من هما له .

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٥) وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَأُذِيهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوذِيَكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُوذِيَكَ

(١) وفي الحديث الذي ذكره الإمام أحمد وأبو داود في سننه: "أن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى خان في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخله الجنة، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿تلك حدود الله﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ فدل الحديث على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة فلا إشكال، ولما ذكر العصيان وتعدي الحدود وذكر عقبه الفرد الأفحش مع أن الإرث لا يكون إلا فيما هو من نسب النكاح لا من السفاح/١٢. [أخرجه ابن ماجه (٢٥٠٤) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند" (٧٧٢٨): إسناده صحيح. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه" .]

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا
النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَلْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
وَأْتَيْتُمُ احْدَلْهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا
مُؤِينًا ﴿١٣﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ
مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٤﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ﴾: يفعلن ﴿الْفَاحِشَةَ﴾^(١) الزنا ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ من رجال المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَاْمَسِكُوهُنَّ﴾ أجلسوهن ﴿فِي
الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكة الموت، أو يأخذهن الموت ويستوفي
أرواحهن كان ذلك عقوبتهن في بدء الإسلام فنسخ بالحد ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا﴾ السبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

﴿وَاللَّذَانَ﴾ أي: الرجل والمرأة ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ أي: الفاحشة ﴿مِنْكُمْ فَتَاذُوهُمَا﴾ بالشم
والتعير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخ، وعن بعضهم: أنها نزلت في
الفتيان قبل أن يتزوجوا أو في الرجلين إذا عملا عمل قوم لوط^(٢) والظاهر أن الإيذاء

(١) هي الزنا بإطباق المفسرين سوى مجاهد فإنها عنده هي المساحقة وفي اللذان يأتيها عنده
اللوطة/ ١٢.

(٢) وظاهر القرآن يناسب قول مجاهد أن اللاتي في السحاقيات واللذان في اللواط/ ١٢
وجيز.

مشترك بين الرجل والمرأة والحبس خاصة المرأة، فإذا تابا أزيل الإيذاء عنهما وبقي الحبس عليهما، وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً، وكانت عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد **﴿فَإِنْ تَابَا﴾** من الفاحشة **﴿وَأَصْلَحَا﴾** العمل **﴿فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا﴾** اتركوا أذاهما ولا تعنفوهما بعدُ بكلامٍ قبيحٍ **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾**.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ليس قبول التوبة واجبا على الله بمقتضى وعده لأحد إلا **﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾** ملتبسين **﴿بِجَهَالَةٍ﴾** أجمع الصحابة على أن من عصى الله عمداً أو خطأ فهو بجهالة **﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** زمان قريب قبل معاينة الموت، أو قبل أن يحيط السوء ^(١) بحسناته فيحبطها، أو في صحته قبل مرض موته **﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** تاب الله عليه قبل توبته وغفر ذنبه **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾** ببيئاتهم **﴿حَكِيماً﴾** بأفعاله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي: منفية قبولها **﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** أي: لا توبة لهؤلاء الفريقين؛ فإنه كما لا تقبل توبة الآخرة لا تقبل توبة الدنيا حين الاحتضار **﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾** ^(٢) **﴿لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾** الاعتداد: التهية.

(١) قال الله تعالى: "ولم يصروا على ما فعلوا" ذكر في الإحياء: معناه عن قرب العهد بالخطيئة بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يدفعها قبل أن يتراكم الذنب على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أتبع السيئة الحسنة تمحها".

(٢) إذا كان المراد من الذين يعملون السيئات المنافقين أو الكفار مطلقاً فلا إشكال، أما إذا أريد الفسقة أعم من أن يكونوا مؤمنين أو كافرين، ففي قوله: "أعدنا لهم عذاباً أليماً" إشكال على مذهب أهل السنة إلا أن يقال: لما كان معدداً للأكثرين جعل حكمهم حكم الكل، أو يقال: المراد أعدنا لهم إن لم نعف عنهم والعفو لا يكون إلا من بعض فساق المؤمنين/ ١٢ فتأمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا^(١) النِّسَاءَ﴾: أي: ذواتهن ﴿كَرْهًا﴾ في الجاهلية إذا مات زوج امرأة ورث امرأته من يرث ماله إذا ألقى عليها ثوباً فإن شاء تزوجها بغير صداق، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها، وإن شاء منعها من الأزواج لتموت فيرث، أو لتعطى ما ورثت من الميت، وإن انفلتت قبل أن يلقي عليها ثوباً نجت فنهى الله عنه، وكرها حال أي: كارهاً ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان للرجل امرأة كاره هو صحبتها فيقهرها ويضرها لتحل مهرها أو حقاً من حقوقها فالخطاب للأزواج، وأصل العضل التضيق، وهو عطف على ﴿أَنْ تَرِثُوا﴾ ولا لتأكيد النفي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ^(٢) مُّبَيَّنَةٍ﴾ أي: الزنا أو النشوز والعصيان أو أعم أي: لا تضحروهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة فإنه جاز ضحرها لتخالعه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أجملوا بالقول والفعل معهن ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا عليهن ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ مثل أن يرزق منها ولدٌ ويكون في الولد خير كثير.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ طلاق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَعَمَاتِيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الضمير للزوج، لأن المراد منها الجنس^(٣) ﴿فَنظَارًا^(٤)﴾ مالا كثيراً^(٥) أي:

(١) يعني ترثوا عيان النساء وذواتهن/ ١٢ منه.

(٢) تفسير الفاحشة بالزنا قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وابن سيرين وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم، قالوا: إذا زنت فله استرجاع الصداق وضحرتها لتركه، والتفسير الثاني للضحك وعكرمة أيضاً، والثالث اختيار ابن جرير/ ١٢ ج.

(٣) فجمعه باعتبار معناه/ ١٢.

(٤) تفسير النظار مع اختلاف فيه قد مر في سورة البقرة/ ١٢ ج.

(٥) واستدل بما على جواز المغالاة في الصداق/ ١٢ وحيز.

وقد جعلتم صداقهن قنطاراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُّبِيناً﴾ أي أتأخذونه باهتين آثمين، أو مفعول له نحو: قعدت عن الحرب جنباً، فإنهم إذا أرادوا طلاق امرأة نسبوها إلى فاحشة لتفتدى صداقها، أو حال من المفعول أي: ظلماً وإثماً ظاهراً، وفيه ما لا يخفى^(١) من المبالغة.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: شيئاً من الصداق ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ والحال أنه وصل إليه، وهو كناية عن الجماع ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظاً﴾ هو العقد أو ما أخذ الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذتموهن"^(٢) بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾^(٣) مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ كان نكاح زوجات الآباء معمولاً به في الجاهلية ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ بيان ما، وعبر بما لأنه أراد به الصفة ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الاستثناء من لازم النهي أي: تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو منقطع أي: لكن ما قد سلف فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أقبح المعاصي ﴿وَمَقْتاً﴾ وبغضاً شديداً من الله ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾^(٤) وبئس ذلك طريقاً.

(١) على الوجه الأخير الذى يكون حالاً من المفعول، لأنه جعله نفس الظلم والإثم/ ١٢.
 (٢) في صحيح مسلم أنه قال عليه السلام في خطبته في حجة الوداع: "واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن" إلخ وكلمة الله هي: التشهد في خطبة النكاح. [أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/٣٣٣) ط الشعب].
 (٣) قال جماعة: المراد به العقد الصحيح لا الزنا، فالمراد مما سلف تعاطي الزنا فإنه جائز لكم ازدواجهن في الإسلام/ ١٢.

(٤) وعن البراء بن عازب قال: "لقيت خالى ومعه راية فقلت: أين تريد؟ فقال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه"

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ
بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ
الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسْفِحِينَ^٤ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٣٨﴾ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
مِّنْ بَعْضٍ فَاذْنِكُمْ لَهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمُحْصَنَاتِ
غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَآتَيْنَ بِفَلْحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾

= رواه ابن ماجه وغيره، ونقل ابن خيثمة عن يحيى بن معين أنه حديث صحيح، وهذا
محمول على أنه مرتد لاستحلاله ذلك/ ١٢ وجيز. [وأبو داود (٤٤٥٧) وصححه الشيخ
الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٧٤٤).]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ أي: حرم نكاحهن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ الربيبة بنت زوجته ﴿اللَّاتِي﴾^(١) فِي حُجُورِكُمْ ﴿فِي تَرْبِيَّتِكُمْ وَبَيْتِكُمْ، وَهَذَا الْقَيْدُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ لَا أَنَّهُ تَقْيِيدُ الْحَرْمَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ جَعَلَهُ شَرْطًا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ وَابْنُ حَزْمٍ، وَنَقَلَ عَنِ الْمَالِكِ ﴿مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أَي: دَخَلْتُمْ مَعَهُنَّ فِي سِتْرٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ، وَمِنْ ابْتِدَائِيَّةٍ مُتَعَلِّقَةٌ بِالرَّبَائِبِ، وَعَنْ عَلِيِّ وَزَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدِ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ قَيْدٌ لِأُمَّهَاتِ النِّسَاءِ وَالرَّبَائِبِ فَيَكُونُ مِنْ لَاتِصَالِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ حَيْثُ لَا لِلابْتِدَاءِ، أَي: أُمَّهَاتِ النِّسَاءِ وَبَنَاتِهِنَّ مُتَصَلَاتٌ بِهِنَّ ﴿فَإِنْ﴾^(٢) لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴿فِي نِكَاحِهِنَّ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِالْمَقْصُودِ ﴿وَخَالَاتُكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ لَا مِنْ تَبْنِيَّتِهِمْ، وَأَمَّا امْرَأَةٌ ابْنَةٌ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَيَعْلَمُ حُكْمُهَا مِنْ حَدِيثٍ "يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النِّسْبِ" * ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ فِي النِّكَاحِ، وَكَذَا جَمَاعُهُمَا فِي مَلِكِ الْيَمِينِ

(١) روى ابن أبي حاتم عن مالك بن أوس أنه قال: كانت عندي امرأة فماتت فلقيت علي بن أبي طالب فأخبرته فقال: أليس لها ابنة، فقلت: نعم وهي بالطائف، قال: كانت في حجركم، قلت: لا هي بالطائف، قال: فانكحها قلت: فأين قوله: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" آية قال: إنها لم تكن في حجوركم، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: إسناده قوي ثابت على شرط مسلم، وهو قول غريب.

(٢) في نكاحهن وهذا التصريح بالمقصود مشعر بأن قوله: ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ ليس شرطاً حيث لم يقل: فإن لم يكن في حجوركم ولم تكونوا دخلتم بهن/ ١٢ وجيز.

(٥) أخرجه البخاري في "الشهادات"/ باب: الشهادة على الأنساب (٢٦٤٥) ومسلم في "الرضاعة"/ باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٦٢٦/٣) ط الشعب.

على الصحيح، وهو في محل الرفع عطف على المحرمات **﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾** لكن ما مضى مغفور **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ذوات الأزواج **﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** بالسي فإنها تحل بعد الاستبراء مع أن لهن أزواجاً من الكفار، وعن بعض من السلف أن بيع الأمة طلاق لها من زوجها فتحل لسيدها لعموم الآية **﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً **﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾** عطف على حرمت أي: ما سوى المحرمات المذكورات، وما في معنى المذكورات الذي علم بالسنة^(١) **﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾** مفعول له أي: أحل ما وراء ذلك لأن تطلبوا ما وراءه بصرف الأموال في المهر والتمن^(٢) حال كونكم محصنين ناكحين غير مسافحين زانين، ومفعول تبتغوا متروك كأنه قيل: إن تصرفوا أموالكم، أو بدل اشتمال من وراء، والمفعول محذوف **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾** موصولة أي: من تمتعتن به من المنكوحات، أو موصوفة أي: ما استمتعتن به منهن من جماع **﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾** مهورهن **﴿فَرِيضَةً﴾** حال أو مصدر مؤكد أو صفة لمصدر أي: إيتاء مفروضاً، قال بعض السلف^(٣): الآية في نكاح المتعة، وقد صح^(٤) عن علي أن

(١) كالجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها/ ١٢ وجزير.

(٢) أي: للسراري/ ١٢.

(٣) حتى أن ابن مسعود وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرءون "فما استمتعتن به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن فريضة"/ ١٢.

(٤) في الصحيحين/ ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة حبير (٤٢١٦) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "النكاح" / باب: نكاح المتعة (٥٦٢/٣) ط

نكاح^(١) المتعة نسخت يوم خير **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِيضَةِ﴾** من إبراء الصداق أو بعضه، ومن حمل ما قبله على المتعة فعنده معناه إذا
عقدتم إلى أجل بمال وتم الأجل إن شاءت^(٢) زادت في الأجل وزاد في الأجر وإلا
فارقها **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾** بالمصالح **﴿حَكِيمًا﴾** في أحكامه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ﴾^(٣) **﴿طَوَّلًا﴾** فضلاً وزيادة في المال يبلغ بها نكاح المحصنات،
فهو مفعول يستطع^(٤) **﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾** أي: الحرائر متعلق بطولا على حذف
حرف الجر أي: إلى أن ينكح **﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** أي: فلينكح أمة
غيره **﴿مَنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾** فلا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وقال بعضهم^(٥): طول
المحصنات هو أن يملك فراشها على أن النكاح الجماع، وحمل قوله: "من فتياتكم
المؤمنات" على الإرشاد بالأفضل فعنده جاز نكاح الأمة الكتابية إذا لم يكن تحته حرة
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان والله أعلم بالسرائر **﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ
بَعْضٍ﴾** أنتم وأرقاتكم في النسب والدين متناسبون فلا تستنكفوا عنها عند الحاجة
﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: أربابهن **﴿وَعَمَاتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾** مهورهن
﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بغير نقص ومطل استهانة بهن **﴿مُحْصَنَاتٍ﴾** عفاف حال من مفعول

(١) ذهب عامة أهل العلم إلى أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة، وكان ابن عباس يذهب
إلى أن الآية محكمة وترخص في نكاح المتعة، وقيل: إن ابن عباس رجع عن ذلك كذا في
المعلم/ ١٢.

(٢) يعني لا جناح عليكم فيم تراضيتم به من الفراق أو الوصال ومزيد الأجر من بعد
الفريضة المال المعين في الحق/ ١٢.

(٣) وقيل: من طال على الأمر إذا غلبه وتمكن منه، فتقديره: على أن ينكح/ ١٢ وجيز.

(٤) أي: لم يستطع زيادة في الحال/ ١٢ منه.

(٥) أبو حنيفة وأصحابه/ ١٢ منه.

فانكحوا ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾^(١) مجاهرات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أحباب يزنون بهن في السر. كانت العرب تحرم الأولى لا الثانية ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾ بالتزوج، ومن قرأ بفتح الهمزة والصاد فمعناه: حفظن فروجهن أو أسلمن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبيكار ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد، والجمهور على أن حد الأمة مزوجة أو بكرًا خمسون جلدة؛ ففائدة الشرط نفي ما يتوهم من تفاوت حالهن قبل التزوج وبعده كما في الحرائر^(٢) وعند بعض السلف أنه لا حد على غير المحصنة منها بل تضرب تأديبًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة ﴿لَمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾^(٣) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: خاف الوقوع في الزنا، يعني: المشقة بغلبة الشهوة فلنكاح الأمة شرطان: عدم الطول وخوف العنت ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الأمة مع العفاف ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لثلا يصير^(٤) الولد عبدًا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصب ﴿رَحِيمٌ﴾ بأن رخص.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٥) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ

(١) السفاح مذموم عند الكل لكن الاختصاص بواحد في السر لا يذمه العرب في الجاهلية/ ١٢ منه.

(٢) فإن حال الحرائر بعد التزوج ليس كحالها قبل التزوج فرما يوهم أن الاماء أيضًا كذلك/ ١٢ منه.

(٣) أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة/ ١٢ وجيز.

(٤) وفي سنن ابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر" / ١٢ وجيز. [وأخرجه ابن عدي (٢/١٦٤) وعنه ابن عساكر (١/٢٨٤/٤) كما قال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٤١٧).]

أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
 ضَعِيفًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
 تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
 رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَنُدْخِلِكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ ﴿٢١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ
 مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا
 تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٢٣﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي من الشرائع عليكم. واللام زائدة، وأن بين مفعول
 يريد **﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾** شرائعهم ^(١) ومناهجهم الحمودة كاملة
 إبراهيم **﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾** من المآثم والمحارم ويعفو عنكم **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾** بمصالحكم
﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قرر وقدر.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ إن صدر عنكم تقصير **﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾** ^(٢) الزناة أو اليهود والنصارى أو الجوس الذين يجلون نكاح

(١) وعند صاحب البحران "سنن الذين" متعلق بين ويهدي على سبيل التنازع/ ١٢
 وحيز.

(٢) في التكاليف الشرعية قمع النفس وردّها عن مشتتهاها واتباع شهواتها سبب لكل مذمة
 وكل كافر وفاسق يتبع لها/ ١٢ وحيز.

الأخت وبناتها أو أهل الباطل ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ في شرائعه، ولهذا رخص لكم نكاح الأمة ﴿وَوَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ فيناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف همته، أو في الصبر عن النساء فإنه يذهب عقله عندهن.

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام كالسرقة والقمار ونحوهما ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ لكن كون تجارة صادرة عن تراض بين المتبايعين غير منهي عنه؛ فالاستثناء منقطع، ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره: يكون التجارة تجارة، ومن قرأ بالرفع فيكون كان تامة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين أو بإلقائها إلى التهلكة^(٢) أو أراد قتل المسلم نفسه

(١) ولما ذكر أحور المحصنات وأثمان السراري ومنع الزنا سرًا وعلانية وأن الإنسان ضعيف لا طاقة له على المشاق أراد أن يوطن انفسهم على صرف بعض المال، ويجذرهم عن بعضه فقال: "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وحيز.

(٢) روى ابن مردويه عن ابن عباس: "أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا المدينة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك فقال: يا رسول الله خفت أن يقتلني الرد، وقد قال الله تعالى: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" نقل الإمام أحمد هذا الحديث بزيادة "تيممت وصليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" هذا ما في المنهية وفي الفتح، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني، ومما يدل على ذلك احتجاج عمرو بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء البارد حين أجنب في غزوة ذات السلاسل فقرر النبي صلى الله عليه وسلم احتجاجه، وهو في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما / ١٢. [صححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود".]

كما يفعله بعض الجهلة، أو بارتكاب محارم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فما نهاكم عن مضاركم إلا من رحمته، أو حيث لم يكلفكم بقتل أنفسكم للتوبة كما كلف بني إسرائيل.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ما سبق من المحرمات أو القتل ﴿عُدْوَانًا﴾^(١) وظُلْمًا تجاوزاً عن الحد ووضعاً للشيء في غير موضعه ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ﴾^(٢) ناراً ﴿ندخله إياها﴾ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسر ولا صراف عنه.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا﴾^(٣) كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ كل ذنب فيه وعيد^(٤) شديد ﴿نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ منح عنكم سيئاتكم ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، فمحو الصغائر لمن اجتنب الكبائر وعد مقطوع به ومحوها لمن تعاطى الكبائر ليس كذلك بل في مشيئته وإرادته تعالى.

(١) من يفعله جهلاً أو نسياناً أو سفهاً فلا يدخل تحت الوعيد/ ١٢ منه.

(٢) وهذا النوع من الدخول في النار للكفار كما سنبينه سورة والليل/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر الوعيد لمرتكب بعض الكبائر ذكر الوعد لاجتناب جميعها فقال: "إن تجتنبوا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) هذا هو أشهر الأقوال في تعريف الكبائر، وروى النسائي والحاكم في "مستدرکه" وابن حبان في "صحيحه" أنه قال عليه الصلاة والسلام: "ما من عبد صلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام" وفسر عليه السلام هذه السبع كما روى في "الصحيحين" بالشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات/ ١٢ منه وفي الفتح، والأحاديث في تعداد الكبائر وتعيينها كثيرة جداً فمن رام الوقوف على ما ورد في ذلك فعليه بكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" فإنه قد جمع فأوعى/ ١٢.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ هـى الله تعالى عن قولهم: ليت لي مال فلان وأهله، أو نزلت في أم سلمة حيث قالت: يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، أو حين قالت امرأة: للرجل مثل حظ الأثنتين في الميراث وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في الثواب هكذا، أو حين قال الرجال: نريد أن يكون لنا من الأجر ضعف النساء، وقالت النساء: نريد أجر الشهداء ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، أو حين قالت النساء عند نزول "للذكر مثل حظ الأثنتين": نحن أحوج فإنا ضعفاء لا تقدر على طلب المعاش ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا مِنَ الْعَمَلِ﴾ من العمل ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، أو لهم نصيب من الجهاد ولهن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج، والكل بعشر أمثالها ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أى: لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم فإنه أمر محتوم ولا يجدى تمني نفعاً ولكن سلو من فضلى أعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم من يستحق شيئاً فيعطيه.

﴿وَلِكُلِّ وَّارِثٍ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ مما متعلق بموالي لتضمنه معنى الفعل أى: ورثة مما ترك، يعنى: يرث من تركتهم، أو معناه: لكل شيء مما تركوا من المال جعلنا موالى وراثا يحرزونه ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ^(٢) أَيْمَانُكُمْ﴾ عهودكم يأخذ بعضهم بيد بعض على

(١) ولما ذكر ما حصل للرجال من اكتسابهم وللنساء من اكتسابهن أخذ فيما حصل لهم من غير اكتسابهم وتعبههم فقال: "ولكل جعلنا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وتأري تأرك وحرى حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام وذلك قوله: "فآتوهم نصيبهم" ثم نسخ، أو كان ميراث المهاجري للأنصاري دون ذوى رحمه بالأخوة السابقة، ثم نسخ مطلقاً فلا يرث بينهم وقوله: "فآتوهم نصيبهم" يعنى: من النصر والنصيحة والمحبة/ ١٢ منه.

الوفاء، وقرئ عاقدت، أي: عاقدتهم أيديكم ﴿فَاتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ من الإرث وهو السدس كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ وأمروا بأن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينشئوا بعد نسخه بقوله: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" معاهدة في الإرث لكن يجب الوفاء بالمعاهدة الماضية^(١) أو نسخت مطلقاً فلا يجوز إنشاء المعاهدة ولا الوفاء بالعهد السابق للميراث، وقوله: "والذين عقدت أيمانكم غير منسوخ بمعنى: وآتوهم نصيبهم من النصرة لا من الإرث، أو كان يرث المهاجري^(٢) الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت: "ولكل جعلنا موالياً" نسخت ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" أي: من النصر والنصيحة وقد ذهب الميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ فلا تتجاوزوا عما أمركم.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالضَّرَّاحَاتُ لِقِبَتِكُمْ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿٦﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ

(١) وفي مسلم وغيره لا حلف في الإسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة/ ١٢. [أخرجه مسلم في "الفضائل" / باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه (٢٥٣٠).]

(٢) نقله البخاري عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" من طرق عنه صلى الله عليه وسلم (٣٧/٥-٣٨) وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٤٦) من طريق: أبو سعيد الأشج، ثنا خلف بن أيوب العامري، عن أشعث بن عبد الملك، عن الحسن فذكره، عن علي - رضي الله عنه - كما قال ابن كثير (٤٩٢/١).]

شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿١٠﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿١٣﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿١٤﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿١٦﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٧﴾

﴿الرِّجَالُ﴾^(١) قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴿قيام الولاة على الرعايا﴾ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فضلهم عليهن بكمال العقل والدين والقوة ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ﴾^(٢)

(١) لما ذكر أمر الرجال والنساء في اكتساب النصيب وأمر أن لا يتمنوا بعضهم على بعض

أخذ في جهات فضائل الرجال فقال: "الرجال" / ١٢.

(٢) قد استدل به جماعة من العلماء على جواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها، وبه قال مالك والشافعي وغيرهما / ١٢ فتح.

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ كالمهر والنفقة، اشتكت امرأة عن زوجها بأنه لطمها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فترلت فقال عليه الصلاة والسلام: أردت أمراً وأراد الله غيره فرجعت بغير قصاص^(١) ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ تحفظ في غيبته نفسها وماله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياها فالمحفوظ من حفظه، أو بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن على أزواجهن ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بعقاب الله في عصيانهما ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ بأن يوليها ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها، أو معناه لا يضاجمها ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم يرتدعن بالموعدة ولا بالهجران ضرباً غير شديد^(٢) ﴿فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ بالإيذاء، وقيل: لا تكلفوهن محبتكم فالقلب بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ فهو أقدر عليكم منكم على أزواجكم، ويتجاوز عنكم ليلاً ونهاراً.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافاً بين المرء وزوجه، والإضافة إلى الظرف على الاتساع^(٣) ﴿فَابْعَثُوا﴾ أيها الحكام ﴿حَكماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يحكمان بينهما فيما يرى المصلحة من الجمع والتفريق، والأقارب أعرف ببواطن الأحوال فهم الأولى، وهما من جانب الحاكم ينفذ^(٤) حكمهما مطلقاً بغير رضى المحكوم عليه على الأصح ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: يقصد الحكمان^(٥) ﴿إِصْلَاحاً يُوقِفِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بحسن سعي الحكامين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ بالظاهر والباطن.

(١) رواه ابن مردويه عن علي وابن جرير عن الحسن البصري/ ١٢ وجيز.

(٢) مما لا يحدث شيئاً ولا يؤذن بالاحتقار/ ١٢ وجيز.

(٣) كأنه مفعول به كذا سارق الليلة/ ١٢ وجيز.

(٤) أى: في الجمع والتفريق/ ١٢.

(٥) فعن كثير من العلماء ينفذ في الجمع ولا ينفذ في التفريق/ ١٢ منه.

﴿وَاعْبُدُوا^(١) اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا^(٢) بِهِ شَيْئًا﴾ من المخلوقات^(٣) أو من الإشارك قليلاً وكثيراً جلياً وخفياً ﴿و﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين﴾ من لا يجد ما يكفيه وعياله ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ من جمع بين القرابة والجوار، أو الجار الأقرب أو الجار المسلم ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الأجنبي والذي جواره بعيد، أو أهل الكتاب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ المرأة، أو رفيق السفر، أو الحضر أيضاً ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضعيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المماليك^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا﴾ متكبراً ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر^(٥) على المسلمين.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله من بر الوالدين والأقربين، بدل ممن كان، أو نصب أو رفع على الذم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أيضاً كاليهود قالوا: لا تنفقوا على محمد فإننا نخشى عليكم الفقر ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٦)﴾ يعني: الغنى، وحمل بعض السلف الآية على بخل اليهود بإظهار ما عندهم

(١) ولما كان أول السورة إلى هنا مبنياً على الرفق والصلة والنصح أردف بحث الإرث والإصلاح بين الزوجين. بمثل ما تقدم فقال: "واعبدوا" / ١٢ وحيز.

(٢) لما أمر الله تعالى بالعبادة بقوله: "واعبدوا الله" أمر بالإخلاص في العبادة بقوله: "ولا تشركوا به شيئاً" لأن من عبد مع الله غيره كان مشركاً ولا يكون مخلصاً، ولهذا قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" (البينة: ٥) / ١٢ كبير.

(٣) فإن العبادة مع الشرك مردودة / ١٢ وحيز.

(٤) من عبید وإماء وحيوانات إنسية / ١٢ وحيز.

(٥) بحسب وينسب فلا ينظر إلى الأقارب والأصحاب والمماليك إلا بنظر شر / ١٢ وحيز.

(٦) من نعمة أنعم الله عليهم فإن البخيل يسترها ويحجدها، وفي الحديث: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه" / ١٢ وحيز. [صححه الشيخ الألباني في

من العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتماهم ذلك **﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ^(١) عَذَابًا مُهِينًا﴾** أي: أعتدنا لهم فإنهم كافرون بنعمة الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا لوجه الله، ذكر الباذلين رياء بعد المسكين والمراد اليهود أو المنافقون أو مشركو مكة، وهو عطف على الذين يبخلون **﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾** أى فبئس الشيطان قرينا "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" (*).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أي تبعة تحيق بهم **﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾** في سبيله **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عِلِيمًا﴾** وعيد لهم.

﴿إِنَّ^(٢)﴾ الله لا يظلم مثقال ذرة **﴿زنة غملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء إن كان مؤمناً فله الأجر في الدارين، وإن كان كافراً فمقصور على الدنيا، أو تخفيف في عذابه فلا يظلم وهو قادر عليه﴾** **﴿وَإِنْ تَكُ﴾** مثقال الذرة **﴿حَسَنَةً﴾** وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة **﴿بِضَاعِعَهَا﴾** أي: ثوابها **﴿وَيُؤْتِ﴾** صاحبها **﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾** من عنده بفضلها **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** جزيلاً وهو الجنة.

= "الصحيحة" (١٢٩٠) وقال: رواه ابن سعد (٢٩١/٤) والطحاوي في "مشكل الآثار"

(٤/١٥١) والبيهقي في "الشعب" (٢/٢٢١/١).

(١) أي: لمن كفر بنعمة الله ووعظ المسلمين بأخس الرذائل وفي الحديث: "لم يجمع البخل والإيمان في قلب" و أكثر البخلاء موهم في حال سلب الإيمان، وقد دخل في ذلك بالدخول الأولى اليهود فإنهم مجبولون على البخل دنس الثياب كريهه الرائحة، ولما ذكر المساكين عطف عليهم منفقين لغير وجه الله/ ١٢ وحيز.

(*) الآية من سورة الإسراء.

(٢) ولما أمر بعبادته وبالإحسان والإنفاق وذم البخل ووبخ، أمر سبحانه بعدله فلا يظلم على الجزء على هذه الأمور، ثم قرر إحسانه فقال: "إن الله"/ ١٢ وحيز.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: كيف حال هؤلاء الكفرة إذا جئنا بنبي كل أمة يشهد بصلاحتهم وفسادهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ على جميع الأمم أو المنافقين أو المشركين ﴿شَهِيداً﴾^(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ لو يدفنون وتبتلعهم الأرض فتسوى، أو لم يعثوا، أو يكونون تراباً، والباء للملابسة فهو حال، أو بمعنى: على فظرف لغو ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بشهادة أيديهم وأرجلهم عليهم، عطف على جملة يود لما رأوا أن الجنة خاصة للمسلمين قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام: ٢٣)، كذبوا رجاء زجهم في المسلمين فحتم الله على أفواههم وشهدت عليهم أيديهم وأرجلهم، "ولا يكتُمون الله حديثاً" (النساء: ٤٢)، أو داخل في التمني بمعنى: يتمنون أنهم لم يكونوا كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأمره.

(١) معنى هذا الكلام: كيف ترون يوم القيامة إذا استشهد الله على كل أمة برسولها واستشهدك على هؤلاء، يعني: قومه المخاطبين بالقرآن الذين شاهدتهم وعرف أحوالهم، ثم إن أهل كل عصر يشهدون على غيرهم ممن شاهدوا أحوالهم وعلى هذا الوجه قال عيسى عليه السلام: "وكنتم عليهم شهيدياً ما دمتم فيهم" / ١٢ كبير للإمام الرازي، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: "خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلاً" ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين" إلى آخر الآية (الأنبياء: ١٠٤)، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنتم عليهم شهيدياً ما دمتم فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" (المائدة: ١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" انتهى من النسخة المطبوعة الأحمديّة - [أخرجه البخاري في "الرقاق" / باب: الحشر (٦٥٢٦).]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٤﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْثًا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ (١) ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا

(١) ولما ذكر الوقوف بين يدي الله تعالى في الآخرة وحذرهم عن التلوث بالخبائث عقبه

بأمر الوقوف بين يديه في الدنيا، وأمره بتطهير ظاهره وباطنه فقال: "يا أيها الذين" / ١٢

تَقُولُونَ^(١) ﴿ اجتنبوها حال السكر، نزلت في جمع من الصحابة شربوا - الخمر قبل تحريره وتقدم أحدهم للإمامة وقرأ "قل يا أيها^(٢) الكافرون أعبد ما تعبدون" قال الضحاك: عنى به سكر النوم لا سكر الخمر ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على "وأنتم سكارى" ﴿إِلَّا عَابِرِي^(٣) سَبِيلٍ﴾ مسافرين حين فقد الماء فإنه جائز للجنب حينئذ الصلاة، أو معنى الآية لا تقربوا مواضع الصلاة في حال السكر ولا في حال الجنابة إلا حال العبور فيها فجاز المرور لا اللبث وعليه كلام أكثر السلف ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ من الجنابة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى^(٤)﴾ مرضا يخاف معه من استعمال الماء، وقيل: مطلقاً، قال

(١) فلا تقعون في تخليط كلام، وعلم منه أن النهي مستمر إلى هذا الوقت / ١٢ وجزير.
(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح / ١٢. [أخرجه أبو داود (٣٦٧١) والترمذي (٣٢٢٩) عن علي - رضي الله عنه - قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبدون الحديث. قال الترمذي "حسن غريب صحيح" وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٢٢).
(٣) الاستثناء مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين أى: لا تقربوا الصلاة جنباً كائنين على حال من الأحوال إلا مسافرين، أو مواضع الصلاة كائنين على حال إلا مارين غير لابئين / ١٢ ج.

(٤) والظاهر أن المرض بمجرد مسوغ للتميم وإن كان الماء موجوداً إذا كان يتضرر باستعماله في الحال أو في المال، ولا تعتبر خشية التلف فالله سبحانه يقول: "يريد الله بكم اليسر" (البقرة: ١٨٥)، ويقول: "وما جعل عليكم في الدين من حرج" (المائدة: ٥) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الدين يسر" ويقول: "يسروا ولا تعسروا" وقال: "قتلوه قتلهم الله" ويقول: "أمرت بالشرعية السمحة" فإذا قلنا: إن قيد عدم وجود الماء راجع إلى الجميع كان وجه التنصيص على المريض هو أنه يجوز له التيمم والماء حاضر موجود إذا كان استعماله يضره، فيكون اعتبار ذلك القيد في حقه إذا كان

بجاهد: نزلت في مريض من الأنصار لم يكن له خادم ولم يستطع أن يقوم ويتوضأ ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ طويلاً أو قصيراً ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المطمئن، وهو كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن^(١) أو ماستم بشرهن ببشرتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ الظاهر أنه قيد للكل، والمريض الخائف من استعماله أو غير المستطيع أخذه كأنه لم يجد، فالحاصل أن الله تعالى رخص في التيمم لفاقد الطهرين حال فقدان الماء لخوف عدو أو إرهاف في موضع لا ماء فيه، أو عدم آلة استقاء أو غير ذلك مما يقع قليلاً، ويمكن أن يكون قيداً للآخرين ولهذا غير الأسلوب ولم يقل: أوجنبتم وأما المرضى إذا خافوا من استعمال الماء أو لم يقدرُوا والمسافر إذا احتاج هو أو رفيقه أو حيوان محترم معه حالاً أو مالا فلهم التيمم، وأما فاقدوا الطهرين إذا لم يجدوا ماء فلهم التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: قصدوا تراباً^(٢) أو ما يصعد من الأرض طاهراً أو حلالاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اليد يطلق على ما يبلغ المرفقين كما في الوضوء، وعلى ما يبلغ الكوعين كما في السرقة "فاقطعوا أيديهما" (المائدة: ٣٨)، فلذلك اختلفوا أنه يجب المسح^(٣) إلى المرفقين أو لا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ يسهل ولا يعسر.

= استعماله لا يضره فإن في مجرد المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنة لعجزه عن الطلب؛ لأنه يلحقه بالمرض نوع ضعف، وأما وجه التنصيص على المسافر فلاشك أن الضرب في الأرض مظنة لإعواز الماء في بعض البقاع دون بعض/ ١٢ فتح. (١) وعليه الجمهور/ ١٢ وجيز.

(٢) طاهراً كما ورد في الصحيح: "جعلت لنا الأرض مسجداً وجعل تراها طهوراً"/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: مواضع الصلاة.]

(٣) ففي صحيح مسلم: التيمم مسح الوجه ومسح الكفين، وأما الفرق بين مسحت رأسه وبرأسه فبأن الباء لا يزداد إلا أن يكون بيده شيء كالدهن أو الماء أو التراب كما فهم من

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿١٦﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿١٧﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿١٨﴾ فَمِنْهُمْ مَّن ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوَفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٢١﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

= كلام المهرة من أهل اللغة، وصرح بذلك بعض العلماء من العظماء/ ١٢ وجزير. هذا المسح مطلق يتناول المسح بضربة أو ضربتين، ويتناول المسح إلى المرفقين أو إلى الرسغين، وحاصل ما قال الشوكاني في شرحه للمتنقي: إن أحاديث الضربتين لا يخلو جميع طرقها من مقال، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار. قال الخطابي: لم يختلف أحد من العلماء في أنه لا يلزم مسح ما وراء المرفقين واحتجوا بالقياس على الوضوء، وهو فاسد الاعتبار. قال الحافظ: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهم وعمار وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه فالحق مع أهل المذهب الأول حتى يقوم دليل يجب المصير إليه، ولا شك أن الأحاديث المشتملة على الزيادة أولى بالقبول، ولكن إذا كانت صالحة للاحتجاج بها وليس في الباب شيء من ذلك.

تُؤَدُّوْا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ألم تنظر إلى من له حظ يسير من التوراة، أعني: الأخبار ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ﴾ يختارونها على الهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿السَّبِيلَ﴾ طريق الحق.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أعلمكم فاحذروهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصركم فاكثفوا به عن غيره، والباء في فاعل كفى: للتأكيد.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان للذين أوتوا أو لأعدائكم أو صلة نصيرا أي: ينصركم من الذين، أو خبر مبتدأ تقديره: من الذين هادوا قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾^(١) عَن مَّوَاضِعِهِ^(٢) يميلونه عن مواضعه التي أثبتة الله فيها بإزالته وإثبات غيره فيها، أو

(١) الكلم يفرق بينه وبين الواحد بالهاء، وغلب إطلاق الكلم على الكثير بحيث لا يطلق على الواحد لكن ليس بجمع لما يقال: الكلم الطيب، ورجوع ضمائر المفرد إليه/ ١٢ وجيز. قال الرازي في الكبير: في كيفية التحريف وجوه أحدها أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر إلى أن قال: والثاني أن المراد بالتحريف إلقاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا الأصح/ ١٢.

(٢) قال الحافظ ابن القيم في إغاثة اللهفان: وقد اختلف العلماء هل التوراة مبدلة أم التبديل وقع في التأويل دون التزويل على ثلاثة أقوال قالت طائفة: كلها أو أكثرها مبدل، وغلا

يفسرونه بغير مراد الله على مقتضى هواهم **﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾** قولك **﴿وَعَصَيْنَا﴾** أمرك **﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾** أى: اسمع ما تقول لا سمعت، فهو حال من المخاطب أى: مدعوا عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مسمع ما ترضى قيل: قولهم وعصينا وغير مسمع قول سرهم **﴿وَرَاعِنَا لِيًّا﴾** فتلا **﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾** أى: يوهمون أنهم يقولون: أرعنا^(١) سمعك وإنما يريدون الرعونة أو السب بلغتهم **﴿وَوَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾** أى: لو ثبت هذا مكان ما قالوه لكان قولهم ذلك خيراً وأعدل لهم **﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾** فلا يهتدون إلى خيرهم **﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾** إيماناً^(٢) **﴿قَلِيلاً﴾** لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم فهو استثناء من مفعول^(٣) لعنهم المرتب عليه فلا يؤمنون فليس المختار فيه الرفع.

= بعضهم حتى قال: بجواز الاستحمار بها، وقالت طائفة من أئمة الفقه والحديث والكلام، وإنما وقع التبديل في التأويل، قال البخاري في صحيحه: يحرفون يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتأولونه على غير تأويله هو اختيار الرازي، وتوسط طائفة فقالوا: قد زيد فيها وقد غير أشياء يسيرة جداً واختاره شيخنا في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح قال: وهذا كما في التوراة عندهم أن الله سبحانه قال لإبراهيم: اذبح ابنك برك ووحيدك إسحاق، قلت: والزيادة باطلة من وجوه عشرة: الأول أن بكره ووحيدته إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة/ ١٢ فتح.

(١) أي: اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت لحديثنا وتفهم/ ١٢ كبير.

(٢) هو إيمانهم ببعض الكتاب/ ١٢.

(٣) يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون يكون اتفاق القراء على غير المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا منهم يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون فيكون الرفع فيه هو المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا من الملعونين، فلا يجوز أن يكون مستثنى منه/ ١٢.

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ نحو العين والأنف ونجعلها من قبل الأقفية فلهم عينان^(٢) من القفى يمشون قهقري، أو نجعلها كالأقفاء بلا عين وأنف، أو بأن نجعلها منابت^(٣) الشعور كالقردة، أو أن نطمس وجوها عن صراط^(٤) الحق فردها على أدبارها في الضلالة، أو نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز، فالمراد إجلاؤهم من أوطانهم، والطمس والمسح يكونان لهم قبل^(٥) القيامة^(٦) أو لهم هذا في القيامة، أو مشروط بعدم الإيمان وقد آمن بعضهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ الضمير للذين على طريقة الالتفات ﴿كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ^(٧) السَّبْتِ﴾ نخزيهم بالمسح فنجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأصحاب السَّبْتِ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ لا راد لحكمه.

(١) لما أعلم أن بعضهم غير ملعونين خاطب الجميع ليأتمر من لم يتطوق على أعناقه اللعن فقال: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا" الآية (آل عمران: ٤٧) / ١٢ وجزير.

(٢) قاله ابن عباس / ١٢ وجزير.

(٣) فيكون تقديره: نردها على هيئة أدبارها فإن منابت شعور الآدميين في أدبار وجوههم / ١٢.

(٤) فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الضلالة / ١٢ منه.

(٥) عند نزول عيسى كذا ثبت عن السلف / ١٢ وجزير.

(٦) هذا جواب عما يقال: إن الله تعالى قد أوعدهم بالطمس والمسح ولم يقع أحد منهما / ١٢ منه.

(٧) ولما سمع عبد الله بن سلام هذه الآية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه فأسلم، وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أنى أصل إليك حتى تحول وجهي في قفاى / ١٢ وجزير.

﴿إِنَّ^(١) اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لا يغفر لعبد لقيه مشركاً ويغفر ما دون الشرك صغيراً أو كبيراً لمن يريد تفضلاً ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ يحترق دونه الذنوب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ^(٢) أَنْفُسَهُمْ﴾ بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو بما قال اليهود: إن أبناءنا ماتوا وهم لنا قرابة سيسفعون ويزكوننا، أو يقدمون أطفالهم في الصلاة لعصمتهم ويزعمون أن المأموم يصير مثلهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ المرجع في ذلك إلى الله فإنه عالم بالحقائق ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْيَالًا^(٣)﴾ ما يكون في شق النواة أو ما قتلت بين أصابعك من الوسخ أي: لا ينقص ثوابهم مقدار الفتيل.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في تزكيتهم أنفسهم ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ بالافتراء ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ ظاهراً لا يخفى. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ حظاً قليلاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ السحر والشيطان، أو الأوثان وشياطينها، أو الكاهن والساحر، أو الساحر والكاهن بلسان الحبشة، أو الجبت شيطان بلسان الحبشة والطاغوت كل ما يعبد من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قريش ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ سأل قريش عن أخبار

(١) وبعد ما لعن اللعن المطلق واللعن المقيد حكم بالحكم البت المحكم فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ" الآية/ ١٢ وجزئ.

(٢) وفي "الصحيحين": أنه عليه الصلاة والسلام سمع رجلاً أتى على رجل فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه فلا يزكي على الله "أحدًا"/ ١٢ وجزئ. [أخرجه البخاري في "الأدب"/ باب: ما يكره من التمداح (٦٠٦١) ومسلم في "الزهد والرقائق"/ باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (٣٠٠٠)].

(٣) نصب فتية بأنه صفة مفعول مطلق/ ١٢.

اليهود: ديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى وقيل: سجدوا^(١) لأصنامهم حين حالفوا قريشاً في حرب المؤمنين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ يمنع من الطرد والخسار ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أم منقطة والهمزة لإنكار ملكهم كما يزعمون أن الملك سيصير لهم، ومعناه الإضراب عن ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمهم بالبخل والحسد اللذين هما شر خصلتين. ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ أي إن كان لهم ملك فإذن لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيراً، وهو النقرة في ظهر النواة يعنى: هذا إكمال بخلهم في حال ملكهم وغناهم فما ظنك بحال فقرهم وذلمهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون محمداً أو أصحابه، أضرب عن البخل إلى الحسد الذي هو شر^(٢) منه ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب والنصرة وكثرة النساء، وقالوا: لو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كداود وسليمان كتابهم ونبوتهم ﴿وَأَتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيماً﴾ ملك داود وسليمان وما أوتى من النساء^(٣) لهما ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه وسعى في صد الناس عنه مع أنهم من جنسهم من بنى إسرائيل، فكيف بك يا محمد ولست من بنى إسرائيل؟ أو معناه: هم يحسدون عليكم وقد آتينا آل إبراهيم الذين هم من أسلافك يا محمد

(١) نقل أنه خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على عداوة المؤمنين، فقال قريش: نحن لا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فإن أردتم أن تطمئن خواترنا فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا.

(٢) فإنه بخل ما في يد الغير مع شبه اعتراض على من هو كامل في الحكمة عادل في القسمة/

١٢ منه.

(٣) فإنه لسليمان ألف امرأة ثلاث مائة مهريه والباقيه سرية ولد داود مائة امرأة/ ١٢ منه.

من فضلنا فلا يبعد أن يؤتيك الله مثل ما آتاهم، ثم قال: فمن اليهود من يؤمن بمحمد ومنهم من صد عنه ولم يؤمن به ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ نارا مسعورة يعذبون بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، ويحتمل أن يعاد ذلك الجلد بعينه إلا أنه على صورة أخرى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقد ورد أنه في الساعة الواحدة عشرون ومائة مرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ غالبًا لا يغلب ﴿حَكِيمًا﴾ فتعذبه وفق حكمته لا ظلمًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ شَجَارُهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والأذى ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائمًا لا حر فيه، والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيدهِ كليل ليل وشمس شامس.

﴿إِنَّ^(١) اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية كما قال السلف عامة: لكل بر وفاجر ودخل فيها حقوق الله وحقوق الناس، وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة على عثمان^(٢) بن طلحة حين أخذ منه والتمس على أو عباس رضی الله عنهما أن تكون له الحجابة والسقاية ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي:

(١) لما أمر بالسخاء والسماحة، وإلقاء الراحة للقلوب، وترك البخل الذى هو من أخس الرذائل والذنوب، ودفع الحسد الذى هو بخل عن ما في يد الغير، وهو عند نهاية الغور جور تبعه برد الأمانات والعدل فقال: "إن الله يأمركم" الآية/ ١٢.

(٢) أي: عثمان بن طلحة ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذى بيده الحجابة في زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرًا وقد اشتبه هذا على كثير من المفسرين/

وأن تحكموا بالإنصاف إذا حكمتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾^(١) نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: نعم شيئاً يعظكم به، فما موصوفة منصوبة بـيعظكم، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فيكون مرفوعة موصولة، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعماً يعظكم به ذاك وهو أداء الأمانات والعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ بالأقوال والأحكام في الأمانات وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا﴾^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾^(٣) مِنْكُمْ﴾ السلاطين والأمراء فيما وافقوا الحق، وأهل العلم والدين ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو

(١) هذه الآيات من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس قاطبة في جميع الأمانات وورودها على سبب لا ينافي ما فيها من العموم، فالاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، قال الواحدي: أجمع المفسرون عليه. انتهى، ويدخل الولاية في هذا الخطاب دخولاً أولياً فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلمات، وممن قال بعموم هذا الخطاب البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفتجار كما قال ابن المنذر، وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أد الأمانة لمن اتمنك ولا تخن من خانك". [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٠١٨).]

(٢) لما أمر الولاية والرعاة بالعدل أمر الرعية بطاعة الولاية فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية ١٢/ كبير.

(٣) هم الحكام والسلاطين إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإن أمروا بمباح إن كان فيه مصلحة عامة وجب القبول، وإن كان المصلحة بينه وبين الله، أو بينه وبين الخلق فيه خلاف/ ١٢ وجيز.

الأمر ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا^(١) فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ في زمانه وسنته بعده ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾ أي: الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبة.

(١) قال مجاهد وغير واحد من السلف: هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء ينازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق كما قال تعالى: "فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" (الشورى: ١٠)، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال" (يونس: ٣٢)، ولهذا قال: "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" أي: ردوا وتحاكموا إليهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لا يتحاكم في مجال النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الأمر وتعليق الإيمان عليه هكذا قال الشيخ محمد بن محسن عطاس صاحب تزييه الذات والصفات قال الإمام الرازي: هذه الآية دالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقاً فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس، ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس البتة سواء كان القياس جلياً أو خفياً، وسواء كان ذلك النص مخصوصاً قبل ذلك أم لا ثم بين ذلك، وحقق كما هو حقه وأثبت ذلك بالوجوه العشرة التي لا يسعها المقام، وفي الفتح: ومن جملة ما استدلل به المقلدة قوله تعالى: "وأولى الأمر" قالوا: هم العلماء، لكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فإنه لا طاعة لأحدهما أي: العلماء والولاة إلا إذا أمروا بطاعة الله على وفق سنة رسوله وشريعته، وأيضاً العلماء إنما أُرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوهم عن ذلك كما روى عن الأئمة الأربعة وغيرهم، فطاعتهم ترك تقليدهم، ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان يرشد إلى معصية الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انتهى ملخصاً/ ١٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
 يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
 يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
 رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٤٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٤٨﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
 أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٤٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ
 أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا
 اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥١﴾ وَلَوْ
 أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
 مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٥٢﴾ وَإِذَا
 لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٥٤﴾ وَمَنْ
 يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
 يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الطَّاغُوتِ ههنا ما سوى كتاب الله وسنة
 رسوله من الباطل، نزلت في يهودى و منافق اختصما فقال اليهودى: بينى وبينك محمد،

وقال المنافق بيننا كعب بن الأشرف، أو في جماعة من المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية **﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾** بالطاغوت **﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** لا يمكن لهم الرجوع إلى الحق أبداً. **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾** حال كونهم **﴿يُصَدُّونَ﴾** يعرضون **﴿عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ﴾** يكون حالهم **﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾** احتاجوا إليك في دفعها **﴿بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾** بسبب شؤم ذنوبهم **﴿ثُمَّ جَاعُوا﴾** حين يصابون للعدو، عطف على إصابتهم **﴿يُخْلِفُونَ﴾** حال **﴿بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدْنَا﴾** ما أردنا من تحاكمنا إلى غيرك **﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾** مداراة ومصانعة لا اعتقادا منا تلك الحكومة، أو إحسانا لخصومنا وتوفيقا بين الخصمين لا مخالفتك، وبعضهم على أن الكلام تم عند قوله: "بما قدمت أيديهم" و"ثم جاؤك" عطف على "يصدون" وما بينهما اعتراض **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾** من النفاق **﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾** فلا تعنفهم **﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾** وانصحهم بلسانك **﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾** سرًّا ليس معهم غيرهم **﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾** وقيل: في أنفسهم متعلق بليغاً أي: قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾** فيما حكم لا ليطلب الحكم من غيره **﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** بسبب إذن الله في طاعته، فالإذن بمعنى الأمر والرضا، أو بتيسير الله وتوفيقه في طاعته، فالإذن بمعنى التوفيق **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** بمثل التحاكم إلى غيرك **﴿جَاعُوا﴾**^(١) خير إن، وإذ ظلموا متعلق به **﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾** بالإخلاص **﴿وَأَسْتَغْفَرَ**

(١) وهذا المحيء يختص بزمان حياته صلى الله عليه وسلم، وليس المحيء إليه يعنى إلى مرقده المنور بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه هذه الآية كما قرره في الصارم المنكى، ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من تبعهم بإحسان/ ١٢ فتح.

لَهُمُ الرَّسُولُ ﴿١﴾ عدل عن الخطاب تعظيمًا لشأن الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿لَوْجِدُوا اللَّهَ﴾ صادفوه^(١) حال كونه ﴿تَوَابًا رَحِيمًا﴾ أو لعلموه قابلاً لتوبتهم ﴿فَلَا﴾^(٢) وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ لا مزيدة لتأكيد القسم، أو معناه: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ﴿حَتَّى يُحْكَمُوا فِيهَا شَجَرًا﴾ اختلف واختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِمَّا﴾^(٣) قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا^(٤)﴾ إنقادوا لأمر رسوله ﴿تَسْلِيمًا﴾ نزلت حين خاصم الزبير رجلاً فقضى

(١) يعنى إن كان وجد بمعنى صادف فتوابعاً حال، وإن كان بمعنى علم فهو مفعوله الثانى/ ١٢ ج.

(٢) اعلم أن قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون" قسم من الله على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط، أولها: قوله تعالى: "حتى يحكموك فيما شجر بينهم" وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمناً. الشرط الثانى: قوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من أفضيتك، واعلم أن الراضى بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضياً به في الظاهر دون القلب، فبين في هذه الآية أنه لا بد من حصول الرضاء به في القلب. الشرط الثالث: قوله: "ويسلموا تسليماً" واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً وصدقاً قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد، أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب فلا بد أيضاً من التسليم معه في الظاهر، فقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" المراد به: الانقياد في الباطن، وقوله: "يسلموا تسليماً" المراد منه الانقياد في الظاهر والله أعلم/ ١٢ كبير.

(٣) حاز أن يكون ما مسدريه، أو موصولة/ ١٢ منه.

(٤) ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص، النص بالقياس؛ لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق، وأنه لا يجوز العدول منه إلى غيره، ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف، وذلك يوجب تقديم عموم

رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير^(١) فقال الرجل: قضى له لأنه ابن عمته(*)، أو اختصم رجلان فقضى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فلما أتيا إليه قالوا: قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئنا إليك لتقضى بيننا، فقال عمر: مكانكما فخرج بالسيف وقتل من لم يرض بحكم رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن (**) (٢) ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا على بنى إسرائيل، وأن^(٣) مصدرية ﴿أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما أمرناهم من ديار مصر ﴿مَا فَعَلُوا﴾ أي: المكتوب، أو الضمير لمصدر أحد^(٤) الفعلين ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم

= القرآن، والخبر على حكم القياس، وقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت" مشعر بذلك لأنه متى خطر بباله قياس يفضى إلى نقيض مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فينبغي تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم النص تسليماً كلياً، وهذا الكلام قوى حسن لمن أنصف / ١٢ كبير.

(١) رواه البخاري عن عروة / ١٢ وحيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (٤٥٨٥).

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير" (٥٥٦٠) قال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأ ابن وهب، أخبرني عبد الله بن هبة عن أبي الأسود.... فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٢٢/١) وقال: وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن هبة عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب مرسل، وابن هبة ضعيف والله أعلم.

(٢) فأنزل الله تلك الآية فبرأ عمر على قتله ظلماً رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه والحافظ المقدسى / ١٢ وحيز.

(٣) جاز أن يكون أن مفسرة لأن كتبنا بمعنى: أمرنا / ١٢.

(٤) أي: اقتلوا أو اخرجوا / ١٢ منه.

المخلصون، نزلت حين افتخر صحابي ويهودى فقال اليهودى: لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنا، فقال الصحابي: لو كتب الله علينا لقتلنا^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من مطاوعة النبي ومتابعته طوعاً ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في الدارين ﴿وَأَشَدَّ تَثِيْتًا﴾ لإيمانهم وتصديقهم ﴿وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ كأنه قيل: ما يكون لهم بعد التثبيت، فقال: وإذا والله لآتيناهم فإن إذا جواب وجزاء ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ بسلوكه يصلون إلى الفلاح. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في الفرائض والسنن ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ نزلت^(٢) حين قال بعض^(٣) الصحابة: إني محزون، لأني لا أطيق فراقك يا محمد وإني إن دخلت الجنة أكون في منزلة دون منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، وفي الحديث أن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياضها ويتزل لهمرة^(*) أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون فهم في روضة يجبرون ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ الرفيق كالصديق يطلق على الواحد والجمع أو المراد كل واحد منهم ونصبه على التمييز أو الحال وهو كلام في معنى التعجب. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما أعطى المطيعين من مرافقة المنعم عليهم ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ الأول صفة ذلك أو خبره والثاني خبره أو حال ﴿وَوَكَّفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بمن أطاع الله ورسوله فلا يضيع أجرهم.

(١) وعلى هذا الآية مدح لهذا الصحابي أنه من القليل الذين لهم الإخلاص / ١٢ منه.

(٢) قد ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من طرق متواترات عن جماعة من الصحابة أنه

سئل عليه الصلاة والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: "المرء مع من

أحب، قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث" / ١٢ وحيز.

(٣) كما رواه ابن جرير وابن مردويه والحافظ المقدسي / ١٢ وحيز.

(٤) وردت في الأصل مصحفة: يتزلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٦١﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٢﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٦٤﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٦٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا^(١) الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم أي: استعدوا للحرب واحذروا من الأعداء ﴿فانفِرُوا﴾ أخرجوا إلى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعة بعد جماعة متفرقين ﴿أو انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين أي بادروا إلى الجهاد كيفما أمكن من غير أن تلقوا أنفسكم إلى التهلكة. ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ يتناقلن ويتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ لازم أو ليبطئن غيره منقولا من بطأ والخطاب لعسكر الرسول. والبعض: المنافقون

(١) ولما ذكر أنه لو كتب عليهم قتل أنفسهم وأطاعوا لهم الأجر العظيم وإن إطاعة الله سبب للرفقة مع هؤلاء السعداء أمرهم بالجهاد الذي قد ينجر إلى القتل وحذرهم عن الغفلة، فقال: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم" / ١٢ وحيز.

واللام الأولى للابتداء والثانية جواب قسم تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله لبيطئن
﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة **﴿قَالَ﴾** المبطئ **﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ
أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾** حاضرا. **﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾** كفتح وغنيمة
﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكد تنبيها على فرط تحسرهم **﴿كَأَنَّ﴾** مخففة من الثقيلة **﴿لَمْ تَكُن بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾** اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو **﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾**
منصوب بجواب التمني **﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾** نصيبًا وافرًا من الغنيمة يعنى أن قولهم هذا
قول من لا مواصلة بينكم وبينه وليس من أهل دينكم فإن الحظ من المال غاية بغيتهم لا
إعانتكم وأجرهم **﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾**
معناه: إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل الذين يبيعون دنياهم بأخرتهم وهم المؤمنون حقًا
أو معناه لغير ما بهم من النفاق فليقاتل الذين يشترون الدنيا الفانية بالآخرة الباقية فعلى
الأول حث المؤمنين على القتال وعلى الثاني حث المبطلين على ترك ما هم عليه **﴿وَمَنْ
يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** له الأجر
الجزيل غلب أو غلب. **﴿وَمَا لَكُمْ﴾** مبتدأ وخبر **﴿لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** حال،
يعاتبهم على ترك الجهاد ويحرضهم عليه **﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾** أي: في سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن أيدي العدو أو في المستضعفين^(١) على حذف المضاف أي في
تخليصهم **﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾** بيان للمستضعفين الذين هم بمكة تحت
أيادي المشركين **﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ﴾**^(٢) أهلها
أرادوا مشركى مكة **﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾** يلى أمرنا **﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ**

(١) فهو إما عطف على المضاف إليه من غير تقدير، أو على المضاف على تقديره / ١٢.

(٢) في القرآن نسبة الظلم إلى القرية كثيرة لكن نسب ههنا إلى أهلها تعظيمًا لأم القرى

وتعليمًا / ١٢ وحيز.

نَصِيرًا ﴿ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُمْ يَسِرَ لِبَعْضِهِمُ الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ مَكَّةَ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَنَصَرَهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيما يصلون به إلى الله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ (١) ﴿ فيما يبلغهم إلى الشيطان ﴾ (٢) ﴿ فَقَاتِلُوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ أي: مكره المؤمنین بالنسبة إلى مكر الله للكافرين ضعيف فلا تخافوهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظَلْمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالٌ هَتُولَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

(١) وهذه الآية دالة على أن كل من كان غرضه في فعله رضا غير الله فهو في سبيل

الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو

في سبيل الطاغوت، وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتًا/ ١٢ كبير.

(٢) وهو مع حزه في النار/ ١٢.

غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٧﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٤٨﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا
 بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
 مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٩﴾
 فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلُفْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ
 بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٥٠﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً
 يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٥١﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أُرِدُّوهَا إِنَّ
 اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٥٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٥٣﴾ *

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال المشركين حين التمسوا قتالهم
 في مكة وهم ضعفاء^(١) قليلون ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ واشتغلوا بما أمرهم
 الله ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في المدينة وهم أقوياء كثيرون ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ إذا
 للمفاجأة جواب لما ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ الكفار خير فريق ومنهم صفته ﴿كَخَشِيَةِ
 اللَّهِ﴾ إضافة المصدر إلى المفعول أي: خشية مثل خشيتهم ﴿لِلَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ عطف
 على كخشية الله أي: أو خشية أشد تلك الخشية خشية من خشيتهم لله بأن جعل
 الخشية خاشيًا كجد جده أو كخشية الله حال من ضمير الجمع أي: حال كونهم مثل

(١) فإنهم يلقون من المشركين أذى كثيرًا يستأذنون في القتال ويقول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: "إننا لم نؤمر بالقتال أمرنا بالعبو فكفوا أيديكم" / ١٢ وحيز.

أهل خشية الله أو أشد خشية من أهل خشية الله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا هَلَا أَحْرَثْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: الموت يعني هلا تركتنا نموت بآجالنا قيل: القائلون منافقون أو مؤمنون وقالوه خوفاً وحرصاً على الحياة ثم تابوا، أو مؤمنون تخلفوا وناقفوا لما فرض عليه القتال ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ لا ينقص من ثوابكم مثل فتيل النواة ﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ حصون مرفوعة منيعة عالية قيل: نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ﴾ المنافقين واليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ كخصب ورزق من ثمار وأولاد ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كجذب ونقص من هلاك ثمار وموت أولاد ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ قالوا: ما هي إلا بشؤم محمد وأصحابه ﴿قُلْ كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ ^(١) **عِنْدِ اللَّهِ** بإرادته وقضائه ييسط ويقبض ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

(١) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا متعلق لهم فيه؛ لأنه ليس المراد من الآيات حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والحنن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم فقال: ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني إنما يقال: أصبتها ويقال في الحنن: أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً فهو كقوله تعالى: " فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه " (الأعراف: ١٣١)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها " (الأنعام: ١٦٠)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله: " قل كل من عند الله " أي:

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿١﴾ أي: القرآن فإنه لو فهموه لعلموا أن الكل^(١) منه تعالى، أو حديثاً ما كبهائم لا أفهام لهم ﴿وَمَا أَصَابَكَ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضلاً منه ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بسبب شؤم ذنوبك^(٢) وإنما كتبتها عليك فالحسنة إحسان، والسيئة مجازاة يصل الكل من الله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال قصد به التأكيد ويجوز تعلق للناس به فحينئذ قصد به التعميم أي: رسولاً للناس كلهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

= الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: فمن نفسك أي: وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم" (الشورى: ٣٠)، يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك"، وأنا كتبتها عليك) وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبله والقول فيها مضمّر تقديره "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً" يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، قل: كل من عند الله / ١٢ معالم.

(١) أي: لا فاعل سواه تعالى ولا واسطة في البلايا سوى: أنفسهم دون النبي على ما زعموا، فتمام الرد عند قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" وبهذا اندفع ما قيل إنهم لم يجعلوا النبي فاعلاً للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى: "يطيروا بموسى" (الأعراف: ١٣١)، فلا يكون جعل المبدأ الفاعلي هو الله وحده ردّاً لمقاتلتهم فافهم/ ١٢ ج.

(٢) يعني إن نظرت إلى المبدأ الفاعلي فالكل منه، وإن نظرت إلى الواسطة والسبب فما هي إلا شؤم أنفسهم لا النبي، بل هو الواسطة لدفع المصائب ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، ما أرسلتك إلا رحمة للعالمين، وأما قوله: "قل كل من عند الله" فلدفع وهم ينشأ من قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" / ١٢ وحيز.

وحى يوحى، نزلت حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أطاعني وأحبنى أطاع الله تعالى وأحبه فقال المنافقون: يريد أن نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى عليه السلام ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ عن المعاصي إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿طَاعَةَ﴾^(١) أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: قدر وبدل ليلاً وسراً خلاف ما قلت لهم أو خلاف ما قالت طائفة من الطاعة ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يثبت في صحائف أعمالهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ما يسرون ويقدرون ليلاً ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ فاصفح عنهم ولأتوا خذهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سيما في شأنهم ﴿وَوَكْفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ يكفيك شرهم قيل: الآية منسوخة بآية القتال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾^(٢) القرآن لا يتفكرون فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعم الكفار والمنافقون ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً﴾ تفاوتاً وتناقضاً لا يكون كله في طبقة البلاغة، ويكون في إخبار الغيب بما كان ويكون خلاف واقع ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب أحدهما ﴿أَدَّاعُوا بِهِ﴾ أفسوه إذا بلغهم خير عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتحهم أو هزيمتهم يفشونه قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه مضار كثيرة وهم المنافقون وقيل: ضعفة المؤمنين وأذاع جاء متعدياً بنفسه وبالباء ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ ذلك الخير ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ ذوى الرأى من أصحابه أو أمراء السرايا ﴿لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

(١) وأصلها النصب أي: أطعنا طاعة والرفع للثبات كسلام عليك / ١٢ وحيز.

(٢) لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم، وكان كل ذلك لأجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محققاً في ادعاء الرسالة صادقاً فيه، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متحصر، فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال: "أفلا يتدبرون القرآن" الآية (النساء: ٨٢، محمد: ٢٤) / ١٢ كبير.

يستخرجونه ويستعملونه من معادنه يعني: لو سكتوا لحصل لهم العلم به من الرسول وأولى الأمر، ولا ضر فيه أو لو ألقوا ذلك الخبر إليهم لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بتجارهم وأنظارهم على أي وجه يذكر من إفشاء ما فيه المصلحة وكتمانه، وقد صح أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه وجد الناس يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فحاء إليه وسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام: لا فنادى عمر بأعلى صوته: لم يطلق، ونزلت هذه الآية فقال عمر: أنا الذي استنبطت ذلك الأمر* ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من تفضل عليه بعقله الصائب فاهتدى به كورقة بن نوفل وقيل: إلا اتباعاً قليلاً نادراً ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو كنت وحدك ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾^(١) إلا فعل نفسك فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فالله ناصرك ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: على القتال فما عليك إلا التحريض ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَ الدِّينِ كَفْرُوكَ﴾ أي: شدة المشركين بتحريضك إياهم على القتال، وقد فعل بأن ألقى الرعب في قلوبهم فرجعوا عن الطريق في البدر الثاني ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ صولة وشدة من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ عقوبة ﴿مَنْ^(٢) يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً تَجُوزُ فِي الدِّينِ قُبْلَتُ أَوْ لَا﴾ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ وهو ثواب الشفاعة ﴿وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ لا يجوز أن يشفع فيه ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من

(*) أخرجه مسلم في "الطلاق" / باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٦٧٩/٣) ط الشعب.

(١) واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بعد حرب أحد في بدر الصغرى الخروج، فكره بعض الناس أن يخرجوا فترلت / ١٢ منه.

(٢) ولما كان بين المؤمنين والمشركين من قريش القرابة الموجبة للتواد والتعاطف والإشفاق عليهم بمثل الشفاعة في مصائبهم بين سبحانه شفقة على المؤمنين أن الشفقة على أي غاية جائزة فقال مستأنفاً: "من يشفع" الآية / ١٢ وجيز.

وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ مقتدرًا أو حفيظًا ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ^(١) بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سلم عليكم فأجيبوا بزيادة أو ردوا كما سلم فإذا قال أحد: السلام عليك ورحمة الله فزد عليه: وبركاته، والزيادة سنة، والرد واجب، وقال قتادة: الزيادة للمسلمين والرد لأهل الذمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ يحاسبكم ويجازيكم. ﴿اللَّهُ^(٢) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ^(٣) حَدِيثًا﴾ وعدًا ووعدًا .

(١) ولما قسم الشفاعة قسمين وما هي إلا من لوازم التواد والتعاطف، ذهب وهم واهم إلى أن التحية والسلام كالشفاعة فدفعه وقال: "إذا حييتم بتحية" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما ذكر فرضية القتال وأمر بالتحريض عليه والشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم السلام، وأنه حسيب على كل شيء أخبر بأنه يجمعهم للمجازاة فقال: "الله لا إله إلا هو" الآية/ ١٢ وحيز.

(٣) قوله حديثًا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: سائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمي الله القرآن حديثًا ومحدثًا فقال: "الله نزل أحسن الحديث" وقال: "من أصدق من الله حديثًا" وقال: "ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث" (الأنبياء: ٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء" وهذا مما احتج به البخارى في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخارى كنعيم ابن حماد وحماد بن زيد، ومن المشهور عن السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق منه يبدأ وإليه يعود انتهى.

قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية باب قول الله: "كل يوم هو في شأن" (الرحمن: ٢٩)، و"ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث" (الأنبياء: ٢)، وقول الله: "لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً" (الطلاق: ١)، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين =

لقلوه: "ليس كمثل شيء وهو السميع البصير" (الشورى: ١١). وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وأن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة" انتهى ووقعت هذه العبارة في صحيح البخارى، وأيضاً قال فيه في باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق: وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ومن كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مخلوق مكون. انتهى وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية قدس الله روحه: و أفعال الله عز وجل نوعان: متعدد ولازم.

فالمتعدى مثل الخلق والإعطاء ونحو ذلك. واللازم مثل الاستواء والتزول والمجيء والإتيان قال تعالى: "هو الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش" (الحديد: ٤)، فذكر اللفظين المتعدى واللازم وكلاهما حادث بقدرته ومشيتته، وهو متصف وتسمى هذه الأفعال أفعالاً اختيارية التي يسميها الجهمية المعتزلة حلول الحوادث وهي كثيرة جداً بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جداً، وهذا كقوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" (الأعراف: ١١)، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل وكذلك قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران: ٥٩)، وإنما قال له كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل، وكذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام "فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها" (النمل: ٨)، "فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين" (القصص: ٢٠)، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء، ولم يكن النداء في الأزل كما تقوله الكلابية يقولون: إن النداء قائم بذات الرب في الأزل وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل إلى أن قال: والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى لم يكن النداء موجوداً قبل ذلك فضلاً عن أن يكون قديماً أزلياً، وقال تعالى: "فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما =

= وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل
 لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" (الأعراف: ٢٢)، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها
 ناداهما لم ينادهما قبل ذلك وقال تعالى: "ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم
 المرسلين" (القصص: ٦٥). "ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون"
 (القصص: ٧٤)، فجعل النداء في يوم معين وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن،
 وهو حينئذ يناديهم لم ينادهم قبل ذلك وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود
 أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما
 يريد" فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد ويأمر بما يريد، فجعل التحليل
 والتحريم والأمر والنهي متعلقاً بإرادته وهذه أنواع الكلام فدل على أنه يأمر بإرادته
 وينهى بإرادته، ويحلل بإرادته، ويحرم بإرادته، إلى أن قال: ومثل هذا كثير في القرآن،
 وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"
 (يس: ٨٢)، وقوله: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله" (الكهف:
 ٢٤، ٢٣)، وقوله: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين" (الفتح: ٢٧)، وقوله:
 "وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له" (الرعد: ١١)، وقوله: "وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
 تبديلاً" (الإنسان: ٢٨)، وقوله: "ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك" (الإسراء: ٨٦)،
 وأمثال ذلك في القرآن، فإن جواز الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل إن
 وأن، وكذلك إذا ظرف لما يستقبل من الزمان فقوله تعالى: "وإذا أراد الله"
 (الرعد: ١١)، و"أن يشاء الله" (الكهف: ٢٤)، ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبلية
 ومشيفة مستقبلية وكذلك في المحبة والرضى قال تعالى: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
 يحببكم الله" (آل عمران: ٣١)، إن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه حزم قوله
 يحببكم الله، فحزمه جواباً للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعوني يحببكم الله،
 ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد
 اتباعهم الرسول، وقد مر بعض هذه العبارة بعينها في صفحة متقدمة فلا نعيده. =

= وأطال رحمه الله وبين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب من الخطأ إلى أن قال: وكذلك كونه خالقاً ورازقاً ومحسناً وعادلاً فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته إذ كان يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته ويحسن بمشيئته ويعدل بمشيئته والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيد بأفعال الرب وصفاته كما في قوله: "أعوذ برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه، وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق، لأنه استعاذ به فقال صلى الله عليه وسلم من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه، فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق، لأنه استعاذ به والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقه؛ فإنها نتيجة معافاته، وإذا كان الخلق فعلة والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وأن الله الفرد بالقدم والأزلية إلى أن قال: فالسلف يقولون: لم يزل متكلماً إذا شاء وكما شاء وقد قال تعالى: "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" (الكهف: ١٠٩)، فكلمات الله لا نهاية لها وهذا تسلسل جائر كالتسلسل في المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاذ له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية إلى أن قال: والمقصود هاهنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع أما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب كما في الصحيحين عن زيد بن خالد: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة الصبح ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة الحديث..... وفى الصحاح في حديث الشفاعة فيقول كل من الرسل: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴿١١٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقْتَلُوا قَوْمَهُمْ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنْ آعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَالْقَوَاهِ الْبِيكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٢٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنَّمَا يَعْتَزُّ لَكُمْ وَيُلقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ تفرقتم في أمرهم فرقتين، "فتتين" حال، وعاملها لكم "وفي المنافقين" متعلق بما دل عليه فتتين أي: متفرقين فيهم نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حين رجعوا عن طريق أحد فبعض المسلمين قالوا: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فإنهم مسلمون.

= يغضب بعده مثله فقال كل منهم: إن ربي قد غضب اليوم، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله وفي الصحيح إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات كجر السلسلة على الصفوان" فقله: إذا تكلم الله بالوحي يسمع يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفي كونه أزلًا إلى آخر ما تركناه لضيق المقام انتهى مختصرًا ملتقطًا/ ١٢.

أو في قوم من العرب نزلوا المدينة وأسلموا ثم أصابتهم حمى المدينة فخرجوا ولحقوا
المشركين وكتبوا إلى المسلمين إنا على دينكم فقال: بعضهم نافقوا و قال بعضهم: هم
مسلمون.

أو في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وقعدوا عن
الهجرة **﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾** ردهم إلى الكفر بسبب عصيانهم أو أهلكتهم
﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون **﴿أَنْ تَهْتَدُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهِ﴾** يجعلوه من المهتدين **﴿وَمَنْ
يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾** إلى الهدى **﴿وَدُّوا﴾** تمنوا هؤلاء **﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** أنتم
﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ^(١) **﴿سَوَاءٌ﴾** في الضلال وهو عطف على تكفرون
﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لا توالوهم **﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** فتحققوا
إيمانهم **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** عن الهجرة وأظهروا الكفر **﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصره
﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ استثناء من مفعول ^(٢) واقتلوهم
أي: لا تقتلوا الذين يلجأون ويتهون إلى قوم عاهدوكم واجعلوا حكمهم كحكمهم
وهم المسلميون، فإنه عليه الصلاة والسلام وادع لهؤلاء الأسلمى على أن لا يعينه ولا
يعين عليه ومن وصل إليه فله من الجوار مثل ما له، أو بنو بكر بن زيد مناة أو خزاعة
﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة **﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾** حال أي: قد ضاقت عن
﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو لأن أو كراهة أن **﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾** هؤلاء قوم آخرون من
المستثنى عن الأمر بقتلهم وهم الذين يخشون المصاف وصدورهم كارهة عن قتالكم

(١) مستوفى الضلال يعنى أنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم فقد تباعدتم في
المذاهب وتباينت في المقاصد/ ١٢ وجزير.

(٢) وليس استثناء من قوله: "ولا تتخذوا منهم ولياً" وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولي منهم
حرام بلا استثناء ما داموا في الكفر/ ١٢.

ولا يهون عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم معكم لا عليكم ولا لكم، كجماعة خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين وكرهوا القتال كعباس ونحوه وقيل: معناه أن يقاتلوا قومهم أي: إذا أسلموا وقيل عطف على صفة قوم أي: إلا الذين يلجأون إلى قوم جاءوكم كافين عن القتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم ﴿لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ أي: من لطفه بكم أن أذلم عندكم وضيق صدورهم عن قتالكم فكفوا عنكم ﴿فَإِنْ اعْتَرَفُواكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ^(١) السَّلَامَ﴾ الصلح والانتقياد ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ في أخذهم وقتلهم ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم أسد وغطفان أو بنو عبد الدار أظهروا الإسلام مع المسلمين ليأمنوا عندهم على دمائهم وأموالهم وحققوا الكفر مع قومهم ﴿كُلَّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك وقيل: إلى القتال مع المسلمين ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ انهمكوا فيها ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفُواكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لم يصلحوا ﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخَذَوْهُمْ وَأَقْتَلَوْهُمْ حَيْثُ تَقِفُ تُمُوهُمْ وَأَوْلَانِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بينة في قتالهم لظهور عداوتهم وعدم وفائهم .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) لا يكفى كف الأيدي عن الأيدي في نفي التعرض بل لابد منه مع الصلح ونبد العهد/

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
 عَظِيمًا ﴿١٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
 لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 غَيْرَ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ
 الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى
 وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
 وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ ما صح له وليس من شأنه ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ في شيء من
 الأحوال ﴿إِلَّا خَطَأً﴾^(١) أي: حال الخطأ أو إلقاء خطأ وقيل: الاستثناء منقطع، وما
 كان نفى بمعنى النهي أي: لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً
 فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٢) أي: فعلية إعتاقها^(٣) ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مؤداة إلى

(١) وقيل: الاستثناء منقطع وهذا بناء على أن المتصل دال على جواز القتل خطأ ولا يدل
 لأن حاصله أن من شأن المؤمن ألا يقتل إلا خطأ/ ١٢ وحيز.

(٢) هذا إذا كان المقتول مؤمناً وعند كثير من العلماء: كذا إن كان كافراً أيضاً والقرآن لا
 يدل عليه/ ١٢ وحيز.

(٣) اختلف العلماء في الرقبة المؤمنة قيل: هي التي صلّت وعقلت الإيمان فلا تجزئ الصغيرة،
 وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وغيرهم. أخرج عبد بن حميد
 وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة: "أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية

ورثته يقسمونها قسمة الميراث **﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾** يعفوا وسمى العفو عنها صدقة ترغيباً عليه أي: فعليه التحرير والدية في جميع الأحيان إلا حين أن يتصدق أهله بالدية فحينئذ تسقط الدية **﴿فَإِنْ كَانَ﴾** المؤمن المقتول **﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾** كفار محاربين **﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** ولم يعلم القاتل إيمانه **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾** دون الدية لأهله لأنه لا وراثة بين مسلم وكافر **﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾** ككفار معاهدين أو أهل الذمة **﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾** أي: فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية إن كان المقتول مؤمناً وكذا إن كان كافراً أيضاً عند كثير من العلماء **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** رقية ولم يجد ثمنها **﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾** أي: فعليه ذلك **﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾** مفعول له أي: شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾** بحاله **﴿حَكِيمًا﴾** فيما حكم عليه **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** عشرة من كبار^(١) السلف بل أكثر على أنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمداً ويؤيدهم بعض الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً"^(٢) "والجمهور على أنه له توبة

= سوداء فقال: يا رسول الله إن على عتق رقبة مؤمنة فقال لها أين الله؟ : فأشارت إلى السماء بأصبعها فقال لها: فمن أنا فأشارت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء أي: أنت رسول الله فقال: أعتقها فإنها مؤمنة"، وقد روى من طرق وهو في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي/ ١٢ فتح. [أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: تحريم الكلام في الصلاة (١٧٠/٢) ط الشعب.]

(١) بالنقل الصحيح منهم/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي والبخاري/ ١٢ وجيز. [أخرجه أحمد في "مسنده" (٩٩/٤) والحاكم في "المستدرک" (٣٥١/٤)، والنسائي (٣٧١٩) من طريق ثور عن أبي عوف،

ويدل عليه الآيات والأحاديث فقال بعض السلف: هذا جزاؤه إن جوزى عليه^(١) لكن قد يكون لذلك الجزاء معارض من عمل صالح أو عفو، وقيل الإخلاف في الوعيد ليس بخلف ودم، أو المراد بالخلود المكث الطويل، أو الخلود لمن يستحله فإنه نزلت في رجل خرج من المدينة وقتل مؤمناً وارتد. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذهبتم للغزو وسافرتم ﴿فَتَيَّبُوا﴾ اطلبوا بيان الأمر ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام، ومن قرأ السلم فمعناه: الانقياد وقيل: معناه: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذاً ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون حطام الدنيا، هو حال من فاعل لا تقولوا ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ ربما يفنيكم عن قتل من أظهر الإسلام لما له ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ تحفون إيمانكم أو لم تكونوا مؤمنين أو محصونة دماؤكم بمجرد كلمة الشهادة ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان أو بالهداية ﴿فَتَيَّبُوا﴾ لا تبادروا ظناً بأنهم دخلوا في الإسلام اتقاءً وخوفاً. تأكيد لما تقدم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالماً بالعرض من القتل فاحتاطوا. نزلت في رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فقتلوه وأخذوا غنيمته^(٢)، أو في

= عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت معاوية يخضب فذكره. قال الحاكم: "صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة". [.

(١) قال الشيخ ابن كثير: الأصح أن هذا القول موقوف على أبي هريرة وقيل: إنه تعالى يسيء عاقبته ولا يوفقه للتوبة النصوح لشؤم هذا الذنب، وقد ثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه، وإذا كان في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة المرحومة توبتهم بطريق الأولى/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه البخاري والترمذي عن ابن عباس/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (٤٥٩١).]

رجل له^(١) مال كثير بقي من قوم كافرين أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية وقد تفرقوا فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فأهوى إليه أحد من المسلمين فقتله، فأنزل الله الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل: "كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة قبل" ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صفة القاعدون، فإنه ما أراد به قومًا معيّنًا فهو كالنكرة أو بدل، ومن قرأ منصوبًا فهو حال أو استثناء، نزلت أولاً "لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" إلخ ف جاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سرى عنه فقراً: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر"^(٢) ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ يعني لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الحرب من غير عذر ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ غير أولي الضرر صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه ﴿دَرَجَةٌ﴾ الجملة موضحة، لما نفى الاستواء فيه ونصب درجة بتزع الخافض أي: بدرجة عظيمة تدرج تحت الدرجات أو على المصدر، لأنه تضمن معنى

(١) رواه الحافظ وفي البخارى بعض منه / ١٢ وجيز. [ذكره الحافظ في "الفتح" (١٠٧/٨)]

وابن كثير في "تفسيره" (٥٤٠/١) وعزاه للبخاري من طريق: حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس... فذكر القصة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور"

(٣/٣٥٧) وعزاه للبخاري والدارقطني والطبراني.

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى / ١٢ وجيز.

(٥) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين المجاهدين في

سبيل الله﴾ (٤٥٩٤) ومسلم في "الإمارة" / باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين

(٤/٥٦١) ط الشعب.

التفضيل ﴿وَكَلًّا﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّ﴾^(١) الجنة والجزاء الجزيل ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾^(٢) عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. بمعنى أجرهم أجرًا عظيمًا ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كل واحد بدل من "أجرًا" كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً قيل: الدرجة: ارتفاع منزلتهم عند الله، والدرجات: منازلهم في الجنة، وقال بعض المفسرين: القاعدون الأول هم الأضرأء خلاف ما صرحناه فإنهم أفضل بدرجة واحدة؛ لأن لهم نية بلا عمل ولهم نية وعمل، والقاعدون الثاني: هم غير أولى الضرر فإن بينهم درجات كثيرة ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما فرط عنهم ﴿رَحِيمًا﴾ بأن جعل نية المؤمن كعمله.

(١) وفي البخارى أن بالمدينة أقواما ما تسيرون من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، قالوا: كيف وهم بالمدينة؟! قال صلى الله عليه وسلم: حسبهم العذر/ ١٢

وحيز. [أخرجه البخاري في "الجهاد"/ باب: من حسبه العذر عن الغزو (٢٨٣٩).]

(٢) واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، وفرض العين: أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حرًا كان أو عبدًا غنيًا كان أو فقيرًا دفعًا عن أنفسهم وعن حيرانهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قادرين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلى سنته عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلًا والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد، ولكن لا يفترض، لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: "وكلا وعد الله الحسيني" فلو كان فرضا على العين لاستحق القاعد العقاب لا الثواب/ ١٢ معالم التنزيل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩﴾ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ﴾ يحتتمل أن يكون ماضيًا ومضارعًا ﴿الملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه ولا يبعد أن يقال معناه: قتلهم الملائكة فإن الملائكة محاربون يوم بدر ﴿ظالمي أنفسهم﴾ حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وبالخروج مع المشركين ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، توبيخًا لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر الدين حيث ما هاجرتم وما أظهرتم دينكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ عاجزين من الخروج عن مكة إلى المدينة ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، تبيكتنا لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا﴾ (١) ﴿فِيهَا﴾ إلى جانب وبلد آخر ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لمساعدتهم الكفار وهو خير إن و"قالوا فيم كنتم": حال بإضمار قد أو خير بحذف العائد أي: قالوا لهم وحينئذ فأولئك عطف على الجملة قبلها مستتجة منها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم (٢) نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا وخرجوا مع

(١) إلى جانب وأرض يمكن لكم التمسك بالشرائع وإقامة الدين/ ١٢.

(٢) حاصل معنى الآية أن من مات على ترك الهجرة مع قدرته عليها وإقامته بين المشركين

غير متمسك بالشرائع فهو في جهنم/ ١٢ وحيز.

المشركين فقتلوا يوم بدر ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء منقطع ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان أو الممالك وذكر الصبيان إن أراد المراهقين فظاهر وإلا فللمبالغة والإشارة إلى أن على القوم أن يهاجروا بهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أسباب السفر من قوة أو مال حال عن المستضعفين أو صفة له إذ لا تعيين في الألف واللام ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ لا يعرفون طريقاً ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ هم وإن كانوا عاجزين لكن ربما تمكنوا من الهجرة وقتا ما بنوع ما ولم يدروا ولهذا أطمعهم في العفو وليعلم أن تلك الهجرة أمر خطير من شأنه أن لا يأمن المعذور فكيف بغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآعِمًا كَثِيرًا﴾ تمتعا يراغم به الأعداء، وعن كثير من السلف أن المراغم التحول من أرض إلى أرض وعن بعضهم مترححاً عما يكره ﴿وَسَعَةً﴾^(١) في الرزق أو من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجره عند الله نزلت في ضمرة بن جندب شيخ كبير مصاب البصر هاجر من مكة فمات في الطريق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) فبرحمته يجعل الناقص كالتام.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣) وَإِذَا

(١) كما ورد سافروا تغنموا رواه الطبراني/ ١٢ وحيز. [وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة".]

(٢) فبرحمته يكمل الناقص ولما أوجب السفر بالهجرة والجهاد وفي السفر مشقات ولهذا قيل: السفر قطعة من نار السفر خفف في صلاة السفر فقال: "وإذا ضربتكم" / ١٢ وحيز.

كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ
 يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
 تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا
 حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
 فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ
 الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ
 إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
 يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرت **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** حرج **﴿أَنْ تَقْصُرُوا
 مِنَ الصَّلَاةِ﴾** هذه العبارة تدل على جواز القصر لا على وجوبه، لكن أكثر السلف
 على وجوبه، وقال كثير منهم: هذه الآية في صلاة الخوف، فالمراد: أن تقصروا من
 جميع الصلوات بأن تجعلوها ركعة واحدة أو من كيفيتها لا من كميتها، والآية التي
 بعدها تبيّن وتفصيل لها كما سنذكر، سئل ابن عمر رضى الله عنهما أنا نجد في كتاب
 الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر؟ فقال ابن عمر: إنا وجدنا نبينا
 يعمل فعملنا به* وما يدل على ذلك كثير ولهذا لما عقد البخارى كتاب صلاة

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٥٥/٥، ١٥٦) من طريق: ابن أبي ذئب عن ابن شهاب
 عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر.... فذكره. وذكره
 ابن كثير في "تفسيره" (٥٤٧/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٢٧٣/٣).

الخوف (*) صدره بهذه الآية وعلى هذا قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ^(١) يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شرط^(٢) له لا باعتبار الغالب في ذلك الوقت ويعتبر ولا يعتبر مفهومه فإن الإجماع على

(٥) الفتح (٢/٤٩٧).

(١) إن كان المراد من الآية صلاة الخوف فهذا شرط لا يجوز قصر الخوف بدون هذا، وإن كان المراد قصر السفر فهذا بيان واقع غالب أسفارهم ونظير ذلك وربائبكم اللاتي في حجوركم كما بينا، وفي مسلم: "سئل عمر إن شرط قصر الصلاة في القرآن الخوف وقد أمن؟ الناس فقال عمر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما سألتكم عنه فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته/ ١٢ وجزير. [أخرجه مسلم (٣٣٧/٢) ط الشعب.]

(٢) ظاهر الآية يدل على جواز القصر في مطلق السفر، وأن قليل السفر وكثيره سواء في حصول الرخصة، لأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة" جملة مركبة من شرط وجزاء الشرط هو الضرب في الأرض والجزاء هو جواز القصر، وإذا حصل الشرط وجب أن يترتب عليه الجزاء لا يقال فهذا يقتضى حصول الرخصة، عند انتقال الإنسان من محلة إلى محلة، ومن دار إلى دار؛ لأننا نقول الانتقال من محلة إلى محلة لا يسمى ضرباً في الأرض لا شرعاً ولا عرفاً، وأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض" يدل على جعل الضرب في الأرض شرطاً لحصول هذه الرخصة فلو كان الضرب في الأرض اسماً لمطلق الانتقال لكان ذلك حاصلاً دائماً امتنع جعله شرطاً لثبوت هذا الحكم، فلما جعل الله الضرب شرطاً لثبوت هذا الحكم علمنا أنه مغاير لمطلق الانتقال، وذلك هو الذي يسمى سفراً، ومعلوم أن اسم السفر واقع على القريب والبعيد فعلمنا دلالة الآية على حصول الرخصة في مطلق السفر وأيضاً اضطراب أقوال الفقهاء في ذلك يدل على أنهم لم يجدوا في المسألة دليلاً قوياً في تقدير المدة، إذ لو حصل في المسألة دليل ظاهر الدلالة لما حصل هذا الإضطراب، وأما سكوت سائر الصحابة عن حكم هذه المسألة فلعله إنما كان لأنهم اعتقدوا أن هذه الآية دالة على ارتباط الحكم بمطلق السفر، فكان هذا الحكم ثابتاً في مطلق السفر بحكم هذه الآية، وإذا

جواز القصر في السفر من غير خوف ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ﴾ أيها الرسول، علمه طريق صلاة الخوف ليقضى الأئمة بعده به (١) عليه

= كان الحكم المذكوراً في نص القرآن لم يكن بهم حاجة إلى الاجتهاد والاستنباط، فلهذا سكتوا عن هذه المسألة وأيضاً السفر واقعة تعم الحاجة على معرفة حكمها، لأن الحاجة إليها عامة لأن أكثر الصحابة كانوا في أكثر الأوقات في السفر وفي الغزو، فلو كانت رخص السفر مخصوصة بسفر مقدر كانت الحاجة إلى مقدار السفر المقيد للرخص حاجة عامة في حق المكلفين ولو كان الأمر كذلك لعرفوها ولنقلوها نقلاً متواتراً لاسيما وهو على خلاف ظاهر القرآن وأيضاً دلائل الشافعية ودلائل الحنفية صارت متقابلة متدافعة، وإذا تعارضت تساقطت فوجب الرجوع إلى ظاهر القرآن والله أعلم/ ١٢.

وفي معالم الترتيل اختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة: يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روى ذلك عن أنس وقال عمر بن دينار: قال لي جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلفوا في حد ما يجوز به القصر فقال الأوزاعي: مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق ولكن قول الحسن والزهرى قريب من ذلك قالوا: مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي قال: مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع: ستة أربعون ميلاً بالهاشمي، وفي الكبير قال مالك والشافعي: أربعة برد كل بريد أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهي أربعة آلاف خطوة فإن كل ثلاثة أقدام خطوة/ ١٢.

(١) فلا يدل على عدم جوازه إذا لم يكن هو صلى الله عليه وسلم وفيهم وعند من يقول: قوله: "إذا ضربتم" الآية في صلاة السفر فقد تم وقوله "وإذا كنت فيهم" شروع في بيان صلاة الخوف/ ١٢.

الصلاة والسلام ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ أي: اجعلهم طائفتين فلتقم أحدهما معك فصل بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم أو المصلون حزماً ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: غير المصلين ﴿مِنَ وَّرَائِكُمْ﴾ يجرسونكم ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ أي الذين كانوا من ورائهم يجرسونهم ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا^(١)﴾ أي: الذين صلوا قبل أو الذين أتوا ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ روى في طريق صلاة الخوف ستة أوجه أو سبعة، وأنا أذكر بعضها.

أحدها: أن يجعلهم صفين^(٢) ويصلى بهما إلى أن يرفعا رأسهما من الركوع سجد وسجد الصف الأول والصف الأخير قيام يجرسونهم فلما قام الصف الأول إلى الركعة الثانية سجد الصف الثاني، ثم يقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وهؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع وركعوا جميعاً ورفعوا من الركوع ثم سجد وسجد الصف الذي يليه والآخر قيام يجرس فلما جلسوا سجد الصف الثاني وتشهد الكل وسلموا.

(١) وظاهر القرآن أن الضمير للمصلين المقتدين فإنهم مظنة طرح السلاح للصلاة/

١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وهذه صلاته بعسفان، وهذه مذكورة أيضاً في البخاري بعبارة أخصر من ذلك، وظاهر القرآن كثير الملائمة مع تلك الطريقة/

١٢ منه.

وفي الفتح: وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزية من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به، ومن ذهب من العلماء إلى اختيار صفة دون غيرها فقد أبعد عن الصواب/ ١٢. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٠٩٦) من حديث أبي عياش الزرقني -رضي الله عنه-]

والثانية: أن يصلى بالطائفة الأولى ركعة ويتنظر قائمًا حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى المصاف، وتأتي الأخرى فيتم به الركعة الثانية ويتنظرهم قاعدًا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم (*).

والثالثة: قال جابر عن عبد الله الركعتان في السفر تمام إنما القصر واحدة عند القتال، وهو أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام صف قبله وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك حتى قاموا خلفه مقام هؤلاء، فصلى بهم ركعة وسجدتين، ثم سلم وسلموا فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة ركعة (**). وهذا الطريق مروى عن كثير من الصحابة بروايات متعددة صحيحة.

والرابعة: أن يصلى بكل من الطائفتين ركعتين فيكون للإمام أربع ركعات وللمؤمنين ركعتان* ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بالقتال فلا تغفلوا عنها ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ لا وزر ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ هذا يدل على أن الأمر بأخذ السلاح للوجوب، وهو قول بعض العلماء، وأكثرهم على أنه سنة مؤكدة ﴿وَخُذُوا

(*) أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٢٩) ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث صالح بن خوات - رحمه الله - وهو تابعي ثقة ليس له في البخاري إلا هذا الحديث الواحد. (محققه)

(**) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٦٣/٢) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٤/٢) وقال ابن كثير: ورواه النسائي من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر رواه جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

(●) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير" / باب: من علق سيفه بالشجر في السفر عن القائلة (٢٩١٠) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث جابر - رضي الله عنه -.

حِذْرِكُمْ» أي: لا بد من التيقظ وعدم الغفلة في أي صفة وحال كنتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وعد للمؤمنين بالنصر وإشارة على أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم، بل لأن الواجب في الأمور التيقظ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُوا^(١) اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي: في سائر أحوالكم وكثرة الذكر عقب صلاة الخوف أكد لما فيها من التخفيف ومن الرخصة في الذهاب والإياب، وغيرها قيل: معناه إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيف ما أمكن ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكنت جأشكم من الخوف ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ﴾ عدلوا أركانها واحفظوا شرائطها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ مفروضًا محدودًا أو منجمًا كلما مضى وقت جاء وقت ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب قتال الكفار ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ من الحرج ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ فضرر القتال لا يختص بكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ ولكم هذا المزيد رجاء المثوبة والنصر والتأييد، فينبغي أن تكونوا أصبر على الحرب وأرغب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بضمائركم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتِكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ مِنْ رَبِّكَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿وَلَا تَجْدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾

(١) والمعنى: ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه، وعن عائشة رضی الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه، أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح. [أخرج البخاري معلقا (٢/١٣٥-الفتح) ووصله مسلم (١/٦٧٤) ط الشعب].

أَثِيمًا ﴿١٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨﴾ هَاتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(١) بِالْحَقِّ ﴿﴾ فِي الْحُكْمِ لَا بِالتَّعْدِي فِيهِ ﴿لِتَحْكُمَ﴾ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما عرفك وأوحى به إليك نزلت^(٢) في طعمة بن أبيرق سرق درعًا فجاء صاحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن طعمة سرق درعي فلما رأى السارق ذلك ألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني ألقيتها في بيت فلان فانطلقوا ليلاً إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن صاحبنا بريء وسارقها فلان فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذره وقيل: هم أن يبرئه فنزلت ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيمًا﴾^(٣) للبراء

(١) ولما أمر ونهى ووعد ونصح ووعظ في أمور الدنيا والدين عقب بتلك الآية المحكمة تعليمًا وتقوية لعضد نبيه فقال "إنا أنزلنا إليك الكتاب" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) روى الترمذى وغيره/ ١٢ وجيز. [من حديث قتادة بن النعمان وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذى" (٢٤٣٢).]

(٣) وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق/ ١٢ فتح.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ^(١) اللّٰهَ﴾ من موافقتهم في نسبة السرقة إلى البريء أو من ذلك الهم والقصد
﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ لمن استغفر ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، لأن الضرر راجع إليهم أي: لا تجادل عن كل من
خان^(٢) ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ^(٣) مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ مبالغاً في الخيانة ﴿أَثِيماً﴾ منهمكاً
في الإثم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يسترون سرقتهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّٰهِ﴾ وهو
أحق أن يستحي ويخاف ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء فطريق إخفاء شيء عنه
عدم فعله ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يدبرون وأصله أن يكون^(٤) بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَى﴾ الله ﴿مِنَ
الْقَوْلِ﴾ رمى البريء وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ فيجازيهم.
﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خاصمتهم عن طعمة وقومه. جملة هي
مبينة لوقوع أولاء خيراً، أو صلته عند من يقول: إنه موصول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ
يُجَادِلُ اللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذهم بعذابه ﴿أَمْ مَنْ﴾ ^(٥) يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

(١) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار قال ابن جرير إن المعنى: استغفر الله من
ذنبك في خصامك للخائنين، وقيل: واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمخاصمين
بالباطل والأول أرجح/ ١٢ فتح.

(٢) فسره بقوله: أي لا تجادل عن كل من خان ليعلم أن جميع الخائنين داخل في الحكم
والنهي الثاني عام لا يختص بقصة دون قصة فلا تكرر/ ١٢ منه.

(٣) فلا تكن ظهيراً لمن لا يحبه/ ١٢ منه.

(٤) فإن التبييت تدبير وتزوير وقع في الليل، ثم استعمل في التزوير أعم من أن يكون ليلاً أو
نهاراً/ ١٢ منه.

(٥) وأم في مثل هذه المواقع أعنى إذا وقع بعدها اسم استفهام يكون بمعنى بل لا منقطعة بمعنى
بل والهزمة؛ ولا متصلة قاله العلامة التفتازاني/ ١٢ وحيز.

فیرج دعواهم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ يسوء به غيره^(١) أو صغيرة أو إثمًا دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ﴾ بما لا يتعداه أو بكبيرة أو بالشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾^(٢) رَحِيمًا﴾ فيه عرض التوبة على طعمة لكن كما قيل: ما تاب بل ارتد ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ولا يتعدى ضرره إلى غيره، لا تزر وازرة وزر أخرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فمن علمه وحكمته أنه لا يأخذ أحدًا بذنب آخر ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ذنبًا بينه وبين الله ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة، أو ما بينه وبين الناس ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ بأحدهما ﴿بَرِيئًا﴾ كما رمى طعمة ﴿فَقَدْ﴾^(٣) احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ برمى البريء وتزريه الخاطيء.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١٢﴾ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٣﴾ وَمَنْ

(١) كالحلف الكاذب/ ١٢ وجيز.

(٢) الظاهر تعليق الغفران والرحمة للعاصي على مجرد الاستغفار إلا أن يقال: المراد من الاستغفار التوبة وفي لفظ: "يجد الله" مبالغة في الغفران كأنه معد لطالبه مهياً له متى طلبه وجده، وفيه لطف عظيم، ووعد كريم للعصاة، عن ابن مسعود أنها من أرجى آيات، لكن ما استغفر طعمة بل ارتد هكذا نقل/ ١٢ وجيز.

(٣) في الافتعال معنى التسبب فهو أبلغ من حملة/ ١٢ وجيز.

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ وَسَاءَٰتُ مَصِيرًا ﴿١٢﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإعلام ما وقع منهم ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق، وليس المراد نفى همهم بل المراد أن من فضل الله عدم تأثيرهم فيك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن الله عصمك وهم ارتكبوا خطايا ﴿وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ شيئا من الضر فإن الله عصمك من الناس ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ قبل نزول ذلك من خفيات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ فإنه لا فضل أعلى من النبوة ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ النجوى سر بين اثنين ﴿إِلَّا﴾ بـنجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ هو كل ما يستحسنه الشرع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ خصه لشرفه، والاستثناء بدل من كثير وقيل: منقطع أي: لكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: الأمر بالصدقة ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مخلصا محتسبا ثوابه عند الله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فإن من فعل خيرا رياء لم يستحق جزاء أصلا، لأن كل جزاء من الله عظيم في جنب أغراض الدنيا وقيل: قوله "ذلك إشارة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح، لا إلى الأمر بها فالأول حكم الدال على الخير، والثاني حكم فاعله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بوقوفه على المعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) غير

(١) ولا حجة في الآية على حجية الإجماع، لأن المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين الإسلام إلى غيره كما يفيد اللفظ ويشهد به السبب، فلا يصدق على عالم اجتهد في بعض المسائل فأداه اجتهاده إلى مخالفة من بعصره من المجتهدين فإنه إنما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية ولم يتبع غير سبيلهم/ ١٢ فتح.

طريقهم ﴿تَوَلَّى مَا تَوَلَّى﴾ ندعه وما اختار ونزنيه له وقيل نكله في الآخرة لما تولى وأعرض في الدنيا ﴿وَوَصَلَهُ جَهَنَّمَ﴾ ندخله فيها ﴿وَوَسَّاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم نزلت في طعمة حين حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يده فهرب إلى مكة مرتدًا وخالف^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١) إن يدعون من دونه إلا إنفًا وإن يدعون إلا شيطنًا مريدًا ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (١٢) وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَتَيْتْهُمْ وَلَا مَرْنَتْهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَتْهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (١٣) يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٤) أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (١٥) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١٦) لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٩) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطًا﴾ (٢٠)

(١) ذكره محيي السنة والواحدى/ ١٢ وحيز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لمن لقيه مشركاً ﴿وَيَغْفِرُ﴾^(١) مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ غفرانه ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فإنه أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الثواب قيل: نزلت في طعمة أيضاً فإنه مات مشركاً، أو في شيخ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئاً، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لنادم نائب مستغفر، فما حالي؟ ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا الْإِنثَاءُ﴾^(٣) اللات والعزى ومناة، لأن لكل حي صنماً يسمونه أنثى بنى فلان، أو لأن مع كل صنم جنية، أو لأن الإناث كل شيء ميت لا روح فيه من شجر أو حجر، أو المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ المريد المراد: الخارج بالكلية عن طاعة الله، فإنه أمرهم بعبادتها فعلى الحقيقة هم يعبدونه ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أبعده عن رحمته صفة ثانية للشيطان ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لأن أغويهم وأضلهم ﴿نُصَبِيًّا مَفْرُوضًا﴾ معيناً معلوماً عطف على لعنه الله، أي: يعبدون شيطاناً مارداً مطروداً عدواً لكم غاية العداوة ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الصواب ﴿وَلَأَمْنِيَنَّهُمْ﴾ إدراك الآخرة مع المعاصي وطول الحياة، يأمرهم بالتسويق والتأخير أو أنه لا جنة ولا نار ﴿وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَلَيِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ يشقوها ويجعلون ركوب تلك الأنعام حراماً ويسموها بجائر: ما يجيء في المائدة وهو إشارة إلى تحريم كل حلال

(١) أما المظالم فإن أراد الله غفرانه ألقى في قلب مظلومه عفوهُ وهو الله سبحانه يغفره كما ورد في الأحاديث/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: ما يعبدون من دون الله تعالى ومن عبد شيئاً دعاه عند حوائجه أي: ما يدعون أحداً/ ١٢ وجيز.

(٣) قال الراغب: لما كانت الأصنام أشياء منفعة غير فاعلة بكنهم الله تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه ما يعبدون إلا منفعلا من كل وجه/ ١٢ وجيز.

﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ﴾^(١) خَلَقَ اللَّهُ ﴿هُوَ الْخِصَاءُ﴾^(٢) أَوْ الْوَشْمَ أَوْ دِينَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فَيُطِيعُهُ وَلَا يُطِيعُ اللَّهَ ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إِذْ ضَمَّ بِالْكَلْبَةِ رَأْسَ مَالِهِ وَبَاعَ الْجَنَّةَ بِالدُّنْيَا ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ وَلَا يَنْجِزُ ﴿وَيَمْنِيَهُمْ﴾ مَا لَا يَدْرِكُونَ ﴿وَمَا يَعُدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هُوَ إِيهَامُ النِّفْعِ فِيمَا فِيهِ الضَّرَرُ ﴿أُولَئِكَ مَاوَأَهُمْ﴾ مَرَجَعَهُمْ ﴿جَهَنَّمَ﴾ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿مَعْدَلًا وَمَهْرَبًا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا نَهْرٌ

(١) صورة وصفة ويندرج فيه فقاً عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطه والسحق ونحو ذلك/ ١٢ وحيز.

(٢) كالخصاء والوشم وغيرهما والخصاء من الشيطان في كل شيء من آدمى وغيره صرح بذلك عظماء السلف/ ١٢ وحيز.

وفي الكبير: ولهذا كان أنس يكره إخصاء الغنم، وفي الفتح: ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور حملاً شمولياً أو بدلياً، وقد رخص طائفة من العلماء في خصى البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع به سمن أو غيره، وكره ذلك آخرون، وأما خصى بنى آدم فحرام بلا اختلاف: أخرج ابن أبي شيبه والبيهقي "عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصى البهائم والخيل" [أخرجه ابن أبي شيبه في "مصنفه" (٢٢٥/١٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠)، وقال البيهقي: والصحيح الموقوف. وعبد الله بن نافع فيه ضعف يليق به رفع الموقوفات. والله أعلم. وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف.]، وأخرج ابن المنذر والبيهقي "عن ابن عباس رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح وإخصاء البهائم" [أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠) وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.]، وفي معالم التنزيل فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخصاء وحوز بعضهم في البهائم لأن فيه غرضاً ظاهراً/ ١٢.

غرفها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصـدران الأول مؤكـد لنفسه، والثاني لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ جملة مؤكدة مقابلة لمواعيد الشيطان ﴿لَيْسَ^(١) بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ليس الدين بالتمنى نزلت في المسلمين واليهود حين افتخروا فقال اليهود: نبينا وكتابنا قبل ونحن أولى منكم بالله، وقال المسلمون: نحن أولى نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على جميع الكتب، وقال مجاهد قالت العرب: أي: المشركون لن نبعث ولن نعذب، وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى فترلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ما في الدنيا أو في الآخرة، وقد صح المصائب^(٢) والأمراض في الدنيا جزاء ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٣)﴾ يواليه وينصره من عذاب الله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ من للبيان حال من ضمير يعمل وليس

(١) ولما بين أن الشيطان يعدهم ويمنهم، ومن أمنيته المشركين: أن لا عذاب ولا حساب ومن أمنيته أهل الكتاب: أنهم أحباء الله تعالى آيسهم عن كواذب تمنيتهم فقال: "ليس بأمانيتكم" / ١٢ وحيز.

(٢) لما نزلت قال الصديق: ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر فقال صلى الله عليه وسلم: "إنما هي المصيبات في الدنيا" رواه الترمذي وأحمد وابن حبان / ١٢ وحيز. [هذا لفظ ابن جرير في "تفسيره" كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٠٢/٢) وليس لفظ الترمذي وأحمد وابن حبان.]

(٣) قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيراً ينصره، فإن قلنا: إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر، وإن قلنا: إنها في حق كل عامل سوء مسلم وكافر، فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر، فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحداً من الله / ١٢ الباب التأويل للشيخ علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن / ١٢ / وشفاعة الأنبياء والملائكة في حق العصاة إنما تكون بإذن الله وإذا كان كذلك فلا ولي لأحد إلا الله سبحانه وتعالى / ١٢ كبير.

للابتداء ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط للجزاء المرتب ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ مقدار النقيير، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر بأن ينقص من فضله على المطيع وهو أرحم الراحمين فمعلوم أنه لا يزيد^(١) في عقاب العاصي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص العمل لربه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٢) تابع للشرع في علمه أو

(١) لأن ثواب المطيع في الآخرة ليس إلا فضل موعود وجعل نقصان فضله بكمال رحمته ظلمًا، فكيف يجوز أن يزيد عقاب العاصي من قدر الجزاء ولما كشف زورهم وبين فجورهم أخذ في كذب زعمهم فقال: "ومن أحسن" / ١٢ وجزير.

(٢) اعلم أن دين الإسلام مبنى على أمرين: الاعتقاد والعمل.

أما الاعتقاد فالإشارة بقوله: "أسلم وجهه" ذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع والوجه أحسن أعضاء الإنسان فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه وأقر برؤيته وبعبودية نفسه فقد أسلم وجهه لله.

وأما العمل فالإشارة بقوله: "وهو محسن" فيدخل فيه الحسنات وترك السيئات فتأمل في هذه اللفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض وأيضًا فقوله: "أسلم وجهه لله" يفيد الحصر معناه أنه أسلم نفسه لله، وما أسلم لغير الله، وهذا تنبيه على أن كمال الإيمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق وإظهار التبرى من الحول والقوة، وأيضًا ففيه تنبيه على فساد طريقة من استعان بغير الله، فإن المشركين كانوا يستعينون بالأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب والطبائع وغيرها، واليهود كانوا يقولون في دفع عذاب الآخرة عنهم أنهم من أولاد الأنبياء والنصارى كانوا يقولون: ثالث ثلاثة، فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله، وأما المعتزلة فهم في الحقيقة ما أسلمت وجوههم لله يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من أنفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم، ولا يخافون إلا أنفسهم، وأما أهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق إلى الحق سبحانه انقطع نظرهم عن كل شيء سوى الله / ١٢ كبير.

أخلص نفسه له لا يعرف لها رباً سواه ثم يعمل الحسنات ويترك السيئات أو خضع في عبادته وهو موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان حال من إبراهيم، أو من فاعل اتباع، أو من ملة ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا خالصًا ليس في محبته خلل، روى أنه لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب آخ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فترلت "ومن يعمل من الصالحات" "ومن أحسن ديناً" آخ فتبجح^(١) به المسلمون ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾^(٢) بعلمه وقدرته فيجازيهم على الخير والشر.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَلَمَّىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ

(١) بجمته فتبجح أي: فرحته وفرح/ ١٢ صراح.

(٢) بالعلم والقدرة فلا يفوت منه شيء ويجازيهم، ولما ذكر أنهم يعبدون إنانا ويجعلون لما يعبدون نصيباً من أموالهم إذعانا لأمر الشيطان المرید الملعون الذي هو في غاية عداوتهم ويقولون: ميراثنا ليس إلا للذكور الذين هم حامو بيضتنا، لا للإناث الضعفاء، فتكرر من بعض الصحابة سؤال ميراث الإناث اللاتي هن أحق بالإعانة والشفقة والمال ليس إلا لمن له ما في السماوات والأرض وقد فرض هن فريضة بينها وشرحها مع طريق معاشرتهن، ثم أعاد لتكرر سؤالهم فقال: "ويستفتونك" // ١٢.

أَلَسَّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٧٤﴾ وَلَنْ
 تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
 فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧٥﴾
 وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٧٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
 وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٧٧﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿١٧٨﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ
 ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٧٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٨٠﴾ ﴿

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ في طريق المعاشرة مع اليتامى، نزلت في كل من عنده
 يتيمة هو وليها ووارثها فيرغب في نكاحها إن كانت جميلة ويأكل مالها، وإن كانت
 دميمة يعرضها حتى تموت فيأخذ ميراثها، أو في ميراث بنات أم كحة من أيهن فإن
 العرب كانت لا تورث النساء والصبيان وحينئذ معناه في ميراث النساء ﴿قُلِ اللَّهُ
 يُفْتِكُمْ فِيهِنَّ﴾ الإفتاء تبين المبهم ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على لفظ
 الله أو على الضمير في يفتيكم والإفتاء مسند إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: "وإن
 خفتم ألا تقسطوا في اليتامى" إلخ أو من قوله: "يوصيكم الله في أولادكم" إلخ على ما
 ذكرنا من اختلاف سبب التزول على طريقة قولهم: أغنان زيد وكرمه ﴿فِي يَتَامَى
 النِّسَاءِ﴾ صلة يتلى أو بدل من فيهن والإضافة بمعنى من ﴿اللاتي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ
 لَهُنَّ﴾ من صداقهن أو ميراثهن ﴿وَوَرَعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: عن أن تنكحوهن
 لدمامتهن فنهاهم الله عن عضلهن طمعا في ميراثهن، كما ذكرنا في قوله: "وإن خفتم

ألا تقسطوا" إلخ أو معناه: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن ولا تعطون صداقهن وتأكلون مالهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، فإن العرب لا يورثونهم كما لا يورثون البنات ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل عطف على يتامى النساء أيضاً أي: يفتيكم في أن تقوموا أو منصوب بإضمار فعل أي: ويأمركم أن تقوموا، أو عطف على فيهن بإضمار في ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فما ينسأه ويجزيكم ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً﴾ مرفوع بفعل يفسره قوله ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ علمت منه ﴿نُشُوزًا﴾ تخافيا عنها ومنعا لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقل مجالستها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة والزوج ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو النفقة، وصلحا مصدر، وبينهما مفعول به ومن قرأ: يصلحا فمعناه: يتصلحا ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ يعني أن النفس مطبوعة على البخل لا يغيب عنها، فلا تكاد المرأة تسمح بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الزوج يسمح بأن يمسكها ويقوم بحققها إذا لم يردّها، وهو وقوله: "الصلح خير" اعتراض للترغيب في المصالحة وتمهيد العذر في المماكسة ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز ونقص الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان ﴿خَبِيرًا﴾ فيشيكم ﴿وَلَكِنْ﴾^(١) تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي تساووا بينهن من جميع الوجوه فإنه لا بد من التفاوت في

(١) ولهذا كان يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن المنذر عن عائشة وإسناده صحيح [وضعفه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٠١٨)]. قال ابن مسعود: العدل بين النساء الجماع، وقال الحسن الحلب وكذا المحاذثة والمجالسة والنظر إليهن والتمتع/ ١٢ فتح.

الحبة والشهوة والجماع ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ إلى واحدة منهن فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: الواحدة الأخرى كالتى ليست بذات بعل ولا مطلقة ﴿وَإِنْ تَصَلِحُوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل الجور فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ يغفر لكم ما كان من ميل إلى واحدة ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق ولم يصلحا بينهما ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاً﴾ منهما عن صاحبه ﴿مَنْ سَعَتِهِ﴾^(١) فضله الواسع وقدرته ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً﴾ واسع^(٢)

(١) قال الحسن بن علي رأيت الله تعالى علق الغني بأمرين فقال: "وأنكحوا الأيامى" الآية (النور: ٣٢)، وقال: "وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته" / ١٢ وجزير.

(٢) وجملة حكم الآية أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة، فإنه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكرًا وإن كانت ثيبًا فثلاث ليال، ثم يسوى بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات، عن أنس رضي الله عنه قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعة ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثًا ثم قسم، قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نساته مع نفسه بعد أن يقرع بينهما فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضى للباقيات مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين، والدليل عليه: ما روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نساته فأيتهن خرج سهمها خرج بها"، أما إذا أراد سفر نفلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها / ١٢ معالم.

الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم وأمر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فله السعة وكمال القدرة ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بأوتوا أو بوصينا ﴿وَأَيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بتقوى الله وجاز أن يكون أن مفسرة، فإن التوصية في معنى القول ﴿وَأِنْ تَكْفُرُوا﴾ أي: وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مالك الملك كله لا يضره كفركم كما لا ينفعه شكركم فما الوصية إلا لحاجتكم وصلاحكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته حمد أو لم يحمد ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ ^(١) بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فتوكلوا عليه فكأنه قال له ما في السماوات وما في الأرض فاقبلوا وصيته وله ذلك فهو الغني فاسألوا الله وله ذلك فاتخذوه وكيلاً لا غيره ﴿إِنْ يَشَاءُ﴾ إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفيئكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ﴾ يوجد قومًا آخرين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ﴾ الإعدام والابحاد ﴿قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة وهذا تقرير لغناه وتهديد لمن كفر ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ^(٢) ثَوَابَ

(١) فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: "لله ما في السماوات وما في الأرض" قيل:

لكل واحد منها وجه أما الأول: فمعناه لله ما في السماوات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته.

وأما الثاني فيقول: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكفى غنيا أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث: فيقول: ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً أي له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره/ ١٢ معالم.

(٢) يعني من كان يريد بعمله عرضاً من الدنيا نزلت في مشركى العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث ليوم القيامة، وكانوا يتوبون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها/ ١٢.

الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١﴾ فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، أو معناه فيعطيه ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فلا يخفى عليه خافية ويجازى بحسب قصده.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٣﴾﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَارَدُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٤﴾﴾
بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥﴾﴾
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٦﴾﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٧﴾﴾
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل لا تعدلوا عنه يمينا ولا شمالاً ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي (١): ولو عاد ضررها على نفسك أو عليهم أو تقول (٢) الإقرار شهادة على نفسه ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: بالغنى والفقير منكم فكلوا أمرهما إليه فلا ترحم فقره ولا ترهب غناه، وضمير التثنية لما دل عليه المذكور وهو جنس الغنى والفقير لا إليه وإلا لوحد (٣) ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: لأن تعدلوا عن الحق ﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها ﴿أَوْ تُعْرَضُوا﴾ عن أداؤها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين كلهم أو للمؤمنين أهل الكتاب حين قالوا: يا رسول الله آمننا بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه، أو خطاب لليهود والنصارى ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اثبتوا عليه أو آمنوا بمحمد كما آمنتم بموسى وعيسى ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ

(١) ابتدأ بنفسه، لأنه لا شيء على الإنسان أعز من نفسه، ثم ذكر الوالدين لأنهما أقرب إليه، وسبب نشأته، والأقربين فإنهم مظنة التعصب، وإذا كان الأمر فيهم القسط فالأجنبي أحرى بذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) قوله: أو نقول يعنى الشهادة على الوالدين والأقربين أن يقول: أشهد أن لفلان على والدى أو على أقاربي كذا وأما الشهادة على نفسه فهي الإقرار لأنه في معنى الشهادة، والوجه الأول أن يشهد من يتوقع ضرره من ظالم/ ١٢ منه.

(٣) يعنى الظاهر أن يقال: أولى به، لأن المرجع به مذكور بأو لكن ثنى الضمير لإرجاعه إلى المدلول لا إلى المذكور/ ١٢ منه.

(٤) ولما أمر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله أمرهم بالسوخ في الإيمان فإنه لا يأتمر بالأمر إلا الراسخ فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/ ١٢ وجيز.

قَبْلُ» يعنى جنس الكتاب لا بكتاب دون كتاب «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» أي: بشئ من ذلك «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» عن المقصد بحيث لا يكاد يعود على سواء السبيل «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالتوراة «ثُمَّ»^(١) «كَفَرُوا» بها بعبادة العجل «ثُمَّ آمَنُوا» بها بعد عود موسى إليهم «ثُمَّ كَفَرُوا» بعيسى «ثُمَّ» ازدادوا كُفْرًا» بمحمد عليه الصلاة والسلام واستمروا عليه حتى ماتوا «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا» طريقا إلى الهدى، ولا فرجا ولا مخرجا، فإن الكافر إذا أسلم يغفر الله كفره السابق، لكن من تقرر منه الإيمان والكفر ثم استمر على الكفر لا يغفر الله كفره اللاحق والسابق.

أو نزلت في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا مراراً لا في اليهود فقيل معناه: من تكرر منه الإيمان فالكفر لا يغفر الله له لاستبعاد التوبة منه، لأن قلوبهم طبعت على الباطل فلا يثبت على الحق، وعن على رضى الله عنه يقتل ولا يقبل توبته «بَشْرِ الْمُنَافِقِينَ» من باب^(٢) التهكم «بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» فإنهم أيضاً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن مراراً، ثم استمروا بالإصرار على النفاق «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» مرفوع أو منصوب بالذم «أَيَّبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» والغلبة على المسلمين أو يتعززون بمواليتهم «فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ^(٣) جَمِيعًا» أي: له القوة والغلبة لا يعز إلا من أعزه

(١) الظاهر أنه في شأن المنافقين فإنهم في أوائل البعث والنبوة كانوا مذنبين ثم اتفقوا على الباطل ورسخوا في كفرهم، ويدل على ما قلنا قوله في عقبه: "بشر المنافقين" والمراد في قوله: "ولا ليهداهم سبيلاً" لا يوفقهم على سلوك سبيل الحق لرسوخ قدمهم في الباطل فلا يتوبون/ ١٢ وجيز.

(٢) عند من لا تكون البشارة إلا في السرور/ ١٢.

(٣) والفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: إن تبتغوا العزة من هؤلاء فإن العزة لله جميعاً ونصب جميع على الحال/ ١٢ وجيز.

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ في القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع من يكفر ويستهزئ ﴿حَتَّى﴾ ^(١) يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ الاستهزاء، وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا" الآية (الأنعام: ٦٨)، ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ في الكفر إن رضيتم بذلك، أو في الإثم فإنكم قادرون على الإعراض والإنكار، وقيل: هي منسوخة بقوله: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء إلخ ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم، بدل من الذين أو مبتدأ وخبره ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ ففى الدين والنصرة فأسهموا لنا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر فإن الحرب سجال ﴿قَالُوا﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فما فعلنا شيئاً من ذلك ﴿وَوَدَّعَيْنَا لَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ثبطناهم عنكم بتحويلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، أو معناه نصرناكم عن الدخول في جملتهم، فإن

(١) قال الضحاك عن ابن عباس دخل في الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، نقله محي السنة وفي الفتح: والآية بعموم اللفظ دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع لكثير من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا أو قال فلان من أتباعه بكذا وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوى سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأساً ولا بالوا به بالة وظنوا أنه قد جاء بأمر فطيع وخطب شنيع وخالف مذهب إمامهم الذى نزلوه مترلة معلّم الشرائع بل بالغوا وجعلوا رأيه مقدما على كتاب الله وسنة رسوله، فإننا لله وإنا إليه راجعون/ ١٢ فتح.

المنافقين حذروا الكافرين ومنعوا الإسلام ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما يعلمه منكم من البواطن ﴿وَلَسَنَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجة في الآخرة أو ظهور أو استيلاء كليًا في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤١﴾ مَثْبُوتَيْنِ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءَأُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٥﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿٤٦﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿٤٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٥١﴾

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بزعمهم الباطل كما يخلفون يوم القيامة أنهم على الاستقامة ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يجازيهم على خداعهم أو يعاملهم معاملة المخادع في الدنيا بامهالهم واستدراجهم في طغيانهم، وفي الآخرة بأنهم يعطون نوراً يوم القيامة، فإذا مضوا قليلاً يطفأ^(١) نورهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ متناقلين كالمكره ﴿يُرَاعُونَ النَّاسَ﴾ ليحسبوهم مؤمنين لا لإخلاص ومطابوعة أمر الله، صفة كسالى أو مستأنفة ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) لأنهم يفعلونه رياءً ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان^(٣) كثيراً وقيل: لأن ذكرهم باللسان فقط وقيل المراد من الذكر الصلاة أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا على ندرة ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ﴾^(٤) ذَلِكَ﴿ مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان حال من واو الجمع أي: يروهم غير ذاكرين إلا قليلاً مذبذبين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا منضمين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

(١) قال تعالى: "يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم" الآية (الحديد: ١٣)، وقال في الفتح: بعد ما نقل هذا القول عن الحسن وبجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، ولا أدري من أين جاء لهم هذا التفسير فإن مثله لا ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال صاحب الكشاف: وهكذا نرى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام، لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تلميلة ولا تسيحة، لكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته لا يفتر عنه/ ١٢ كبير.

(٣) كما قال ابن عباس/ ١٢ وحيز.

(٤) قال في الكشاف: وحقيقة المذبذب: الذي يذب ويدفع من كلا الجانبين مرة بعد أخرى أي: يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه/ ١٢.

إلى الصواب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
فإن مصاحبتهم^(١) ومصادقتهم وإسرار المودة إليهم صنيع المنافقين فلا تكونوا مثلهم
﴿أَتْرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بينة في عقابكم بموالاةكم
إياكم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ هو الطبقة التي في قعر جهنم، أو
تواييت من حديد مقفلة في النار أو بيوت مقفلة عليهم توقد من تحتهم وفوقهم ﴿وَلَنْ
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منها ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل
﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وتقوا به والتجأوا إليه ﴿وَأَخْلَصُوا﴾^(٢) دينهم لله من شوائب
الرياء فلا يعملون إلا لله ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) في زمرة يوم القيامة ﴿وَسَوْفَ
يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ﴾ أيدفع به ضرراً أو يستحلب به نفعاً وهو الغنى المتعالي لا كالمملوك فمن
أخرج نفسه عن خساستها الباعثة للمذلة فلا تهان ولا تخذل، قيل: تقدم الشكر لأن
الناظر بأذن نظر في النعم يعرف أن لها منعماً فيشكر وإن لم يعرفه زيادة معرفة، ثم
يفضى به إلى زيادة النظر في معرفته، والتصديق به قدر ما يجب على العبد، فالشكر
المبهم أصل التكليف من الإيمان وغيره ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ يرضى بالقليل
﴿عَلِيمًا﴾ بظاهركم وباطنكم.

(١) قال القفال: المراد من الكفار المنافقون يعني: قد بينت لكم أخلاق هؤلاء المنافقين فلا

تتخذوا منهم أولياء/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما كان المنافق متصفاً بنقائص هذه الأوصاف من الكفر وفساد العمل والموالة

للكافرين والاعتزاز بهم والمراعاة للمؤمنين شرط في توبتهم ما يناقض ذلك الأوصاف/

١٢ وحيز.

(٣) حكم بأنهم مع المؤمنين لا أنهم تنفراً لما كانوا عليه وتفضيلاً بحال من كان متلبساً

به وأخلص الأحر للمؤمنين فيرشح أجرهم إليهم فاقتمهم/ ١٢ وحيز.

﴿لَا يُحِبُّ^(١) اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم، وقيل: هو من يشتمك فتشتمه بمثله فالبادئ ظالم، والأصح أنها نزلت^(٢) فيمن ضاف أحدا فلم يؤد إليه حق ضيافته، فلما خرج أخرج الناس فرخص الله شكايته ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بفعل الظالم ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ عمل بر ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ يأتيكم من أحيكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لمن عفى ﴿قَدِيرًا﴾ على الانتقام وهو إشارة إلى حق المظلوم على العفو وإن جاز له الشكاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ﴾ أي: ببعض الأنبياء ﴿وَنُكْفِرُ بِبَعْضِ﴾ أي: بعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا ولا واسطة بين الكفر والإيمان وهم اليهود والنصارى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر، ما نقص ذلك الإيمان من كفرهم شيئًا ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في الإيمان^(٣) به ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

(١) ولما أمر عباده بالشكر وقد ثبت أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله أخذ يبين موضع

جواز الشكاية عن خلقه فقال: "لا يحب الله الجهر" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه عبد الرزاق ومحمد بن إسحاق وغيرهما عن مجاهد/ ١٢ وجيز.

(٣) في الإيمان لا في التفضيل فقد قال تعالى: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"

(البقرة: ٢٥٣)، وقد مر أن أحدًا يستوى فيه المفرد والجمع، ولذلك جاز دخول بين

عليه/ ١٢.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ
 أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا
 الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطَنًا
 مُّبِينًا ﴿١٧٢﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٧٣﴾ فِيمَا نَقُضِهِم
 مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرٍ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧٤﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
 عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٧٥﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ
 رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي
 شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٧٦﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ
 إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
 مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٧٨﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
 عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٧٩﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا
 وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿١٨٠﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
 وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٨١﴾

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قالت اليهود: إن كنت
 صادقًا فأتنا بكتاب من السماء جملة أو صحفًا مكتوبة بخط سماوي ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾

مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ» أي: إن استعظمت ما سألوكم، فقد سألوها موسى أعظم من ذلك، وهذا السؤال وقع من آباؤهم لكنهم تابعون لهدْيهم وقوم مثل ذلك لا يستغرب عنهم ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: أرنا الله نره عيانا قيل معناه قالوا جهرة لا سرا وخفية ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ نار من السماء ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السؤال وطلب ما يستحيل في تلك^(١) الحال لهم ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٢) معجزات موسى عليه السلام ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم بالكلية وقبلنا توبتهم ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ يعني هم إن بالغوا في العناد معه لكن نصرناه وعفونا عن قومه، ففيه إشارة ببشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾^(٣) عند امتناعهم قبول شريعة التوراة

(١) وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة ومن استدلل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بيّنا / ١٢ فتح.

(٢) على أن الله وحده لا شريك له / ١٢ وجيز.

(٣) والطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن موسى جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من آثار الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور من أصله ورفع فظلمه فوقهم، وقال لهم: إن قبلتم وإلا ألقى عليكم حتى قبلوا لا يقال: إنه إلقاء فيمنع التكليف، لأننا نقول إنه إكراه، وهو معدم للرضاء لا للاختيار / ١٢ كمالين قال ابن عطية: والذي لا يصح سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الإيمان لا أنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى.

وهذا تكلف ساقط حملة عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد مذهبية قد سكن قلبه إليها كغيره وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه، ونحن نقول: أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان، وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عن تكلم بكلمة الإسلام والسيف وصلت قد هزه حامله على رأسه، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتدرا عن قتله بأنه قاهها تقية ولم يكن عن

بِمِثَاقِهِمْ» بسبب ميثاقهم ليقبلوه «وَقُلْنَا» بلسان نبيهم «لَهُمْ اَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا» متواضعين منحنين «وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» لا تظلموا في اصطيد السمك فيه «وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» على ذلك «فَبِمَا نَقَضْتُمْ» ما مزيدة للتأكيد «مِيثَاقَهُمْ» فعلنا بهم ما فعلنا «وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ» المعجزات الباهرات «وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بغيرِ حَقٍّ» بعباد وتشهى نفس «وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ» في غطاء لا نسمع ما تقول أو أوعية للعلم ولا نحتاج إلى شيء آخر «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» على الأول معناه: نعم صدقوا فيما ادعوا من عدم السماع لكن يحتم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، وعلى الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من أن قلوبهم أوعية للعلم «فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم أو إلا قليلًا منهم «وَبِكُفْرِهِمْ» يعيسى «وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» نسبتها إلى الزنا «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» أي: من يزعم أنه رسول الله أو سموه رسولاً استهزاء، فالدم بسبب جرأهم على الله تعالى وتبجحهم بقتله بعد ما أظهر المعجزات «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ^(١) لَهُمْ» أي: لكن وقع لهم التشبيه بين

= قصد صحيح: "أأنت فتشت عن قلبه" وقال: "لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس". قال القفال: إنه ليس إجباراً على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار، فأما قوله: "لا إكراه في الدين" (البقرة: ٢٥٦)، وقوله: "أأنت تكره الناس" (يونس: ٩٩)، فقد كان قبل الأمر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب/ ١٢ فتح.

(١) روى النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رهطاً من اليهود اجتمعوا على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأنصاره: أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهه فيقتل فيكون معي في الجنة؟ فقال شاب منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وعلى هذا معناه لكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، وفي رواية: أن المقتول منافق دل اليهود على عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى على المنافق بعد ما رفع عيسى فقتلوه،

عيسى والمقتول فقتلوا شابا من أنصاره حسبوه عيسى، أو شبه لهم من قتلوه بأن ألقى الله على رجل من اليهود شبهه فقتل **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾** في شأن عيسى فإنهم لما قتلوا ذلك الرجل قال بعضهم: عيسى، وقال بعضهم: ليس بعيسى وجهه وجه عيسى والبدن بدن غيره، وقال بعضهم: كذاب قتلناه وقال بعضهم: ابن الله رفع إلى السماء **﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾** تردد من قتله **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾** لكنهم يتبعون الظن **﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾** يقينا تأكيد لـ "ما قتلوه" نحو: ما قتلوه حقاً أي: حق انتفاء قتله حقاً قيل: "ما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين **﴿بَلْ رَفَعَهُ﴾** (١) اللَّهُ إِلَيْهِ **﴿فَإِنَّ السَّمَاءَ حُلَّ ظَهْوَرِ سُلْطَانِهِ﴾** **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾** لا يغلب إراداته **﴿حَكِيمًا﴾** فيما دبر **﴿وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** أي: أحد منهم **﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** أي: قبل موت عيسى بعد نزوله عند قيام (٢) الساعة فيصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية، أو قبل موت الكتابي إذا وقع في الباس حين لا ينفعه إيمانه **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** يشهد عليهم أنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية، قيل: يشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله **﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾** (٣) **﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾** أي: ما استمر

= أي: شبه لهم من قتلوه فشبهه مسند إلى ضمير المقتول الدال عليه "إنا قتلنا" ولهم: فاعل شبه/ ١٢ فتح.

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: رفعه الله إليه فهو عنده في السماء/ ١٢ منثور.

(٢) أي: قربها كما ورد في حديث رواه البخاري/ ١٢ كمالين. [كذا قال وأخرجه مسلم (٧٥٣/٥) ط الشعب.]

(٣) قال الواحدي: وأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف كان ومتى كان وعلى لسان من حرم فلم أحد فيه شيئاً انتهى إليه فكرته. قال الخازن: ولقد أنصف الواحدي فيما قال؛ فإن هذه الآية في غاية الإشكال انتهى/ ١٢ فتح.

تحريمها إلا بظلم عظيم منهم، "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" الآية (الأنعام: ١٤٦)، ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ صدًا كثيرًا أو ناسًا كثيرًا ﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة وغيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من آمن وتاب ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لكن الراسخون^(١) في العلم منهم ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم وقيل أي: الصحابة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خير المبتدأ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح، وهو شائع في كلام الفصحاء، وقيل: مخفوض عطف على ما أنزل أي: آمنوا بإقامة الصلاة أي بوجوبه، أو المراد بالمقيمين: الأنبياء ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) بالله واليوم الآخر ﴿قَدِمَ الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ، لَأَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ﴾ ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿١٣٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٣٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

(١) الثابتون فيه وهم في الحقيقة المستدلون، لأن المقلد يكون بحيث إذا شكك يشك، وأما المستدل فإنه لا يتشكك البتة، فالراسخون هم المستدلون/ ١٢ كبير.

(٢) يعنى الظاهر تقديم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالقرآن والكتب، لكن المقصود من الآية: وصفهم بصفة أنهم آمنوا بك وبجميع الأنبياء قبلك فإن أهل الكتب مؤمنون بالله لكن لا يؤمنون ببعض الأنبياء/ ١٢ منه.

حَكِيمًا ﴿١٣٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
 يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ
 وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٣٩﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا
 خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿١٤٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
 فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ
 سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿١٤١﴾

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا^(١) إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعنى شأنك في
 الوحي كشأن الأنبياء فما لهم والعناد معك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أي: أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَى وَيُوسُفَ
 وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصهم بالذكر؛ لأنهم أشرف الأنبياء ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

(١) الوحي إعلام في خفاء وخص نوحًا حال كونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع
 وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض
 بدعائه وكان أبا البشر كآدم وأطول الأنبياء عمرًا وصبر على أذى قومه طول عمره/

وَرُسُلًا ﴿ نَصَبَ عَلَى مَضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَوْحِينَا أَيُّ: أَوْحِينَا إِلَيْكَ وَأَرْسَلْنَا رَسُولًا أَوْ عَلَى مَضْمَرٍ يَفْسِرُهُ قَوْلُهُ: ﴿قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ فِي السُّورَةِ الْمَكِّيَّةِ ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ^(١) اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رَسُولًا﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ أَوْ عَلَى الْحَالِ أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ أَرْسَلْنَا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بِالثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بِالْعِقَابِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فَيَقُولُوا مَا أَرْسَلْتِ إِلَيْنَا رَسُولًا يَعْلَمُنَا الدِّينَ مَتَعَلِقًا: بـ "أَرْسَلْنَا" وَبـ "مُنْذِرِينَ" وَمُبَشِّرِينَ وَأَحَدَ الْمَجْرُورِينَ خَيْرٌ كَانَ، وَالْآخِرُ حَالٌ وَالظَّرْفُ لِحُجَّةٍ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فِيمَا أَرَادَ وَدَبَّرَ ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ اسْتَدْرَاكٌ عَمَّا فَهَمَ^(٢) مِنْ قَبْلِ مَنْ تَعَتَّبَهُمْ بِأَهْمٍ لَا يَشْهَدُونَ ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّلَالَةَ عَلَى نَبِيِّكَ ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ﴾ مَتَلْبَسًا بِعِلْمِهِ الَّذِي

(١) أَخْبَرَ بِأَنَّهُ شَرَفَ مُوسَى بِكَلَامِهِ وَأَكَدَهُ بِالمَصْدَرِ دَلَالَةً عَلَى وَقُوعِ الفِعْلِ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا عَلَى المَجَازِ/ ١٢ وَجِيز.

قَالَ الفَرَاءُ: إِنَّ العَرَبَ تَسْمِي مَا وَصَلَ الْإِنْسَانَ كَلَامًا بِأَيِّ طَرِيقٍ وَصَلَ مَا لَمْ يُوَكِّدْ بِمَصْدَرٍ، فَإِذَا أَكَّدَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَقِيقَةَ الكَلَامِ، قَالَ النُّحَاسُ: وَأَجْمَعَ النُّحَوِيُّونَ عَلَى أَنَّكَ إِذَا أَكَّدْتَ الفِعْلَ بِالمَصْدَرِ لَمْ يَكُنْ مَجَازًا فِيهِ، رَدَّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا فِي مَحَلِّ فَسَمِعَ مُوسَى ذَلِكَ الكَلَامَ، أَخْرَجَ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ وَالحَكِيمُ التَّرْمِذِيُّ فِي نَوَادِرِ الْأَصُولِ وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالحَاكِمُ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قُلْتُ: كَمْ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشْرٌ جَمِ غَفِيرٌ"، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ أَبِي أَمَامَةَ مَرْفُوعًا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: "وَالرُّسُلُ ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ عَشْرٌ"، وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَالحَاكِمُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ أَنَسِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ فِي مَن خَلَا مِنْ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ نَبِيٍّ ثُمَّ كَانَ عَيْسَى ثُمَّ كَانَ أَنَا بَعْدَهُ/ ١٢ فَتَحَ.

(٢) لِأَنَّهُ مَتَعَلِقٌ بِحُجَّةٍ لِأَنَّ المَصْدَرِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ/ ١٢ مِنْهُ.

أراد أن يطلع عباده من صفاته ومغيباته وأوامره ونواهيها، أو أنزله علماً بأنك أهل لانزاله إليك **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾** أيضاً بنبوتك نزلت في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك" (*) **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾** فإنه أقام الحجج والبيانات الواضحة على صحة نبوتك **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** فإنهم جمعوا بين الضلال والإضلال **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾** محمداً صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته أو الناس بصددهم أو أنفسهم **﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ^(١) لَهُمْ﴾** بعد ما ماتوا عليه أو هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر **﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾** إلى النجاة **﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾** استثناء منقطع أو متصل على السخرية **﴿خَالِدِينَ﴾** حال مقدره **﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾** أي: عدم الغفران والخلود **﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ^(٢) قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** لما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة **﴿فَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾** أي: إيماناً خيراً لكم أو اتنوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه أو يكن الإيمان خيراً لكم **﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** فهو الغنى عنكم **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾** بأحوالكم **﴿حَكِيمًا﴾** فيما أراد لكم **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** النصرى تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام بل في الأخبار، كما قال: "اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً" (التوبة: ٣١)، **﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾** لا تفتروا عليه **﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾** لكن قولوا الحق فزهوه عن شريك وولد **﴿إِنَّمَا**

(٥) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/٦) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٩٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٤٣٩/٢) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

(١) في هذه العبارة مبالغة في عدم غفرانهم، كأن غفرانهم منافية لعظمته تعالى / ١٢ وحيز.

(٢) ولما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة فقال: "يا أيها الناس" / ١٢ وحيز.

المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته» أوجده بكلمة كن ﴿ألقاها إلى مريم﴾^(١) يعني خلقه بالكلمة التي أرسل الله بها جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فترلت حتى ولجت فرجها بمرتلة إلقاح^(٢) الأب^(٣) الأم ﴿وروح منه﴾ أي: صدر منه بغير مادة وإضافة الروح إلى الله للتشريف ﴿فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة﴾ أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿انتهوا﴾ عن التثليث واثتوا أمرا ﴿خيرًا لكم إنمّا الله إله واحد﴾ لا تعدد فيه أصلاً ﴿سبحانه﴾ أي: أسبح سبحانه من ﴿أن يكون له ولد﴾ و﴿وكفى بالله وكيلًا﴾ فلا يحتاج إلى ولد؛ لأن الولد وكيل والده وهو وكيل كل شيء.

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ ﴿١٢﴾

(١) عن أبي موسى أن النجاشي قال لجعفر: "ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجته من البتول العذراء لم يقرها بشر فتناول عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان! ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه"، وعن ابن مسعود بأطول من هذا وأخرج البخاري عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإمّا أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل" أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.

(٢) يقال: ألقح الفحل الأنثى فلقحت/ ١٢ .

(٣) صرح بذلك ابن عباس وغيره/ ١٢ وجيز.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
 وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
 دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٢٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ
 فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٢٨﴾
 يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِن مَرْوًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ
 فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا
 الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾

﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ﴾^(١) الْمَسِيحُ ﴿لَنْ يَأْتِيَ مِنْ﴾ «أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ» فَإِنْ عبوديته شرف،
 قيل: نزلت حين "قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب عيسى
 تقول: إنه عبد الله؟ قال: إنه ليس بعار أن يكون عبدًا لله قالوا بلى" ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) عطف على المسيح أي لا يستنكفون مع أن ما بعثكم في دعوى الإلهية

- (١) اصله من نكفت الدمع: إذا نحته عن خدك بأصبعك كى لا يرى أثره عليك/ ١٢ وحيز.
- (٢) قد استدل بهذا القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء وقرر صاحب الكشف وجه
 الدلالة بما لا يسمن ولا يغنى من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق
 العربي إذا خالطه محبة المذهب وشابه شوائب الجمود كان هكذا أو كل من يفهم لغة
 العرب يعلم أن من قال لا يأتي من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق
 جليل ولا حقير، لم يدل هذا على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه، وعلى
 كل حال فما أبرد الاشتغال بهذه المسألة، وما أقل فائدتها وما أبعدا عن أن يكون
 مركزًا من مراكز الدينية وجسرًا من الجسور الشرعية.

لعيسى أقوى وأشد^(١) فيهم لا أب ولا أم لهم ولهم قوة لا تفيء بها طاقة البشر كقلع الجبال والتصرف في الأحوال والأحوال وهم مع ذلك لا يستنكفون ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ الاستكفاف تكبر مع أنفة والاستكبار بدونه ﴿فَسِيحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ مجازاة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وهذا تفصيل للمجازاة العامة^(٢) الدال عليها فحوى الكلام، وإن لم يجر سوى ذكر المستنكفين فكأنه قال: ومن استنكف ومن آمن فسيحشرهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٣) قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ^(٤) مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعنى: محمداً عليه الصلاة والسلام أو القرآن وقيل: المعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ أي: القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ جمع بين مقامى العبادة والتوكل على الله أو اعتصموا بالقرآن ﴿فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ زائد على قدر أعمالهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ

(١) هذه الآية على ما قدرنا وفسرنا لا تدل على تفضيل الملك نعم تدل على كثرة قوتهم وغلبيتهم / ١٢ منه.

(٢) جواب عن سؤال وهو أن التفصيل وهو قوله: فأما الذين آمنوا وأما الذين استنكفوا مشتمل على ذكر الفريقين المستنكفين وغيرهم والمفصل أي: الجمل الذى فصل وهو المذكور بقوله: "ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم" إنما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين فقط وحاصل الجواب أن ذكر الفريق الآخر مطوى في المفصل / ١٢ منه.

(٣) ولما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم دعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الإيمان بالكتاب الذى أنزل معه والاعتصام به فقال: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان" الآية / ١٢ كبير.

(٤) والبرهان ما يبرهن به على المطلوب قال قتادة: البرهان البينة وقال مجاهد: الحجة / ١٢ فتح.

إِلَيْهِ» إِلَى اللَّهِ «صِرَاطًا^(١) مُسْتَقِيمًا» فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَهَمَّ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْهَاجِ
الاستقامة، وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ يَفْضِي إِلَى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، وَصِرَاطًا: إِمَّا
بَدَلَ مَنْ إِلَيْهِ أَوْ مَفْعُولٌ يَهْدِيهِمْ وَإِلَيْهِ حَالٌ مُقَدَّمٌ «يَسْتَفْتُونَكَ» أَي: عَنِ الْكَلَالَةِ «قُلِ
اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» نَزَلَتْ فِي جَابِرٍ^(٢) بَنِ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ "سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ مَرِضَ وَكَلَلَهُ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟" «إِنْ أَمْرُؤٌ» مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ
يُفْسِرُهُ مَا بَعْدَهُ «هَلَكَ» مَاتَ «لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» أَصْلًا وَلَا وَالِدًا أَيْضًا فَإِنَّ الْأَخْتَ لَا
تَرِثُ مَعَ الْأَبِ، وَهُوَ صِفَةٌ لِأَخِيرِ^(٣) «وَلَهُ أُخْتٌ» أَي: مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَوْ الْأَبِ، فَإِنَّ ذَكَرَ
وَلَدَ الْأُمِّ مَضَى حُكْمُهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ «فَلَهَا نِصْفٌ مِمَّا تَرَكَ وَهُوَ» أَي الْمَرْءُ «يَرِثُهَا»
أَي الْأَخْتَ «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا»^(٤) «وَلَدٌ» أَي إِذَا مَاتَتِ الْأَخْتُ فَجَمِيعُ مِيرَاثِهَا لِلْأَخِ إِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ أَصْلًا وَلَا وَالِدٌ «فَإِنْ كَانَتَا» أَي: الْأَخْتَانِ «اثْنَتَيْنِ» فَصَاعِدًا «فَلَهُمَا
الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ» الْأَخِ «وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالًا وَنِسَاءً» أَصْلُهُ: وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً
وَأَخْوَاتٍ فَغَلَبَ الذَّكَرُ «فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ» الْحَقَّ كِرَاهَةَ
«أَنْ تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فَهُوَ عَالِمٌ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

والحمد لله حق حمده

(١) وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْتُورِ: "إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ فَمَنْ سَلَكَهُ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ"، وَلَمَّا قَالَ:
وَاعْتَصِمُوا بِالْقُرْآنِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِعْتِصَامِ السُّؤَالُ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ السُّورَةُ بَيْنَةُ
لِلْمَوَارِيثِ، وَقَدْ اسْتَفْتُوا فِي الْكَلَالَةِ احْتَمَمَ السُّورَةَ فِي بَيَانِهَا فَقَالَ: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي الْكَلَالَةِ"
الآيَةُ/ ١٢ وَجِيز.

(٢) كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ/ ١٢ وَجِيز.

(٣) رَدَّ عَلَى الْقَاضِي حَيْثُ قَالَ: إِمَّا صِفَةٌ أَوْ حَالٌ/ ١٢ مِنْهُ.

(٤) فَإِنَّ كَانَ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرَ فَلَا شَيْءَ لَهُ أَوْ أَنْثَى فَلَهُ مَا فَضَّلَ عَنْ نَصِيبِهَا/ ١٢.

سورة المائدة مدنية

وهي مائة وعشرون آية وستة عشر ركوعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَقْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ الطَّيِّبِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا^(١) بِالْعُقُودِ﴾ أى: اليهود وهو ما حد في القرآن كله
 ﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ^(٢) بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ تفصيل للعقود والإضافة بيانية وهى الإبل والبقر
 والغنم وألحق بها الطباء وبقر الوحش ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه أو إلا محرم ما يتلى
 عليكم وهو قوله: "حرمت عليكم الميتة" (المائدة: ٣) ﴿غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من
 ضمير^(٣) لكم أو من ضمير أوفوا ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال من ضمير محلي يعنى أحلت
 لكم جميع الأنعام إنسيًا ووحشيًا وإحلالها عن عمومها مختص بحال كونكم غير محلين
 للصيد فى الإحرام إذ معه تحريم البعض وهو الوحشى أو الأول: حال من الفاعل
 الحقيقى المتروك لأحلت، والثانى: حال من ضمير لكم المقدر أى: أحللنا حال كوننا
 غير محلين الصيد لكم فى حال إحرامكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من تحليل وتحريم
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: مناسك^(٤) الحج أو محارم الله أو الهدايا
 المعلمة للذبح بمكة ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بعدم تعظيمه والقتال فيه والجمهور على أنه
 منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك فى أشهر الحرم ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى

(١) الوفاء والإيفاء هو القيام بمقتضى العهد/ ١٢ وجيز.

(٢) نقله البغوى عن الحسن وقتادة ثم قال: وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: بهيمة الأنعام هى الأجنة. ومثله عن الشعبي قال: هى الأجنة التى توجد ميتا فى بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، ثم ذكر حديث أبى سعيد وحديث جابر "ذكاة الجنين ذكاة أمه" / ١٢ معالم.

(٣) عليه كلام الجمهور وذهب إليه الزمخشرى وتعقب وأجيب / ١٢ فتح.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد، والثانى لعطاء، والثالث لأبى عبيدة كذا قال البغوى / ١٢.

الكعبة بأن تعرضوا له **﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾**: ذوات القلائد من الهدى ذكرها لأنها أشرف الهدى، قال بعضهم: معناه لا تركوا الإهداء إلى البيت، ولا تركوا تقليدها في أعناقها **﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾** أى: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾**: رزقا بالتجارة حال من ضمير آمين **﴿وَرِضْوَانًا﴾** بزعمهم؛ لأن الكافرين ليس لهم نصيب من الرضوان، نزلت فيمن أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر من البيت فأراد بعض الصحابة أن يتعرضوا عليه في طريقه إلى البيت، وهذا الحكم منسوخ الآن فيهم. قال بعضهم: أهل الجاهلية يقلدون أنفسهم بالشعر والوبر في سفر الحج في غير أشهره وإبلهم من لحا شجر الحرم فيأمنون به، فنهى الله التعرض لهم بقوله: "ولا القلائد" وهو أيضا منسوخ وقيل: معناه يتقلدون من لحا شجر الحرم فنهى الله عن قطع شجرة **﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾**: من الإحرام **﴿فَاصْطَادُوا﴾** إذن في الاصطياد بعد الإحرام **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾**: يحملنكم **﴿شَنَّانُ قَوْمٍ﴾**: بعضهم **﴿وَأَن صَدُّوَكُمْ﴾** أى: لأن صدوكم **﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** وقرئ إن فحرف الشرط معترض بين العامل والمعمول **﴿وَأَن تَعْتَدُوا﴾** بالانتقام وهو ثانی مفعولى يجرمنكم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، نزلت حين أراد الصحابة صد بعض المشركين عن العمرة انتقاما من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾** المأمورات عطف على لا يجرمنكم **﴿وَالتَّقْوَى﴾** عن المنهيات **﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾**: المعاصي **﴿وَالْعُدْوَانَ﴾**: الظلم **﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾** أى: المسفوح^(١) **﴿وَلَحْمُ الْخِتَابِيِّ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ﴾**^(٢) به لقوله عند الذبح: بسم اللات والعزى، والإهلال: رفع الصوت

(١) أى: المصبوب السائل/ ١٢.

(٢) فإنه وإن ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وإن لم

يذكر فقد زيد في تنجيسه/ ١٢ تبصير الرحمن.

﴿وَالْمُنْحَنَةَ﴾: التي ماتت بالخنق ﴿وَالْمَوْقُودَةَ﴾ هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، وذلك من عادات الجاهلية ﴿وَالْمُتْرَدِيَةَ﴾ التي أطيحت^(١) من موضع فماتت ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾ كشاتين تناطحتا فماتتا أو ماتت إحداهما، والتاء فيها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: منه فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وفيه حياة^(٢) مستقرة فإنه حلال ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾^(٣) هي حجارة حول

(١) تطاوت بهم النوى أى: ترامت/ ١٢ صراح.

(٢) قال الشوكاني: وأما البنادق المعروفة الآن وهي بنادق الحديد التي يجعل فيها البارود والرصاص ويرمى بها فلم يتكلم عليها أهل العلم لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا في المائة العاشرة من الهجرة وقد سألتني جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تركيته حيًا، والذي يظهر لي أنه حلال لأنها تحرق وتدخل في الغالب من جانب منه وتخرج من جانب الآخر، وفي الحديث الصحيح في الصحيحين: "إذا رميت بالمعراض فحرق فكله" فاعتبر الخرق في تحليل الصيد/ ١٢ فتح. [أخرجه البخاري (٥٤٧٧) ومسلم (٥٩٠/٤) ط الشعب].

(٣) وإن لم يسمع فيه إهلال غير الله وزعم صاحبه أنه ذبح لله فلا يسمع منه. هذا ما في تبصير الرحمن، والأنصاب: جمع نُصْب بضمين أو جمع نُصْب بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك، هذا في مجالس الأبرار، وقال الشيخ ولي الله الدهلوي في الترجمة الفارسية: المشهور بفتح الرحمن وحرام است إنجه ذبح كرده باشيد برنشا نهائي معبود باطل مترجم كويد يعنى برصورت وقبر والله أعلم، وفي الحديث الذي رواه أبو داود: "لا عقر في الإسلام قال أبو داود: قال عبدالرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعنى ببقرة أو بشيء، وقال الشوكاني: قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هدى أو أضحية أو نسل، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فهو عبادة لا تكون إلا لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله ودليل الكبرى قوله تعالى: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (هود: ٥٠) و"فإياى فاعبدون" (العنكبوت: ٥٦) و"إياك نعبد" (الفاتحة: ٥) و"قضى

البيت يذبحون عندها وينضحونها بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك، وقال بعضهم: هي الأصنام ومعناه: ما ذبح على النصب، وعلى هذا هو وما أهل لغير الله واحد ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أى: حرم الاستقسام بالأزلام وهى عبارة عن قداح مكتوب فى بعضها افعل وفى بعضها لا تفعل، وبعضها غفل لاشيء عليه، يستقسمون بها فى الأمور فإذا خرج الأمر فعليه وإذا خرج الناهى تركوه وإذا خرج الغفل أحالوها ثانياً ﴿ذَلِكَمْ فِسْقٌ﴾ أى: تعاطيه فسق وضلالة وجهالة ﴿الْيَوْمَ﴾ أريد به الأزمان الحاضرة ﴿يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: من إبطاله بأن ترجعوا إلى دينهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: بعد ما أظهرت دينكم ﴿وَأَخْشَوْنِ﴾: أخلصوا الخشية لى

غيره" (هود: ٥٠) و"قِيَائِي فاعبدون" (العنكبوت: ٥٦) و"إياك نعبد" (الفاتحة: ٥) و" قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" (الإسراء: ٢٣) و"ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" (البينة: ٥) انتهى. أقول: ودليل الصغرى قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢) "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين" (الأنعام: ١٦٢) وفى حديث مسلم: "لعن الله من ذبح لغير الله"، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب قال: "مر رجلاً، على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئاً فقالوا لأحدهم: قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار قالوا للآخر قرب فقال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة. وفى حديث آخر رواه أبو داود: "اذبحوا لله فى أى شهر" كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل العتيرة وفى التفسير النيسابورى قال العلماء: ولو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا ذبيحته ذبيحة مرتد، وفى الدر المختار ذبح لقدم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى عليه ومثل هذا فى القاضى خان والعالمكيرية وفتاوى الإبراهيم الشامى وقد ذكرنا عبارة الصراط فى البقرة فارجع إليها تجدها شافية مغنية فى المسألة/ ١٢.

﴿الْيَوْمَ﴾ قيل المراد يوم التزول يوم عرفة في حجة الوداع ﴿أَكْمَلْتُ﴾^(١) لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فلا زيادة بعده ولم يتزل بعده حرام ولا حلال ﴿وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بالهداية وإكمال الدين ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ من بين الأديان فلا أسخطه أبداً، ودينا، إما حال أو تمييز ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: جماعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ غير مائل لمعصية بأن يأكلها تلهذاً أو مجاوزاً حد الرخصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث رخص فلا يؤاخذ به ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت حين سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله قد حرم الميتة فماذا يحل لنا؟ وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^(٢) ﴿أى: الذبائح الحلال، وقيل: كل ما يستطيعه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾^(٣) يعنى

(١) إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملاً وإذا حصل النص في الوقائع وفي الآية دلالة على بطلان القياس وعلى أنه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقائع إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملاً وإذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس إن كان على وفق ذلك النص كان عبثاً وإن كان على خلافه كان باطلاً، وقد أجاب مثبتو القياس عن هذا بما لا يكفي في الجواب والله أعلم بالصواب/ ١٢ فتح البيان.

(٢) كل ما يستطيعه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص والعبارة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الجميلة من العرب، فإن أهل البادية منهم يستطيعون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث" (الأعراف: ١٥٧) فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصاً فيما يحل ويحرم/ ١٢ فتح.

(٣) والحق أنه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره وبين الأسود وغيره وبين الطير وغيره ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية سؤال عدى بسن أبي حاتم [كذا بالأصل، والمشهور أنه عدى بن حاتم] عن صيد البازي/ ١٢ فتح.

أحل لكم صيد ما علمتم من كواسب الصيد على أهلها من سباع وطيور ﴿مُكَلَّبِينَ﴾ حال كونكم معلمين إياه الصيد وذكرها للمبالغة في التعليم ﴿تَعَلَّمُوا هُنَّ﴾ حال أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من طرق التأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئاً منه ولم يدركه صاحبه حياً فيذبحه فهو حرام، وبعض آخر منهم على وابن عباس على حلتها وإن أكل منه ثلثيه ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: على ما علمتم أى عند إرساله إلى الصيد وهذا الأمر على الندب عند الأكثرين ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بما كسبت أيديكم ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: الذبائح على اسم الله ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى يعنى ذبائحهم ﴿حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾. بمعنى حل وجاز لكم أن تطعموهم ^(١) من ذبائحكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر العفائف أو الحرائر أو العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية، وهو يعم كل كتابية عفيفة، وقيل: المراد بها الذميات دون الحريات، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما-: لما نزلت "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن" ^(٢) (البقرة: ٢٢١) حجر الناس عنهن حتى نزلت والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فنكح الناس نساء أهل الكتاب ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهن وتقيدهن الحل به لتأكيد وجوبها ^(٣)، وقيل المراد بإيتائها: التزامها محصنين ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مجاهرين بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ مسريرين به والخدن: الصديق. بعض السلف ذهب إلى أنه لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقسد

(١) فالخطاب مع المسلمين حقيقة؛ لأن أهل الكتاب كفار من زماننا لا يأمرؤن بحلال

وحرام/ ١٢ وجيز.

(٢) فلا ينبغي دخول زوج بزوجة إلا بعد بذل مهرها/ ١٢ وجيز.

الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وسيأتى الكلام^(١) فيه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: بالله الذى يجب الإيمان به، قيل: أراد بالكفر الإنكار، وبالإيمان: الشرائع والإسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ

(١) قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية" (النور: ٣) / ١٢ منه.

(٢) ولما افتتح بالأمر بإيفاء العقود وذكر تحريمًا وتحليلًا فى المطعم والمنكح اللذين هما رأسا

المستلذات الجسمانية استطردها منها المعاملات الأخرى وابتدأ بالطهارة فقال: "يا أيها

الذين آمنوا" / ١٢.

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أى: إذا أردتم القيام إليها وهو مطلق
أريد به التقييد أى: إذا قمتم إليها^(١) محدثين وقيل: الأمر شامل للمحدثين على الإيجاب
وللمطهرين على وجه الندب وقال بعضهم: إن الآية نزلت إعلاماً من الله أن الوضوء لا
يجب إلا عند القيام إلى صلاة دون غيرها من الأعمال؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان
إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ ﴿فَاغْسِلُوا﴾^(٢) وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
إِلَى الْمِرْفَاقِ ﴿أى مع المرافق فالجمهور على دخول المرفقين في المغسول، قيل: ومنه علم
وجوب النية كما إذا قلنا إذا رأيت الأمير فقم أى: فقم له ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾
الباء للإلصاق ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصبه نافع والكسائي وابن عامر وحفص
ويعقوب عطفاً على وجوهكم، وجره الباقي وعلى الإنصاف ظاهر قراءة النصب على
وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب^(٣) المسح، فإن جر الجوار وإن كان باباً
واسعاً فهو خلاف^(٤) الظاهر، والأحاديث الصحاح تدل على وجوب الغسل دلالة لا

(١) والدال على هذا مقابله بقوله: "وإن كنتم جنباً" كأنه قال: إن كنتم محدثين الحدث
الكبير فاغسلوا جميع الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) الفاء دال على أن أول واجب في الوضوء غسل الوجه/ ١٢ وجيز.

(٣) وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله:
"إلى الكعبين" لأن المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الإسراف/ تبصير
الرحمن.

(٤) مع أن جر الجوار إن وقع في فصيح فهو بدون الواو فظاهر القرآن المسح على قراءة الجر
ونعم ما حققه الزمخشري أن الرجل من الأعضاء المغسولة مظنة إسراف الماء فعطف على
المسوح تنبيهاً على وجوب الاقتصاد في صب الماء، فإن المسح والغسل متقاربان فسهل

.....

= عطف أحدهما على الآخر نحو: متقلداً سيفاً وريحاً فعدل إلى المجاز للإيجاز وقرينة المجاز أنه يجيء بالغاية إلى الكعبين فإن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، والمراد: فاعسلوا أرجلكم غسلًا خفيفًا واختصر بعطفه على المسوح، وفي باب التيمم "فامسحوا بوجوهكم" (المائدة: ٥): وجوب استيعاب جميع الوجه بالتراب، فالمسح بالماء في الأرجل كذلك والأحاديث الصحاح التي قاربت التواتر على وجوب الغسل والوعيد على تركه فالقول ما قالت حذام/ ١٢ وجيز.

اختلف العلماء في هذا الحكم، وهل فرض لرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضًا، ويروى عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح، والسنة بالغسل، وعن عكرمة قال: ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح، وعن الشعبي أنه قال: إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل، ومذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح. وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم: إن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري: يجب الجمع بينهما، وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري: المكلف مخير بين الغسل والمسح، والحق ما قال الجمهور؛ لأنه قد ثبت في السنة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وقوله وعمل أصحابه وقولهم والتابعين وقولهم هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن مع ضميمة من الفتح/ ١٢.

وأما من جعل كسر اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم: جحر ضب الخرب وقال: الخرب نعت للجحر لا للضب، وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس يجيد؛ لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة في الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس؛ لأن الخرب لا يكون نعتًا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، أما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب/ ١٢ باب التأويل.

محيص عنها **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾** ^(١) فاغتسلوا **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** ^(٢) منه قد مر تفسيره في سورة النساء ولعل فائدة التكرار بيان أنواع الطهارة هنا أيضا **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾** : بما فرض من الغسل والوضوء والتيمم **﴿مَنْ حَرَجَ﴾** : ضيق **﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** : من الإحداث والذنوب **﴿وَلَيْتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾** : بيان ما هو مطهرة للقلوب والأبدان عن الآثام والإحداث **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** : نعمتي فأزيدها عليكم **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** : من القدم والحديث لأجل الدين والدنيا **﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** حين بايعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في منشطهم ومكرهم أو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من العهود في متابعة محمد عليه الصلاة والسلام **﴿وَوَاثَقُوا اللَّهَ﴾** في نقض عهده **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بخفياتها فضلا عن جلياتها **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾** أى: قائمين بالحق لله لا للرياء **﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾** بالعدل لا بالجور **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾** يحملنكم **﴿شَنَّانُ قَوْمٍ﴾** عداوتهم **﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾** بل الزموا العدل مع العدو والصديق **﴿اغْدُلُوا هُوًا﴾** أى: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** اللام للاختصاص واستعمل أفعال التفضيل في محل

(١) لما ذكر الطهارة الصغرى أعقب بالطهارة الكبرى والظاهر أن الجنب مأمور بالاغتسال، ولهذا قال ابن مسعود: لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء والجمهور على أنه يتيمم؛ ونقل أنه رجع إلى ما عليه الجمهور للحديث/ ١٢ وحيز.

(٢) قد مر تفسير الآية في سورة النساء إلا أن في هذه الآية زيادة منه وهي دالة على أن يمسح بعضه ولا يتيمم بصخرة لا تراب عليه/ ١٢ وحيز.

ليس في الجانب الآخر منه شيء كقوله تعالى: "أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً" (الفرقان: ٢٤) وكم مثله في كلام البلغاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مستأنفة مبنية لثاني مفعولى وعد أو وعد واقع على تلك الجملة كأنه قال: وعدهم هذا القول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا ينفكون عنها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ مَعَكُمْ﴾ متعلق بنعمة الله ﴿قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ رد مضرها عنكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فمن توكل عليه كفاه الله أربه، نزلت لما أراد قوم من العرب أن يكبوا على رسول الله وأصحابه صلى الله عليه وسلم إذا اشتغلوا بصلاة العصر، فأخبرهم جبريل وجاء بصلاة الخوف. أو في قوم من اليهود صنعوا طعاماً ليقتلوهم فأوحى الله إليهم بشأهم. أو في بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأسه عليه الصلاة والسلام الرحا إذا جلس تحت الجدار فأطلعه على كيدهم، أو في قوم أرسلوا أعرابياً لقصده فجاءه وهو صلى الله عليه وسلم راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى؟ فقال الله فأسقطه جبريل من يده وأخذ الرسول (*).

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ

(٥) لفظ المصنف ذكره الحافظ في "الفتح" (٤٩٢/٧) وأصل الحديث أخرجه البخاري في "الغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦) ومسلم في "صلاة المسافرين وقصرها" / باب: صلاة الخوف (٤٩٣١٢).

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٢٧﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلَعُ
عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا
حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٣٠﴾ يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مِنَ ابْنِ مَرْيَمَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣٣﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٤﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما أمر المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالحق والعدل وذكرهم نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود على من كان قبلهم وطردهم ولعنهم لما نقضوها ليتعظ المؤمنون ﴿وَوَعَّضْنَا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١) كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿لئن﴾ أى: والله لئن ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ صدقتموهم بما جاءوا به ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم وعظمتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تنفقوا في سبيل الخيرات نصب بالمصدر أو بالمفعول الثاني ﴿لَأُكْفِرَنَّ﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها ﴿الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ صراط الحق فإن الضلال بعده أظهر وأعظم وأقبح ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يابسة غليظة لا تنتفع بالمواعظ وقرئ قسية أى: مغشوشة^(٢) ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ كلام الله ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ يبدلون نعت محمد أو يأولون الآيات بسوء تأويل ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا نصيبهم من التوراة فلم يعملوا بها أو زلت بعض آياتها عن حفظهم

(١) لما هلك فرعون واستقر بنو إسرائيل في مصر أمرهم الله بالمسير إلى أرض الشام والجهاد مع سكانه، وكان مسكن الجبابرة، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا فاختر موسى اثني عشر نقيباً، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنوا أرض الشام بعث النقباء لتجسس الجبابرة فأروا أجراماً عظيمة وشوكة فرجعوا وهي أكثر قومهم عن الجهاد وخوفوهم مع أن موسى نهي النقباء أن يحدثوا قومهم بحكايات الجبابرة وأخبارهم / ١٢ منه.

(٢) نحو درهم قسي من القسوة، فإن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيها ييس وصلابة / ١٢ وجيز.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾^(١) خيانة وغدر فاعل بمعنى المصدر
﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا استثناء من ضمير منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ نسخ
بآية السيف، وقيل: معناه إن تابوا أو عاهدوا والتزموا الجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) تعليل للأمر بالعفو ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(٣) أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ ﴿كما أخذنا من اليهود، سماؤ أنفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله ﴿فَتَسُوا
حَطًّا﴾: نصيبًا وافيًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام
﴿فَأَعْرَبْنَا﴾ أَلصقنا وأوقعنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى أو بين فرق^(٤) النصارى
وهم كذلك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾ بشنيع صنيعهم بأقطع جزاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ عام لكل كتابي ﴿قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كآية الرجم
وبشارة عيسى بأحمد ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ لا يتعرض لكثير مما حرفوه وأخفوه لأنه لا
يحتاج إلى بيانه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أى: قرآن أو محمد عليه الصلاة والسلام
﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ﴾ أى: بالنور والكتاب المبين، فإنهما واحد أو فى حكم

(١) يعنى هذا دأهم وعادة آبائهم من خيانة الرسل وقتلهم الأنبياء فهم لا يزالون يجزونونك
ويظهرون عليك أعداءك/ ١٢ وجيز.

(٢) ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" يعنى لا تدعوا الإحسان
فى شيء حتى فى القتل/ وجيز. [أخرجه مسلم (٦٢٢/٤) ط الشعب]

(٣) لأنهم من قرية بالشام تسمى ناصرة، وظاهر سوق العبارة مشعر بأن هذا الاسم من عند
أنفسهم وزعمهم أنهم أنصار الله، وأما من قال "نحن أنصار الله" (الصفات: ١٤) فهم
الحواريون وهم مؤمنون حقا وليس منهم الاختلاف، وجاء الاختلاف ممن يدعى
تبعيتهم/ ١٢ وجيز.

(٤) وهو الظاهر/ وجيز.

الواحد ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من آمن منهم ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة والنجاة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى الإيمان ﴿بِيَاذِنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١): يوصلهم إلى رحمة الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾^(٢) ابن مَرْيَمَ ﴿اليعقوبية من النصارى قالوا: المسيح هو الله ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: من يستطيع إمساك^(٣) شئ من قدرة الله ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أى: هو وجميع الخلائق مقهور تحت قدرته قابل للفناء فلا يكون إلها ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إيجاد شيء من غير أصل ومادة ولا أب وأم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أى: هو كالأب لنا فى العطفة أو وجدوا فى التوراة يا أبناء أبحارى فبدلوا بيا أبناء أبحارى، وقيل: نحن أبناء رسل الله وقيل: جمع ابن الله للابن وأشياعه والابن يزعم الفريقين عزيز وعيسى كقول أقارب الملك: نحن الملوك ﴿وَأَحْيَاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾: فى الدنيا والآخرة، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح^(٤) لتعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهو من آمن برسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من مات

(١) عليه الرب سبحانه كما ورد "إن ربي على صراط مستقيم" / ١٢ وجز.

(٢) قيل: ما صرح أحد من النصارى بذلك لكن لما اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة، واعترفوا بأن الله موجود لزمهم القول بأن الله هو المسيح لا غير / ١٢ منه.

(٣) حقيقة الملك الضبط والحفظ عن حزم يقال: ملكت الشيء إذا دخل تحت ضبطك دخولا تاما ولا أملك رأس البعير إذا لم تستطعه / ١٢.

(٤) فإن المسخ والخسف تعذيب البتة وليس بتأديب / ١٢ منه.

على الكفر لا مزية لكم على سائر الخلق ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازى المحسن والمسيء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: الدين ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ﴾^(١) مِّنَ الرُّسُلِ ﴿أَي جَاءَ عَلَى حِينِ فَتْوَرٍ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ حَالٍ مِنْ ضَمِيرٍ بَيْنَ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ كَرَاهَةٍ أَنْ تَقُولُوا ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فتعذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ أى: لاتعذروا فقد جاءكم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) فقادر على إرسال الرسل ترى، وعلى الإرسال على فتوة، وعلى عقاب العاصي وثواب المطيع.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ يَتَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴿١٢٣﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا

(١) أما الفترة بين أحمد وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما خمسمائة وستون، وقيل: سبع مائة، وقيل غير ذلك، وذكر ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس والزحشرى عن الكلبي عن الفترة بين عيسى وموسى عليهما السلام ألف وسبعمائة وسنة/ ١٢.

(٢) ولما ذكر تمردهم وكذبهم أخذ يذكر تمرد أسلافهم على موسى مع تذكيره إياهم بنعم الله تعالى حتى لا يطمع محمد صلى الله عليه وسلم في إخلاصهم فقال: "وإذ قال موسى لقومه" الآية/ ١٢ وجيز.

مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
 فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾
 كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى ﴿وَجَعَلَكُمْ^(١) مُلُوكًا﴾
 أصحاب خدم وحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان
 له منزل وخدام سمي ملكا، قيل: ملكوا أنفسهم بعد ما كانوا مملوكين في أيدي القبط
 ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر والمن والسلوى أو من الفضل
 والشرف على عالمي زمانهم ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس أو الطور
 وما حوله أو الشام، فإنه مقر الأنبياء مطهر من الشرك ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾:
 وعدكموها الله أنه وراثته من آمن منكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجعوا
 مدبرين خوفا من الجبايرة وجاهدوهم فإنكم غالبون ﴿فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدارين
 ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ متغلبين أقوياء ﴿وَأِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ
 يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ﴾ يوشع وكالب^(٢) ﴿مِنَ
 الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أمر الله وعقابه وقيل: هما من الجبايرة أسلما واتبعا موسى فمعناه يخافون
 أي بنو إسرائيل منهم ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة هو الثبات صفة ثانية لرجلين أو

(١) فالامتنان بأن منهم سادة الدين وقادة الدنيا/ ١٢ وحيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره أنهما يوشع ابن أخت موسى وكالب حتن موسى على أخته

مریم بنت عمران وهما من النقباء الكامنين ما اطلعا عليه من حال الجبايرة/ ١٢

اعتراض **﴿اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾** باب قريتهم أى: ازحفوا عليهم **﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾** لما جربنا ضعف قلوبهم ولتيقن إنجاز وعد الله فى نصره نبيه **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (١) به مصدقين لوعده **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾** تعليق للنفى المؤكد بالدهر (٢) المتطاول **﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾** بيان للأبد **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾**: الجبارين **﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** قال بعض الصحابة يوم (٣) بدر: "إننا لا نقوله كما قالت بنو إسرائيل، بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون" **﴿قَالَ﴾**: موسى لبث الحزن إلى الله **﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾** (٤) عطف على نفسى **﴿فَأَفَرُّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** اقض بيننا وبينهم بما نستحق أو خلصنا من صحبتهم (٥) **﴿قَالَ﴾** الله **﴿فَإِنَّهَا﴾** أى: الأرض المقدسة **﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾**: دخولها **﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** ظرف لمحرمه فيكون التحريم مؤقتا فقد نقل عن بعض

(١) وكثيراً يأتى معمول ما بعد الفاء متقدما عليها لما رأيا بنى إسرائيل قد عصوا فى الإقدام على الجهاد مع وعد الله فى قوله: "التي كتب الله لكم" استرابا فى إيمانهم فقالا "إن كنتم مؤمنين" / ١٢ منه.

(٢) لا أبد الأبدى على ما هو الظاهر من التأييد لدلالة البيان أعنى: ماداموا فيها على ذلك / ١٢ منه.

(٣) رواه البخارى فى المغازى والإمام أحمد والنسائى / ١٢ وحيز. [أخرجه البخارى فى "التفسير" / باب: **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾** (٤٦٠٩).

(٤) لما رأى موسى تمردهم وسوء أديهم وكفرهم مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون بث حزنه إلى الله تعالى والشكوى إليه وقوله "وأخى" عطف على نفسى يعنى أملك أمر نفسى وأمر أخى، والباقون متمردون عنى، وكأنه عليه السلام ما اعتد بالرحلين المؤمنين كما روى عن على كرم الله وجهه أنه خطب فى الكوفة مستنجدا على قتال الشام فلم يجبه إلا رجلا فقال: أين تقعان مما أريد / ١٢ وحيز.

(٥) فالفرق على الأول حكمى، وعلى الثانى مكانى / ١٢ منه. رحمة وروح لهما / ١٢.

السلف أن موسى سار بمن بقي من التيه بعد الأربعين ففتح بيت المقدس أو ظرف لقوله **﴿يَتِيهُونَ﴾** أى: يسيرون متحيرين **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** فيكون التحريم مؤبداً وقد نقل عن كثير من السلف أن موسى وهارون ماتا في التيه^(١) ولم يبق أحد من أهل التيه — سوى يوشع وكالب — إلا مات فيه، ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام **﴿فَلَا تَأْسُ﴾**: لا تحزن **﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**^(٢) هذا تسلية لموسى فإهم مستحقون لما عاملناهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ **﴿لَبِئْسَ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾** **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ**

(١) والتيه حرق عادة فقالوا عرضه وطوله ثلاثون فرسخا، وكانوا إذا ساروا جميع الليل

أصبحوا في المكان الذي رحلوا منه/ ١٢ وحيز.

(٢) ولما كان من آخر كلامهم لموسى "اذهب أنت وربك" وهذا من جنبهم وعدم وثوقهم

بقول الله تعالى، وفي قصة ابني آدم حسارة عظيمة فقايل أول عاص بتلك المعصية التي لم

تعهد وبنو إسرائيل أول من خاطب رسولهم بهذا القول الشؤم عقب قصتها بقصتهم

فقال "واتل" الآية/ ١٢ وحيز.

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
 إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ
 يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ
 تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي
 الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا
 عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ﴾: هاييل وقايل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى: تلاوة متلبسة بالصدق
 ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ظرف للنبأ. والقربان: اسم لكل ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة
 وغيرها ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ هاييل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ قايل كان من شأنهما
 أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فينما هما قاعدان فقالا: تقرب قربانا فقرب هاييل
 خير غنمه وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت
 الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذى فدى به إسماعيل أتى به
 من الجنة فحسد قايل أخاه* ﴿قَالَ لَا قُتِلْنَا قَالَ﴾ هاييل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
 الْمُتَّقِينَ﴾ أى: لم تقتلني ولا ذنب لى وإنما أتيت من قبل نفسك بتركك التقوى ﴿لِئِن
 بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ لا أقابلك^(١) على
 صنيعك الفاضل. بمثله ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كان هاييل أشد وأقوى لكن

(٥) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٨٤/٢) وعزاه لابن جرير عبد الله بن عباس - رضي
 الله عنه -.

(١) هذا استسلام للقتل من هاييل كما ورد في الحديث "إذا كانت الفتنة فكن كخير ابني
 آدم" وتلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية/ ١٢. [ذكره السيوطي في "الدر المنثور"
 (٤٨٧/٢) أحاديث وآثار بهذا المعنى فليراجع هناك.]

منعه الورع **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾** بإثم قتلى ^(١) **﴿وَأِثْمِكَ﴾** الذى عملته قبل ذلك فلم يتقبل من أجله قربانك أى: ترجع متلبسا بالإثمين حاملا لهما وقيل: معناه إثمى لو بسطت يدي إليك وإثمك يبسطك يدك إلىّ ونحوه المستبان ^(٢) ما قالوا فعلى البادى ما لم يعتد ^(٣) المظلوم فإن على البادى إثم سبه ومثل إثم صاحبه، لأنه الباعث، والإثم محطوط عن صاحبه؛ لأنه دافع مكافئ عن عرضه إذا لم يخرج عن حد المكافأة **﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾** وهذا الكلام من هاييل موعظة لأخيه وزجر له، قال ابن عباس رضى الله عنهما: خوفه بالنار فلم ينته ولم يتزجر، وقيل: هو يعلم أن أخاه ظالم وإرادة جزاء الظالم حسن **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾** سهلته ووسعت له **﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾** ^(٤): فى الدنيا والآخرة **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾**

(١) وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه ومثله قوله تعالى: "وليحملن أثقالهن وأثقالا مع أثقالهن" (العنكبوت: ١٣) / ١٢ فتح. [أخرجه مسلم (٤٤٣/٥) ط الشعب].

(٢) المستبان مبتدأ وقوله: ما قال فعلى البادى الخ جملة شرطية خبر له وقوله ما لم يعتد أى مادام لم يظلم ولم يتجاوز حد المساواة / ١٢ منه.

(٣) فالآية محمولة على أن ملك إثمى المقدر الذى كان يثبت ببسط اليد إلى قابيل، وأما فى الحديث فكل من المستبان ساب فى نفس الأمر / ١٢ منه. [أخرجه مسلم (٤٤٨/٥) ط الشعب]

(٤) ثبت فى الحديث "ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها" لأنه أول من سن القتل. رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حيث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه / ١٢. [أخرجه البخارى فى "أحاديث الأنبياء" (٣٣٣٥) ومسلم فى "القسامة" (١٦٧٧) ولفظة "لا تقتل نفس ظلما.... الحديث"]

يَبْحَثُ^(١) فِي الْأَرْضِ ﴿ لما قتله تخير في أمره لم يدر ما يصنع به فبعث الله غراباً إلى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى وراه ﴿لِيرِيَهُ﴾: الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ﴾ أى: جسده، فإنه مما يستقبح أن يرى، وكيف: حال من ضمير يوارى، والجملة ثانياً مفعولى ليريه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى﴾ كلمة جزع والألف بدل من ياء المتكلم أى: احضرى يا هلاكى فهذا أوانك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي﴾ عطف على أكون أو جواب استفهام؛ لأنه للإنكار بمعنى النفسى أى: إن لم أعجز وارىت ﴿سَوْعَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه أبواه، وقد ذكر أكثر المفسرين إن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه، وكان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هايل دميمة^(٢) وأخت قايل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك، وأمرها بأن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهى له فتقبل من هايل فحسد. هذا ما نقله وهو الذى صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قربانها لا عن سبب ولا عن بداءة فى امرأة، وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أى: بسبب قتله أخاه ظلماً ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حكماً وقضينا^(٣) عليهم

(١) والبحث فى الأرض: نبش التراب وإثارته/ ١٢ وجيز. السوءة: العورة وأراد بها الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) وهذه الحكاية حكاية إسرائيلية وعبارة ابن عباس دالة على أن قربانها لا عن سبب فلهاذا تعرضنا بظاهر ما فى القرآن/ ١٢ وجيز. [أثر ابن عباس رواه ابن جرير كما سبق وقال ابن كثير فى "تفسيره" (٤٤/٢): فهذا الأثر يقتضى أن تقرب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارؤ فى امرأة كما تقدم عند جماعة. وهو ظاهر القرآن]

(٣) فإنهم أول أمة نزل فيهم الوعيد للقتل وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ومع ذلك لا يرتدعون حتى قتلوا الأنبياء وهما بقتل النبي المصطفى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: بغير قتل نفس يوجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادًا﴾^(١) في الأرض، أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أى: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس أو لأنه يقتل قصاصا كما لو قتل الجميع أو كما قتل الناس وزراً أو إيماً ﴿وَمَن أَحْيَاهَا﴾ حرم قتلها وكف عنها أو عفا عن قاتل أو أنجأها عن هلكة ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ حيى الناس منه جميعاً وحرّم قتل جميع الناس أو فى الأجر والثواب والمقصود تعظيم القتل والإحياء فى القلوب ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أى: بنى إسرائيل ﴿رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات على صدقهم ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: إرسال الرسل مع البيّنات ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٢): فى مثل القتل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)

(١) وظاهر النظم القرآنى أنه ما يصدق عليه أنه فساد فى الأرض فالشرك فساد فى الأرض، وقطع الطريق فساد فى الأرض وسفك الدماء، وهتك الحرم ونهب الأموال فساد فى الأرض، والبغى على عباد الله بغير حق فساد فى الأرض وهدم البناء وقطع الأشجار وتغيير الأنهار فساد فى الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنّها فساد فى الأرض وهكذا الفساد الذى يأتى فى قوله "ويسعون فى الأرض فساداً" يصدق على هذه الأنواع، وسيأتى تمام الكلام على معنى الفساد قريباً/ ١٢ فتح.

(٢) مجاوزون الحد فى المعاصى وعدم اتباع الرسل ومنهم فى موضع الصفة لكثيراً و بعد ظرف لمسرفون ولما ذكر تغليظ الإثم فى القتل والفساد فى الأرض أتبعه بيان الفساد فى الأرض الذى يوجب القتل، فإن بعض الفساد لا يوجب فقال "إنما جزاء الذين"/ ١٢ وحيز.

(٣) والحق أن هذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته ولا اعتبار بخصوص السبب بل الاعتبار بعموم اللفظ، قال القرطبى فى تفسيره ولا خلاف بين أهل العلم فى أن حكم هذه الآية مرتب فى المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت فى المرتدين واليهود انتهى ومعنى قوله: مرتب أى ثابت والأولى أن تفسير محاربة الله سبحانه بمعصيته ومخالفة شرائعه ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقى وحكم أمته حكمه وهم أسوته/ ١٢ فتح.

يحاربون أولياءهما من قاطع الطريق وغيره ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: مفسدين أو كأنه قال: يفسدون في الأرض فساداً أو يسعون في الفساد، والفساد يطلق على أنواع الشر قال بعضهم نزلت في بعض أهل الكتاب بينهم وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- ميثاق فنقضوا وأفسدوا في الأرض أو في جماعة مرضوا في المدينة فداواهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ألبان الإبل وأبوالها، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل فلما أخذوا قطع أيديهم وأرجلهم وسمرو أعينهم ثم ألقوا في الرمضاء حتى^(١) ماتوا فعلى هذا تكون تعليماً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا ما سمر بعد ذلك عينا ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾ أى من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾^(٢) مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أيدي اليمى وأرجل اليسرى إن أخذوا المال فقط ﴿أَوْ يُنْفَوْا﴾^(٣) مِنَ الْأَرْضِ إن اقتصروا على الإخافة والنفي هو أن يطلبهم الإمام فيقام عليهم الحد أو يهربوا من دار الإسلام أو ينفى من بلد إلى بلد وهكذا وقال بعضهم لا يخرجون من أرض الإسلام أو المراد من النفي السحن أو يخرج من بلده إلى آخر سيسجن فيه حتى تظهر توبته وقال كثير من السلف: إن الإمام مخير بين هذه العقوبات الأربعة في كل قاطع طريق فيكون أو للتخيير

(١) وفي صحيح مسلم أنهم سمرو أعين الرعاء ففعل بهم قصاصاً / ١٢. [أخرجه البخاري في

"التفسير" / باب: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله...﴾ الآية (٤٦١٠) وفي غير موضع من

صحيحه.]

(٢) عند أبي حنيفة ومالك يصلب حيا ويطعن حتى يموت إن قتل وأخذ المال، وقال غيرهما يقتل ثم يصلب لعبرة للغير وعليه الشافعي / ١٢ وجيز.

(٣) وظاهر القرآن أن الإمام مخير بين إيقاع ما شاء منها بالحارب في أي رتبة كان / ١٢

وجيز..

لا للتفصيل ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذا يدل على أن الآية نزلت في جمع من المشركين وإلا فالجمهور على أن من أذنب ذنبا وعوقب في الدنيا فهو كفارة له ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ على قول من قال هي في أهل الشرك فظاهر لأن من آمن ما بقى عليه شيء وأما المحاربون المسلمون إذا تابوا قبل القدرة سقط عنهم حد الله لا حقوق بني آدم وكثير من السلف يدل على أنه يسقط حقوق بني آدم، أيضا إذا أخذ مالا معينا فيجب الضمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٦٢﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٣﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٤﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ * يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامِنًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنِ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي

الَّذِينَ خَذَلُوا عَهْدَ اللَّهِ وَقَاتَلُوا بِعَدَاوَتِهِمْ ۚ سَمِعْتُمْ لَكَذِبًا أَكَلْتُمُوهُ
لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴿١﴾ أى: القربة بطاعته
﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعداء الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: لكى تفوزوا ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ (٢) ليحلوه
فدية لأنفسهم، واللام متعلق بثبت الدال عليه "لو" وإفراد ضمير به لإجرائه مجرى اسم
الإشارة أو لأنه من قبيل إني قيار بها لغريب لا أن ومثله مفعول (٣) معه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ جواب لو ولو بما فى حيزه خير إن ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤)

(١) ولما ذكر جزاء المحارب أمر المؤمنين بالتقوى وابتغاء القربات إلى الله فإن ذلك هو المنجى

من المحاربة وعذاب المعد للمحارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وحيز.

(٢) وإفراد ضمير به لتلازمهما كأنهما واحد كما قالت العرب: رب يوم وليلة مررى أو

لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة / ١٢ وحيز.

(٣) لأن العامل معنوى فإذا جاز العطف تعين ولأن التركيب يصير ركيكا للفظه معه / ١٢

وحيز.

(٤) لا ينفك عنهم أبداً ولما ذكر أمر المحاربين الذين هم ساعون للفساد عقبه بذكر السوارق

الذين هم أيضاً ساعون للفساد إلا أن الأولى على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على

سبيل الاختفاء والستر، فقال: "السارق والسارقة" / ١٢ وحيز.

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا^(١) أى: أيماهما^(١) وتقديره عند سيبويه: حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، فيكون جملتين وجملة عند المراد والفاء للسببية أى: الذى سرق والى سرت فاقطعوا ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عقوبة ﴿مَنْ اللّٰهُ﴾ منصوبان^(٢) على المفعول له ﴿وَاللّٰهُ عَزِيزٌ﴾ فى الإنتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من القطع ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ يُتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلا يعذبه فى الآخرة، وأما القطع فلا يسقط عنه^(٣) على الأصح ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾^(٤) أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

- (١) أى أيماهما وفى قراءة ابن مسعود "فاقطعوا أيماهما" وقراءته أيضًا دالة على أن المقطوع يد واحد؛ لأن اليمين لا يكون إلا واحد، فالجمع باعتبار كثرة أفراد النوعين، ومثل هذا التركيب عند سيبويه جملتان تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، ودليله فى كتب النحو وعند جماعة من البصريين جملة واحدة وجملة الأمر وخبر المبتدأ، والمعنى على العموم أى: الذى سرق والى سرت فالفاء دخل على جملة صالحة لأداة الشرط وأما نصاب السرقة ففيه خلاف كثير وعند الأكثرين ربع دينار للحديث الثابت فى الصحيحين ومذهب الجمهور أن القطع من الرسغ لفعل الشارع/ ١٢ وحيز.
- (٢) وهما منصوبان على المفعول له وترك العطف بينهما للإشعار على أن القطع للجزاء على قصد النكال والمنع عن المعاودة والعبرة/ ١٢ وحيز.
- (٣) بالتوبة/ ١٢ وحيز.

(٤) والخطاب فى "ألم تعلم" لكل من له علم كأنه قال: إنك عاجز عن الخروج عن ملكى فلم اجترأت على ما منعتك منه اعترض نصران على الدين الحنيفى أن فى اليد المقطوع ظلما خمسين من الإبل وأنتم حكمتم بقطعه فى ربع دينار وما ذلك إلا جهل فأسكته بعض عظام العلماء بقوله: كانت ثمينة فلما خانت هانت. ولما بين أنه مالك العلويات والسفليات بيده التعذيب والغفران وله القدرة التامة العامة فعلى مدعنه تفويض الأمر إليه كما قال الله "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَي: لا تهتم بمسارعتهم فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِنِ﴾ (١) ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود عطف على من الذين ﴿سَمَاعُونَ﴾ أَي: هم سماعون أو تقديره: ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أَي: قابلون له يقبلون من أبحارهم ما يفترونه وقيل: سماعون كلامك لأجل الكذب أَي: ليكذبوا ويفترون عليك ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أَي: يسمعون من جمع من اليهود لا يأتون مجلسك ويقبلون كلامهم أو معناه سماعون منك لأجله، وقيل: سماعون الثاني للتأكيد، ولقوم متعلق بالكذب أَي: سماعون ليكذبوا لقوم لم يأتوا مجلسك تخافيا عنك وتكبراً ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: من بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظاً وإما معنى بحمله على غير مراده، الجملة صفة لقوم أو مستأنفة أو خير محذوف، وكذلك قوله ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أَي: إن أوتيتهم هذا المحرف فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل يفتى بخلافه ﴿فَاخْذَرُوا﴾ بقوله. "نزلت في رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وهم قد بدلوا الرجم في التوراة بمائة جلدة والتحميم" (٢) والإركاب على حمار مقلوباً فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتوا وقالوا: إن حكم يمثل ما قلنا اعملوا أو يكون نبي من أنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر عليه الصلاة والسلام بالرجم

أن نراها" (الحديد: ٢٢) إلى أن قال "لكيلا تأسوا على ما فاتكم" فقال: "يا أيها الرسول" خاطبه به إشارة إلى أن الرسالة شغلك/ ١٢ وجيز.

(١) واللسان ترجمان القلب/ ١٢.

(٢) أي: تسويد الوجه/ ١٢.

وألزمهم أنه حكم التوراة فرجماً^(١) " «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ: ضلّالته» «فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا» في دفع الفتنة عنه «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ» من خبائث الشرك «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ»: فضيحة وهتك ستر للمنافقين وجزية وخذلان لليهود «وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ» كرهه للتأكيد «أَكَاكُلُونَ»^(٢) لِلسُّحْتِ: الحرام كالرشى، فإنه مسحوت البركة «فَإِنْ جَاعُوا فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» تخيير في الحكم والإعراض «وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُوا شَيْئًا» فإن الله يعصمك من الناس قال كثير من السلف: الآية منسوخة^(٣) بقوله: "وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (المائدة: ٤٨) «وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» أى: العدل وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»: يرضى عنهم ويعظمهم «وَكَيْفَ» حال من فاعل «يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم في كتابهم المؤمن به منصوص «ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»: التحكيم فلا يقبلون حكمك المطابق لما في كتابهم عطف على يحكمونك «وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»: لا بك ولا بكتابك.

- (١) والحكاية في الصحيحين ومنها يعلم أن كفرهم عناد بالتوراة والقرآن/ ١٢. [أخرجه البخاري في "الحدود" / باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (٦٨٤١) ومسلم في "الحدود" / باب: من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٩)].
- (٢) ولما كان معظم النفع من المال الأكل وصفهم بأكل الحرام الذى يصير جزء البدن وفي الحديث: "كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به" / ١٢ وجيز. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٥١٩) ولفظة "كل جسد... الحديث"]
- (٣) وفي الوجيز والمراد: فإن جاءوك للحكم فأنت مخير في ذلك وقوله: "وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (المائدة: ٤٨) يعنى: إن حكمت فلا يكون هذا منسوخًا بذلك / ١٢.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤٧﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٤٩﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٠﴾ وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٥١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴿

ثم مدح التوراة بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾: يهدى إلى الحق ﴿وَتُورٌ﴾: به ينكشف المبهم ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾: أنبياء بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ فيه تعريض لليهود وأهم بمعزل عن دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بأنزلنا أو يبحكم أى: لأجل اليهود ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ عطف على "النبيون"، وهم الزهاد والعلماء ﴿بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه، وإظهاره وضمير ما محذوف ومن للتيبين ﴿وَوَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: رقباء لثلاثا بيدل أو بأنه من عند الله ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ هى للحكام عن المداينة خشية الناس ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: الرشوة والجاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ نزلت في أهل الكتاب^(١) دون من أساء من هذه الأمة

(١) صرح الحسن البصرى بأن من لم يحكم منا فهو فاسق ومن لم يحكم من أهل الكتاب فهو كافر؛ لأنهم تركوا الحكم للتحريف والعناد، وقد روى هذا عن جماعة من السلف وعن حذيفة بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة، كلا والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٠٧/٢)] وعزاه لابن جرير ابن أبي حاتم والحاكم في "المستدرک" [وصححه]، وعن ابن عباس نحوه وأقول: هذه الآية وإن نزلت في اليهود لكنها ليست مختصة بهم؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكلمة "من" وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم فهذه الآيات الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو الكتاب والسنة، والمقلد لا يدعى أنه حكم بما أنزل الله بل يقر أنه حكم بقول العالم الفلاني وهو لا يدري هل ذلك الحكم الذى حكم به هو من محض رأيه أم من المسائل التى استدلت عليها بالدليل ثم لا يدري أهو أصاب في الاستدلال أم أخطأ وهل أخذ بالدليل القوى أم الضعيف! فانظر يا

أو من تركه عمدًا وأجاز وهو يعلم فهو من الكافرين، فيكون في المسلمين أو ليس

= مسكين ماذا صنعت بنفسك، فإنك لم يكن جهلك مقصوراً عليك بل جهلت على عباد الله فأرقت الدماء وأقمت الحدود هتكت الحرم بما لا تدري، فقبح الله الجهل بما أنزله، ولا سيما إذا جعله صاحبه شرعاً ودينًا له وللمسلمين، فإنه طاغوت عند التحقيق وإن ستر من التلبس بستر رقيق فيا أيها المقلد أخبرنا أى القضاة أنت من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثان في النار، فأما الذى في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار". أخرجه أبو داود وابن ماجه عن بريدة [وصححه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٦١٤)]. فيا لله عليك بل قضيت بالحق وأنت تعلم أنه الحق إن قلت نعم فأنت وسائر أهل العلم يشهدون بأنك كاذب، لأنك معترف بأنك لا تعلم ما الحق، وكذلك سائر الناس يحكمون عليك بهذا من غير فرق بين مجتهد ومقلد، وإن قلت بل قضيت بما قاله إمامي ولا تدري أحق هو أم باطل كما هو شأن كل مقلد على وجه الأرض فأنت بإقرارك هذا أحد رجلين إما قضيت بالحق ولا تعلم أنه الحق أو قضيت بغير الحق لأن ذلك الحكم الذى حكمت به هو لا يخلو عن أحد الأمرين إما أن يكون حقاً وإما أن يكون غير حق، وعلى كلا التقديرين فأنت من قضاة النار بنص الصادق المختار، وهذا ما أظن يتردد فيه أحد من أهل الفهم لأمرين: أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل القضاة ثلاثة، وبين صفة كل واحد منهم بيان يفهمه المقصر والكامل والعالم والجاهل.

الثاني أن المقلد لا يدعى أنه يعلم ما هو حق من كلام إمامه وما هو باطل بل يقر على نفسه أنه يقبل قول الغير ولا يطالبه بحجة، وأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فأفاد هذا أنه حكم بشيء لا يدري هو فإن وافق الحق فهو قضى بالحق ولا يدري أنه الحق وإن لم يوافق الحق فهو قضى بغير الحق وهذان هما القاضيان اللذان في النار فالقاضى المقلد على كل حال يتقلب في نار جهنم كما قال قائل:

خذى بطن حرشاً أو قفاها فإنه كلاجاني هرشاً لمن طريق / ١٢ فتح.

بكفر ينقل عن الملة والدين، ولكن كفر دون كفر ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: فرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ مقتولة ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ﴾ مفقوءة ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ﴾ مجدوع ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾ مصلومة ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنِّ﴾ مقلوعة ﴿بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ﴾ أى: ذات قصاص فيما يمكن الاقتصاص منه، وأما ما لا يمكن القصاص ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته فلا قصاص فيه، ومن قرأ والعين بالعين بالرفع وكذلك الباقي فيكون عطفًا على أن وما في حيزه أى: كتبتنا عليهم فيها العين بالعين ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص بأن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ أى: التصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: للمتصدق يكفر الله به ذنوبه أو للجاني لا يؤاخذة الله به كما أن القصاص كفارة له ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل نزلت لما^(١) اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع ورجل بامرأة ﴿وَوَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أى: وأتبعناهم فحذف المفعول للدلالة الظرف عليه والضمير لليبين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان متعدى إليه بالباء ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: حاكمًا بما فيها ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَوُورًا﴾ يستضاء به في إزالة الشبهات، والجملة أعنى: "فيه هدى" في موضع نصب على الحال ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لا يخالفه إلا في قليل ﴿وَهُدًى﴾^(٢) وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ زاجرًا عن ارتكاب المحارم لمن اتقى الله وخاف عقابه ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ عطف على وآتيناه الإنجيل أى: وآتيناه الإنجيل، وقلنا لهم: ليحكم ومن قرأ ليحكم بكسر اللام وفتح الميم فتقديره وآتيناه ليحكم ﴿وَمَنْ لَمْ

(١) أى اليهود/ ١٢.

(٢) فقلوه: "فيه هدى" مبهم وهدى للمتقين مبينة أو الأول: ذكر أن فيه الهداية والنور والثاني: جعل نفس الإنجيل هاديًا وواعظًا/ ١٢ وحيز.

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١)»: الخارجون عن طاعة ربهم
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أى: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسا به ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ الْكِتَابِ﴾: من جنس الكتب المنزلة ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾: رقيبا على سائر الكتب
 وشهيدا. فكل خير يوافقه فحق وما خالفه منها فمحرّف باطل أو حاكما على ما قبله
 من الكتب ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين أهل الكتاب ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَهُمْ﴾ بالانحراف ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ولتضمن لا تتبع معنى الانحراف تعلق
 به عن أو حال عن الفاعل أى: مائلا عما جاءك ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس
 ﴿شُرْعَةً^(٢)﴾: سبيلا ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾: سنة السنن هي مختلفة في التوراة شريعة وفي الإنجيل

(١) وفي الآية دلالة على اشتراط الاجتهاد في القضية وإشارة إلى ترك الحكم بالتقليد، فإن
 قلت: إذا كان التخاصم ببلدة لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصميين الترافع إلى
 من بها من القضاة المقلدين؟ قلت: إذا كان يمكن وصولها إلى قاض مجتهد لم يجوز
 للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما إلى القاضى المجتهد أو يرفع القضية إليه
 ليحكم فيها بما أنزل الله أو بما أراه الله، فإن كان الوصول إلى القاضى المجتهد متعذرا
 أو متعسرا فلا بأس بأن يتولى ذلك القاضى المقلد فصل خصوماتهما لكن يجب عليه أن
 لا يدعى علم ما ليس من شأنه، فلا يقول: صح أو لم يصح شرعا بل يقول قال إمامه
 كذا ويعرف الخصميين أنه لم يحكم بينهما إلا بما قاله الإمام الفلانى وفي الحقيقة: هو
 محكم لا حاكم، وقد ثبت التحكيم في هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك في القرآن
 الكريم في شأن الزوجين، وأنه يوكل الأمر إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل
 المرأة، وكما في قوله تعالى: "يحكم به ذوا عدل منكم" (المائدة: ٩٥) وكما وقع في زمن
 النبوة والصحابة في غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب، والعود خير من العصى/
 ١٢ فتح.

(٢) الشريعة في الأصل الطريقة الظاهرة إلى الماء والمنهاج الطريق الواضح فالعطف للجمع بين
 الوصفين، والمراد: الأحكام العلمية، وأما أصول الدين فلا اختلاف بوجه آخر/ ١٢

شريعة يجعل الله فيها أشياء هي حرام في غيرها لتمييز المطيع من العاصي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جماعة متفقين على دين وطريقة واحدة في جميع الأعصار ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة في كل عصر هل تعملون بها وتعتقدون حكمتها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ابتدروا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أيها الناس ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين ﴿وَأَنْ أَحْكُمُ﴾ عطف على الكتاب أو على الحق أى: أنزلنا إليك الحكم أو أنزلنا إليك الكتاب بأن احكم أو تقديره وأمرنا أن احكم ﴿بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرًا بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم ويردهم إلى حكامهم فأمر أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يردهم إلى حكامهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ أهل الكتاب ﴿أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾ بدل اشتمال من هم أو مفعول له أى: مخافة أن يفتنوك ويضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ نزلت حين قالت رؤساء اليهود ننطلق إلى محمد لعلنا نفتته، فقالوا قد تعلم أنا إن ابتعناك اتبعناك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصمنا إن جئنا تتحاكم إليك فنؤمن بك ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما حكمت ﴿فَاعَلِمْنَا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت نكالمهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة ربهم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١) يبتغون أى: يريدون، وعن حكم الله يعدلون

= وجيز. وفي الفتح وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن وأما بعده فلا شرعة ولا منهاجًا إلا ما جاء به صلى الله عليه وسلم/ ١٢.

(١) استفهام إنكار على اليهود حيث هم أهل الكتاب ومع ذلك يعرضون عن حكم الله

تعالى/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ تمييز ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أى: عندهم فاللام للبيان أى: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لمن له اليقين بأنه أعَدل العادلين وأرحم الراحمين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ ءَأَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ءَأَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُوا لَآ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ ءَأَوْلِيَاءَ﴾ فلا تعاشرهم معاشرة الأحاب ﴿بَعْضُهُمْ ءَأَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهم متفقون على مخالفتكم ومعاداتكم

(١) ولما بين كمال عداوتهم مع المؤمنين وقلة عقلهم خاطب المؤمنين بالنهى عن موالاته أعدائهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ﴾ (١) مِنْهُمْ﴾ يحشر معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)﴾ فاحذر عن موالاته من ظلم نفسه فإنهم الظالمون ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك وفاق كابن (٣) أبي ابن سلول وأضرابه ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ في محبتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (٤)﴾ بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار ﴿فَعَسَى (٥) اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ للمسلمين على أعدائهم ﴿أَوْ (٦) أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ كضرب الجزية عليهم وهتك ستر المنافقين ﴿فَيُضْبِحُوا﴾ هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من النفاق ودس أخبار المسلمين على أعدائهم ﴿نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرئ بالنصب عطف على يأتي بتقدير الضمير أى: عسى الله أن يقول الذين آمنوا به أو باعتبار أن قولهم لما كان مسبباً عن الإتيان بالفتح أقيم مقامه مبالغة في اتحاده معه وبالرفع كلام مبتدأ وبغير أو على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ ﴿أَهْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من كذبهم وحلفهم بالباطل أهؤلاء الذين

(١) فيه تشديد عظيم ومن هذا ورد "من أحب قوماً فهو منهم" / ١٢ وحيز.

(٢) المراد من سبق في علم الله تعالى أنه يموت ظالماً / ١٢.

(٣) رأس المنافقين / ١٢ وحيز.

(٤) قال الواحدي: الدائرة من دوائر الدهر كالدولة، وهي التي تدور من قوم إلى قوم، والدائرة هي التي تخشى كالهزيمة والحوادث المخوفة فالدوائر تدور والدوائر تدور / ١٢ كبير.

(٥) وعسى في كلام الله سبحانه وعد لا يتخلف والفتح ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على الكافرين / ١٢ فتح.

(٦) قوله: "أو أمر من عنده" يعنى: لا يكون للناس فيه فعل البتة كبنى النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر / ١٢ كبير.

أقسموا لكم بأغلظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاونوكم على الكفار أى: يجتهدون جهد أو مصدر من لفظ أقسموا لأنه بمعناه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل كل عمل خير لهم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ فى الدنيا والآخرة وهو من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قد ارتد عن الإسلام قبائل العرب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ ^(٢) بدلهم ومكاهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ ^(٣) يهديهم ويثبتهم ﴿وَيُحِبُّوهُمْ﴾ هم أبو بكر

(١) ولما ذكر أقوامًا كافرين ظالمين نادمين خاسرين عقب قومًا أحسن منهم وأقبح فقال "يا أيها الذين آمنوا" / ١٢ وجيز.

(٢) وهم قوم أبى موسى الأشعري على الأصح كما فى المستدرک لأبى عبد الله الحاكم / ١٢ وجيز. المراد بالقوم الذين وعد الله بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين فى جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد بعد النبى أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة / ١٢.

(٣) اعلم أن حب المحمود وبغض المذموم صفتان من صفات الكمال فإن من يجب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يجب صفات الكمال.

وإذا قدر موجودان أحدهما يجب العلم والصدق والعدل والإحسان والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور والجهل والظلم والكذب ونحو ذلك لا يجب هذا ولا يبغض هذا كان الذى يجب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال، والموجود إما أن لا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه، والعالم إما أن يجب المحمود ويبغض المذموم وإما أن لا يحبهما، وإما أن يحبهما، ومعلوم أن الذى يجب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما ويبغضهما. وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا

وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون **﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**: متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين لهم أجنحتهم **﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**: شداد متغللين عليهم **﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** صفة أخرى لقوم **﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾** لا كالمنافقين يخافون ويراقبون لوم الكفار **﴿ذَلِكَ﴾** أى: ذلك الأوصاف **﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾**: كثير الفضل **﴿عَلِيمٌ﴾** ^(١) بمن هو أهله **﴿إِنَّمَا﴾** ^(٢) **﴿وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** أى: ليس اليهود بأوليائكم بل ولا يتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين **﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾** بدل من الذين آمنوا أو مرفوع،

= فرق بينها فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه لا يكون شيء إلا بمشيئته، ومجمعون على أنه لا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد فالحجة صفة ثابتة له تعالى فهو يجب الصادقين ويجب الصابرين ويجب المقسطين ويجب المحسنين ويجب الذين يقاتلون في سبيله صفاء، وهو يأتي بقوم يحبهم ويحبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، فليس لمؤمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينفى صفة أثبتتها الله لنفسه وشهد رسوله أن يفسرها برأيه ثم يستحيلها؛ لأن عدم علمنا بكيفية صفة من صفاته لا يوجب نفيها، كما أن عدم علمنا بكنه ذاته لا يستلزم النفي فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل/ ١٢.

(١) ولما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بين لهم من وليهم فقال: "إنما وليكم الله" / ١٢ وحيز.

(٢) لم يقل أولياء إشارة إلى أن المجموع في حكم واحد وإلى التنبيه على أن الولاية على الأصالة لله تعالى وللباقيين تبع، ولأن الولي بزنة فعيل فيستوى فيه التثنية والجمع والواحد كما صرح بمثل ذلك الزمخشري في قوله تعالى "وما قوم لوط منكم ببعيد" (هود: ٨٩) / ١٢ وحيز.

أو منصوب على المدح^(١) ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ متخشعون في صلاتهم وزكاتهم، أو حال من الذين بمعنى أنهم دائمون للركوع أى لصلاة التطوع أو حال من فاعل يؤتون؛ فإن علياً رضي الله عنه أعطى خاتمة في ركوعه لسائل^(٢) فتزلت ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: من يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أى: فإنهم الغالبون: كأنه قال فهم حزب الله وجنده وحزب الله هم الغالبون.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ٥٦ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ٥٧ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ٥٨ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٥٩ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا

(١) لا صفة لاشترك الموصوفين في كونهما وصفين، والوصف لا يوصف إلا إذا جرى مجرى

الاسم كالمؤمن مثلاً بخلاف الذين آمنوا، فإنه في معنى الحدوث/ ١٢ وحيز.

(٢) كما رواه ابن جرير وابن مردويه بروايات مختلفات [ذكره ابن كثير في "تفسيره"

(٧٢/٢) وقال: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدنا وجهالة رجالها"

وذكرها السيوطي في "الدر المنثور" (٥١٩/٢)، وذكر بلفظ الجمع تحريضاً على المبادرة

إلى الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر/ ١٢ وحيز.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ
وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَئِنَّمَا كَانَوَا يَصْنَعُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ
الْنَّعِيمِ ﴿١٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ
لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِّنَ الدِّينِ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ قرئ والكفار بالجر فيكونون داخلين في
المستهزئين، وبالنصب عطف على الذين اتخذوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اتخاذ هؤلاء أولياء
﴿إِن كُنْتُمْ ^(١) مُؤْمِنِينَ﴾ بشرعه ودينه الذي اتخذ هؤلاء هزوا ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الناس
﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُواهَا ^(٢)﴾ أي: المناداة ﴿هُزُورًا وَلَعِبًا ^(٣)﴾ تضحكوا فيما بينهم

(١) ولما ذكر اتخاذهم دينكم هزواً أخذ بين قبيح صنيعهم فقال وإذا ناديتم/ ١٢ وجيز.

(٢) هم المنافقون يظهرون الإسلام عند المسلمين وفي قومهم يضحكون ويستهزءون/ ١٢

وجيز.

(٣) يحكموها ويستهزءونها فليست المناداة عندهم ولا ركوع في صلاتهم/ ١٢ وجيز.
وليس في كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا في هذا الموضع، وأما قوله تعالى في

يحكونه ويستهزءونه **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾** فإن العقل يمنع من الاستهزاء بأمر معقول مشروع **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ﴾**: تنكرون وتعيبون **﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾** قيل: نزلت في اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يؤمن به فقال: "نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل" إلى قوله "ونحن له مسلمون" فقالوا لما سمعوا ذكر عيسى والله لا نعلم ديننا شرا من دينكم ^(١) **﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾** عطف على "أن آمننا" وحاصله: أنكم ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأتمت خارجون عنه، أو عطف على علة محذوفة تقديره: تنكرون منا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم ويجوز أن يكون حالا من فاعل تنقمون **﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾**: المنقوم **﴿مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾** تمييز عن شر أى جاء ثابتا عنده، وهو من باب: تحيتهم بينهم ضرب وجيع. فإن المثوبة محتصة بالخير **﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾** أى: هو دين من لعنه الله فلا بد من حذف مضاف هنا أو فى قوله بشر من ذلك أى: من أهل ذلك **﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** عطف على لعنه والطاغوت: العجل أو الكهنة أو الشيطان **﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾** فيه مبالغة ليست فى قوله أولئك شر ^(٢) قيل: لأن مكاهم سقر **﴿وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**: قصد الطريق المتوسط والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالإضافة إلى المؤمنين **﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾** يعنى

= سورة الجمعة: "إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة" (الجمعة: ٩) فهو خاص ببناء الجمعة/

.١٢

(١) رواه محى السنة والواحدى وغيرهما/ ١٢ وجيز.

(٢) كما تقول فى التعظيم سلام على مجلسه ففيه مبالغة، فإن كان ذلك فى الآخرة

يراد بالمكان حقيقة، لأن جهنم مكاهم. وإن كان ذلك فى الدنيا فالمراد المكانة/ ١٢

وجيز.

منافقي اليهود ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ حال من ضمير قالوا ﴿بِالْكَفْرِ﴾ حال من فاعل دخلوا ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أى: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يؤثر فيهم كلامك^(١) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من الكفر وفيه وعيد ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من منافقيهم أو من اليهود ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: المحارم أو الكذب ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾: الاعتداء على الناس أو مجاوزة الحد في المعاصي ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ﴾: الحرام خص بالذكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: شيئاً عملوه ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾: زهادهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: علماءهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ﴾: كذبهم وافتراءهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢): من عدم النكير عليهم التحضيض لهم على

(١) واللائق بحال العاقل إن فرضنا أنه دخل متلبساً بالكفر أن لا يخرج إلا مؤمناً/ ١٢

وحيز.

(٢) فيه توبيخ العلماء والزهاد على السكوت، قال السلف: ما نعلم آية أشد توبيخاً للعلماء والزهاد على السكوت عن النهي عن المعاصي من هذه الآية والعمل لا يسمى صناعة إلا إذا تمكن صاحبها فيها وينسب إليه، ففيه إشارة إلى أن ترك نهى المنكر عادة خواصهم/ ١٢ وحيز. وبخ سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعلى المعاصي فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرحوا لها عن قلوبهم فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يضمن ولا يغني عن جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة فرحم الله عالماً قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين لا يخافون فيك لومة لائم وأعنا على ذلك وقونا عليه ويسره لنا وانصرنا على من تعدى حدودك وظلم عبادك، إنه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غيرك يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين/ ١٢.

النهي عن ذلك، فإن لولا إذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مجاز عن البخل أى هو مسك كف الله عنهم نعمة الدنيا حين جحدوا القرآن بعد ما كانوا فى خصب ورخاء فقالوا ذلك ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: هم البخلاء أو دعا عليهم بالبخل قيل: هى من الغل فى النار ﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ^(١) يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ليس له بخل أصلاً وله غاية الجود وتثنية اليد تدل عليها، وقيل يداه أى: نعمة الدنيا والآخرة ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد لذلك أى هو مختار يوسع ويقتر بحسب مشيئته وإرادته ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ﴾ فاعل يزيدن ﴿إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغياناً وكفراً ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين طوائف اليهود ﴿الْعَدَاوَةَ^(٢)﴾ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فلا يتفق كلمتهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾: مع المسلمين ﴿أَطْفَأَهَا^(٣)﴾ اللَّهُ﴾ بأن أوقع

(١) أعلم أن اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء، والذى يدل عليه أن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه على سبيل الكرامة، ولو كان معناه بقدرته أو بنعمته أو ملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم وامتنع كون آدم مصطفى بذلك؛ لأن ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء ذلك يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء وبه قال أبو الحسن الأشعري على ما نقله الرازى عنه وجماعة من أهل الحديث/ ١٢ فتح. فلا تكذب بأصلها لعدم علمنا بوصفها وآمنا بالله كما هو بأسمائه وصفاته/ ١٢.

(٢) لا يقال: إن هذا المعنى حاصل بين المسلمين أيضاً فكيف يكون عيباً عليهم لا على المسلمين لأننا نقول: إن هذه البدع والافتراق لم يكن شيئاً منها حاصلًا بينهم فى الصدر الأول، وإنما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم فحرى جعل ذلك عيباً عليهم فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

(٣) أى: كلما جمعوا للحرب جمعاً وأعدوا له عدة شنت الله جمعهم وذهب بريجهم، وذلك بأن بعث الله عليهم نجت نصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى، ثم

بينهم منازعة كف بها شرهم ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد أو يسعون بمعنى يفسدون ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يرضى عنهم ولا يعزهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع هذه الجرائم ﴿آمَنُوا﴾: بالقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾: معاصيهم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ﴾^(١) ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الماضية ﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: بأن يصدقوا ولا يحرفوا ويعملوا بالأحكام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أى: القرآن أو كتب الأنبياء مطلقاً ﴿لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: لأنزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض، أو من الأشجار والزرورع أو من غير كد وتعب قيل أراد به التوسعة كقولهم: فلان بالخير من قرنه إلى قدمه ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾: جماعة غير غالية ولا مقصرة كمؤمنى أهل الكتاب ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: مقول فى شأنه ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: بئس ما يعملونه، وفيه معنى التعجب أى ما أسوأ عملهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ قُلْ

= أفسدوا فسلط عليهم الجوس وهم أهل الفرس، ثم أفسدوا فقالوا يد الله مغلولة، فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة أبدا وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك/ ١٢ فتح.

(١) قال بعض العلماء: من آمن ولم يراع التقوى لم يكفر جميع ما مضى من سيئاته فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه: "أنواخذ عملنا فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم: من أحسن منكم فى الإسلام فلا يواخذ بها ومن أساء أخذ بعمله فى الجاهلية والإسلام"، وأما من قال المراد من قوله من أحسن فى الإسلام عدم النفاق والمراد من الإساءة النفاق فقوله تمحل يخالف ظاهر الآية/ ١٢ وجيز. [الحديث أخرجه البخاري فى "استنابة المرتدين" (٦٩٢١) ومبسلم فى "الإيمان" (٣٢٢/١) ط الشعب.]

يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُعِينًا
وَكَفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٥﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا
قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ
﴿٧٦﴾ وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٠﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٨١﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أى: جميعه غير خائف من شيء
﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: ولم تبلغ جميعه وكتمت آية منه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: وما أديت
شيئاً منها كمن أضع ركن صلاة، أو فكأنتك ما بلغت شيئاً منها، فإن كتمان البعض
والكل سواء فى الشناعة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى: أنا ناصرك وحافظ روحك
فلا تخف أحداً^(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من قبل ذلك، فلما
نزلت تلك الآية تركت الحراسة^(*) ويجاهد الأعداء بعيب دينهم وسب آلهتهم بلا
خوف. قيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل بشج رأسه الأشرف صلى الله
عليه وسلم، أو المراد حفظ روحه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أى: بلغ
إليهم رسالتك والله الهادى وليس عليك هداهم قيل معناه: لا يمكنهم مما يريدون بك
من الهلاك. قيل: الأمر بتبليغ كل ما قصد منه اطلاع الناس فإن من الأسرار ما يحرم
إفشاؤه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أى: دين يصح أن يسمى شيئاً
﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى: تؤمنوا بجميع
الكتب وتصدقوها ولا تكتموا شيئاً منها فمن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ كرره ليتعقب
عليه قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لزيادة طغيانهم وكفرهم،
فإنهم الأشقياء وضرر كفرهم لا يلحق بغيرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: باللسان كالمنافقين
أو المراد منه المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِتُونَ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره محذوف

(١) رواه الترمذى وقال: الحاكم صحيح الإسناد/ ١٢ وحيز. [أخرجه الترمذى (٣٢٥٠)
من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذى"
(٣٤٤٠)]

(*) أخرجه الترمذى (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في
"صحيح الترمذى" (٣٤٤٠).

أى والصائبون كذلك وهو اعتراض مشعر بأنهم مع كمال ضلالهم إن آمنوا يتاب عليهم غيرهم من باب الأولى وهم طائفة من النصارى أو من عبدة الملائكة أو قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة، وقيل: غير ذلك ﴿وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: بقلبه أو ثبت على الإيمان مبتدأ خبره "فلا خوف" والجملة خبر إن وضمير اسمها محذوف أى: من آمن منهم أو بدل من اسم إن وخبره فلا خوف ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم من الدنيا ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾: ليذكروهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾: تشتهى أنفسهم ﴿جَمَلَةٌ شَرْطِيَّةٌ وَقَوْلُهُ: ﴿فَرِيقًا﴾: من الأنبياء ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ دال على جواب الشرط وهو استكبروا، وقوله: "فريقا كذبوا" مستأنفة كأنه قيل: كيف فعلوا برسولهم؟ وجملة الشرط والجزاء صفة "رسلا" أى كلما جاءهم رسول منهم ﴿وَوَحْسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أى: حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم شر بما صنعوا ومن قرأ "ألا تكون" بالرفع يكون أن مخفف من المثقلة ﴿فَعَمَّوْا﴾: عن الدين والدلائل ﴿وَوَصَّوْا﴾: عن إسماع الحق حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أى: ثم تابوا فقبل الله توبتهم ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَّوْا﴾ كره أخرى ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من ضمير الجمع ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أى: إني مخلوق مثلكم فاعبدوا خالق الكل ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في عبادته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ﴾: منزله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: ما لهم أحد ينصرهم لأنهم ظلمة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ^(١)﴾ أى: أحد ثلاثة من الآلهة هو المسيح وأمه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ

(١) أنه أحد ثلاثة من الآلهة هو المسيح وأمه قال الله تعالى: "أأنت قلت للناس اتخذوني

وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ ﴿١﴾ أَى: ولم يوحداوا ﴿لِيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليعلم أن ترتب العذاب لكفرهم، ومن للبيان ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾^(١) إِلَى اللَّهِ ﴿بِالْإِنْتِهَاءِ عَنْ تِلْكَ الْعَقِيدَةِ الْوَحِيدَةِ بَعْدَ هَذَا التَّهْدِيدِ﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿: يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ مَعَ هَذَا الذَّنْبِ الْجَسِيمِ﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿: مَا هُوَ إِلَّا رَسُولٌ كَالرُّسُلِ السَّابِقَةِ﴾ وَأُمَمُهُ صِدِّيقَةٌ ﴿: صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ كَأَنَّا يَا كَلَانَ الطَّعَامِ ﴿: يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَكُونَانِ إلهَيْنِ؟!﴾ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢﴾ ﴿ أَى: كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ وَتَدْبِرُ الْآيَاتِ﴾ ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ وَمِنْهُمْ النَّصَارَى ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لَا يَمْلِكُ^(٣) أَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرَ الْمَصَائِبِ وَلَا أَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْكُمْ نَفْعَ الصَّحَةِ

= وَأَمَى إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ" (المائدة: ١١٦) وَقَدْ حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ وَثَلَاثَةٌ أَقَانِيمٌ أَبُ وَابْنٌ وَرُوحٌ الْقُدُسُ وَالثَّلَاثَةُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَالشَّمْسِ يَتَنَاوَلُ الْقُرْصَ وَالشَّعَاعَ وَالْحَرَارَةَ وَعَنُوا بِالْأَبِ الذَّاتِ، وَبِالْإِبْنِ الْكَلِمَةِ، وَبِالرُّوحِ الْحَيَاةِ اخْتَلَطَتِ الْكَلِمَةُ بِجَسَدِ عَيْسَى كَالْمَاءِ فِي الْخَمْرِ فَكُلٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَهُ وَلَا يَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ فِي ثَالِثٍ ثَلَاثَةٌ إِلَّا الْإِضَافَةُ فَلَا يُقَالُ ثَالِثُ الثَّلَاثَةِ / ١٢ وَحِيْز.

(١) هَذَا مِنْ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِدْعَاءِ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ الْبَاطِلَةِ بَعْدَ أَنْ كَرَّرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَادَةَ بِكُفْرِهِمْ / ١٢ وَحِيْز.

(٢) وَدَخَلَتْ ثُمَّ لِلتَّرَاخِي مَا بَيْنَ الْعَجَبَيْنِ، فَإِنَّ الثَّانِيَّ أَعْجَبُ مِنَ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْآيَاتِ أَعْجَبُ مِنَ التَّوْضِيحِ / ١٢ وَحِيْز.

(٣) وَالْمُرَادُ هُنَا الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِيْثَارُ "مَا" عَلَى "مِنْ" لِنَحْقِيقِ مَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِهِ مَعْزَلٌ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ بَيَانِ انْتِظَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَلْكِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى شَيْءٍ أَصْلًا، وَقَدْ مَسَّحَتْهُ الضَّرُّ عَلَى النِّفْعِ لِأَنَّ دَفْعَ الْمَفَاسِدِ أَهْمٌ مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ

والسعة ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: بالأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾: بالعقائد فيجازى عنها ﴿قُلْ﴾^(١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾: لا تتجاوزوا عن الحد فيه ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: حال كون دينكم غير الحق أى باطلاً وقيل: صفة مصدر أى غلوا باطلاً فإن غلو الحق وهو التفحص عن حقائقه محمود ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أى: أئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقاً ﴿كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أى: استمروا على الضلال أو بعد بعثته أو ضلوا قبل عن مقتضى العقل ثم عن مقتضى الشرع.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٧٦) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٧٧) ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٧٨) ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٧٩) * ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا

= وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية والإلهية حيث لا يستطيع ضراً ولا نفعاً وصفة الرب والإله أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولى من الأولياء، فإنه أولى بذلك / ١٢ فتح.

(١) ولما سبق القول في أباطيل اليهود وشيء من ترهات النصارى جمع الفريقين في النهى فقال "قل يا أهل الكتاب" الآية / ١٢ وحيز.

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٤﴾ فَأَتْلُبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أهل آيلة لما اعتدوا في السبت قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسحوا قرده وأصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم ^(١) آية فمسحوا خنازير أو ملعونون في الزبور والإنجيل ^(٢) على لسانهما ﴿ذَلِكَ﴾ أى: اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أى: بسبب عصيائهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ ﴿٣﴾ فَعَلُوهُ﴾: لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه قيل: أى لا ينتهون من تنهى عن الأمر إذا امتنع ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ تعجيب مؤكدا بالقسم ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴿٤﴾﴾: من أهل الكذب ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يوالون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فإن المنافقين يوالون المشركين ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ما بعد أن هو المخصوص بالذم كأنه قال: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم أى

(١) وقال مجاهد والسدى وغيرهما/ ١٢.

(٢) هذا عن ابن عباس/ ١٢.

(٣) يعنى جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر وعدم النهى/ ١٢ وجيز.

(٤) إن كان المراد أهل الكذب الذين في عهد المسلمين فترى بصرية/ ١٢.

موجب سخطه ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالتَّيَّبِ﴾ أى: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إذ الإيمان يمنع عن ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١): خارجون عن طاعة الله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فإنهم^(٢) متفقون في الانهماك في حسدهم وعنادهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(٣) نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ عليهم القرآن بكوا وأسلموا ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبره وقيل: غير ذلك ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ﴾ أى: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ أى: عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤) كما يتكبر المشركون واليهود ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ عطف على يستكبرون بيان لركة أفندهم ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ جعلت أعينهم من كثرة البكاء كأنها تسيل بأنفسها ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

(١) وهذا من وضع الظاهر موضع المضمرة، وأصل الكلام: ولكنهم فاسقون، ولما طال الكلام أعيد كثيراً منهم بلفظه المذكور فلا يلزم أن معناه أن كثيراً من ذلك الكثير فاسقون/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنهما متفقان في الحسد، وفي تقديم اليهود إشارة إلى أنهم أصول في العداوة/ ١٢ وجيز. (٣) لم يرد به جميع النصارى؛ لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم كالنجاشي وأصحابه، وقيل في جميعهم؛ لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود/ ١٢ معالم.

(٤) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك، والعموم أولى ولا وجه لتخصيص قوم دون قوم والآية الكريمة ساكتة عن قيد الإيمان، وإنما هو مدح في مقابلة ذم اليهود، وليس بمدح على الإطلاق/ ١٢ فتح البيان.

من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ من الذين شهدوا بأنه حق أو من أمة محمد عليه ^(١) الصلاة والسلام فإنهم شاهدون يوم القيامة لنبيهم أنه قد بلغ، ولرسل أنهم قد بلغوا ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ نقل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتكم إلى دينكم فأجابوا. أى: أى شيء حصل لنا؟ وقوله: لا تؤمن حال من ضمير "لنا" أى: غير مؤمنين ﴿بِاللَّهِ﴾: بتوحيده ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونطمع حال وعامله عامل الحال الأولى، لكن مقيدًا بالحال الأولى بتقدير: ونحن نطمع وعطف على لا تؤمن أو حال من فاعل لا تؤمن ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ﴾: أعطاهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾: سألوا ربهم وتمنوا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: من تحت غرفها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا القول والعمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التكذيب بالآيات وإن كان داخلا فى الكفر لكن كفرهم لأجل تكذيبهم آيات ربهم والكلام فى بيان المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٤٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ

(١) رواه الحاكم فى مستدركه وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/ ١٢ وجزى. [ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٥٤٣/٢)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن ابن عباس -رضى الله عنه-]

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عباس/ ١٢ وجزى. [ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٥٣٨/٢) وعزاه لابن أبى شيبه وأبى الشيخ].

يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ فَكَفَّرْتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٢﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٨٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٤﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى: ما طاب ولذ منه ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تبالغوا فى التضيق على أنفسكم فى تحريم المباحات عليها، أو لا تجاوزوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم، أو لا تعتدوا فى تناول الحلال بل خذوا منه بقدر الكفاية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١): لا يرضى عن تجاوز الحد فى الأمور

(١) ولما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً وشيتمهم الزهد عن الطيبات أوهم ذلك رغبة المسلمين فى مثل تقشفهم وتبتلهم فبين أن الإسلام لا رهبانية فيه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا" قال ابن جرير لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم التبتل على عثمان بن مظعون [أخرجه البخارى فى "النكاح" (٥٠٧٣)]

نزلت في جمع من الصحابة منهم على بن أبي طالب رضى الله عنه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالإخفاء ولذلك قيل الاعتداء: الإخفاء ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾^(١) من ابتدائية متعلقة بكلوا وحلالا مفعوله أو للتبويض مفعول كلوا وحلالا حال من الموصول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ قيل لما نزلت الآية في منعهم عما اتفقوا عليه من الإخفاء وغيره قالوا: يا رسول الله: إنا قد حلفنا على ذلك فترل قوله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾^(٢): هو قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله، أو في الهزل أو في المعصية أو على

= ومسلم في "النكاح" (٥٤٩١٣) ط الشعب] فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله إليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لأُمَّته واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كان ذلك كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حلة وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرًا من عارض الحاجة على النساء، قال: فإن ظن ظان أن الفضل في غير الذى قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وهذا ما فضل بينهما من القيامة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر على الجسم من المطاعم الرديئة، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببًا إلى طاعته/ ١٢ فتح.

(١) قال ابن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيبات ما أغذى وأنى وأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه، إلا على وجه التداوى، ثم وصاهم الله تعالى بالتقوى/ ١٢ فتح.

(٢) وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى أنها قول الرجل لا والله وبلى والله في كلامه غير معتمد لليمين وبه فسر الصحابة الآية وهم أعرف بمعاني القرآن قال الشافعي: وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة/ ١٢ فتح.

غلبة الظن أو في الغضب أو في النسيان أو هو في ترك المأكل والملبس **﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾**: بما صمتم عليه وقصدتموه إذا حثتم **﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾** أى: كفارة نكته التى تذهب إثم **﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾**: وهو من لا يجد ما يكفيه **﴿مِنْ أَوْسَطٍ﴾** صفة إطعام أو تقديره إطعاماً من أوسط أو طعاماً من أوسط **﴿مَا تُطْعَمُونَ﴾** (١) أهليكم أى: من أعدله أو من أمثله، قال كثير من السلف: لكل واحد مد من بر ومعه إدامه، وقال بعضهم: نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما وعند الشافعى مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك أو **﴿كِسْوَتُهُمْ﴾** (٢) عطف على إطعام أى: ما يقع عليه اسم الكسوة أو كسوة تجوز صلاته فيها وقيل غير ذلك **﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** (٣): مؤمنة عند الشافعى فالحائث مخير بين هذه الثلاثة **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾**: واحداً منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله فى يومه وليلتنه **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾** أى: فكفارته ذلك، والتابع ليس بشرط عند الشافعى **﴿ذَلِكَ﴾** أى: المذكور **﴿كَفَّارَةُ إِيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾** يعنى: حثتم **﴿وَاحْفَظُوا إِيْمَانَكُمْ﴾** لا تتركوها بغير تكفير أو لا تحلفوا أو عس الحنث إذا لم يكن على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن الأفضل الحنث والكفارة حيث **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك البيان **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**: نعمه فيزيدنكم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾**: هو القمار بجميع أنواعه **﴿وَالْأَنْصَابُ﴾**: هى حجارة كانوا يذبحون

(١) والظاهر أن المراد قدر الشبع/ ١٢ وحيز.

(٢) والظاهر ما يسمى كسوة/ ١٢ وحيز.

(٣) مؤمنة عند الأكثرين، فالحائث مخير بين هذه الثلاثة، والعنق أفضل ثم الكسوة وبدأ بالأيسر/ ١٢ وحيز.

(٤) ولما نهى عما حرموا على أنفسهم بين ما هو الحرام وهم يتعاطونه يعنى الخمر والباقي ذكر تبعاً له ليعلم أن الخمر من جنسه فقال: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر/ ١٢".

قرايينهم عندها ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾: هي قداح كانوا يستقسمون بها وقد مر ﴿رَجِسٌ﴾^(١): سخط وإثم خير للخمر وخير الباقي محذوف أو تقديره تعاطى الخمر والميسر رجس ﴿مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ﴾؛ لأنه مسبب من تسويله ﴿فَاجْتَبُوهُ﴾ أى: الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تفلحوا بالاجتناب عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢) وَيَصُدُّكُمْ: يمنعكم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

(١) في الصحاح الرجس: القدر والعقاب والغضب وهذا كما قال: "إنما المشركون نجس" (التوبة: ٢٨) فلا حاجة على تقدير مضاف فإنه أبلغ/ ١٢ وجيز.

(٢) وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر دلت أيضاً على تحريم الميسر والأنصلب والأزلام قال قتادة: الميسر هو القمار وقال ابن عباس: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعباب وعن علي بن أبي طالب قال: النرد والشطرنج من الميسر وعنه قال الشطرنج ميسر الأعاجم، وقال قاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر، وعن ابن الزبير قال: يا أهل مكة بلغني عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها نرد شير، والله يقول في كتابه "إنما الخمسر والميسر" الآية إلى قوله "فهل أتمم منتهون"، وإني أحلف بالله لا أوتى بأحد يلعب بها إلا عاقبته في شعره وبشره، وأعطيت سلبه من أتاني به، وعن أنس بن مالك قال: الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مال يتيم فأحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هي شر من النرد وسئل أبو جعفر عنه فقال: تلك الجوسية فلا تلعبوا بها وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنرد شير فقد عصى الله ورسوله، وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن كثير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم يلعبون بالنرد فقال: قلوب لاهية وأيد عليلة وسنة لاغية وقال ابن سيرين: ما كان من لعب فيه قمار أو صياح أو شر فهو من الميسر، وفي الباب روايات كثيرة مشتملة على الوعيد الشديد لا تطول بذكرها، وقد أشار سبحانه إلى ما في الخمر

الصَّلَاةِ) ذكر الأنصاب والأزلام اللذين هما من الكفر مع الخمر والميسر كأنه للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة، ولذلك خصهما بإعادة الذكر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ من أبلغ عبارة في النهي كأنه قال قد تلوت عليكم من أنواع الصوارف فهل أنتم معها منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه ولم ينفعكم الزجر؟! ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾: مخالفتها ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فلا ضرر له، وإنما ضررتم به أنفسكم، ولما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أحد شهداء والخمر في بطونهم فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾: إثم ﴿فِيمَا طَعَمُوا﴾: مما لم يحرم عليهم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: الحرام ﴿وَأَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما حرم عليهم بعد ﴿وَأَمَّنُوا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ استمروا على اتقاء المعاصي ﴿وَأَحْسَنُوا﴾: العمل ومعناه في الأول: اتقوا الشرك وآمنوا ثم اتقوا أى: داموا على ذلك وآمنوا وثبتوا عليه وازدادوا إيمانًا ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغُنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ

= والميسر من المفسدات الدنيوية بقوله: "إنما يريد الشيطان" الآية/ ١٢ فتح. [ذكر هذه الآثار

السيوطي في "الدر المنثور" (٥٦٤/٢)]

الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا
 اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٥٦﴾ أَجَلَ لَكُمْ صَيْدُ
 الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٧﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا
 لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَاللَّهْدَى وَالْقَلْبِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٩﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ
 الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَكُمْ اللَّهُ﴾: يختبرنكم ﴿بشئٍ من الصَّيْدِ﴾ هذا في عمرة
 الحديبية المسلمون محرمون والصيد من الوحش والطيور تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله
 قط ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾: تتمكنون من أخذه باليد، لأن فيه صغاراً وفراخاً ﴿وَرِمَّا حَكْمٌ﴾:
 تحتاجون إلى مزاولة الرمح لأن فيه الكبار ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: ليرى الله وليتميز ﴿مَنْ يَخَافُهُ
 بِالْغَيْبِ﴾: من يخاف الله ولم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير شاهد ﴿فَمَنْ
 اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الإعلام والإنذار ﴿فَلَهُ عَذَابٌ﴾^(١) أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ^(٢) ﴿أى: محرمون جمع حرام ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾:
 ذاكراً لإحرامه، والأصح عند السلف والخلف أن العمد والخطأ سيان في لزوم الكفارة

(١) والله الحمد على أن لم يقعوا في مثل ما وقع فيه اليهود، ولما علم من ضمن الكلام حرمة
 الصيد في الإحرام أمرهم صريح فقال: "يا أيها الذين" الخ/ ١٢ وحيز.

(٢) فإن الإحرام تذكرة للموت والميت لا يؤدي بوجه والحرم موطن الرفق أيضاً/ ١٢.

دون الإثم والآية فيهما ولذلك قيده بمتعمد، أو يدل عليها صريحاً قوله "ومن عاد فينتقم الله" ﴿فَجَزَاءٌ﴾: أى فعلية أو فواجهه جزاء ﴿مَثْلُ مَا قَتَلَ﴾ صفة جزاء ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ بيان للمثل ومن قرأ فجزاء بالإضافة فمن إضافة المصدر إلى المفعول والمثل غير زائد، لأنه بصدد بيان أن الجزاء ما هو لا بيان أن عليه جزاء ما قتل، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة على الأصح^(١) المنقول عن السلف ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾: الجزاء ﴿ذَوَا﴾^(٢) عَدْلٌ: رجلان صالحان فإن الأنواع تتشابه، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، ﴿مِنْكُمْ﴾: من المسلمين فما حكم الصحابة بالمثلية فهو المتبع وإلا فلا بد من عدلين يحكمان، هذا هو الأصح، ﴿هَدِيًّا﴾ حال من ضمير به، ﴿بِالْعِ كَعْبَةِ﴾، صفة هدياً، والإضافة لفظية أى: واصلاً إليه بأن يذبح فيه، ويتصدق به، ﴿أَوْ كَفَّارَةً﴾، عطف على جزاء، ﴿طَعَامٌ مَسَاكِينَ﴾ بدل منه أو تقديره هى طعام وظاهره التخيير وعليه الأكثرون، وقال بعض من السلف: إن لم يجد هدياً يعدل على أن يقوم مثل ما قتل، فيشتري بثمنه طعاماً لكل مسكين مد فإن لم يجد يصوم، ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ﴾^(٣)

(١) وعند الشافعى للمحرم قتل ما لا يؤكل، فإن الصيد لا يطلق عليه عرفاً غالباً والجمهور على تحريمه إلا ما يؤمر بقتله، وظاهر القرآن على أن في غير المتعمد لا جزاء وبه قال ابن عباس فى أحد قوليه وابن جبیر وطاوس وعطاء وسالم وبه قال أبو داود والطبرى وأحد قولى الحسن البصرى، ومجاهد وأحمد وأما عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فلا إثم، ولكن وجب الجزاء ويأباه قوله "متعمداً" وقوله "ومن عاد"/ ١٢ وحيز.

(٢) فما حكم الصحابة فى المثلية فهو متبع، وإلا فلا بد من عدلين على الأصح/ ١٢.

(٣) الظاهر أن الإشارة إلى أقرب مذكور، وهو الطعام أى: ما ساواه من الصوم، فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً وصياماً تمييز للعدل قد أجهل قدر الطعام وعدد المساكين والظاهر ما يسمى طعاماً وما يطلق عليه الجمع لكن عند جمع من السلف يُقَوِّمُ الصيد دراهم، ثم يشتري بها الطعام فيطعم كل مسكين نصف صاع، وعند بعض آخر يُقَوِّمُ

صِيَامًا» أى: ما سواه من الصوم فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً وصياماً تمييزاً للعدل، ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: ثقل أمره، وجزاء معصيته أى: أوجبنا عليه ذلك ليدوق، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى مثل ذلك، ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: فى الآخرة أى: فهو ينتقم الله منه ليصح دخول الفاء وعليه مع ذلك الكفارة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا كفارة عليه فإن الأمر أشد، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾: على المصر بالمعاصى، ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: مما لا يعيش إلا فى

= الهدى ثم يشتري بقيمته طعاماً والآية كالصريح فى التخيير بين الثلاثة كالحلف وعليه الأكثرون وهو أصح قولى الشافعى/ ١٢ وجيز.

(١) وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره أما السمك فميته حلال مع اختلاف أنواعها، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحلت لنا ميتتان السمك والجراد" [أخرجه أحمد (٩٧/٢)، وابن ماجه (٣٣١٤)، وانظر "الصحيحة" (١١١٨)]، فلا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبى حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انخسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله، وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو قول أبى حنيفة، وذهب قوم أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورهما كالجرث يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول عمر وأبى بكر وابن عباس، وزيد بن ثابت وأبى هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعى، وذهب قوم على أن ما له نظير فى البر يؤكل فميته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره فى البر لا يحل من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخترير، والحمار ونحوها وقال الأوزاعى: كل شيء عيشه فى الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال: نعم قال الشعى لو أن أهلى

الماء في جميع الأحوال **﴿وَوَطَعَامُهُ﴾** أى: ما يتزود منه يابسًا مالحًا أو ما لفظه ميتًا، **﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾**: منفعة للمقيم، والمسافر، وهو مفعول **﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾** (١) أى: مصيدها، وعن بعضهم المراد بالصيد في الموضوعين فعله **﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾** وأما أكل لحم صيد غير المحرم لا لأجله في حال الإحرام فالأصح الجواز بدليل الحديث، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ﴾** (٢) **﴿تُحْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾**، عطف بيان للكعبة على جهة المدح، **﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾**: في أمر دينهم ودنياهم به الحج وبه يلوذ الخائف، وهو ثانی مفعولى جعل، **﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾**، عطف على الكعبة جعل الأشهر الحرم قيامًا للناس فيه الحج، والأمن من القتال، **﴿وَالْهَدْيِ﴾**: ما أهدى إلى الكعبة، **﴿وَالْقَلَائِدَ﴾**: ذوات القلائد من الهدى ما قلده به الهدى من نعل، أو لحاء شجر أى: علامة يعلم منها أنه هدى، وكانوا يؤمنون بتقليد الهدى فيه يحصل القيام، **﴿ذَلِكَ﴾** أى: الجعل وقيل إشارة إلى ما فى السورة من أخبار الغيب، **﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**، فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل الوقوع، وجلب المنافع دليل كمال علمه أو لتعلموا أنا نعلم مصالح دينكم ودنياكم،

= أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس، وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر/ ١٢ معالم.

(١) والظاهر أن الصيد فى الموضوعين فى الصحيحين أن جماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد للحرم فقال هل كان فيكم أحد أشار إلى الصيد وأعان فى القتل قالوا لا فأكلوا وأكل منها/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري فى "الذبائح والصيد" (٥٤٩٢)، ومسلم فى "الحج" (٢٧٩/٣) ط الشعب واللفظ له]

(٢) ذكر الحشر إذ يظهر فيه جزاء من أطاع وعصى، ولما ذكر تعظيم الإحرام بالنهى عن قتل الوحش فيه وذكر تعظيم الكعبة بقوله: "هديا بالغ الكعبة" بين بعده أن الكعبة جعل قيامًا للناس فقال: "جعل الله الكعبة"/ ١٢ وجيز.

فتستدلوا بهذا على أنه عالم بما فى السماوات والأرض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،
تعميم بعد تخصيص.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن انتهك محارمه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
لمن حافظ عليها ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: فإذا بلغ ليس لكم عذر فى التفریط،
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من تصديق وتكذيب، ﴿قُلْ (١) لَا يَسْتَوِي
الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ (٢)﴾: الحرام والحلال، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: فإن ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الخبيث ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أرباب
العقول السليمة، (٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: راجين أن تبلغوا الفلاح.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن
تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن
بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ

(١) ولما حذر عن المعصية، ورجب فى الطاعة وكرر ذلك أتبعه بنوع آخر من الترغيب
والترهيب، فقال: "قل لا يستوى الخبيث" الآية/ ١٢ وجزئ.

(٢) يمكن إطلاقهما على المؤمن والكافر، والمطيع والعاصى، والجيد والردى، والمعرفة
والجهل، والطاعة والمعصية والأولى حملها على العموم/ ١٢ وجزئ.

(٣) والفلاح أقصى غاية مراد المرء العاقل، ولما كرر عدم استواء الخبيث والطيب وأشار إلى
أن العقل الخالص هو المميز وبعض الأسئلة من قسم الخبيث أمر باجتنابه فقال: "يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء" الآية/ ١٢ وجزئ.

الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ مَّوْتٌ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرتبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثْمِينَ ﴿١١٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَجَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾ ذَٰلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ﴾: تظهر لكم، ﴿تَسْأَلُكُمْ﴾: تمنعكم وتضركم. الشرطية وما عطف عليها من الشرطية الأخرى صفة أشياء نزلت^(١) لما سئل من يطعن في نسبه من أبي فعينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال آخر أين أبي؟ قال: "في النار" (***) أو نزلت

(١) روى في الصحيحين/ ١٢ وجزئ. [أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ﴾

أشياء إن تبدل لكم تسؤكم﴾ (٤٦٢١) ومسلم في "الفضائل" (٢٣٥٩)

(**) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٥٣/٧/٥) من حديث أبي هريرة. وذكره الحافظ في "الفتح" (١٣١/٨).

لما^(١) نزل وجوب الحج، فقال: " في كل عام، فقال: ولو قلت نعم لوجبت فاتركوني ما تركتم " **﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾** أى: وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، **﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾** أى: عما سلف من مسألتكم، فلا تعودوا لمثلها فهي استئناف أو صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها، **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**: لا يعاجلكم بالعقوبة، **﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾** أى: عن الأشياء بال حذف والإيصال، وقيل الضمير إلى المسألة التي دل عليها "لا تسألوا" فيكون في موقع الصدر وليس من قبيل سألته درهما، لأنهم ما طلبوه، بل سألوا عنه، **﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾**، متعلق بسألها، **﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾** أى: بالأشياء أو بسببها، **﴿كَافِرِينَ﴾**؛ لأنهم تركوها وهجروها وقد^(٢) ورد "اتركوني ما تركتكم وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" **﴿مَا^(٣) جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾** أى^(٤) ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير، فلا يطلب إلا مفعولا واحداً و من زائدة، وهى ناقة ولدت خمسة أبطن بجروا أى: شقوا أذنفاً وتركوا الحمل، والركوب عليها، **﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾**: هى ناقة لا تركب، ولا تحبس عن كلاء وماء لنذر صاحبها إن حصل ما أراد من شفاء المريض، أو غيره أنها سائبة، **﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾**: الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظر إن كان السابع ميتاً فهو

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم في "الحج" / باب:

فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧)]

(٢) في الصحيحين/ ١٢ وجيز. [تقدم تخريجه].

(٣) لما نهي عن بعض الأسئلة وأمر بالاكتفاء بما أمرهم علم منه بطريق الأولى عدم جواز اختراع شرع من عند أنفسهم فقال: "ما جعل الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) قال النحاة: إن جعل يجيء بمعنى خلق وألقى وصير وبمعنى أخذ في الفعل وبمعنى سمى، وأما جعل بمعنى شرع وسن فلم يسمع، والحمل على ما سمع أولى وأحرى/ ١٢ وجيز.

للرجال دون النساء، وإن كان ذكراً فهو مذبح للرجال، وإن كان أنثى تركوها فلم يذبح، وإن كان ذكراً و أنثى خلوا الذكر أيضاً من أجل أنثى، وقالوا: وصلت أخاها ولبنها للرجال ﴿وَلَا حَامٍ﴾: هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يحمل عليه، وقد قيل في تفسير كل واحد غير ما نقلنا، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: في تحريمهم هذه الأنعام، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: جهلة كالأنعام، بل هم أضل أو أكثرهم مقلدون لرؤسائهم لا يعرفون ان ذلك افتراء منهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: في الفرائض والسنن، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من سننهم السيئة، ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، الواو للحال والهمزة للإنكار أى: أحسبهم وجدان آبائهم على هذا المثال، ولو كان الحال أن آباءهم جهلة ضلال^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الجار والمجرور اسم فعل أى: الزموا صلاحها، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فيه رخصة^(٣) في ترك الحسنة إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة وإضرار له منها اتفقت كلمة السلف على ذلك،

(١) فلما حال لا ينبغي أن يتبع فيها/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما رغب ورهب ونصح ولم يقد لهم، بل بقوا مصرين على فعل آبائهم وحسبوا أن تركهم لما هم عليه عار خاطب المؤمنين فقال: "يا أيها الذين آمنوا عليكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) لما توهم من ظاهر الآية الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والإذن في ذلك، بل الأمر به أشار إلى الجواب بأن الرخصة إذا علم عدم قبولها أو إذا كان فيها مفسدة فوقها أو المراد من الاهتداء أن ينكر، ويأمر حسب طاقته، فليس عليه بعد ذلك شيء أو للمنع عن هلاك النفس حسرة وأسفا على ما فيه الفسقة/ ١٢ منه.

والأحاديث تدل^(١) عليه أو معنى إذا اهتديتم إذا ائتمرتم بالمعروف، وأمرتم به، وانتهيتم عن المنكر، ونهيتم عنه حسب طاقتكم أو المراد المنع عن هلاك النفس أسفًا على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر: ٨)، وهو استئناف أو جواب للأمر أى: إن لزمتم أنفسكم لا يضركم، والقياس الفتح لكن أوثرت ضمة الراء لا تباع الضاد، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وعد ووعيد للفريقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾، إضافة إلى الظرف على الاتساع، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، ظرف للشهادة، وحضوره: ظهور أماراته، ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، بدل من الظرف وفيه دليل على أن الوصية مما لا ينبغي التساهل فيها، ﴿اِثْنَانِ﴾، خبر شهادة أى: شهادة بينكم شهادة اثنين أو فاعلها أى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، ﴿ذَوَا (٣) عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: من المسلمين، وقيل من أقاربكم وهما صفتان لاثنان، ﴿أَوْ

(١) قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الآية: "اتتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت ديننا مؤثرة وشحا مطاعًا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك" / ١٢ وجيز. أخرجه الترمذى، وصححه ابن ماجه وابن جرير والبغوى والحاكم وغيرهم / ١٢ فتح. [وضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف ابن ماجه (٨٦٩)".]

(٢) اعلم أنه تعالى لما أمر بحفظ النفس فى قوله: "عليكم أنفسكم" أمر بحفظ المال فقال: "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم" الآية / ١٢ كبير.

(٣) قيل إن الضمير فى منكم للمسلمين، وفى غيركم للكفار وهو الأنسب بسياق الآية، وبه قلل أبو موسى الأشعري، وابن عباس وغيرهما، فيكون فى الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة من المسلمين فى خصوص الوصايا كما يفيد النظم القرآنى، ويشهد له السبب للزول، وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبیر وأبو مجلز والنخعى وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدى والثورى وأبو عبيد وأحمد بن حنبل، وقيل ضمير منكم إلى القرابة وغيركم إلى الأجانب، وإليه ذهب الزهري والحسن وعكرمة،

آخِرَانِ، عطف على اثنان، **﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾**: من غير المسلمين أو من غير أقاربكم،
﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أى: شهادة غير المسلم إذا كنتم فى السفر يعنى: لم
تجدوا مسلماً، **﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾**، عطف على ضربتم، وجواب الشرط
مخذوف أى: إن كنتم فى سفر ولم تجدوا مسلمين، فيجوز إسهاد غير المسلمين،
﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾: تفوهنهما صفة للآخران، أو استئناف كأنه جواب ما قيل كيف نعمل
إن ارتبنا فى الشاهدين؟! **﴿مَنْ بَعْدَ الصَّلَاةِ﴾** أى: صلاة العصر، فإن أهل الكتاب أيضاً
يعظمونها أو بعد صلاة ما، أو بعد صلاتهم، **﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾** أى: إن
ارتاب أحد الوارثين فيهما حبسهما للحلف، **﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾**: بالقسم، **﴿ثَمَنًا﴾**،
الجملة مقسم عليه أى: لا نستبدل به عرضاً من الدنيا أى: لا نخلف كاذب، **﴿وَلَوْ
كَانَ﴾**: من نقسم له، **﴿ذَا قُرْبَى﴾**: قريباً منا لا نخلف له كاذباً أى نحن رجال عادتنا
الصدق لنا أو علينا، **﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾** أى: الشهادة التى أمر الله بإقامتها، **﴿إِنَّا
إِذَا لَمِنَ الْإِثْمِينَ﴾**: إن كنمنا، **﴿فَإِنْ عَثِرَ﴾**: اطلع **﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾** أى: آخرين
﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾: استوجبا إثماً بيمنهما الكاذبة، **﴿فَآخِرَانِ﴾**: فشاهدان آخران،
﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، خير لقوله فآخران، **﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾**: من الذين
جنى عليهم، وهم الورثة، فضمير استحق للإثم أى ارتكب الذنب بالقياس إليهم،
﴿الْأَوْلِيَانِ﴾ أى: أحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما استئناف كأنه قيل من هما قال:

= ذهب مالك والشافعى عن عكرمة وغيرهم من الفقهاء إلى أن الآية منسوخة واحتجوا
بقوله: "ممن ترضون من الشهداء"، وقوله: "وأشهدوا ذوى عدل منكم" (الطلاق: ٢) والكفار
ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، وهو الحق لعدم وجود
دليل صحيح يدل على النسخ وأما الآيتان المذكورتان فهما عامان فى الأزمان والأشخاص
والأحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب فى الأرض وبالوصية، ومجال عدم شهود
المسلمين، ولا تعارض بين خاص وعام/ ١٢ فتح.

هم الأوليان، أو بدل من آخران، ومن قرأ الأولين فهو صفة، أو بدل من الذين، ومن قرأ استحق غير مجهول، فهو فاعل^(١) أى: من الورثة الذين استحق^(٢) عليهم الأوليان بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، **﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾**، عطف على يقومان، **﴿لشهادتنا أحق﴾**: بالاعتبار، **﴿من شهداهما﴾**، أو أصدق، **﴿وما اعتدنا﴾**: ما تجاوزنا عن الحق فيها، **﴿إننا إذا لمن الظالمين﴾**: إن اعتدنا، **﴿ذلك﴾** أى: الحكم الذى تقدم، **﴿أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾** أى: أقرب أن يأتى الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة، فلا يغيرونها، **﴿أو يخافوا أن ترد أيمان﴾**: على المدعين، وهم أولياء الميت، **﴿بعد أيمانهم﴾**: إذا ظهر للأولياء أمارات كذب الشاهدين، فيفتضحوا أى: أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب، **﴿وأتقوا الله وأسمعوا﴾**: بسمع إجابة ما أمرناكم، **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**^(٣): أى إن لم تسمعوا كتتم فاسقين والله لا يهديهم، ومحصل الآية أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغى أن يشهد على وصيته اثنين من المسلمين أو من قرابته، فإن لم يجدهما بأن كان فى سفر فأخرين من غيرهم، ثم إن وقع

(١) والمفعول محذوف، وهو أن يجردوهما للشهادة أى للحلف على أولوية شهادتهما، وهما بالحقيقة الآخران اللذان يقومان مقام الأولين على وجه الظاهر موضع المضمرة، لكن لم يمكن أن يجعل فاعل استحق ضمير آخران الأفراد هذا فى المنية، وفى الكمالين، ومفعوله محذوف قدره ابن عطية ما لهم وتركتهم، وقدره بعضهم وصيتهما وقدر الزمخشري أن يجردوهما للقيام بالشهادة/ ١٢.

(٢) استحق بضم التاء على المجهول هذا قرأة العامة، وقرأ حفص بفتح التاء والحاء وهى قراءة على والحسن/ ١٢ منه.

(٣) لما أخبر بشاهدى الوصية بعد ما بين أمر الضالين ذكر بهذا اليوم المخوف يخوف من الشهادة من لم يتق الله فقال: "يوم يجمع".

ارتياب فيهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أيضاً، فإن اطلع بأماراة، ومظنة على كذبهما أقسم آخران من أولياء الميت، هكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآيات غير واحد من أئمة السلف والتابعين، وهو مذهب الإمام أحمد، والقاضي شريح في خاصة مثل هذه الواقعة، وقال بعضهم حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرون فإن شهادة الكافر كانت في بدأ الإسلام ثم نسخت، وقال بعضهم المراد من الشهادة الوصاية وكون الوصي اثنين للتأكيد فإنهم قالوا: لا نعلم حكماً يحلف فيه الشاهد وهو خلاف الظاهر المتبادر، وسبب نزول الآية أن رجلاً من المسلمين خرج مسافراً معه رجلان من أهل الكتاب، ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاماً من فضة مموها بالذهب، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء، ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما، فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذنا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعُيُوبِ﴾ ٥١٠ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١١﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿٥١٢﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا

وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً
 مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ
 بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾^(١) اللَّهُ الرَّسُلَ﴾ أى: اذكر يوم جمعهم، وقيل ظرف للايهدى، أو بدل
 اشتغال من مفعول اتقوا، ﴿فَيَقُولُ﴾: لهم، ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أى إجابة أجبتم، إجابة
 إقرار أو إنكار، ﴿قَالُوا لَا﴾^(٢) عِلْمَ لَنَا﴾: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم، أو لا علم
 لنا بما أحدثوا بعدنا أو بالنسبة إلى علمك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: فتعلم ما
 نعلم، وما لا نعلم، وهذا السؤال لتوبيخ الأمم، ﴿إِذْ قَالَ﴾^(٣) اللَّهُ، بدل من يوم الجمع

(١) اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعاً كثيرة من
 الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح
 أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكداً لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر
 فيهما تقدم أنواعاً كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولاً ثم ذكر أحوال
 عيسى أما وصف أحوال القيامة فهو قوله: "يوم يجمع الله" / ١٢ كبير.

(٢) لا نعلم ما كان لهم بعد وفاتنا أو لا علم لنا البتة بأحوالهم إنما الحاصل عندنا من أحوالهم
 هو الظن، والظن كان معتبراً في الدنيا لأن الأحكام في الدنيا كانت مبنية على الظن،
 وأما الآخرة فلا التفات فيها إلى الظن، لأن الأحكام في الآخرة مبنية على حقائق الأشياء
 وبواطن الأمور فلهذا السبب لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولم يذكروا البتة ما معهم من
 الظن؛ لأن الظن لا عبرة به يوم القيامة، وهذا الوجه هو الذى خطر ببالي وقت الكتابة/
 .١٢

(٣) اعلم أن الغرض من قوله تعالى للرسول: "ماذا أجبتم" توبيخ من تمرد من أمهم وأشد
 الأمم افتقاراً إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام؛

أو بتقدير اذكر، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾^(١) إِذْ
 أَيْدُتْكَ: قويتك ظرف نعمتي، أو حال منهما، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل، وقيل
 بكلام ونفس يحيى به الدين، والموتى، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: بدعوهم إلى الله تعالى، ﴿فِي
 الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، عطف على محل في المهد فإنه حال قالوا، وما وصل إلى سن من
 الكهولة، ففيه إشارة إلى نزوله من السماء، وهو آية من آياته، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
 الْكِتَابَ﴾: الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
 كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: تشكله وتصوره على هيئة طائر، ﴿يَاذْنِي﴾: لك في ذلك، ﴿فَتَنْفُخُ
 فِيهَا﴾: في تلك الصورة، ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾: تطير، ﴿يَاذْنِي﴾: وأمرى ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ
 وَالْأَبْرَصَ يَأْذِنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذِنِي﴾: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم بإرادة
 الله وقدرته، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أي: عن قتلك، ﴿إِذْ جَنَّتْهُمْ
 بِالْبَيْتَاتِ﴾، ظرف لكففت، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا
 سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أُوحِيتُ﴾: ألهمت أو بلسانك ﴿إِلَى الْخَوَارِجِينَ﴾: أصحابه، وأنصاره،
 ﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا﴾: يا الله أو يا أيها الرسول، ﴿بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون، ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجِيُّونَ﴾، منصوب باذكر، ﴿يَا عِيسَى

= لأن طعن سائر الأمم كان مقصوراً للأنبياء، وطعن هؤلاء الملاعين تعدى إلى جلال الله،
 وكبريائه حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزوجة، والولد
 فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة،
 والمقصود منه توبيخ النصارى، وتقريرهم على سوء مقاتلتهم فإن كل واحدة من تلك
 النعم المعدودة على عيسى تدل على أنه عبد، وليس بإله، والفائدة في هذه الحكاية تنبيه
 النصارى على قبح مقاتلتهم، وركاكة مذهبهم واعتقادهم/ ١٢ كبير.

(١) ونعمته على أمه ما هي المذكورة في مواضع من براءتها مما نسب عليها وغير ذلك/ ١٢

وحيز.

ابن مريم هل يستطيع ربك؟، وهذا كما تقول: هل تستطيع أن تحيى معي؟ عالماً باستطاعته أى هل تفعل أم لا؟ أو بمعنى هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك فيكون أطاع واستطاع بمعنى كأجاب واستجاب، وقيل: شكوا^(١) أى فى قدرة الله، ولذلك أجابهم عيسى عليه السلام بقوله: "اتقوا الله"، ومن قرأ هل تستطيع بالثناء، وربك بالنصب، فمعناه هل تستطيع سؤال ربك؟ ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾^(٢) مِنَ السَّمَاءِ قَالَ: عيسى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى سؤالها، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أى: لا يليق اقتراح الآيات بعد الإيمان، ﴿قَالُوا تُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾، فأجابوا بأن طلبها لأجل الحاجة لا أنا نطلب آية، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾: بزيادة علمنا، ﴿وَنَعْلَمَ﴾: علم مشاهدة بعد ما علمناه علم إيمان، ﴿أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا﴾: فيما وعدتنا أو فى نبوتك، ﴿وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أى: من الشاهدين على تلك المائدة الدالة على نبوتك أو من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها من بنى إسرائيل، وعليها متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾، نداء ثان فإن اللهم لا يوصف، ولا يدل منه، ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ أى: خوان إذا كان فيه الطعام، ﴿مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾، العيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص فضمير تكون للمائدة على حذف مضافين أى: تكون يوم نزولها أو اسم سرور يعود فلا حذف، لكن فى الإسناد مجاز، ﴿لأَوْلَانَا﴾، بدل من لنا، ﴿وَأَخْرِنَا﴾: لتقدمينا ومتأخرينا أو يأكل منها أولنا وآخرنا ﴿وَأَيَّةَ مِنْكَ﴾: على كمال قدرتك، وصحة نبوتى، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: مجيباً له، ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: بعد نزولها، ﴿مِنْكُمْ﴾

(١) وهو الظاهر، والشك فى القدرة هل هو كفر أم لا فى أول من أسلم محل بحث/ ١٢

وحيز.

(٢) هى الخوان الذى عليه الطعام/ ١٢ وحيز. لاقتراح آية من الله مع بشاعة اللفظ/ ١٢

وحيز.

فَإِنِّي أَعَذَّبُهُ عَذَابًا»: تعذيبًا، ﴿لَا أَعَذَّبُهُ﴾، الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد فإن لا أعذبه صفة عذابًا أو من باب الحذف والإيصال أى: لا أعذب به، ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: على زمانهم والأصح أن المائدة نزلت^(١) وكفروا بها فمسخوا قرده^(٢) وخنازير قيل ما مسخ أحد قبلهم حتريرًا، فالعالمين مطلق قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عتابًا يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّٖٓ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾ إِن تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ قَالَ اللَّهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّٰلِحِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ

(١) وأقوال السلف بأجمعهم صريحة في نزول المائدة وكفرهم بها وكيف لا وقد قال الله: "فإني مترها عليكم" الآية/ ١٢ منه.

(٢) كأصحاب السبت لكن روى ابن جرير وابن أبي حاتم تعليقًا وصححه عن الحسن ومجاهد أنهما خالفا الجمهور لم يترل فإنه لما شرط عليهم الشرط [في الأصل كلمة مطموسة] وقالوا لا نريد وأما كفرهم المائدة فعلى ما أخرجه الترمذى أنه قال صلى الله عليه وسلم: نزلت المائدة خبزًا ولحمًا وأمروا أن لا يدخروا الغد ولا يخونوا، فخانوا وادخروا فمسخوا قرده وخنازير/ ١٢.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾: يوم القيامة تقرّيعا وتوبيخا للنصارى على رءوس الأشهاد، ﴿يَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ (١) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾،
صفة إلهين أو متعلق باتخذوني، ﴿قَالَ سُبْحَانِكَ﴾: أنزهك تترّيعا من أن يكون لك
شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾: ما ينبغي أن أقول قولاً لا يحق
لي أن أقوله فمتعلق لي بحق المقدر قبله، فإن تقدم صلة الجار على الجورر ممتنع، ﴿إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ (٢) تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي (٣) نَفْسِكَ﴾: تعلم ما
أخفيه، ولا أعلم ما تخفيه، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي
بِهِ﴾، تصريح بنفى المستفهم عنه، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، بدل من ضمير به،
والمبدل ليس في حكم المطروح بالكلية أو عطف بيان له، ﴿وَكُنْتُ (٤) عَلَيْهِمْ

(١) ذكر أن عيسى لما سمع هذا الخطاب ارتعدت مفاصله فانفجر من أصل شعره منه عين
من دم فعند ذلك قال سبحانه/ ١٢ وجيز. قيل لما قالوا ولدت مريم إلهاً لهم من
حيث البعضية القول بإلهية من ولدته فصاروا بمثابة من قال وإلا فلم يقل أحد بإلهية
مريم/ ١٢ وجيز.

(٢) علق مستحيلاً على مستحيل، وهو نفى العلم بذلك القول فانتفى القول/ ١٢ فتح.

(٣) فيه دلالة على إطلاق لفظ النفس عليه سبحانه/ ١٢ فتح.

(٤) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم محشورون وإن ناساً يؤخذ بهم
ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح "وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلمنا
توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" إلى قوله: "العزير الحكيم" رواه البخاري. [أخرجه
البخاري في "التفسير" (٤٦٢٥)]

شَهِيداً: مشاهداً لأحوالهم، ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، بالرفع إلى السماء، والتوفي أخذ الشيء وافيًا، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع عليه، ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: لا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل في ملكه، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع كفرهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: القوى القادر على الثواب، والعقاب لا تتيب ولا تعاقب إلا عن حكمة، والمغفرة وإن كانت قطعية الانتفاء في الكفار بحسب الوعيد، لكن يحتمل الوقوع، واللاوقوع بحسب العقل فجاز استعمال إن فيه، ومسألة الكلام أن غفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قيل معناه، إن تعذبهم أى: من يكفر منهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم أى: من أسلم منهم، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مجيباً لرسوله فيما أمناه إليه من التبرى من النصارى، ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: المستميرين، ﴿صِدْقُهُمْ﴾: في دنياهم إلى آخرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ينفع الموحدين توحيدهم، والمشار إليه يوم القيامة، ومن قرأ يوم بالنصب فيكون ظرفاً لقال، والمشار إليه قوله "يا عيسى ابن مريم أنت" إلخ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١) وَمَا فِيهِنَّ﴾: خلقا وملكا فلا شك في كذب زعم النصارى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يكون إلا هو وحده إلهاً لأنه لو كان متعدداً لا بد أن يكون كل واحد قادراً على كل شيء، وهذا محال.

والحمد لله حق حمده..

(١) والأصح أن "ما" يختص بغير ذوى العقول، بل يتناول الأجناس كلها من العقلاء، وغيرهم/ ١٢ وجيز.

سورة الأنعام مكية غير ست أو ثلاث آيات:

من قوله "قل تعالوا" وهي مائة وخمس، أو ست وستون آية

وعشرون ركوعاً(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضَىٰ الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا

(٥) وهي في مصحفنا، الذي برواية حفص عن عاصم مائة وخمس وستون آية، ولكن

المصنف أوردتها مائة وستين آية.

وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمع^(١) السموات لظهور تعددها
دون الأرض، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: أنشأهما، وجمع الظلمات لكثرة
أسبابها، فإن لكل جرم نور، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، عطف على الحمد
لله وثم للاستبعاد ومفعول يعدلون محذوف أي: يسوون الأوثان (برهم) أو برهم متعلق
بـ "كفروا" و"يعدلون" من العدول لا من العدل وصلته محذوفة أي: يعدلون عنه،
وقيل: الباء بمعنى عن فيتعلق بيعدلون، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: ابتداء خلقكم، ﴿مِن
طِينٍ﴾ فإن آدم منه، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي: الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: الآخرة،
﴿عِنْدَهُ﴾: لا يعلمه إلا هو، أو مدة الدنيا وعمر الإنسان، أو النوم والموت، أو مدة
العمر ومدة البرزخ، والواو إما للعطف على (هو الذي) أو للحال، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ﴾: تشكون في أمر الساعة، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: متعلق
بالله باعتبار المعنى^(٢) الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة

(١) لأن تعددها ظاهر بالعقل والنقل بخلاف الأرض، فإن كيفية تعددها مع عدم ثبوت النقل

لدى العقل متعسر/١٢ وحيز.

(٢) لا خفاء في أنه لا يجوز تعلقه بلفظ الله لكونه اسماً لا صفة، فالقول أنه متعلق به بهذا
التوجيه كأنه قال: وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشترك به في هذا الاسم أو كأنه
قال: وهو المعبود فيهما كما في قوله: هو حاتم في حيه، أي: جواد والله أعلم هذا ما في
المنية وفي الفتح "وهو الله" أي: هو المعبود فيهما كقوله: "هو الذي في السماء إله وفي
الأرض إله" (الزخرف: ٨٤)، وهو الذي يقال له فيهما، قال ابن عطية: هذا عندي
أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ، وجزالة المعنى، وقال ابن جرير: هو الله
في السموات ويعلم سرهم وجهرهم في الأرض، والأول أولى/١٢.

أو متعلق بقوله: «يَعْلَمُ» ولا يلزم كون ذاته أو علمه فيهما: بل يكفي كون المعلوم فيهما وهو إما خير ثان أو حال، «سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ»: من خير وشر، «وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ» (من) زائدة للاستغراق، «مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ»: الدلالة على وحدانيته، و(من) تبعيضية لا تبينية إلا أن تكون النكرة في النفي بمعنى جميع الأفراد، «إِلَّا كَانُوا عَنْهَا»: عن التفكير فيها، «مُعْرِضِينَ»: لا يلتفتون إليها، «فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» أي: القرآن، «لَمَّا جَاءَهُمْ» أي: إن أعرضوا فلا تعجب فإنهم كذبوا بأعظم آية، وهذا أشد من الإعراض، «فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أي: أخبار القرآن وأحواله بأنهم بأي شيء استهزءوا، وهذا تهديد ووعد شديد، «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ: قوم، «أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ»^(١) والقرن أهل كل عصر أو مدة أعمار الناس، «مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ»: أعطيناهم من العمر، والمال، «مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ»: ما لم نعطه لكم، «وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ: المطر والسحاب، «عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا»: كثير الدر أي: الصب، «وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ»: بالعذاب من القحط والصواعق وغيرهما، «وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ»: بدلا منهم فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا هؤلاء، «وَلَوْ نَرَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا»: مكتوبًا، «فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» واللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن الأكثر أنه بعد المعاينة، وأكثر السحر والتزوير في المراءى^(٢)، «لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا»: عنادا، «إِنْ هَذَا»: ما هذا، «إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» قيل: نزلت حين قالوا لا نؤمن بك حتى تأتينا

(١) والقرن: الأمة المقترنة في مدة، ومدة القرن مائة سنة عند الأكثرين، ويدل عليه ما قاله - صلى الله عليه وسلم- في شأن أحد من الصحابة "إنه يعيش قرناً" فعاش مائة سنة/١٢ وجز.

(٢) وأكثر السحر والشعبذة في المرائي، ولا يقع التزوير في اللمس، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا/١٢ منه.

بكتاب من عند الله ومعهُ أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبرنا أنه نبي، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾: بحيث يروونه كما اقترحوا، ﴿لَقَضِيَ﴾^(١) الأمر: لحق إهلاكهم وعذابهم، فإن سنة الله جرت على أن من اقترح آية ولم يؤمن بها بعد نزولها استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾: لا يجهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الرسول الذي أنزل على محمد، ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على صدقه، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: في صورة رجل فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته، أو معناه؛ ولو جعلنا الرسول إليكم بدل الرسول البشري ملكاً فإنهم قالوا أيضاً: "لو شاء ربنا لأنزل ملائكة" (فصلت: ١٤)، ﴿وَلَلْبَسْتَا﴾^(٢) عَلَيْهِمَ مَا يَلْبَسُونَ، ولو جعلناه رجلاً لخالطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فينفون رسالته، ويقولون هو بشر مثلنا كما يقولون في شأن محمد - عليه الصلاة والسلام، ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، تسلياً لمحمد - عليه الصلاة والسلام ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط أو نزل، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: من الرسل وبال، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣) قُل: لهم يا محمد.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

(١) أو معناه لو أنزلنا ملكاً على صورة ملكية لماتوا من هولته فإن رؤية الملك في صورته من خواص رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإنه رأى جبريل في صورته مرتين، وقوله: "ولو جعلناه ملكاً" يؤيد هذا المعنى/١٢ وجزير.

(٢) فإنهم إذا رأوا ملكاً في صورة إنسان يقولون: هذا إنسان ليس بملك، فإن استدلل بدليل على أنه ملك كذبوه/١٢.

(٣) ولما ذكر ما حل بالمستهزئين. والمخاطبون أمة أمية لم يدرس الكتب ولم يجالس العلماء فلها أن تكابر في هلاكهم، فقال: "قل سيروا في الأرض"/١٢ وجزير.

الْقَلِيمَةَ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ * وَلَهُ مَا
 سَكَنَ فِي آيَاتِ النَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
 أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْمُبِينُ ﴿١٠٤﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ
 فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٥﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ
 ﴿١٠٦﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ
 هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً
 أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٠٧﴾
 الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿سَيروا^(١) في الأرض﴾: بالأقدام، أو بالعقل والفكر، ﴿ثم انظروا كيف كان
 عاقبة^(٢) المكذبين﴾: فتعتبروا، ﴿قل لمن^(٣) ما في السموات والأرض﴾: خلقا

(١) والظاهر أن المراد من السير والنظر بالعين والأرض ما قرب من بلادهم كأرض عاد
 وثمود ومدائن قوم لوط وثمود/١٢ وجزير.

(٢) عاقبة الشيء ما آل إليه/١٢ وجزير.

(٣) ولما ذكر تفرعهم بذنوبهم التي هي الشرك بالله أمر نبيه أن يسألهم سؤال تكبوت يلجئهم
 إلى الإقرار بوحدانيته قال: "قل لمن ما في السموات". الآية/١٢ وجزير.

وملكاً ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، فإن الكفرة متفقون معكم في ذلك، فإن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره، ﴿كُتِبَ﴾: التزم، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) الرِّحْمَةَ: لطفًا وفضلًا فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله، ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: في القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فيجازيكم بأعمالكم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في اليوم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة، والعقل نصب على الذم أو رفع أو مبتدأ ما بعده خبره، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإن استعمال العقل باعث على الإيمان، ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله في "قل لله"، ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: وله ما استقر في الأزمنة، وهو من السكنى قيل: تقديره ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لكل مسموع، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء، ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلْحِزْدُ وَلِيًّا﴾، إنكار لاتخاذ غير الله تعالى وليًا معبودًا ربا، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما، صفة الله، فإنه بمعنى الماضي بالإضافة معنوية ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾^(٢) وَلَا يُطْعَمُ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ لا أحد إلا يحتاج إليه، وهو غير محتاج إلى أحد، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾^(٣): من هذه الأمة، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ عطف على أمرت أي: قيل لي لا تكونن، أو على قل، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، جواب الشرط دال عليه (أخاف)، والشرط معترض بين الفعل ومفعوله،

(١) وثبت في الصحيحين مرفوعًا (لما قضى الله الخلق كتب فوضعه عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي" / ١٢ فتح [البخارى (٧٤٥٣)، ومسلم (٥٩٧/٥) ط الشعب. ولفظه "... كتب عنده فوق عرشه"].

(٢) يعني جميع المنافع منه، وخص الإطعام لمزيد مس الحاجة إليه / ١٢ وحيز.

(٣) هذا على سبيل التحريض على الإسلام كملك يأمر رعاياه بأمر ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله / ١٢ وحيز.

وفيه تعريض بأنهم مستوجبون للعذاب بألطف وجه، **﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾**: العذاب، **﴿عَنْهُ يَوْمٌئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾**: وأنعم عليه، ومن قرأ يصرف مبني للفاعل فالضمير لله، والمفعول وهو العذاب محذوف، **﴿وَذَلِكَ﴾** أي: الصرف والرحم، **﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا﴾**: كمرض وبلاء، **﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾**: لا قادر على رفعه، **﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرًا﴾**: كصحة ونعمة، **﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: فيقدر على حفظه وإدامته، ولا راد لفضله، **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ (١) عِبَادِهِ﴾**: قهره استعلى عليهم فهم تحت تسخيريه، **﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾**: في أمره، **﴿الْخَيْرُ﴾**: بخفايا العباد.

(١) قوله: "فوق" إلخ، ومثله قوله تعالى: "يخافون ربه من فوقهم" (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح" (المعارج: ٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على فوقية الله تعالى، وعلوه على خلقه قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في العقيدة الحموية: فهذا كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء، وفوق كل شيء، وعلا كل شيء وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (فاطر: ١٠)، وقوله تعالى: "إني متوفيك ورافعك إلي" (آل عمران: ٥٥)، وقوله تعالى: "أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا" (الملك: ١٦، ١٧)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح إليه" (المعارج: ٤)، وقوله تعالى: "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" (السجدة: ٥)، وقوله تعالى: "يخافون ربه من فوقهم" (النحل: ٥٠)، وقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" (البقرة: ٢٩)، في سبعة مواضع: "الرحمن على العرش استوى" (طه: ٥)، "يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا" (غافر: ٣٦، ٣٧)، تنزيل من حكيم حميد" (فصلت: ٤٢)،

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، نزلت^(١) حين زعم قريش أن أهل الكتاب أنكروا نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- فسألوا عنه من يشهد بنبوتك، ﴿قُلْ (٢) اللَّهُ﴾ أعظم شهادة، فإن أعظمية شهادة الله تعالى أمر لا ينكر، ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: هو شهيد، ﴿بَيْنِي

= "منزل من ربك" (الأنعام: ١١٤)، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بتكلف، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند ربهم وصعودها إليه إلى أن قال: وقوله في حديث الأروال "والعرش فوق ذلك"، والله فوق عرشه وهو تعليم ما أنتم عليه، وذكر رحمه الله الأحاديث، وأقوال الصحابة إلى أن قال: إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا الله تعالى مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلم الضروري أن الرسول المبلغ عن الله تعالى ألقى إلى أمته المدعويين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله تعالى على ذلك جميع الأمم عرهم وعجمهم في الجاهلية، والإسلام إلا من اجتالهم الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين ألفوا، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً و لم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان ولا أن الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها. انتهى قاله شيخ الإسلام ملخصاً/١٢.

(١) كما رواه محي السنة، والواحدي، والكلي/١٢ وجيز.

(٢) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية بعد ما ذكر هذه الآية في ترجمة الباب: فسمى الله نفسه شيئاً. سمي النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله، وقال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص: ٨٨)/١٢.

وَبَيْنَكُمْ ﴿١﴾ أو الله مبتدأ، وشهيد^(١) خبر فإنه إذا كان هو الشهيد فأكبر شيء شهادة شهيد له، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: الذي تروونه ناطقًا بحجج وبيانات، ﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: وسائر من بلغه من الأسود والأحمر قل: ﴿أَتُنْكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ تقرير لهم مع إنكار، ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأصنام، ﴿الَّذِينَ﴾^(٢) آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا - عليه الصلاة والسلام - بنعته المذكور في التوراة والإنجيل، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾: بحيث لا يشكون في رسالته، فعدم شهادتهم برسالته لعنادهم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب، وهجروا ما في كتابهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيَنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ

(١) وعلى هذا الجواب نوع من الأسلوب الحكيم كأنه قيل: معلوم أن الله أكبر شهادة فالكلام الأنسب بالمقام الإخبار بأن الله شهيد بيني وبينكم لينتج جواب السؤال مع زيادة مهمة/١٢.

(٢) ولما قال قريش سألنا لك عن اليهود فكذبوك قال تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" الآية/١٢ وحييز.

يُجَدِّدُ لِنَاكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ
عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا
عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
﴿٢٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾: اختلق، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ككذب المشركين، وأهل
الكتاب، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: كالقرآن، ومعجزات محمد -عليه الصلاة والسلام- أي:
لا أظلم من ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بينهما؟! ﴿إِنَّهُ﴾ أي: إن الشأن، ﴿لَا
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: فضلا من هو أظلم، ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: اذكر، ﴿نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا﴾:
العابد والمعبود، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ﴾: آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله، ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعموهم شركاءهم "حينئذ" يشاهدون آلهتهم
في غاية الهوان، فيسأل عنهم تقرِّبًا وتوبيخًا، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: لم
تكن غاية فتنتهم، ومقاتلتهم وكفرهم في الدنيا إلا التبرؤ، في الآخرة أو عاقبة افتتاهم
ومحبتهم في الأصنام إلا التبرؤ أو معذرتهم أو جواهرهم وسماء فتنة لأنه كذب أو لأنهم
قصدوا به الخلاص يقال: فتنت الذهب إذا خلصته، ومن قرأ بنصب فتنتهم، فتكون تأنيث
الفاعل للخبر كقولك: من كانت أمك؟ ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١) فيحلفون

(١) أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه إلا ما وقع منهم الحلف من
البحود على نفيه بقوله: "والله" الخ/٢١ فتح.

بالكذب لخيرهم "فحيثُذ" يحتتم على أفواههم، ويشهد عليهم جوارحهم، ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: في الآخرة بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَوَضَّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا (١) يَفْتَرُونَ﴾، وغاب عنهم ما كانوا يفترون إلهيته، وشفاعته، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن كأبي جهل، والوليد، وأصراهم، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أعطية كراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أو عن أن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ (٢) وَقْرًا﴾: نقلا وصمما مثل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول القرآن، واعتقاد صحته بالأكنة والوقر، ﴿وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لقوة عنادهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ﴾: بلغ عنادهم إلى أنهم إذا جاؤك، ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ جملة حالية، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب إذا وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ (٣) الْأَوَّلِينَ﴾ والأساطير: الأباطيل أو أحاديث الأمم السالفة التي سطرورها في كتبهم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس ﴿عَنْهُ﴾ استماع القرآن أو عن الإيمان، ﴿وَيَنَازُونَ (٤) عَنْهُ﴾: يتباعدون

(١) أي: ما يظنونه من أن الشركاء يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم/١٢.

(٢) هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة، فلا يفقه كلام الله، ولا يؤمن/١٢ معالم.

(٣) عن ابن عباس أن جماعة من قريش كانوا يستمعون القرآن فقالوا لشخص منهم هو فصيح شاعر سمع أقاصيص رستم، واسفنديار، وأمثالهم ما تقول أنت فيما يقرأ؟ فأجاب ما هو إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون/١٢ وجيز.

(٤) وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويمنعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد حتى روى أنه اجتمع عليه رؤوس المشركين، وقالوا: خذ شابا من أصحابنا وجها وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتُموني أَدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاه إلى الإيمان فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت به عينك، ولكن أذب عنك ما حبيت، وقال فيه أبيات شعر:

عنه بأنفسهم^(١) وعن بعض^(٢) السلف أنه في شأن أبي طالب، فمعناه يبهون عن التعرض لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإيذائه، ويتباعدون عنه، فلا يؤمنون به، **﴿وَأِنْ يُّهْلِكُونَ﴾**: وما يهلكون بذلك **﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**: ذلك، **﴿وَلَوْ تَرَى﴾**، جوابه محذوف أي: لرأيت أمراً فظيماً، وحالاً عجيباً، **﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾**: وعانوا ما فيها من أنواع العذاب، **﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾**: إلى الدنيا، **﴿وَلَا تُكَذِّبُ﴾**، عطف على نرد فيكون المعنى على تمنى مجموع الأمرين، أو عطف على التمني عطف إخبار على إنشاء، وهو جائز باقتضاء المقام أو حال وأما على قراءة النصب فياضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء، **﴿بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ﴾**: إضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني، **﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾** أي: ظهر لهم قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرًا لا محبة للإيمان، **﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾**: إلى الدنيا، **﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾**: من الكفر لقضاء شقاوتهم في الأزل، **﴿وَأِنَّهُمْ**

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي
وعرضت دينا قد علمت بأنه
لولا الملامة أو حذار مسبة
حتى أوسد في التراب دينا
وأبشر بذاك وقر منه عيونا
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
من خير أديان البرية دينا
لوجدتني سمحا بذاك مينا/ ١٢

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر/ ١٢ أسباب نزول السيوطي.

(٢) كما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس/ ١٢ أسباب نزول للسيوطي.

(٣) ولما بين غاية جهلهم وختم بالتهديد الشديد استشراف النفوس إلى معرفة حالهم في مآلهم فقال: "ولو ترى"/ ١٢ وحيز.

لَكَادِبُونَ»: فيما وعدوا صريحا ضمنا، ﴿وَقَالُوا﴾، عطف على لعادوا أو نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا، ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: الحياة، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى﴾: مسألة، ﴿رَبِّهِمْ﴾: وتوبيخهم، وقيل أي: بين يديه، ﴿قَالَ﴾، استئناف فكأن سائلا قال: ماذا قال ربه حينئذ؟ ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾: البعث ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا﴾^(١) بلى وربنا: إقرار مؤكد باليمين، لكن لا ينفعهم، ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٠﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ

(١) قال ابن عباس: هذا في موقف قولهم "والله ربنا ما كنا مشركين" في موقف آخر وفي القيامة مواقف ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون/١٢ معالم.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ
 أَمْثَالَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ
 كَذَبُوا بِبَايَاتِنَا صُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ
 اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ
 شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث، وما يتبعه، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
 السَّاعَةُ﴾: غاية لكذبوا، أو من مات فقد قامت قيامته، ﴿بِعْتَةٍ﴾: فجأة، مفعول مطلق
 لأنها نوع من المحيء أو حال، ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا^(١)﴾: تعالي فهذا أوانك، ﴿عَلَىٰ مَا
 فَرَطْنَا﴾: قصرنا، ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا أو في الساعة أي: في شأها، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ
 أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: تمثل ذنوبهم بأقبح صورة متنتة فتركب عليهم
 وتسوقهم^(٢) إلى النار، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس شيئاً يزرونه وزرهم، ﴿وَمَا
 الْحَيَاةُ^(٣) الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، لأنها تنقضي عن قريب، ولا تعقب منفعة،
 ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ^(٤)﴾: لدوام لذاتها ومسراتها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

(١) والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر
 البعيد/١٢ معالم.

(٢) رواه أبو داود وغيره/١٢ وحيز.

(٣) ولما قالوا: "إن هي إلا حياتنا الدنيا" بين قصار أمرها، ومنتهى أمرها فقال "وما الحياة
 الدنيا"/١٢ وحيز.

(٤) أشار إلى أن غير عمل التقوى لعب/١٢ وحيز.

إنها كذلك، ﴿قَدْ نَعَلِمُ^(١) إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: تسليية لرسوله فيما قال الكفار: إنك كذاب، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في نفس الأمر، أو في السر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: لكنهم لظلمهم جحدوا الآيات، وكذبوا بها، نزلت^(٢) حين قال أبو جهل: لا نكذبك لكن نكذب بما جئت به، أو لما سئل أبو جهل عنه قال: والله إنه لصادق وما كذب قط، لكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ^(٣) رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: بمعوتهم وإهلاك أعدائهم فاصبر أنت أيضًا كما صبروا فسيجيء نصرك، وما مصدرية، ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لمواعيده وحكمه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾: بعض أخبارهم كيف صبروا، وكيف دمرنا قومهم، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا﴾: عظم وشق، ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن الإيمان، ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا﴾: تطلب منفذًا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تنفذ فيه إلى جوفه، ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعدًا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد به إليه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ﴾: من الأرض أو السماء، ﴿بِآيَةٍ﴾، وجواب الشرط الثاني مقدر أي: فافعل، والجملة جواب الأول يعني لا مغير لحكم الله فاصبر، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو أراد جمعهم على الهدى لجمعهم وهداهم، ولكن

(١) ولما كرر في هذه السورة الأمر بمقاولتهم، وأطال في الحث على مجادلتهم وكان من المعلوم أنهم لا يراعون الأدب، وجوابهم ليس إلا السب كما هو دأب المعاند المغلوب ولهذا نفى عنهم الشعور والعقل صار الحال محتاجًا إلى التسليية فقال "قد نعلم إنه" الآية/١٢ وحيز.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢ وحيز.

(٣) هذا تسليية بعد تسليية كل منهما بطور آخر/١٢ وحيز.

لم يتعلق به مشيئته ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: بالحرص على خلاف مرادنا والجزع فإنه دأب الجهلة، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: يجيب دعوتكم بالإيمان، ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، لا من ختم الله على سمعه فلا يتأمل ولا يفهم، ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الكفار الذين كالموتى لا يسمعون يبعثهم الله فيعلمون حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١): للجزاء، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كملك يشهد له، وكقولهم: "حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً" (الإسراء: ٩٠) ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾: وفق ما طلبوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢): أنه قادر على ذلك، وأنه لو أنزل ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما هو سنة الله، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: إتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم، والمبالغة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الأفراد لكون الوصفين^(٣) من أوصاف الجنس دون النوع، فيشعر بأن القصد فيها إلى الجنس، ﴿إِلَّا أُمَّمٌ﴾^(٤) أمثالكم: مقدره أرزاقها وآجالها محفوظة أحوالها أصناف تعرف بأسمائها وجمع الأمم للحمل على المعنى، ﴿وَمَا

(١) ولما بين تكذيبهم للرسول، ولجأهم مع صبر الرسل عليهم، ذكر من لجأهم مع نبينا -

صلى الله عليه وسلم - فرداً آخر للتعجب، فقال: "وقالوا" / ١٢ وجزئ.

(٢) ولما ذكر أنه قادر أراهم من قدرته ما يكفي العاقل في المستدل فقال: "وما من

دابة" / ١٢ وجزئ.

(٣) وبهذا يسقط ما قيل أن الوصف بالتخصيص أولى منه بالتعميم / ١٢ وجزئ.

(٤) قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة كالطير

أمة، والهوام أمة، والذباب أمة، والسباع أمة يعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون

بأسمائهم، وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي "لولا أن الكلاب أمة

من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم) قال عطاء: أمثالكم في التوحيد

والمعرفة / ١٢.

فَرَطْنَا: ما أهملنا، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فإنه مشتمل على ما يجري في العالم ومن شيء أي: شيئاً من التفريط، فيكون مصدراً فإن فرط غير متعد بنفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ﴾^(١) يُحْشَرُونَ﴾ أي: الأمم كلها، فينصف بعضها عن بعض، "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير: ٥)، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- موت البهائم حشرها، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ﴾: عن سماع آياته سماع قبول وتأثر، ﴿وَبُكْمٌ﴾: لا ينطقون بالحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، خير ثالث، أو حال عن المستكن في الخبر ظلمة الكفر، والجهل، والعدا، ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضِلُّهُ﴾: فيميتته على الكفر، ﴿وَمَنْ يَشَأْ﴾: هدايته، ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢): فيميتته على الإيمان، ﴿قُلْ﴾: يا محمد للكفرة، ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني استفهام وتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل لا محل^(٣) له من الإعراب، وهو من وضع السبب موضع المسبب فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار؛ لأنه لا يخبر عن الشيء إلا العالم به، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل الموت، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وأهوالها، ﴿أَغْرِبَ اللَّهُ^(٤) تَدْعُونَ﴾: في صرف العذاب عنكم، وهو متعلق الاستخبار، ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) كما قال: "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير: ٥)، والأحاديث الصحاح دالة على أن الجميع محشورة فينصف بعضها من بعض ثم يجعل الكل ترابا وعنده يقول الكافر "يا ليتني كنت ترابا" (النبا: ٤٠/١٢) وجيز، وفي الحديث: "تردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء" ١٢/معالم.

(٢) ولما بين عنادهم في التوحيد وأنهم في تمادي لجاحهم لا يهديهم التأمل في الآفاق أخذ بين ما لأنفسهم في بعض أحوالهم من ظهور الحق، وصدوره عنهم فقال: "قل" ١٢/وجيز.

(٣) هذا هو الأصح ١٢/وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: جواب الشرط محذوف لدلالة "أرأيتكم" عليه تقديره إن أتاكم عذاب الله فأخبروني عنه، أتدعون غير الله لكشفه! كما تقول: أخبرني عن

صَادِقِينَ^(١) ﴿ في أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تعبدون أصنامكم في ذلك الحال؟! ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ^(٢)﴾: تخصونه بالدعاء كما قال تعالى: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" [لقمان: ٣٢] ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾: الله، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كشفه، ﴿إِنْ شَاءَ﴾ لكن لم يشأ كشف عذاب الآخرة عنهم، ﴿وَتَنْسَوْنَ^(٣) مَا تُشْرِكُونَ﴾ فلا تذكرونه في ذلك الوقت.

= زيد إن جاءك ما تصنع به؟، ثم قال: هذا الذي قدرناه هو الذي تقتضيه قواعد العربية/ ١٢.

(١) أراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر الله عنهم "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" (لقمان: ٣٢)/ ١٢ معاً.

(٢) كما حكى عنهم في مواضع، وتقديم المفعول لإفادة التخصيص/ ١٢ بيبضاوي.

(٣) لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره/ بيبضاوي/ فمن هاهنا تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد سمعت أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف الكرخي أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء من زيد بن الخطاب، والزبير أجل من هؤلاء مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالله المستعان ومنه نسأل العفو والغفران/ ١٢، وفي الدر النضيد للشوكاني أن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاها الله عنهم بقوله: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً" (الإسراء: ٦٧)، وبقوله: "قل

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٢٦﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُحْبِسُونَ ﴿١٢٨﴾ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٩﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿١٣٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَتَدَّكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿١٣١﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٣٣﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي

= رأيتكم" وبقوله: "وإذا مس الإنسان الضر دعا ربه منيا إليه ثم إذا حوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل" (الزمر: ٨)، وبقوله: "وإذا غشيهم موج كالظلل يدعو الله مخلصين له الدين" (لقمان: ٣٢)، بخلاف المعتقدين في الأموات فيهم إذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم، ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطراباً شديداً فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الركابيين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله أعادنا الله من الشرك والكفران ومنه نسأل العصمة والغفران/١٢.

مَلِكٌ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا^(١) إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: الرسل فكذبوهم، ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِئْسَاءِ﴾: بالشدة والجوع، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الأمراض والنقصان، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾، : لكي يسألوا ربهم متذللين تائبين، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾، حاصله نفي التضرع^(٢)، لكن جاء بـ(لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر سوى العناد والقساوة، لأن (لولا) يفيد اللوم والتندم، وذلك إنما يحسن إذا لم يكن في ترك الفعل عذر، وعنه مانع، ﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ما رقت، ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٣)﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضراء ولم يتعظوا به، ﴿فَتَحْنَأَ عَلَيْهِمُ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من أنواع النعم استدراجًا ليكون الأخذ والهلاك أشد عليهم وأفظع، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذْنَا هُمْ بِعَتَّةٍ﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من الأخذ، ﴿فَإِذَا^(٤) هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

(١) ولما أخبر أنه تعالى قد يكشف البلاء بالتضرع إلى الله أنبأهم أن تركه يوجب غضب الله بنوع من الاستدلال للترهيب، فقال: "ولقد أرسلنا"/١٢ وجزء.

(٢) فعدم التضرع لقسوة قلوبهم فقلوبهم كالحجارة أو أشد ولنقطة لكن واقع بين الضديين بحسب الحقيقة أعني اللين والقسوة/١٢ وجزء.

(٣) يعني الحامل على ترك التضرع قسوة القلب، والإعجاب بالأعمال التي كان الشيطان سببها في تحسينهم لهم/١٢ وجزء.

(٤) ابتلاهم أولاً فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم فلم يشكروا بالإنابة، بل فرحوا وغفلوا فأخذهم بنوع لم يتقدم لهم شعور به ليوطنوا نفوسهم على لقاءه/١٢ وجزء.

آخرهم لم يترك منهم أحد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ^(١) الْعَالَمِينَ﴾: على إهلاك الظلمة الذين من شؤمهم تقطع الرحمة، وتحزن الطير في وكره، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم، ﴿وَوَخَّتُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: حتى لا تفهموا شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بما أخذ وختم أو بأحد هذه المذكورات، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: على غفلة أو ليلاً، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: معاينة تعلمون^(٢) نزوله أو نهاراً، ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ^(٣)﴾: فإن الموحدين لا يهلكون بالعذاب البتة؛ بل أولئك لهم الأمن كما فعل بالأمم الماضية ما نزل العذاب إلا بعد تمييز المسلمين، ولو نزل على مسلم مصيبة فهي ليست بعذاب^(٤)، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ^(٥)﴾: فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ: العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بالعذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يصيبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ^(٦) اللَّهِ﴾: فأعطيكم ما

(١) وفي تلك الحكاية تسلية وتنبية وترهيب لمن له بصيرة ولما هددهم، أولاً بالعذاب المطلق الذي هو بنوع خاص من الأخذ هددهم ثانياً بعذاب خاص فقال: "قل أَرَأَيْتُمْ" / ١٢.

(٢) فعلى هذا ناسب مقابلة البغته بالجهرة / ١٢.

(٣) ولما طلبوا من الرسل الآيات التي ليست في قدرتهم، بل هو في قدرة مرسلهم أشار إلى أن الظلم في طلبهم بين حقيقة الرسالة، وقال: "وما نرسل المرسلين" الآية / ١٢ وجزئ.

(٤) بل هي تهذيب له / ١٢ وجزئ.

(٥) وفي مبشرين، ومنذرين مع أنهما حال فيهما معنى العلية أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار لا لأن يقترح منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات / ١٢ وجزئ.

(٦) جواب لما قالوا إن كنت رسولا فاسأل حتى يوسع علينا خيرات الدنيا / ١٢ وجزئ.

تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾: فأخبركم^(١) بكل ما تسألون، عطف على (عندي خزائن الله)، وقيل: على (لا أقول)، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فأقدر على ما يقدر، ﴿إِنْ آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وحاصله لا أدعي ما تستبعده العقول؛ بل أدعي النبوة كما كان لكثير من البشر، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مثل للجاهل، والعالم أي: لا يستوي متبع الوحي ومن ضل، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) أنه لا تستوي كقوله تعالى: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى" [الرعد: ١٩].

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَّا بَيْنًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رُحْمًا عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾

(١) حتى أقول لكم من الأخبار المستقبلية من المصالح، والمضار لتستعدوا لتحصيل الملك،

ودفع هذه/١٢ وحيز.

(٢) فيه عرض وتحضيض على الفكر/١٢.

﴿وَأَنْذِرْ^(١) بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ^(٢) يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يخافون هول يوم الحشر لا من جزم استحالته، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ^(٣)﴾:

(١) ولما قال: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين" أمر بالإنذار لأهم أحلاف، فقال: "وأندر به الذين" الآية/١٢ وجيز.

(٢) والخائف المقصر في العمل من المؤمنين وأهل الكتاب وكثير من المشركين بعدما أخرجوا بالحشر/١٢.

(٣) قوله: "ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع" الآية قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: لا ينافي هذه الآية مذهبنا في إثبات الشفاعة للمؤمنين، لأن شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين إنما يكون بإذن الله لقوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)، فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله تعالى كانت في الحقيقة من الله تعالى. انتهى وفي لباب التأويل تحت قوله تعالى: "قل لله الشفاعة جميعا" (الزمر: ٤٤)، أي: لا يشفع إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى، لأنه هو الشفيع في الحقيقة، وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده. انتهى، وقال الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكى: فمن أنكر شفاعة نبينا في أهل الكباير فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة، ومن قال: إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه، فقد خالف جميع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)، وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء: ٢٨)، وقال تعالى: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" (النجم: ٢٦)، وقال تعالى: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا" (طه: ١٠٨، ١٠٩)، وقال تعالى: "ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع" (السجدة: ٤)، ومثل هذا في القرآن كثير. انتهى وقال المصنف في موضع آخر من كتابه المذكور: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" (سبأ: ٢٣)، قد فسروها بأنه يؤذن للشافع والمشفوع له جميعا فإن سيد الشفعاء

يشفع^(١) بغير إذنه إن أراد العذاب بهم، والجملة حال، **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**: عن كفرهم ومعصيتهم، **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾**^(٢) : لا تبعدهم عنك، **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْغَيْبِ﴾**: يصلون المكتوبات في ليلهم ونهارهم، أو صلاة الصبح، والعصر، أو يذكرون ربهم، **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** أي: يعبدونه حال كونهم مخلصين فيها، **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**، (من) زيدت للاستغراق وهو فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومن حسابهم حال من شيء، أو من شيء مبتدأ وما عليك خبره، والحال من ضمير في الخبر أي: من شيء من تبعه حسابهم ليست عليك، ولا تكلف أمرهم، **﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**: وليست تبعه حسابك عليهم، ولا يكلفون أمرك أو

= يوم القيامة محمد - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد الشفاعة قال: "إذا رأيت ربي خررت له ساجدا فأحمده بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن، فيقال لي ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطى واشفع تشفع قال: فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة" وكذلك ذكره في المرة الثانية، والمرة الثالثة، ولهذا قال "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة" (الزخرف: ٨٦)، فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله وقوله "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" (الزخرف: ٨٦)، استثناء منقطع أي: من شهد بالحق وهم يعلمون أهم أصحاب الشفاعة منهم الشافع، ومنهم المشفوع له. انتهى أقول: فثبت من هذه الدلائل أن الشفاعة كلها لله، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا بالتوحيد والشفاعة مقيدة بهذه القيود كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" (الأحزاب: ٤)/ ١٢.

(١) وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آباءهم هم يشفعون لهم وهم أهل الكتاب أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون أو أن المشايخ يشفعون لمريدهم وهم المتصوفون، لأن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة: ٢٥٥)/ ١٢ فتح.

(٢) ولما أمر بإنذار المتقين فهاه عن إذلال المتقين فقال: "ولا تطرد الذين" ١٢/ وحيز.

معناه إنما حساهم على الله ليس عليك كما أنه ليس عليهم من حسابك من شيء كقول نوح -عليه السلام- في جواب: "أنؤمن لك واتبعك الأردلون؟" قال: "وما علمي بما كانوا يعملون إن حساهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين" [الشعراء: ١١١-١١٣]، ﴿فَطَرُدْهُمْ﴾، جواب النفسي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي نزلت في فقراء المؤمنين قال رؤساء قريش: يا محمد نَحْ هؤلاء الأعداء عن مجلسك حتى نجالسك ونسمع كلامك^(١)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن العظيمة ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٢) لِيَقُولُوا: رؤساء قريش قالوا في شأن فقراء المسلمين وضعفائهم: ﴿أَهْوَلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾ إنكار لأن يخصهم الله بهداية ونعمة كما قالوا: "لو كان خيرا ما سبقونا إليه" (الأحقاف: ١١)، واللام للعاقبة للتعليل، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٣)؛ هذا جواب لقولهم أي: الله أعلم بمن يشكر الإيمان وطبعه مستقيم فيهديه، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم فقراء الصحابة الذين هنى الله طردهم، ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أكرمهم بيدء السلام عليهم، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: بشرهم بسعة رحمة الله، ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾: من قرأ (أنه) بفتح الهمزة يكون بدلا من الرحمة، ومن قرأها بكسرها فاستئناف، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع الحال أي: جاهلا بما يورثه ذلك الذنب أو متلبسا بفعل الجهالة، لأن ما يؤدي إلى الضرر لا يرتكبه سوى الجاهل قال بعض السلف: كل

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير/١٢ وجزير.

(٢) قال العلامة: ليس القصد إلى مشبه ومشبه به، بل هذا كقولك: ضربته كذلك أي: هذا

الضرب المخصوص، ومثله كثير في تركيب البلغاء/١٢ وجزير.

(٣) والشاكرين وقع في غاية من الحسن إذ تقدم معنى الإنعام في قولهم: "من الله عليهم"

فناسب لفظ الشكر/١٢ وجزير.

من عصى الله فهو جاهل نزلت في عمر حين أشار بإجابة قريش إلى طرد المؤمنين فأنزل الله، "ولا تطرد الذين" إلخ ثم جاء واعتذر من مقالته، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: العمل أو السوء، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله أو أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من قرأ (فأنه) بفتح الهمزة تقديره فأمره، أو فله غفرانه البتة، ومن قرأ بالكسر فتقديره: فالله يغفره ويرحمه البتة فإنه غفور رحيم، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين الواضح، ﴿نَفَصَلُ الْآيَاتِ﴾: التي يحتاج الناس إلى بياها، ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: من قرأ تستبين بالتاء وسبيل بالنصب فمعناه: ولتعرف طريقهم، فتعاملهم بمقتضى عملك، ومن قرأ بالتاء، ورفعها أي: ولتبين سبيلهم ومن قرأ بالياء ورفعها فلأن السبيل يذكر ويؤنث وهو إما عطف على مقدر أي: فصلنا ليظهر الحق ولتستبين وإما تقديره: ولتستبين فصلنا هذا التفصيل.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ ﴿١٦٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿قُلْ^(١) إِنِّي نُهِيتُ﴾: عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فيه إشارة إلى علة النهي، ومبدأ ضلالهم فإن طريقهم اتباع الهوى لا الهدى، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن فعلت ذلك فقد ضللت، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ فيه تعريض بأنهم كذلك، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِنْ رَبِّي﴾: غير متبع الهوى، وهو صفة لبينة، ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾: بري، حيث أشركتم أو الضمير للبينة فإنها بمعنى الدليل، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب كما قالوا: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة" [الأنفال: ٣٢]، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾: في تعجيل العذاب وتأخيره، ﴿يَقْضُ^(٢) الْحَقَّ﴾: يتبع الحق والحكمة فيما حكم، ومن قرأ "يقضي الحق" أي: يحكم القضاء الحق فيكون صفة مصدر أو يصنع^(٣)، الحق فيكون مفعولا به، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: القاضين، ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب، ﴿لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لعجلته حتى أتخلص منكم حين سألتم أنتم العذاب، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: لكن هو أعلم بوقت العقوبة، ﴿وَعِنْدَهُ^(٤) مَفَاتِحُ الْغَيْبِ^(٥)﴾: خزائنه جمع مفتاح بالميم وهو

(١) ولما أوضح الحق واستبان طريقهم لتعاملهم بمقتضى العلم ومن مقتضاه ألا تكون متبعا

لهوهم وتجاهد معهم بالعداوة، فبين هذا بقوله: "قل إنني نهيته" الآية/١٢ وحيز.

(٢) من قص أثره يعني: تتبع/١٢.

(٣) من قضى الدرع صنعه/١٢.

(٤) ولما قال الله أعلم بهم انتقل من خاص إلى عام، فقال: "وعنده مفاتيح الغيب"

الآية/١٢ وحيز.

(٥) وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من

مدعي علم الغيب ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرهم، ولا يحيط به علمهم

ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخدلة

المخزن أو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح^(١)، وقد صح أن مفاتيح الغيب خمس "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث" [لقمان: ٣٤]، **«لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»** أي: يحيط علمه بالمغيبات والمشاهدات، **«وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا»**، لأنه لا تسقط إلا بعد تعلق إرادته به، **«وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ»**: فوق الأرض أو تحته عطف على ورقة^(٢)، **«وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ»** المراد منه كل شيء، **«إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»**: في اللوح المحفوظ، وهو صفة للمذكورات كما أن "إلا يعلمها" صفة لورقة، **«وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ»**: هو التوفي^(٣) الأصغر استعار التوفي للنوم لما بين الموت والنوم من المشاركات، **«وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم»**: كسبتم، **«بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ»**: يوقظكم، **«فِيهِ»**، الضمير للنهار وقيل: في المنام، **«لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى»**: أجل الحياة إلى الممات أي: ليستوفي مدة عمره، **«ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ»**:

= ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى كاهنًا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد) / ١٢فتح.

- (١) كأن الغيب في بيته مقفل مفتاحه لا توجد إلا عنده، ولا يعلم الغيب إلا الله / ٢ وجزير.
- (٢) والمراد من السقوط الوقوع على مكان لا الوقوع من علو وإلا فلا وجه لعطف الحبة والرطب واليابس على ورقة هي فاعل تسقط، أو من باب صفته [كذا في الأصل والأظهر: علفته] تبنا وماء وقلدته سيفًا ورمحًا، وفي هذه الآية مثل قوله "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض" دلالة صريحة على علمه بجميع الجزئيات إحاطة تامة شاملة عامة كاملة، ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث ومن عظيم أدلة البعث النوم، والإيقاظ، وفيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة أتبعه بما يجيء، فقال: "وهو الذي يتوفاكم بالليل" الآية / ١٢ وجزير.
- (٣) يقبض النفس كما قال: "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" الآية (الزمر: ٤٢) / ١٢ وجزير.

بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يجزيكم بعملكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٧﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَدِيهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٨﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ لِعَالَمِهِمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿١٠﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ لِعَالَمِهِمْ يَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوًّا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَّا يُؤَخِّدْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: تصوير لقهره وعلوه بالقدرة، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾^(٢): من الملائكة تحفظ أبدانكم كما قال تعالى: "له معقبات من بين يديه" [الرعد: ١١]. أو تحفظ جميع أعمالكم وهم الكرام الكاتبون، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: حان أجله، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ لملك الموت أعوان يخرجون الروح فيقبض ملك الموت، ﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾: فيما أمروا يفعلون ما يؤمرون ﴿ثُمَّ﴾^(٣) رُدُّوهُ أَي: الملائكة أو الخلائق كلها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾^(٤): الذي يتولى أمرهم، ﴿الْحَقُّ﴾: العدل الذي لا يظلم فضلا ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم بوجه لغيره فيه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾: لا يحتاج في الحساب إلى ضرب وقسمة وفكر وروية وعقد يد لا يشغله حساب عن حساب، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾^(٥): سؤال توبيخ، ﴿مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: شدائدھا^(٦) وأحوالھا ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: معلنين

(١) فوقية تليق بجلاله كما ورد "أنت الظاهر فليس فوقك شيء" هذا ما في الوجيز وفي الفتح هو صفة الله تعالى وهذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها يمرونها كما جاءت من غير تكليف ولا تأويل ولا تعطيل أي: فوقية تليق بحاله وهو الحق وتقدم بيانه في الآية من السورة.

(٢) نظيره (وإن عليكم لحافظين)/ ١٢ معالم.

(٣) الظاهر أن الضمير للعباد المفهوم من أحدكم.

(٤) إلى الله وقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أن الملائكة يصعدون بأرواح الموتى من سماء إلى سماء حتى تنتهي بها إلى السماء السابعة، وفي رواية إلى السماء التي فيها الله ثم ترد إلى عليين، أو سجين، وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه/ ١٢ فتح .

(٥) ولما بين كمال القدرة ذكر نوعاً من القدرة عن أثرها فقال: "قل من ينجيكم"/ ١٢ وجيز.

(٦) أي: من شدائدھا وأحوالھا كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم/ ١٢ معالم.

ومسرين، أو إعلانا وإسراراً ﴿لَئِن أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي: يقولون لكن أنجيتنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لا من الكافرين، ﴿قُلِ (١) اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا﴾: الظلمة، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غم سواها، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٢)﴾: فلا تشكرون (٣)، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا (٤) مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط ونوح، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾: كالحسف، والزلزلة نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عذاب الفوق أمراء السوء والتحت خدم السوء، ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا﴾: يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، ﴿وَيُذِيقُ (٥) بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يسلط بعضهم على بعض بالعذاب، والقتل وفي الحديث الصحيح (سألت ربي ثلاثا فأعطاني

(١) أمره بالمسابقة إلى الجواب لأنه أمر متفق عليه، فيكون هو -صلى الله عليه وسلم- سبق إلى الخير والاعتراف بالوحدانية ١٢/وجيز.

(٢) وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا/١٢ بيضاوي.

(٣) ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمر أحدها الدعاء، وثانيها التصرع، وثالثها الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله: "وخفيه"، ورابعها التزام الاشتغال بالشكر وهو المراد من قوله "لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" (يونس: ٢٢)، ثم بين تعالى أنه ينجيهم تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكره، ثم إن ذلك الإنسان يقدم على الشرك ونظير هذه الآية قوله: "ضل من تدعون إلا إياه" (الإسراء: ٦٧)، وقوله: "وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين" (يونس: ٢٢)، وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا وإذا انتقلوا إلى الأيمن والرفاهية أشركوا به/١٢ كبير.

(٤) يعني كما أن المنجي من المهالك هو الله وحده هو الموقع فيها وحده/١٢ وجيز.

(٥) ذكر الإذاعة التي للمطعموم مبالغة في أن الشدة تصل إلى باطنهم/١٢.

ثنتين ومنعني واحدة سألت أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها^(١)، ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿أَعْلَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: لكي يفهموا ويتدبروا، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآن^(٢) وقيل: بالعذاب، ﴿قَوْمَكَ﴾: قريش، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق أو الواقع، ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: ما وكل إلى أمركم إنما على البلاغ، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ﴾: لكل خير من أخبار الله تعالى وقوع، ولو بعد حين، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: بعضه في الدنيا، وبعضه في الآخرة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ^(٣) الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالظعن والاستهزاء، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: اترك مجالستهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: الضمير للآيات

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان/١٢ وجيز [أخرجه الترمذي (٢٢٨٠) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٦٧) وأصل الحديث في مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٤٠/٥) ط الشعب.

(٢) الدال عليه ذكر الآيات/١٢.

(٣) ولما أمره بما يقول عند تكذيب قومه أمره بما يفعل حين تكذيبهم فقال: "إذا رأيت"/١٢.

(٤) وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وتقليداتهم الفاسدة وبدعهم الكاسدة فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تزهره عما ينسبون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر/١٢فتح.

باعتبار القرآن، **﴿وَأَمَّا يُسَيِّتِكَ الشَّيْطَانُ﴾**: النهي عن مجالستهم بوساوسه^(١)، **﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ﴾**^(٢): بعد أن تذكر، **﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**، معهم فإنهم ظلمة لوضع التكذيب، والسخرية موضع التصديق والتعظيم، **﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**: ما عليهم شيء مما يحاسبون عليه أي: من آثام الخائضين إن قعدوا معهم، **﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾** أي: لكن عليهم أن يذكروهم، ويمنعوهم، ويعظوهم، **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**: يجتنبون الخوض كراهة لمساءتهم نقل أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون: إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف فإنهم يخوضون أبداً، فترلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير، قال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله "إنكم إذا مثلهم" (النساء: ١٤٠)، وفي رواية قال المسلمون: نخاف الإثم حين نتركهم ولا نهامهم وحينئذ معنى قوله: "ولكن ذكرى" أي: ولكن عليكم التجنب وتذكر النهي لعلهم يتقون حين يروا إعراضكم عنهم، وصح عن سعيد ابن جبير: إن معناه ما عليكم أن يخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتهم، وأعرضتم عنهم أي: عليكم الإعراض، **﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾** أي: استهزءوا بالدين الحق الذي يجب أن يعظم غاية التعظيم، أو معناه جعلوا اللعب كعبادة الأصنام وتحريم^(٣) البحائر وغيرها دينا واجبا أي: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، **﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** حتى اطمأنوا بها، **﴿وَذَكَرْ بِهِ﴾**: بالقرآن، **﴿أَنْ**

(١) فمفعوله الثاني محذوف/١٢.

(٢) بعد التذكر مصدر وألفه للتأنيث قيل: لم يجيء مصدر على فعلى غير الذكرى/١٢ وجيز.

(٣) وما كانوا يجتاطون في أمر الدين البتة ويكتفون فيه بمجرد التقليد فعبر الله تعالى عنهم بأنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا/١٢ كبير.

تَبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ»: مخافة أن تسلم إلى الهلكة بسوء عملها، أو تفضح، أو تجس أو تؤاخذ أو تجزى، «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ»: يدفع العذاب عنها، والجملة إما صفة أو حال، «وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ»: وإن تَقَدِّ النفس كل فداء، ونصبه على المصدر، «لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا»: فاعله منها لا ضمير العدل؛ لأنه مصدر وهو ليس بماخوذ، «أُولَئِكَ»^(١) الَّذِينَ أُبْسِلُوا: سلموا للعذاب، «بِمَا كَسَبُوا»^(٢) لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ»: الماء المغلي، «وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ»^(٣).

﴿قُلْ أَنتَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اسْتِنَا قُلْ إِبْرَاهِيمُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْعَالَمِينَ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَاكَ تَتَّخِذُ الْأَصْنَامَ آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَأَكْفُرُ بِكُفْرِكَ كَكُفْرِ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦٩﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿١٧٠﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ

(١) إشارة إلى الذين اتخذوا أو إلى الجنس المدلول عليه بأن تبسل نفس/١٢.

(٢) من الخطايا وقبائح الأعمال/١٢.

(٣) إشارة إلى أن كفرهم أسوأ ما كسبوا ولما أقام الحجة البالغة على أن المؤثر ليس إلا الله

تعالى عقبه سؤال مرتبط فقال: "قل أندعوا"/١٢.

هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَقْبَلَتْ قَالَ
يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ
قَالَ اتَّحِجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ
رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْسُؤُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قُلْ أَدْعُو﴾: نعبد، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: لا يملك نفعا ولا ضرا،
﴿وَوُكِّرْ عَلَى أَغْقَابِنَا﴾: نرجع إلى الشرك، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ﴾: كالذي ذهب به الغيلان مرده الجن، وأصلته، و(كالذي) حال من ضمير
(نرد) أي: ننكص مشبهين من أصلته الغيلان ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في المهمة^(١) ﴿حَيْرَانَ﴾:
متحيرا، ﴿لَهُ﴾: لهذا المستهوي، ﴿أَصْحَابِ﴾: رفقاء، والجملة (كحيران)، ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَى﴾: إلى الطريق المستقيم، ﴿إِنِّتَنَا﴾ أي: قائلين إيتنا، فلا يلتفت إليهم، ويصير مع
الغول حتى يلقيه إلى الهلكة، ﴿قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾: فما عداه ضلال وهلكة،
﴿وَأْمُرْنَا﴾: عطف على (إن هدى الله)، ﴿لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: بأن نسلم،

(١) أي: البادية/١٢.

ونخلص له العبادة أو اللام للتعليل أي: أمرنا بذلك لنسلم ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ ، عطف على لنسلم، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والحكمة، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، عطف على السماوات فذكر بدء الخلق وإعادته أو على مفعول اتقوه أو بتقدير واذكر، والمراد يوم القيامة فإن الأمر فيه غير تدريجي، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الواقع لا محالة مبتدأ وخبراً أو (قوله) مبتدأ و(الحق) صفته "ويوم يقول" خبره أي: قضاؤه الحكمة والصواب حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء يعني ما ظهر من مكوناته شيء إلا عن حكمة وصواب، فلا يكون المراد من يوم يقول يوم القيامة، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(٢) إما ظرف لقوله: "له الملك" كقوله: "لمن

(١) فيجازيكم وفيه تنبيه بأن ثمرات هذه الأفعال وحسرات تركها يظهر يوم الحشر/١٢ وحيز.

(٢) أي: الملك كائن له في هذا اليوم فإن ظهور توحده في الملك في هذا اليوم الذي لا أمر لأحد سواه كما قال "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" والصور قرن يوسع السموات والأرض/١٢ وحيز، والصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو لغة أهل اليمن، وكذا قال الجوهري: إن الصور القرن أي: المستطيل، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبها، ووصلت لجسدها، فتحلته الحياة قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق وقرئ "الصُّور" جمع صورة والمراد الخلق، وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملاً يرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى "ثم نفخ فيه أخرى" (الزمر: ٦٨)، وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه النسائي وابن المنذر وابن حبان وابن أبي حاتم والحاكم، وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبدالله بن عمر وقال: سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصور فقال: "قرن ينفخ فيه"، وأجمع عليه أهل السنة والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها هاهنا/١٢ افتح.

الملك اليوم لله الواحد القهار" [غافر: ١٦] وإما بدل من "يقول" والصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وقيل: جمع صورة أي ينفخ فيها فتحيًا، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: هو عالم الغيب، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) لِأَبِيهِ آزر﴾، عطف بيان لأبيه والأصح^(٢) إنه اسم أبيه وله اسمان (آزر) و(تارخ) أو أحدهما لقبه، ﴿اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾: دون الله، ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ﴾: عن الحق، ﴿مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مثل هذا التبصير نبصره، وهو حكاية حال ماضية، ﴿مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ملكها والتاء زائدة للمبالغة^(٣)، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أي: ليستدل، وليكون، أو فعلنا ذلك ليكون، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: ستره بظلامه، وهذا تفصيل لإراءته، ﴿وَرَأَى كَوْكَبًا﴾: هو الزهرة أو المشتري، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، ثم يكر عليه فيبطله بالحجة وهذا النوع أذعى إلى القبول فإن قومه يعبدون الكواكب، وهذا هو الأصح، أو قال ذلك على وجه النظر والاستدلال في أول بلوغه، بل قبله فقد نقل أنه في السرب سبع سنين أو أكثر لخوف والديه من نمrod لأنه يقتل الصبيان، فإنه قد أخبر بمولود ذهب ملكه على يديه، وهو ما رأى في السرب لا سماء ولا أرضًا فلما خرج ورأى كوكبًا قال هذا ربي، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾: عبادة شيء يتغير عن حال إلى حال فعرفهم جهلهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾: طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

(١) ولما بين لهم بقوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أنهم في اتخاذ الأصنام بكمال الجهل أعقبه حكاية إبراهيم في شأن أبيه وقومه لأنه أنسب لرجوع العرب من ضلالتهم إذ هو جد لهم معظم عندهم وإنكار نبينا - صلى الله عليه وسلم - على قومه إنكار إبراهيم عليهم/١٢ أو جيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره/١٢.

(٣) كالرهبوت والرحموت/١٧.

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ
بَارِغَةً قَالَ هَذَا أَي: الشيء الطالع صان ما سماه ربا عن وصمة*^(*) التأنيث، ﴿رَبِّي
هَذَا أَكْبَرُ﴾ جرماً، وإضاءة، فأليق بالربوبية، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: وظهر حدوثه، وأنه
مسخر، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا^(١) تَشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى محدث
يحدثها، ثم توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات عليه وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ﴾: أخلصت ديني وأفردت عبادتي، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:
ابتدعهما على غير مثال سبق، ﴿حَنِيفًا﴾: حال كوني مائلاً عن الشرك إلى التوحيد،
﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لله، ﴿وَوَحَّاجَةٌ قَوْمُهُ﴾: جادلوه في التوحيد، ﴿قَالَ
أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾: في وحدانيته، ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾: إلى التوحيد، وأنا على بينة منه،
﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: معبوداتكم فإنها لا تملك ضرراً ولا نفعاً وهم
يخوفونه^(٢) منها، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع، أي: لكن أخاف مشيئة
الله، أو متصل تقديره لا أخاف معبوداتكم في وقت قط إلا وقت مشيئة ربي شيئاً من
مكروه يصيبني من جهتها مثل أن يرجمني بكوكب أو يجعلها قادرة على مضرتي،
﴿وَسِعَ^(٣) رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ^(٤) عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعتبروا أن ما قلت لكم حق

(٥) في حاشية النسخة: عيب/ ١٢.

(١) ولا بد أن موضع الاستدلال الواقف هو فيه - عليه الصلاة والسلام - يكون تحت جبل
عال أو جدار فإنه لا يمكن غروب كوكب ويكون بعده طلوع القمر وبعده غروبه
طلوع الشمس في ليلة واحدة/ ١٢ وجزير. [والأمر لا يحتاج إلى كل هذا التكلف من
صاحب الحاشية؛ لأنه لا دليل على أن هذه الرؤى قد وقعت له في ليلة واحدة، فقد
يكون ذلك في أوقات متعددة، ويكون قد تأملها ثم أدارها في نفسه، ثم احتج بها على
قومه وهم يقرّون بها ابتداء لطول مشاهدتهم إياها]

(٢) كما قال قوم هود: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" (هود: ٥٤)/ ١٢ وجزير.

(٣) وفي تكرار ربي استلذاذ، وتعريض بأن الله ربه ومولاه ولا مولى لهم، بل الله علوهم/ ١٢ وجزير.

(٤) منصوب على التمييز فهذا أبلغ من وسع علم ربي كل شيء/ ١٢ وجزير.

فتركوا عبادتها، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ وهو لا يملك ضرا، ﴿وَلَا تَخَافُونَ
 أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الذي هو حقيق بأن يخاف منه، لأنكم أشركتم المصنوع
 بالصانع، وسويتم بين العاجز والقادر، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: شيئا لم ينزل
 بإشراك ذلك الشيء حجة من كتاب وغيره، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحدين
 والمشركين، ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١)﴾: إن لم يكن لكم جهل، ﴿الَّذِينَ
 آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بشرك^(٢)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ﴾: وقد صح أنها لما نزلت قد شق على الصحابة، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه،
 فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ليس كما تظنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا

(١) إن كنتم غفلاء لستم بمجانين فأحبروني أي هذين الفريقين أحق بالأمن، ولما خوفوه في
 مكان الأمن ولم يخافوا في مكان الخوف أبرز الاستفهام في صورة الاحتمال وقد علم
 يقنيا، لأنه أقرب من إنصافه وإذعائهم كأنه صبرهم حكاما وطلب منهم الإنصاف
 والصدق/١٢ وجيز.

(٢) بشرك تفسير الظلم بالشرك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صح عن
 البخاري ومسلم ومسنند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد صح عن حم
 غفير من السلف والإنكار منكر من القول هذا ما في الوجيز وفي الفتح، والعجب عن
 صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ
 اللبس وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا وإذا جاء نهر الله بطل
 نهر معقل، وفي زاده على البيضاوي: وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية
 المعصية لا الشرك بناء على أن خلط إحدى الشئتين بالآخر يقتضي اجتماعهما
 ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بأن
 يقال: كما أن الإيمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الإيمان عندكم لكونه
 اسم لفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم

انتهى/١٢

بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣٠) "إنما هو الشرك" (*)، وقد فسره السلف بذلك، والمراد من الخلط النفاق، أو المراد من الإيمان مجرد تصديقه وشركه عدم توحيده، أو المراد الثبات على الإيمان وكثير من الناس يزعمون إيمانهم وهم عنه بمراحل لفساد عقيدتهم بصفة من صفات الله.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَتُّوْلَآءٍ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدَهُ قُلٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله: " فلما جن " إلى قوله: " وهم مهتدون "، ﴿حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ : ألهمناها، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ متعلق (بحجتنا)، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ﴾

(٥) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: " ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " (٤٦٢٩) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "الإيمان" / باب: صدق الإيمان وإخلاصه.

نَشَاءُ ﴿قَرِئٌ بِالْإِضَافَةِ، وَبِلا إِضَافَةٍ (فَمِنْ نَشَاءٍ) مَفْعُولٌ (تَرْفَعُ) وَ(دَرَجَاتٍ) إِما مَصْدَرٌ
أَوْ ظَرْفٌ أَوْ تَمْيِيزٌ إِنْ جُوزَنا تَقْدِيمَهُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي الرِّفْعِ وَالخَفْضِ، ﴿عَلَيْمٌ﴾،
بِحَالٍ مِنْ يَرْفَعُهُ وَيَخْفِضُهُ وَقَابِلَتِهِ، ﴿وَوَهَبْنَا^(١) لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً﴾: مِنْهُمَا،
﴿هَدَيْتَنَا وَنُوحًا هَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَهَدَايَةِ الْوَالِدِ شَرَفَ الْوَالِدِ،
﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، الضَّمِيرُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَاللُّوْطُ^(*) هُوَ ابْنُ أُخِيهِ أَدْخَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ تَغْلِييماً أَوْ
الضَّمِيرُ لِنُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أَي: هَدَيْتَنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ،
﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: مِثْلُ مَا جَزَيْتَنَا إِبْرَاهِيمَ بِرَفْعِ الدَّرَجَةِ،
وَكَثْرَةِ أَوْلَادِ مَهْتَدِينَ، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾، فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى
أَنَّ وَلَدَ الْبِنْتِ مِنَ الذَّرِيَّةِ، ﴿وَأَيَّاسَ﴾ الصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُ إِدْرِيسَ، ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَمِنْ
آبَائِهِمْ﴾ عَطَفَ عَلَى كَلِّ أَي: فَضَّلْنَاهُمْ وَبَعْضَ آبَائِهِمْ، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وَفِيهِمْ سَيِّدُ
الْكَوْنِينِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَهَمُ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْرَهَا، ﴿وَإِخْوَانِهِمْ
وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخْتَرْنَاهُمْ، ﴿وَهَدَيْتَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٢) ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا
هَمُ عَلَيْهِ، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا^(٣)﴾ بِحَسَبِ
الْفَرَضِ أَي: هُوَ لِأَنْبِيَاءِ مَعَ عُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بَطَلَ
عَمَلُهُمْ كَأَحَادِ النَّاسِ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يَرِيدُ جَنْسَ الْكِتَابِ،
﴿وَالْحُكْمَ﴾: الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾: بِالنُّبُوَّةِ، أَوْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ،

(١) أَي: مِنْ جَمَلَةِ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ أَنَا وَهَبْنَا لَهُ يَحْتَمِلُ عَطْفَهُ عَلَى تَرْفَعُ وَعَلَى تِلْكَ حِجَّتَنَا.

(٥) كَذَا بِالْأَصْلِ.

(٢) وَأَمَّا نَكْتَةُ خُصُوصِيَّةِ عَدَدِ هُوَ لِأَنَّ هَذَا التَّرْتِيبَ فَعَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ١٢ وَجِيز.

(٣) فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْهُدَى السَّابِقَ هُوَ التَّوْحِيدَ وَرَفْضَ الشِّرْكِ ١٢ وَجِيز.

﴿هُؤَلَاءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وعن قتادة هم الأنبياء المذكورون ومن تبعهم، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأنبياء المذكورون، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدَاهُمْ﴾^(١) ﴿اقتديه﴾: في التوحيد، والصفات الحميدة، والهاء للوقف، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ أو القرآن، ﴿أَجْرًا﴾: جعلًا كما لم يسأل الأنبياء، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرًا﴾: تذكرة وعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُنَّ قَرَاطِسَ تَبُدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٢٠﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

(١) عن ابن عباس قال أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهديهم وكان يسجد في "ص" [أي في سجدة سورة "ص"] أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما ففيه دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- مأمور بالافتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص/١٢ فتح [البخارى (٤٦٣٢)].

(٢) ولما عد الأنبياء، ووصفهم بأنهم أصحاب كتاب وحكم ونبوة وأوعد من كفر بهذه الثلاثة عقبه بمن نفى الكتاب عن أسسه وأصله فقال: "وما قدروا الله حق قدره"/١٢ وحيز.

الظالمون في غمرات الموت والملبكة بأسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم
 اليوم تجزوت عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
 آياته تستكبرون ﴿١٢﴾ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة
 وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين
 زعمتم أنهم فيكم شركاؤا لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم
 تزعمون ﴿١٣﴾ *

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عظموه حق تعظيمه، أو ما عرفوه حق معرفته في
 اللطف والرحمة على عباده، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِنْ شَيْءٍ﴾: إذ كذبوا
 إرسال الرسل الذي هو من عظام نعمه، ﴿قُلْ﴾: لهم، ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ
 بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾: نزلت^(١) في قريش، وهم يسمعون كتاب موسى من
 اليهود، ويسلمونه، ويقولون: لو أنا أنزل علينا الكتاب ل كنا أهدى منهم، أو في
 طائفة^(٢) من اليهود حين قالوا ذلك مبالغة في إنكار القرآن على رسول الله -صلى الله
 عليه وسلم- فألزموه ما لا بد لهم من الإقرار به أو رجل معين من اليهود قال: ما أنزل
 الله على بشر من شيء حين غضب، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾
 أي: جعلتها يجعلها قطعاً قطعاً، ويجزئونها جزءاً جزءاً يبدون ما يحبون ويخفون بعضها لا
 يشتون، مثل صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وآية الرجم، وقراءة الخطاب يؤيد
 كلام من يقول: أن الآية في اليهود اللهم إلا أن يقال إن قريشاً واليهود النصارى
 متشاركون في إنكار القرآن، فلم يبعد أن يكون الكلام بعضه خطاباً مع قريش، وبقية

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما/١٢ وحيز ولقريش صحبة ومحبة مع اليهود/١٢ وحيز.

(٢) وهو الظاهر وهو قول بعض السلف/١٢ وحيز.

مع اليهود، والنصارى كأهم طائفة واحدة، وأما قراءة الباء أي: الغيبة تكون التفاتاً^(١) عند من يقول الآية في اليهود، **«وَعَلَّمْتُمْ»**: بسبب القرآن، **«مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ»**: من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي، وإذا كان الخطاب مع اليهود فمعناه علمتم بالقرآن زيادة على التوراة وبيانا لما التبس عليكم، وعلى آباءكم كما قال تعالى "إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون" [النمل: ٧٦]، **«قُلِ اللَّهُ»**: أنزله أجب عنهم ذلك، لأنه متعين وفيه إشعار بأنهم تحيروا في الجواب **«ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ»**: دعهم في أباطيلهم، **«يَلْعَبُونَ»**: يعملون ما لا ينفع، وهو حال من مفعول ذر، **«وَهَذَا»**: القرآن، **«كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ»**: كثير النفع، **«مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»**: من الكتب السماوية، **«وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى»** أي: أهل مكة فد-عطف على صريح لفظ مبارك أي: كتاب مبارك كائن للإنذار، **«وَمَنْ حَوْلَهَا»**: أهل الشرق والغرب، **«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ»**: بالقرآن، **«وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»**، فإن لازم الإيمان بها الخوف، والخوف يجره إلى الإيمان بالقرآن والمداومة بصلاته فإنها عماد الدين، **«وَمَنْ»**^(٢) **«أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»**: كمن ادعى أنه أرسله كاذباً، **«أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ»**، نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والوحي^(٣)، **«وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ»**^(٤).

(١) إهانات لهم/١٢.

(٢) ولما كان لمن يدعي الرسالة لنفسه، ولمن ينفىها مضادة كما قالت اليهود وكل منهما كافر بسبب هذا القول عقب أحدهما الآخر فقال: "ومن أظلم" الآية/١٢.

(٣) أتى بأو التنويعية مع أنه القائل والمفتري ليدل على أن كل واحد من فعله وقوله يكفي في أنه ظلم/١٢ وحيز.

(٤) قال السدي: نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي، وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فكان إذا أُملي عليه سمعاً بصيراً كتب عليهما حكيماً وإذا أُملي

كما قالوا: "لو نشاء لقلنا مثل هذا" (الأنفال: ٣١)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، جوابه محذوف أي: ولو ترى زمان سكرهم لرأيت أمراً فظيماً، ﴿فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾: شدائده، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بِأَسْطُو أَيْدِيهِمْ﴾، بتعديهم لقبض أرواحهم، فقد ورد^(١) أن أرواح الكفرة تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضرمهم الملائكة حتى^(٢) تخرج، ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ أي: قائلين ذلك تعنيفاً وتغليظاً وزجراً وإضراراً لهم، ﴿الْيَوْمِ﴾: يوم الموت، ﴿تَجْزُونَ عَذَابَ الهُونِ﴾: الهوان والذل، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: كإثبات الشريك والولد، وإدعاء النبوة، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فلا تؤمنون بها، فالهوان لاستكبارهم، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾:

= عليه عليهما حكيمًا كتب غفوراً رحيمًا فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال -صلى الله عليه وسلم-: اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى مثل ما يوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنيبي -صلى الله عليه وسلم- نازل بمر الظهران: هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض رسائله: وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد وكان يكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبايعه النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك/١٢.

(١) كما رواه ابن أبي حاتم، وغيره/١٢ وجزير.

(٢) وأما أن للكافر اختيار في حبس الروح في البدن وإطلاقه فالعلم عند الله تعالى، وفيه دليل على عدم تجرد الروح/١٢ وجزير.

(٣) ولما كان من المعلوم أن ليس استكبارهم إلا لما هم وخولهم وكان استظهارهم بالشفعاء اللات والعزى عقبه بقوله: "ولقد جئتمونا فرادى" الآية/١٢ وجزير.

منفردين عن الشفعاء، والأموال، والأهل، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقد كنتم تنكرون ذلك حال ثانية أو صفة مصدر جئتمونا أي: مجيئنا مثل خلقناكم أو بدل من فرادى، ﴿وَوَرَكُنْكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: تركتموه كلياً وليس معكم شيء منه، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ﴾^(١) الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ: في ربوبيتكم واستعبادكم، ﴿شُرَكَاءَ﴾: لله، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، على قراءة رفع (بينكم) يكون بمعنى الوصل ليس بظرف، أو ليس بلازم الظرفية، وعلى قراءة النصب أسند لتقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم، ﴿وَوَضَلَّ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل، ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢): تزعمونه شفيعاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ

(١) الذين قلتهم: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر: ٣)/ ١٢فتح.

(٢) أنها شفعاء كم/ ١٢بيضاوي.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ
وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ﴾ (١) الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يشقهما في الثرى فینبت منهما الزرع (٢) والشجر،
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النبات والحيوان من الحب والنطف، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾:
الحب والنطف ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: النبات والحيوان عطف على فالق الحب فإن (يخرج الحي من
الميت) كاليان له ولذا ترك العطف، ومخرج الميت من الحي لا يصلح للبيان؛ لأن فلق الحب
ليس إلا لإخراج الحي، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فاعل هذه الأشياء هو الله، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾:
تصرفون عنه إلى غيره، ﴿فَالِقُ﴾ (٣) الْإِصْبَاحِ﴾ (٤): شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل،
﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾، إعمال اسم الفاعل، لأنه بمعنى الدوام التجديدي نحو:

"ولقد أمر على اللثيم يسبني" (*)

لا بمعنى الثبوت الدائم كـ "مالك يوم الدين" (الفاحة: ٤)، ﴿سَكَنَّا﴾: يسكن فيه
خلقه، ويستريح، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ (٥) أي: تجريان بحساب معين لا

(١) ولما تقدم ذكر البعث في قوله: "ولقد جئتمونا" نبه على إمكانه في جنب كمال قدرته
بالأمر المشابه للبعث فقال: "إن الله فالق الحب" الآية/١٢ وحيز.

(٢) ففيه تنبيه على البعث/١٢.

(٣) ولما ذكر القدرة في الأرضيات توجه إلى قدرة مثلها في السماوات "فالق الإصباح"
إلخ/١٢ وحيز.

(٤) والإصباح مصدر سمي به الصبح/١٢ وحيز.

(٥) صدر بيت من الكامل، وهو لرجل من سلول في الدرر ٧٨/١ وعجزه:

"فَمَصَّيْتُ نَمَّتْ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي"

(٥) حُسْبَانًا هو مصدر حسب بفتح السين أي: العد والحصر، والحسبان بكسر الحاء مصدر
حسب بكسر السين أي: الظن والتخمين/١٢ منه.

تتجاوزان، أو معناه جعلهما علمي حسابان؛ لأن حساب الأوقات يعرف بدورهما، **﴿ذَلِكَ﴾** أي: المذكور من فلق الصبح، وجعل الليل، والشمس، والقمر، **﴿تَفْذِيرُ الْعَزِينِ﴾**: الذي يفعل ما يريد، **﴿الْعَلِيمِ﴾**: بما قدر وأراد، **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾**: خلقها لكم، **﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** أي: في ظلمات^(٢) الليل فيهما، **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾**: بينها مفصلاً لا مجملاً، **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**^(٣)، فإن الجاهل لا ينتفع به، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** أي: آدم، **﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾** أي: فلكم مستقر في الأرحام، **﴿وَمُسْتَوْذَعٌ﴾**^(٤): في الأصلاب، أو بالعكس أو في الأرحام، وعلى ظهر الأرض أو في القبر وفي الدنيا أو في الرحم والقبر أو في الجنة أو النار وفي القبر وهما اسما مكان أو مصدران، وفي قراءة كسر القاف الأول اسم فاعل، والثاني اسم المفعول أي: فمنكم قار ومنكم مستودع، **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾**

(١) وهذا إحدى منافع النجوم ومنها ما ذكره الله في قوله: "وحفظاً من كل شيطان مارداً" (الصفات: ٧) وقوله تعالى: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين" (الملك: ٥)، وعن عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في برکم وبحرکم ثم أمسكوا فإنها والله ما خلقت إلا زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها وعن قتادة نحوه وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر مرفوعاً: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا/١٢ فتح.

(٢) إضافة الظلمات إليهما للابستهما لهما/١٢ منه.

(٣) ولما كان جميع تلك الآيات المتوالية للاستدلال على الوحدانية إذا أتم دليلاً رجع إلى غيره من آفاقي وأنفسي، ومن هذا قال: "وهو الذي أنشأكم"/١٢ وجز.

(٤) والحاصل أن المستقر، والمستودع حالان يتواردان على الإنسان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى القبر إلى المحشر إلى الجنة أو النار، ففي كل رتبة استقرار بالإضافة إلى ما قبلها استيداع بالإضافة إلى ما بعدها واستقر لازم فلا يبيّن منه اسم مفعول/١٢ وجز.

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ^(١)»، الفقه: تدقيق النظر، فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق، ففيه ظهور ولهذا قال في الأول: "لقوم يعلمون".

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبه، ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بسبب الماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تنبت، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات أو الماء، ﴿خَضِرًا﴾: زرعاً وشجراً أخضر، ﴿نُخْرَجُ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: بعضه على بعض كسنابل البر وغيره، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾، الطلع: أول ما يخرج من ثمرها والقنو: العرجون، وهو مبتدأ "ومن النخل"^(٢) خبره، "ومن طلعتها" بدل، ﴿دَانِيَةً﴾: سهلة المحتنى لقصر النخل اللاصقة عدوقها بالأرض، أو قريب بعضها من بعض على التفسير الأول ذكر الدانية لأن النعمة فيها أظهر أو دل بذكر القرية على ذكر البعيدة كقوله "سرايل تقيكم الحر" (النحل: ٨١) أي: والبرد، ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على (نبات)، أو على (خضراً) ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أي: شجريهما بدليل انظروا إلى ثمره، ﴿مُشْتَبِهًا^(٣) وَعَیْرٌ مُّتَشَابِهٍ﴾ أي: متشابهها ورقهما، فإن ورقهما قريب غير متشابه

(١) لما كان الاهتداء بالنجوم، واضحا ختمه بيعملون وكون الإنسان من نفس واحدة وتصريفه في أحوال كثيرة أدق ختمه بيفقهون فإن المفهوم من الفقه دقيق النظر/١٢ وجيز.

(٢) والجملة مقطوع عما قبلها في تجريدها من عظم المنة إذ كانت من أعظم قوت العرب، ولها شبه بالحب، وشبه بالعنب في التغذي والتفكر، فناسب أن يكون اعتراضاً بين الحب والعنب/١٢ وجيز.

(٣) الافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً يقال: اشتبه الشيطان وتشابها واستويا وتساويا، فهو حال من الزيتون لسبقته، أو من الرمان لقربه، وحذف مشتبهها وغير متشابه من أحدهما للقرينة وبأن بعض الرمان حامض وأحمر وكبير، وبعضه حلو وأبيض وصغير ففي الرمان في غاية الظهور/١٢ وجيز.

ثمرهما، أو بعضه متشابه ببعض آخر منه في الهيئة، واللون والطعم وبعضه غير متشابه،
﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كل واحد من ذلك، **﴿إِذَا أثمر﴾**: أخرج ثمره، **﴿وَيَنعِهِ﴾**:
 وإلى نضجه نظر استدلال بعد أن كان حطبا صار عنباً ورطباً وبعد أن كان جافاً تفها
 صار للذيذا، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾** أي: على كمال قدرته، **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**:
 يصدقون بالله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾: عبادة غير الله تعالى، عبادة الشيطان هم جعلوا
 الشيطان شريكاً له، أو كما قال الثنوية: الله خالق النور، والشيطان خالق الشرور،
 (وشركاء الجن) مفعول (جعلوا) أو (لله) متعلق بـ(شركاء) أو حال منه أو (لله)
 (شركاء) مفعولاه، و(الجن) منصوب بمقدر، كأنه قيل: من جعلوه شركاء؟ فقال:
 "الجن"، **﴿وَخَلَقَهُمْ﴾**^(١)، حال بتقدير قد والضمير إما إلى الكفار أي: جعلوا غير
 خالقهم شريكاً لخالقهم، وإما إلى الجن: أي جعلوا المخلوقين شركاء للخالق،
﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: اختلفوا وافتروا، **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** حال من فاعل خرقوا أي:
 خرقوا عن عمى وجهالة لا عن فكر وروية، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾** تعالى
 عطف على أسبح.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ **﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ**
كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**
وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ **﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ**

(١) والأولى أن ضمير الجمع للجاعلين إذ هم المحدث عنهم يعني جعلوا مخلوقاً شريكاً
 لخالقهم، وما هو إلا حماقة/١٢ وحيز.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٤﴾ وَكَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ اتَّبِعْ مَا
أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا
يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَنَقَلِبْ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾ * ﴿

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي^(١): هو مبدعها ومحدثها على غير مثال سبق قيل:
من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سماواته، وقيل الإضافة حقيقية بمعنى في
أي هو عدم النظر فيهما، ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾، والولد إنما
يكون بين متجانسين ولا يناسبه شيء فإنه فائق الأشياء وأين الخالق من المخلوق؟!
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، لم يقل وهو به عليم لأن علمه أشمل
من خلقه، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الموصوف بما سبق من الصفات، وهو مبتدأ، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا

(١) ولما كان التوالد من صفات الأجسام ومن هو مبدع تلك الأجسام ومخترع الأجسام
ليس بجسم، فلا يكون له ولد "أن يكون له ولد" الآية ١٢/ وحيز.

(٢) يعني من كان موصوفاً بالخالقية، والعالمية غنى عن العالمين والولد إنما يطالبه المحتاج إليه
نفى الولد بأدلة ثلاثة، ويمكن أن يجعل أربع دلائل ١٢/ وحيز.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»، أخبار مترادفة^(١)، «فَاعْبُدُوهُ»؛ لأن من له هذه الصفات استحق العبودية، «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»: متولى أموركم فكلوها إليه، «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» أي: في الدنيا أو لا يحيط به الإبصار، فإن الإدراك أخص من الرؤية أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر ولا ملك، لكن إذا تجلّى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار، أو لا يراه جميع الأبصار؛ بل الكفار عنه محجوبون، «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ»^(٢): تحيط علمه بها ويراهها، «وَهُوَ اللَّطِيفُ»: بأوليائه، «الْخَبِيرُ»:

(١) يعني المتصف بالصفات المتقدمة هو الله مَالِكُكُمْ الناظر في مصالحكم، ثم حصر الإلهية فيه وأنه هو وحده متصف بالخلق ثم أمر بعبادته، فقال: "اعبدوه" لأنه هو الحقيق بالعبادة/١٢ وجيز.

(٢) أي: هو لا تدركه حاسة النظر في الدنيا لأن الإرادة الأزلية أنقضت أنها لا تراه في الدنيا وأما أمور الآخرة فعلى خلاف ما في الدنيا تأمل فيما ورد عن أمر الصراط وأحوال الجنة وأهل النار والأحاديث الصريحة في شأن رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة واردة، وهو يدرك جميع الحواس النظرية، فهو خالقها وصاحب الحاسة لا يرى حاسة نفسه، وكلا الأمرين معاً صفة مدح، والتغير من جانب الرائي لا من جانب الرب سبحانه، ولا عليك أن تجعل تلك الصفة دليلاً آخر لنفي الولد والصاحبة فإن التوالد لا بد له من خلطة ونماس، والصفات الذاتية لا تتغير/١٢ وجيز. وقد ثبت الرؤية في القيامة بالأحاديث المتواترة تواتراً لا شك فيه، ولا شبهة ولا يجمله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلاً عظيماً وأيضاً قد تقدر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار هذا على تسليم أن نفسي الإدراك يستلزم نفي الرؤية الخاصة والآية من سلب العموم لا من عموم السلب والأول يخلفه الجزئية، والتقدير لا تدركه كل الأبصار، بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين، وقد أطلل الواحد المتكلم الحافظ ابن قيم في حادي الأرواح في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها بما لا مزيد عليه/١٢ افتتح.

بأعمالهم قليل من باب اللف والنشر أي لا تدركه الأبصار، لأنه لطيف لا كثافة(*) فيه بوجه، وهو يدرك الأبصار؛ لأنه خير، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ^(١) مِنْ رَبِّكُمْ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للجسد أي: جاءتكم بالوحي الآيات البينات، والحجج القرآنية التي هي للقلوب كالبصائر، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: يرى تلك الآيات وآمن بها، ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: أبصر، وله نفعه، ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾، فلا يؤمن بها، ﴿فَعَلَيْهَا﴾: فعلى نفسه عمى، وعليها ضرره، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: أحفظ أعمالكم فأجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ، وهذا وارد على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: مثل ذلك التبيين نبينها ونكررها، ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، معلله محذوف أي: وليقولوا درست نصرفها، والدرس القراءة، والتعلم أي: ليقول المشركون درست، وتعلمت من اليهود، ثم تزعم أنه من عند الله عليك يعني لشقاوة بعض كما قال تعالى: "يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا" (البقرة: ٢٦)، فيكون اللام على أصله أو اللام لام العاقبة، وقرئ (دارست) أي: دارست أهل الكتاب وقارئهم، وقرئ (درست) أي: قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين، ﴿وَلِنَسِينَهُ﴾، الضمير للقرآن أو الآيات باعتبار أنها قرآن أي: كررناه لنسينه، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لهداية المؤمنين، وحاصله تصريف الآيات لشقاوة بعض وسعادة بعض آخر، ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ حال مؤكدة من ربك أي: منفرداً بالألوهية، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تجادلهم، واحتمل أذاهم حتى ينصرك الله فإن الله حكمة في

(*) بالأصل كثافته، والأصح ما ذكرناه. ص ٢٠٤.

(١) وهذا كلام استئناف وارد على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال في آخره: "وما أنا عليكم بحفيظ" ووصف البصائر بالحيء تفخيماً لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه كما يقال: جاءت العافية، وانصرف المرض، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس/١٢فتح.

إضلالهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: توحيدهم، ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: رقيقاً تحفظ أعمالهم وتجازيهم أو تحفظ من عذاب الله، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أصنامهم، ﴿فَيَسُبُّوا﴾^(١) اللهَ عَدْوًا﴾: ظلماً، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله يعني سب آلهتهم وإن كان حقاً لكن فيه مفسدة عظيمة، نزلت حين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك أو كان المسلمون يسبون آلهتهم وهم يسبون الله عدواً، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الترين، ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من أمة الكفار، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

(١) وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل إذا خشى أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرمة ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان وجباً عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصددين لبيائها للناس وإذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضا لاتباع المحقين، وجرأة على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجري على أهلها وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال "ملعون من سب والديه قالوا: يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه" ١٢/فتح البيان في مقاصد القرآن المأخوذ من فتح القدير للشوكاني/١٢ [البخارى ٥٩٧٣]، ومسلم (٢٧٦/١) ط الشعب ولفظه "إن من أكبر الكبائر... الحديث".

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أو كدها أي: أقسموا قسماً غليظاً ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: كما لموسى وعيسى، ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبٌ إِنْهَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عندي حتى آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ابتداء كلام وليس في حيز (قل) و(ما) استفهام إنكار ﴿أَلَيْهَا إِذَا جَاءَتْ﴾: تلك الآية التي طلبوها، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم ذلك، ولا يترها وقيل: لا مزيدة، وقيل: فيه حذف تقديمه: ما يدريكم أنهم لا يؤمنون، أو يؤمنون وقيل: أن بمعنى لعل، ومن قرأ إنها بكسر الهمزة على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بما علم منهم فقال ذلك، والخطاب للمؤمنين أو للمشركين، ويؤيده قراءة التاء في "لا تؤمنون" نزلت حين قالوا: والله لئن تجعل لنا الصفا ذهباً لتبتعنك أجمعين، ﴿وَوَقَلَّبُ أَفئِدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو أنزلنا ما اقترحوا من الآيات فلا يفقهونه عطف على (لا يؤمنون) أو جملة على حيالها، ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ولا يؤمنون بها، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بما أنزل من الآيات، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من انشقاق القمر وغيره، أو المراد كما لم يؤمنوا بما أنزلنا على موسى، وعيسى لقلوه: "أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل" (القصص: ٤٨)، وعن بعض السلف نقلهما فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا، ﴿وَوَدَّرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في كفرهم، وضلالهم متحيرين.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٣٨﴾﴾
 وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شٰٓئِطِينَ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ اِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوْهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُوْنَ ﴿٣٩﴾﴾
 وَلِتَصْغَىٰ اِلَيْهِ اَفئِدَةُ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوْا مَا

هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١٢٢﴾ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ
 مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٢٣﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ
 لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٤﴾ وَإِن تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن
 سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ
 يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ
 بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٨﴾ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ
 وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَا
 تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ
 أَوْلِيَاءِهِمْ لِيَجْذِبُوا إِلَيْكُمْ وَإِنِ اطَّعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾: فرأوهم عيانا، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾: فشهدوا
 لك، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: جمع قبيل بمعنى كفيل، أو بمعنى جماعات، أو
 هو مصدر بمعنى المقابلة، وهو حال من (كل)، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: في حال، ﴿إِلَّا
 أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١) أي: إلا حال مشيئته، فيبدل طبعهم لتمرهم في الكفر وسبق الفضلاء

(١) يعني أن الأسباب لا دخل لها في إيمانهم بخلاف بعض الكفرة فإنه لا حاجة إلى تبديل
 طبائعهم، بل إذا جاءهم سبب، وضم إليه مشيئة الله تعالى لآمنوا فإن هذا العالم عالم
 الأسباب/١٢ أو حيز.

بشقاوتهم، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**^(١): أنهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا، فيقسمون جهد إيمانهم قيل: أو إن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول آية طمعا في إيمانهم، **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾**^(٢) أي: كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبي عدواً، **﴿شَيَاطِينَ﴾**: مردة، **﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾** بدل^(٣) من عدواً، أو أحد مفعولي (جعلنا لكل نبي) ظرف (عدواً)، **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾**: يوسوس ويلقي بعضهم بعضاً، **﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾**: أباطيله الزينة يغروهم، **﴿غُرُورًا﴾** أو للغرور، يعني أن مردة الجن يوحون مردة الإنس، ويغروهم بالإضلال، وهذا^(٤) هو الأصح، وقال بعضهم: معناه الشيطان الموكل بالجن يوحى، ويعلم الشيطان الموكل بالإنس أباطيل القول في إضلال المسلمين وبالعكس، **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾**: ألا يكون لهم عدو، **﴿مَا فَعَلُوهُ﴾** أي: إجماع الزخارف، **﴿فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**: ولا تغتم أنت منهم، **﴿وَلِتَصْغَى﴾** أي: ولتميل، **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى زخرف القول، **﴿أَفِيدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾**، عطف على (غروراً) إن جعلته مفعولاً له، وإلا فهو متعلق بمحذوف أي: وجعلنا لكل نبي عدواً لتصغى، أو تقديره: جعلنا ذلك لمصالح لا تحصى ولتصغى، **﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾**: ليحبوه، **﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾**: ليكتسبوا، **﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾**^(٥):

(١) ولما علم مما سبق أنهم له - صلى الله عليه وسلم - أعداء لا تزول عداوتهم أعقبه ما يسلي فؤاده، فقال: "وكذلك جعلنا" الآية/١٢ وجيز.

(٢) لست منفرداً بذلك/١٢.

(٣) والبديل جمع، والمبديل مفرد دل على أن المراد الجنس وإتيانه بصورة المفرد للإشعار بأنهم كيد واحد على ما سواهم/١٢ وجيز.

(٤) وهو قول جميع السلف، ويدل عليه الحديث الصحيح/١٢.

(٥) من الآتام، وهذا الترتيب في غاية الفصاحة أولاً ذكر الخداع فالليل فالرضاء فالاقتراف وكل مسبب عما قبله، ولما كان من عادة قريش في المخالقات التحاكم إلى كهاهم،

من الآثام، **﴿أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتغِي حَكْمًا﴾** أي: قل أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، (وحكما) حال من غير الله، **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾**: القرآن، **﴿مُفَصَّلًا﴾**: بين وميز الحق والباطل، **﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾**: من اليهود والنصارى، **﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾**، لأن وصفه مذكور في كتبهم، **﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** في أنه من عند الله، وهذا من باب التحريض، والتهيج، قال تعالى: "وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فستل الذين يقرءون الكتاب" الآية [يونس: ٩٤]، وقد جاءت في الحديث أنه عليه السلام قال حين نزوله: (لا أشك ولا أسأل) (*) أو المراد نهي الأمة، وقيل: معناه لا تكن من الشاكين في أهم يعلمون ذلك، **﴿وَوَتَمَّتْ (١) كَلِمَةُ رَبِّكَ (٢)﴾**: بلغت الغاية، وعداته وأقضيته، **﴿صِدْقًا﴾**: فيما وعد،

= وهم شياطين الإنس الذين قال الله تعالى فيهم: "يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا" وطلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التحاكم في أمر نبوته نهي الله تعالى عن التحاكم إلى غيره فقال: "أفغير دين الله أبغى حكما" إلخ/١٢ وجزء.

(٥) أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" (١١٦/١١) عن قتادة رضي الله عنه. وذكره السيوطي في "الدر المنتور" (٥٧١/٣) ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه.

(١) ولما كان من أول السورة إلى هنا في بيان التوحيد والنبوة والظعن على المخالف ومن هنا إلى آخر السورة في بيان الأحكام، والقصاص ناسب قوله: "وتمت كلمة ربك" /١٢ وجزء

(٢) قوله: "وتمت كلمة ربك" الآية قال شيخ الإسلام: السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام يقولون إن الكلام صفة ذات وفعل وهو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حي وصف بالكلام فكلامه لا بد أن يقوم بنفسه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته، وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: "فلما أتاها نودى يا موسى" (طه: ١١) فناداه حين أتاها، ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: "فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم

﴿وَعَدَلًا﴾: فيما حكم وهو إما حال أو تمييز، ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: لما في صدورهم، ﴿وَإِن (١) تُطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: فإن أكثرهم على الضلال، ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الموصل إليه، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: فإن دينهم ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: بمن يضل، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ (٢) بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بالفريقين، ﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ (٣) عَلَيْهِ﴾، أي: على ذبحه لا مما مات حتف أنفه، ولا مما ذكر عليه اسم غيره، ﴿إِن كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي

= أهلكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قوله تعالى "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (الأعراف: ١١)، بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران: ٥٩) فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وعليه يدل كلام السلف قاطبة، والكتاب والسنة مملوآن منه. انتهى مختصراً ملتقطاً/١٢.

(١) ولما قال: "وتمت كلمة ربك" علم منه أنه المستمسك وأنه العروة الوثقى فالجدير ألا تدعه في شيء وفي حال ولهذا عطف عليه قوله: "وإن تطع أكثر من في الأرض" الآية/١٢ ووجيز.

(٢) لما قال: "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك" أخبر أنه أعلم بالفريقين من الضال والمهتدي، فلا تطع أحداً إلا ربا وكلمته "فكلوا مما" الآية/١٢ ووجيز.

(٣) يعني لما هيناك عن اتباع الغير فلا تأكل مما ذكر عند الذبح اسم غير الله تعالى عليه ولا مما مات حتف أنفه فإن ذلك من شرع المشركين/١٢ ووجيز.

استباحة ما أحله الله لا ما أحله^(١) الظن، والهوى، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾: أي غرض لكم، ﴿أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: منه وحده وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في "حرمت عليكم الميتة" الآية (المائدة: ٣)، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (ما) موصولة والاستثناء من ضمير حرم، أو (ما) مصدرية في معنى المدة أي: الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ﴾: بتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾: بتشبههم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: غير متعلقين بدليل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾^(٢): المتجاوزين الحق إلى الباطل، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: معصية العن والسر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^(٣): يكسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لـ "ما" أو للأكل، وعند بعض السلف إن ذبيحة تركت التسمية عليها عمداً أو سهواً حرام، والآية دليلهم وعند بعض التسمية مستحبة، وقالوا: الآية فيما ذبح لغير الله، وقيل: الواو في (وإنه لفسق) حالية، والفسق: ما أهل لغير الله بدليل قوله: "أو فسقا أهل لغير الله به"، وقال بعض منهم المراد من الآية الميتة، وعند كثير من السلف: إن ترك التسمية نسياناً لا يضر^(٤) أما عمداً، فالذبيحة حرام، ﴿وَإِنَّ

(١) فإنهم اعترضوا على الدين بأن ما قتله الإنسان والصقر والكلب يحكم بحله، وما قتله الله تعالى من الميتة من ذوات الأربع لا يحلله/١٢ وجيز.

(٢) ولما عتب عليهم في التجاوز عما ذكر اسم الله عليه وهذا من أمور قد يظهر وقد لا يظهر عقبه بقوله: "وذروا ظاهر الإثم" الآية/١٢ وجيز.

(٣) وكان من عادة المشركين في الزنا أنهم يدخلون بيتاً مظلماً مغلقين أبوابه، مستترين بمثل لحاف قائلين: لا يرانا رب السماء/١٢ وجيز.

(٤) وهو المشهور عن مالك، وعليه أبو حنيفة، وأحمد وقيل: عليه الإجماع وعند بعض أن الرجوع هنا إلى الآية التي هي حرمت عليكم الميتة كما مر في قوله: "وقد فصل لكم ما

الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ: يوسوسون، «إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ»: من الكفار، «لِيُجَادِلُوكُمْ»: يقولون تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك، والصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، وهو يؤيد التأويل بالميتة، «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ»: في استحلال ما حرم، «إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ»: فإن اتباع غير الله في الدين إشراك وكفر.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٩﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ

= حرم عليكم" دال على أن الحرام ما أهل لغير الله لا ما لم يذكر فيه اسم الله وقوله: "أو فسقاً أهل لغير الله به" مشعر عليه/١٢ وجيز.

رَبِّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا﴾: بالكفر والجهل، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالعلم والإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك (*) وكيف ينصرف والنور القرآن أو الإسلام، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾: صفته، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: بقى على الضلالة لا يفارقها مجال حال من المستكن في الظرف وحاصله أنه كمن إذا وصف يقال له "في الظلمات ليس بخارج"، فـ(في الظلمات ليس بخارج) خير مثله على سبيل الحكاية، والجملة صلة من، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زين للمؤمنين الإيمان، ﴿زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) قيل: الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، أو في عمر وأبي جهل، أو في عمار بن ياسر وأبي جهل، ﴿وَوَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: كما صيرنا فساق مكة أكابرها صيرنا مجرمي كل قرية رؤسائها، ومترفيها و(أكابر مجرميها) بالإضافة هي المفعول الأول والثاني (في كل قرية) أو (ليمكروا فيها) مفعولاه قيل: جاز أن يكون (أكابر) مضافاً إلى مجرميها مفعوله الأول، و(ليمكروا) مفعوله الثاني، ﴿لِيْمَكُرُوا فِيهَا﴾: بصد الناس عن الهدى، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: فإن وباله يحيط بهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: دالة على صدق محمد -عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي:

(٥) في الأصل: يسالك، وما ذكرناه هو المناسب لاسيما أن العبارة في تفسير ابن كثير

١٧٣/٢: (أى يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به ...).

(١) ولما مر أن لكل نبي عدواً وهم شياطين الإنس والجن وقد قر في الأذهان أن عدو عظيم القدر لا يكون إلا عظيماً مثله ليحكي عنه مكره من فعله، وقوله وعلم أن هذا ليس خاصاً بنبينا -صلى الله عليه وسلم، بل لكل نبي عدواً أراد أن يبين أن لكل قرية حال كحال قرية نبينا أم القرى، فقال (وكذلك جعلنا في كل قرية) الآية ١٢ وجيز.

حتى تأتينا الملائكة بتصديقك كما يأتي إلى الرسل، **«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»**: استئناف يرد عليهم أنهم ليسوا بأهل الوحي والرسالة أي: أعلم بالمكان الذي فيه يضعها، **«سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا^(١) صَغَارٌ»**: ذل وحقارة، **«عِنْدَ اللَّهِ»**: يوم القيامة، **«وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ^(٢)»**: بسبب مكرهم، **«فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ»**: يوسع قلبه، **«لِلْإِسْلَامِ»**: للتوحيد وفي الحديث^(٣) تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآيات قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: "نور يُقذف به في القلب" قالوا: هل لذلك من أمارة؟ قال: الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله، **«وَمَنْ يُرِدْ»**: الله، **«أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا»**: فلا يبقى فيه منفذ للخير، ومكان حرج أي: ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية، **«كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ»**: أي: مثله في امتناع قبول الإيمان مثل صعود السماء، فإنه ممتنع غير مستطاع أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هرباً من الإيمان، وتباعداً عنه، **«كَذَلِكَ»**: كما ضيق الله صدره، **«يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ»**: يسلط الشيطان أو العذاب، **«عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»**: أي: عليهم لعدم إيمانهم، **«وَهَذَا»**: الذي أنت عليه يا محمد، **«صِرَاطُ رَبِّكَ»**: الطريق الذي ارتضاه، **«مُسْتَقِيمًا»**: لا عوج فيه حال، وعامله معنى الإشارة، **«قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ**

(١) من الأكاير والأصاغر/١٢.

(٢) ولما ذكر أنه لا يصطفى إلا من يصلح للاصطفاء، ولا يطرد إلا من يليق بالطرد بين وعين حال المصطفى، والمطرود، فقال: "فمن يرد الله" الآية/١٢ وجزء.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢ وجزء، وقد روى بطرق يقوي بعضها بعضها، والمتصل يقوي المرسل، فالمصير إلى هذا التفسير النبوي متعين/١٢ فتح [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٠/٨) من حديث ابن مسعود -رضى الله عنه- والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (ح ٩٦٥) وقد أطل الكلام عليه فراجع].

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: لهم فهم ووعي، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: الجنة؛ لأن فيه سلامة عن الآفات أو السلام من أسماء الله، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه أو يوم القيامة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: ناصرهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١)﴾: بسبب أعمالهم، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: اذكر يوم نحشر الثقيلين قاتلين: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أي: الشياطين، ﴿قَدْ

(١) اعلم أنه تعالى لما بين عظيم نعمه في الصراط المستقيم وبين تعالى أنه معد مهيب لمن يكون من المذكورين بين الفائدة الشريفة التي تحصل من التمسك بذلك الصراط المستقيم فقال: "لهم دار السلام عند ربهم"، وفي هذه الآية تشريفات النوع الأول. قوله: "لهم دار السلام"، وهذا يوجب الحصر فمعناه لهم دار السلام لا لغيرهم. النوع الثاني قوله: "عند ربهم" يشعر بأن ذلك الأمر المدخر موصوف بالقرب من الله تعالى. النوع الثالث: من التشريفات المذكورة في هذه الآية قوله: "وهو وليهم" والولي معناه القريب فقوله: "عند ربهم" يدل على قربهم من الله، وقوله (وهو وليهم) يدل على قرب الله منهم، ولا نرى في العقل درجة للبعد أعلى من هذه الدرجة، وأيضاً فقوله: "وهو وليهم" يفيد الحصر "أي: لا ولي لهم إلا هو، وكيف وهذا التشريف إنما حصل على التوحيد المذكور في قوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً" فهؤلاء الأقسام قد عرفوا من هذه الآية أن المقدر والمدبر ليس إلا هو وأن المسعد والمشقى ليس إلا هو وأنه لا مبدئ الكائنات والممكنات إلا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم إلا إليه، وما كان توكلهم إلا عليه، وما كان أنسهم إلا به وما كان خضوعهم إلا له، فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال تعالى: "وهو وليهم" وهذا إخبار بأنه تعالى متكفل بجميع مصالحهم في الدين، والدنيا ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات، ودفع الآفات والبلبات، ثم قال: "بما كانوا يعملون" وإنما ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء من العمل فإن العمل لا يبد منه/١٢ مفاتيح الغيب المشهور بالكبير للإمام الرازي.

اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ أي: من إغوائهم^(١) أي: أضللتهم كثيراً، **﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ﴾**:
 محبوهوم ومطيعوهم، **﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾**: مجيبين لله عن ذلك، **﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
 بِبَعْضٍ﴾**: بعضهم مطاع وبعضهم مطيع، أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا:
 أعوذ بكبير هذا الوادي، فيفتخر كبير الجن بتعود الإنس بهم، ويقولون: نحن سيد الإنس
 والجن، وهذا هو الاستمتاع، **﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾** أي: القيامة والبعث،
 وهذا اعتراف بطاعة الشيطان وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم، **﴿قَالَ﴾**: الله،
﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مترلكم، **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، حال، والعامل معنى الإضافة، **﴿إِلَّا
 مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** أي: هم مخلدون^(٢) جميع الأوقات إلا مدة حياتهم في الدنيا والبرزخ
 أو المراد الانتقال من النار إلى أنواع أخر من العذاب كالزمهرير، وعن ابن عباس -
 رضي الله عنهما- قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في
 خلقه^(٣) لا يترلم جنة ولا ناراً، **﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾**: في أفعاله، **﴿عَلِيمٌ﴾**: بأعمال
 خلقه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، **﴿تَوَلَّى﴾**^(٤)
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: نسلط بعضهم على بعض، كما ورد

(١) ففيه حذف مضاف كذا قدره ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن/١٢ منه.

(٢) قال ابن عباس، ونعم ما قال: الله أعلم بثنياه وكذا قال قتادة وغيره اعترفوا بالعجز عن
 الفهم والتعيين وأحالوا العلم إلى الله في الاستثناء وعندني أن القول ما قالت
 حذام/١٢ وحيز.

(٣) وعلى هذا النقل يكون ما بمعنى من/١٢ منه.

(٤) أي: نسلط بعضهم على بعض جزاء على ظلمهم، ولهذا دلت الآية على أن الرعية إذا
 كانت ظالمة فانه يسלט عليهم ظالماً مثلهم/١٢ وحيز.

"من أعان ظالماً سلطه الله عليه(*)" أو تتبع بعضهم بعضاً في النار أو نكل بعضهم إلى بعض فيغيروهم أو نجعل الكافر ولي الكافر أينما كان.

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٠﴾ قُلْ يَلْقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٢﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا هَذِهِمُ أَنْعَمُ الَّذِي نَحْرَثُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا

(*) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (٢٣٨٠) وقال في "المقاصد": رواه ابن عساكر في "تاريخه" عن ابن مسعود رفعه، وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع.

إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُوا بِظُهُورِهَا وَأَنْعَمُوا بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُوا بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُوا بِرِزْقِهِمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٨﴾

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ (١) مِنْكُمْ﴾ هو الله سبحانه يقرع الكافرين يوم القيامة بهذا السؤال وهو استفهام تقرير، والأصح بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم قالوا نظيره "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" [الرحمن: ٢٢] وهما لا يخرجان من العذب كما سنذكر إن شاء الله تعالى، ﴿يُقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يوم القيامة، ﴿قَالُوا﴾: جواباً، ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾: أنهم قد بلغوا ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم قال تعالى: ﴿وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: فأعرضوا عن رسلنا ولم يرفعوا إليهم رأساً، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: يوم القيامة، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: في الدنيا، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: إرسال الرسل، ﴿أَنْ لَمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾: خبر ذلك، وأن إما مصدرية أو مخففة، واللام محذوف أي: لأن، أو تقديره الأمر ذلك لأن لم يكن إلخ، ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (٢): أي: لانتفاء كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلمهم وأهلها غافلون

(١) قيل لرسول الإنس رسل إلى الجن منهم لإنذارهم فهو المراد/١٢ وجيز.

(٢) وحاصله أنه لا يهلكهم بدون التنبيه فإنه ظلم، والله تعالى ليس بظلام للعبيد، وليس في

هذا اعتزال، فإن الظلم لغة واصطلاحاً: وضع الشيء في غير موضعه/١٢.

لم يبنهوا برسول كما قال تعالى: "وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا" [الإسراء: ١٥] أو (بظلم) حال من (ربك)، وحاصله أنه لا يهلكهم دون التنبيه بالرسول والآيات فإنه ظلم والله غير ظلام للعبيد، ﴿وَلِكُلِّ﴾: من المكلفين، ﴿دَرَجَاتٍ﴾: مراتب، ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾: من أعمالهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: فيخفى عليه خافية، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾: عن خلقه من جميع الجهات، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: بهم فلا يعجل بالعقوبة، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: إذا عصيتم، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: قوماً آخرين يعملون بطاعته، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي: هو قادر على ذلك كما أذهب القرن الأول وأتى بالذي بعده، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: من أمر المعاد، ﴿لَاتٍ﴾: كائن البتة، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: الله في قدرته، ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكنكم من أمركم أو على جهتكم، وحالكم التي أنتم عليها، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما أنا عليه أي: اثبتوا على الكفر فإني ثابت على الإسلام، وهو أمر تهديد شديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: سوف تعلمون أين له العاقبة الحمودة، والجنة أو المراد من عاقبة الدار أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، و(من) استفهامية مبتدأ خبره تكون، وفعل العلم علق عنها أو موصولة فهو مفعول (تعلمون) على أنه متعد إلى مفعول واحد بمعنى يعرفون، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(١): لا يسعد من كفر، ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: مشركو العرب، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق، ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيْبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ

(١) مصدر مكن فالميم أصلية أو من الكون يعني على تمكنكم من الأمر/١٢ وجزير.

(٢) ولما ذكر للمشركين عبادة الأصنام أثبت لهم نوعاً آخر من جهالاتهم ما دل على قلة

عقلهم مما يتعجب منه من له أدنى تدبر فقال: "وجعلوا" الخ/١٢ وجزير.

يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ^(١): كانوا يجعلون من أموالهم نصيباً لله ومصرفه الضيفان، ونصيباً لآهتهم ومصرفه خدم أصنامهم فإن سقط شيء من الثمر مثلاً من نصيب الوثن فيما سمي للصدم رده إلى ما جعلوه للوثن وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوا لله، وإن سقط شيء من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به، وقالوا: الله غني، وهذا معنى قوله: "فما كان لشركائهم" الآية، وفي قوله: "مما ذراً" إشارة إلى جهلهم بأنهم أشركوا الخالق في خلقه حماداً، ثم جعلوا له النصيب الأوفر، وقوله: "بزعمهم" إشارة إلى أن هذا مخترعهم ليس من أمر الله، ولا يصل إليه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ^(٢)﴾: حكمهم هذا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل هذا الفعل القبيح، ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، فإن الشياطين وهم

(١) ونظير هذا في زماننا جعل كثير من عابدي القبور قسماً من أموالهم نذراً للموتى ويحاطون فيه مالا يحاطون في حق الله تعالى ويهتمون فيه ما لا يهتمون في قسمة الله المفروض كما يجعلون شيئاً من الزرع، ويعينونه بأسمائهم بأن هذا نذر فلان وقسطه، ويقلدون بعض أنعامهم، ويشتهرونه بأسمائهم، ويصرفون على سدنة قبورهم ومجاورهم وينحرونها على قبورهم فهذا بعينه الذي كان يفعل المشركون الذين حكى الله تعالى عنهم "وجعلوا لله مما ذراً" الآية "ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون" (النحل: ٥٦)، فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين، حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقدوه إلا في الله تعالى هكذا قال السيد الأمير اليماني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام في كتابه "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد" / ١٢.

(٢) والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب وأن يصير ذلك سبباً لتحقيرهم في أعين العقلاء والآن يلتفت إلى كلامهم أحد البتة / ١٢ كبير.

آلتهم أمرهم وزينوا لهم وأد أولادهم، ومن قرأ زين بالمجهول ورفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إليها، والفصل بينهما يدل على أن هذا الفصل جائز فصيح، والمطعون من طعن فيه، ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِم دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دينهم، فكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشيطان، وقيل: دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المشركون ما زين لهم، أو الشركاء التزين، ﴿فَقَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ما يختلقون من الكذب على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: إشارة إلى ما جعل للآلهة، ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حِجْرٌ﴾^(١): حرام، ﴿لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾: من رجال خدم الأوثان، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا حرمة من الله، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة والبحيرة والحام، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، أو لا يحجون على ظهورها، والمعنى أنهم قسموا أنعامهم، فقالوا: هذه حجر، وهذه محرمة الظهور، وهذه لا يذكر عليها اسم الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾، نصبه على أن قالوا بمعنى افتروا أو حال أي: مفترين أو مفعول له، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بسبب افتراءهم، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: أجنة البحائر والسواائب، ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾: نسائنا خاصة للذكور دون الإناث إن ولد حياً، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ﴾: الذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، وتأنيت خالصة، وتذكير محرم لمعنى ما فإنه الأجنة ولفظه أو التاء للمبالغة، ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله قيل: تقديره على وصفهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال خلقه، ﴿فَقَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾:

(١) الحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح أو الطحن/١٢ منه. يستوى فيه الواحد والكثير/١٢ وحيز.

بناهم^(١) بالوَاد، ﴿سَفَهًا﴾: للسهة أو سفهاء، ﴿بِعَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، ﴿وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: من البحائر ونحوها، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: يحتمل المصدر، والحال والمفعول له، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكِرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكِرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِعَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾
 ﴿وَهُوَ^(٢) الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبداع، ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين من الكروم، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾:

(١) بالوَاد فإهم قالوا: البنات تأكل رزقنا، ولا تنفعنا فإثبات الخسران لهم في غاية الحسن، فإنه ضد ما قصدوه/١٢.

(٢) ولما أخبر عنهم أنهم حرموا من حرثهم وأنعامهم أخذ يمتن عليهم بهذين أي: الثمار والأنعام ويعبرهم بفعالهم، ويبين لهم طريق التصرف، فقال: "وهو الذي أنشأ جنات معروشات" الآية/١٢ وحيز.

مرفوعات على ما يحملها، **﴿وغير معروشات^(١)﴾** قيل: الأول ما غرسه الناس، والثاني ما نبت في البراري، **﴿والنخل والزرع مختلفا أكله﴾** أي: أكل كل واحد منهما يعني ثمره في الكيفية، والهيئة (ومختلفا) حال مقدره، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، **﴿والزيتون والرمان متشابها﴾**: في المنظر، **﴿وغير متشابه﴾**: في الطعم قيل: بعض أفرادهما يتشابه في اللون والطعم ولا يتشابه بعضهما، **﴿كلوا من ثمره﴾**: ثم كل واحد، **﴿إذا أثمر﴾**: وإن لم ينضج، **﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾**: هذا شيء كان واجبا قبل وجوب^(٢) الزكاة، وعن بعض السلف أنه^(٣) الزكاة قيل فيه دليل على رخصة الأكل قبل أداء الزكاة، **﴿ولا تسرفوا﴾**: في التصدق أو في الأكل والتصدق أو في البخل فلا تعطوا حق الله، **﴿إنه لا يحب المسرفين﴾**: لا يرتضي فعلهم، **﴿ومن الأنعام﴾** عطف على جنات أي: أنشأ من الأنعام، **﴿حمولة﴾**: ما يحمل الأثقال، **﴿وفرشا﴾**: ما يفرش المنسوج من شعره أو الصغار منها ولدونها من الأرض كأنها فرش أو ما يفرش للذبح، **﴿كلوا مما رزقكم الله﴾**: من الثمار، والزرع، والأنعام، **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾**: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون افتراء على الله، **﴿إنه لكم عدو مبين﴾**: ظاهر العداوة، **﴿ثمانية أزواج﴾**: بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا أو الزوج ما معه آخر من جنسه يزوجه، **﴿من الضأن﴾**: زوجين، **﴿اثنين﴾**: الكبش والنعجة، وهو بدل من ثمانية إن جوزنا البدل من البدل، وإلا فمن

(١) فيه أن العنب هو رأس الفواكه من شجرة البساتين/١٢ وحيز.

(٢) من قال: إن الآية مكية لا بد له أن يقول إن الواجب غير الزكاة، ومن قال: إن الآية مدنية، فعنده الواجب الزكاة فإنها فرضت في المدينة/٢٢ منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر القرآن ما عليه مالك: إن في كل حب وثمره زكاة واشترط أن يكون خمس أوسق، وفيه رخصة الأكل قبل أداء الزكاة والحصاد/١٢ وحيز.

الضأن بدل من الأنعام واثنين من حمولة وفرشا، «وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ»: التيس، والعتر، «قُلْ»: يا محمد، «الذَّكَرَيْنِ^(١)»: من الضأن والمعز، «حَرِّمَ»: الله عليكم أيها المشركون، «أُمِ الْأُنثَيْنِ»: منهما، «أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ^(٢)» أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى كما قالوا "ما في بطون هذه الأنعام خالصة" الآية (الأنعام: ١٣٩)، «تَبَيَّنُونِي بِعِلْمٍ»: دليل على حرمة، «إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: في دعوى التحريم، «وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرِّمَ أُمِ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» بل أكتتم حاضرين: «إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا»: حين وصاكم بتحريم بعض وتحليله وهذا من باب التهكم، «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ»: متلبسا بغير دليل، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»، وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي فإنه أول من غير دين إسماعيل.

«قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٢﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا

(١) المعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرا أو أنثى أو ما يحمل إناثها رداً عليهم فإنهم كانوا يجرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها/١٢ منه.

(٢) والمقصود إنكار الفعل لكنها وردت في صورة إنكار المفعول ليطباق ما ادعوا من التفصيل والترديد، فيكون إنكار الفعل بطريق برهاني؛ لأن الفعل لا بد له من متعلق فإذا انتفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم انتفاء الفعل/١٢ منه.

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ
وَأِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٢١﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٢﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى
ذَاقُوا بِأَسْنَانِكُمْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِن أنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٢٣﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿١٢٤﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا
تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٢٥﴾ *

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: طعاماً، ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: يعني أن
التحليل والتحریم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى، ولا يعلم بالوحي أن شيئاً من الطعام
حرام في وقت، ﴿إِلَّا﴾: في وقت، ﴿أَن يَكُونَ﴾: الطعام، ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا﴾^(١): مصوباً سائلاً لا كالكبِد والطحال، ومن قرأ برفع ميتة فعنده كان تامة

(١) وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فإن ذلك الدم حرام نجس وما
سوى ذلك كالكبِد والطحال، فإنهما حلال؛ لأنهما دمان جامدان وقد ورد الحديث
بإباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل قال عمران بن جدير: سألت
أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيه حمرة الدم، فقال: لا بأس بذلك
إنما نهي عن الدم المسفوح، وقال إبراهيم النخعي: لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا
المسفوح، وقال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود،
هذا ما في كتاب التأويل المعروف بالخازن وكذا في المعالم/١٢.

و(دماً) عطف على أن يكون أي: إلا وجود ميتة، ﴿أَوْ لَحْمَ خِتْرٍ فَإِنَّهُ﴾: لحمه أو الختير، ﴿رِجْسٌ﴾: حرام، ﴿أَوْ فَسْقًا^(١)﴾ عطف على لحم ختير ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ صفة له موضحة، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾: إلى كل شيء من ذلك، ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: قدر الضرورة وقد مر معناهما في البقرة، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٢)﴾: لا يؤاخذ، والآية دالة على أن ما أوحى في حرمة إلى تلك الغاية هو ذلك، وهذا لا ينافي التحريم في أشياء أخر بعد هذا، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ

(١) سمي فسقاً لتوغله في باب الفسق كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كاملاً فيهما فإن أجل العبادات المالية إراقة الدم تقرباً إلى الله، قد جمع الله بينها وبين الصلاة في قوله: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (الأنعام: ١٦٢)، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه وفي قوله: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢)، فكما أن الصلاة أعظم العبادات البدنية وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية كذلك النحر من أجل العبادات المالية وما يجتمع له في نحره من إثارة الله وحسن الظن به، وقوة اليقين، والثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها وفي قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" لطيفة دالة على أن ربه مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبد، وتنحر له وفي إن شائتك هو الأبر، تعريض بحال الأبر الشائئ الذي صلاته ونسكه لغير الله كما في الحديث "ملعون من ذبح لغير الله" هذا ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لسورة الكوثر وقد مر هذا البحث في البقرة، والمائدة فتذكر/١٢.

(٢) ولما ذكر أن التحريم ليس إلا من الله تعالى، وبين خطأ قريش كأن قائلًا قال: أليس تحريم بعض الأشياء من قبل إسرائيل كما قالت اليهود كذبهم الله تعالى فقال: "وعلى الذين هادوا حرمنا" الآية/١٢ وجيز.

ذِي ظُفْرِ أَي: حرمانا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط، أو كل ذي حافر، وقيل: كل ذي مخلب من الطير، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ أَي: حرمانا جميع شحومهما، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علق بالظهر من الشحوم ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أَي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال و أو هاهنا كأو في قولهم جالس^(١) الحسن أو ابن سيرين، وما بقى على الحرمة الثروب^(٢) وشحوم الكلى، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم والتضييق، ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْثِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم ومخالفتهم أو امرنا، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فيما أخبرنا من تحريمنا ذلك عليهم كما زعموا أن إسرائيل حرمه، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا نزل، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: فلا تغتروا^(٣) بالإمهال.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ﴾^(٤) أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: خلاف ذلك، ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾: فإن ما لم يشأ لم يكن، وما شاء فهو مرضي مأمور به فأرادوا بذلك أن ما هم عليه مرضى عند الله مأمور به، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَي: بهذه الشبهة الداحضة كذب الأمم السالفة أنبياءهم، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: فعلموا

(١) فإنه للإباحة، وهو أبلغ من الواو فإنه يدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل من الثلاثة مستقل بحكم الحلية/١٢ وحيز.

(٢) الثروب جمع الثرب ومعناه الشحم الرقيق الذي على الكرش والأمعاء/١٢.

(٣) فبيت الظالم خراب، ولو بعد حين، والقوم المجرمون عام ومنهم المكذب/١٢ وحيز.

(٤) ولما بطل احتجاج المشركين في تحريم ما زعموا حرمة وثبت الرد عليهم عدلوا إلى أمر حق مغالطة، وإلحاد أو علم الله تعالى ذلك قبل وقوعه فأخبر به وردهم وقال: "سَيَقُولُ الَّذِينَ" الآية/١٢.

أنهم على دين مبعوض غير مرضي أراد الله لهم خزيهم وسوء شكيمتهم^(١)، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: يدل على رضى الله عنكم فيما أنتم عليه، ﴿فَتَخْرِجُوهُ لَنَا﴾: تظهروه لنا، ﴿إِنْ تَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: في ذلك لا العلم، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ^(٢)﴾: تكذبون على الله فإنه منع الشرك، وغضب على المشركين مع أنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء لا يزاحمه أحد تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي بلغت غاية المتانة وهي الكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكن شاء هداية قوم، وضلال آخرين، والمعنى وإذا قد ظهر ألا حجة لكم فله الحجة لكن لا يهدي الله الكل إليها لعدم مشيئته، وله في ذلك حكم، ومصالح لا يهتدي إليها إلا من هداه الله، ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾: أحضروهم، اسم فعل متعد ويكون لازماً، ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: وهم قدوتهم ليلزمهم الحجة، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾: عناداً، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: لا تصدقهم فيه وبين فسادهم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: لا تتبعهم فإنهم يكذبون بآياتنا، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: كعبدة الأوثان، ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدُلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً سبحانه!

(١) والشكيمة الأنفة، ومن اللحام الحديدية المعترضة في فم الفرس يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان أنفاً ألبياً، في مثل: ذو شكيمة لا ينقاد/١٢ صراح.

(٢) فالحاصل أنهم اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور المرضي والمشيئة كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقية الإشراف، وينادي على ذلك قوله: "كذلك كذب" فإنه لو كان المراد أن ذلك بمشيئة الله تعالى لقال: "كذلك كذب" بالتخفيف لا بالتشديد، وهذه الآية عند من له أذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور لكن في آذانهم وقر، ومن لم يهده الله فلا هادي له/١٢ ووجيز.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ﴾: اقرأ، ﴿ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ﴾: حقا لا ظنا ولا تخرصا متعلق بحرم) أو (اتل)، ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾: (أن) مفسرة يعني أي: لا تشركوا، ولا للنهي، ﴿ شَيْئًا ﴾، مصدر أو مفعول به، ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ أي: أحسنوا بهم، وضع أحسنوا موضع ألا تسيئوا للدلالة على أن عدم الإساءة في شأنهما غير كاف، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾: من أجل فقر، ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾، بدل من الفواحش أي: العلانية والسرية فإن المشركين لا يستقبحون الزنا سرا، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾: بجهة من الجهات، ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: القود، والارتداد والرجم، ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى المذكور، ﴿ وَصَنَّعْكُمْ بِهِ ﴾: بحفظه، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: عنه أمره ونهيه أو ترشدون، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: إلا بطريقة هي أحسن الطرق كحفظه

وتثميره، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: حتى يصير بالغاً فادفعوا إليه جمع شده^(١)، ﴿وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل أي: لا تبخسوهما، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا تعجز عنه فإن أخطأ بعد بذل جهده فلا حرج، ﴿وَإِذَا
قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْدِلُوا﴾: في القول لا تجوروا فيه، ﴿وَلَوْ كَانُ﴾: المقول
له أو عليه، ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: من قرابتكم، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: وبوصيته أوفوا فاعملوا
بكتابه لا تنكثوه، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢): تتعظون به، ﴿وَأَنَّ
هَذَا﴾ إشارة إلى ما في الآيتين، وقيل إلى ما في السورة، ﴿صِرَاطِي﴾: ديني،
﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: عطف على لا تشرکوا "وأن هذا صراطي الخ
علة الاتباع أي: لأن هذا) الخ، والجمع بين حرفي العطف الواو والفاء عند تقديم
المعمول فصلا بينهما شائع، وربك فكبر، وقيل عطف على لعلكم تذكرون أي
وصاكم به لأن هذا ديني المستقيم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا
هذا الطريق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ الباء للتعدي، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: الذي هو اتباع الحق،
﴿ذَلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣): الضلال، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ

(١) وقيل جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مفرد لا جمع له/١٢ وجيز.

(٢) لما كانت الخمسة المذكورة أولا من الأمور الظاهرة ختمت بقوله: "لعلكم تعقلون"
وهذه الأربعة خفية لا بد فيها من الاجتهاد والذكر المكرر ختمت بقوله: "لعلكم
تذكرون"/١٢ وجيز.

(٣) أخرج أحمد وابن حميد وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال:
خط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما" ثم
خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: "وهذه السبل ليس منها سبيل إلا
عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود: من سره أن ينظر إلى

الْكِتَابِ، عطف على ذلكم وصاكم وثم^(١) للتراخي للإخبار، ﴿تَمَامًا﴾: كاملا
جامعا لما يحتاج إليه، ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في الطاعة وتبليغ
الرسالة أو تماما بمعنى كرامة، ونعمة أي: حال كون الكتاب نعمة على من أحسن القيام
به أي: على المحسنين أو معنى تماما زيادة أي: حال كون الكتاب زيادة على ما أحسنه
من العلم أي: على علمه، ﴿وَتَفْصِيلاً﴾: بيانا مفصلا، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه
عطف على تماما، فهو حال، وقيل نصبهما بالعلية أو بالمصدر، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً
لَّعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل، ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لكي يؤمنوا بالبعث.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ١٥٥ ﴿ أَنْ تَقُولُوا
إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ
﴿ ١٥٦ ﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا سَنَجَزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ
﴿ ١٥٧ ﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ
رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ
قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ ١٥٨ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا

= الصحيفة التي عليها خاتم محمد - صلى الله عليه وسلم - فليقرأ هؤلاء الآيات. أخرجه
الترمذي وحسنه/١٢فتح.

(١) لأن الإتياء قبله بدهر طويل كأنه قال هذه وصية قديمة بلسان الأنبياء جددناها/١٢

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ مِثْلِهِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ إِنَّ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٥﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ
الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ
سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: بواسطة العمل به، ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: علة لأنزلناه أي: كراهة أن تقولوا، ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ^(١)﴾: اليهود، والنصارى، ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا﴾ أي: وإنه كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم ﴿لِعَافِلِينَ﴾: ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا، ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾، عطف على ما تقولوا، ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ^(٢) مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: إن صدقتكم^(٣) فيما

(١) وتخصيص الإنزال بكتائيهما لأنهما اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بالاشتمال على أحكام، وفيه دليل على أن الجوس ليسوا بأهل الكتاب إذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال/١٢ فتح.

(٢) فهذا كتابكم بلسانكم/١٢ وجزير.

(٣) دلت الفاء الفصيحة على حذف الشرط نحو "فقد جئنا خراسانا"/١٢ منه.

قلتم فقد جاءتكم حجة واضحة فيها بيان الحلال والحرام، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾: لمن عمل به، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾: بعد ما تمكن من معرفته، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض أو صد الناس عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بسبب إعراضهم أو صدهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أهل مكة أي: ما ينتظرون، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، وهم إن كانوا غير منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بهم، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾: المراد يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من

(١) وزاد المصنف في الوجيز لفصل القضاء بين خلقه وإتيانه تعالى تؤمن به ولا نعرف كيفه انتهى.

أقول كيف لا يؤمن بإتيانه ومجيئه تعالى يوم القيامة، وقد جاء في القرآن في عدة مواضع "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام" (البقرة: ٢٠٩)، "وجاء ربك والملك صفا صفا" (الفجر: ٢٢)، "إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك" (النحل: ٣٣)، وأي أمر أصرح منه في القرآن، وروى الطبري في تفسيره على ما نقله عنه الخازن بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيه محفوفاً" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" (البقرة: ٢١٠)، قال عكرمة: والملائكة حوله انتهى، فهذا من صفات الله تعالى يجب علينا الإيمان بظواهرها ونؤمن بها كما جاءت وإن لم نعرف كيفيتها، وعدم علمنا بكيفيتها بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه وهذا هو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة وأنشد بعضهم في المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته	ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها	وأخبارها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفنا فإنها	لتسليم دين المرء خير المراكب

المغرب، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة نفسا، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: عطف على آمنت أي: لا ينفع الكافر إيمانه في ذلك الحيز ولا الفاسق الذي ما كسب خيراً في إيمانه توبته، فحاصله أنه من باب اللف التقديري أي: لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه أي: لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان بالكتاب، ولا على ترك العمل^(١) بما فيه، ﴿قُلِ انْتظِرُوا﴾: إتيان أحد هذه الثلاث، ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾: له، وعيد شديد ﴿إِنَّ^(٢) الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اليهود والنصارى أخذوا بعض ما أمروا وتركوا بعضه، أو أهل الشبهات والبدع من هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾: فرقاً بعضهم يكفر بعضاً، وقد ورد "ستفترق أممي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة"، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: لست من عقابهم في شيء، ومن قال: إنه نهي عن التعرض لهم، فعنده الآية منسوخة وإذا كان المراد هذه الأمة فيحتمل أن يكون معناه أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٣)﴾: بالعقاب، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر

(١) وعلى ما قررنا لا يتم استدلال المعتزلة بالآية على أن مجرد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خير ليس بنافع، ويوافق على ما قلنا الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة من النار، ولو بعد حين ويلائم مقصود الآية/حيث وردت تحسراً لمن أخلف ما وعد من الرسوخ في الهداية عند إنزال الكتب حيث كذبوا به وصدفوا عنه/١٢ منه.

(٢) ولما ذكر أن الإيمان يوم ظهور بعض آيات القيامة من غير سبق الإيمان عليه غير نافع توجه القلب إلى أن إيمان أهل الكتاب الذي كانوا عليه هل هو نافع، فقال: "إن الذين فرقوا" الخ/١٢ وجيز.

(٣) ظاهر هذا الكلام مشعر بأنهم من أهل الضلال، وعاقبتهم العقاب بالعدل لا بالظلم/١٢ وجيز.

حسنت أمثالها فضلا من الله، وهذا أقل ما وعد لا ينقص منه، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: إلا جزاء مثلها لا يضاعف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١): بنقص الثواب، وزيادة العقاب، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي﴾: بالوحي^(٢)، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ أعني دينًا أو بدل من محل (صراط) إذ معناه وهداني صراطًا: ﴿قِيمًا﴾، مصدر بمعنى القيام أي: قائمًا ثابتًا لا زوال له كرجل عدل، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، عطف بيان لدينا لما في الإضافة من زيادة التوضيح، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن غير الصواب حال عن إبراهيم فإنه بمنزلة الحال من المضاف الذي هو معمول الفعل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما يقول المشركون، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: الذبح^(٣) في الحج والعمرة وقيل: عبادة كلها، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي وموتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ملك له، وهو خالقه فأنا خالص في العبادة لا أشرك أو ما أنا عليه في حياتي ومماتي من الإيمان والطاعة خالص له، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾^(٤) وَبِذَلِكَ: القول والطريق، ﴿أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْعِي رَبِّي﴾ غير الله حال من ربًا والهمزة للإنكار، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، حال في موقع العلة،

(١) أمره بالمبالغة في إعلان دينه ونبذ ما سواه/١٢.

(٢) لما بين أمر الفرق، وفصل حالهم وأظهر مآلهم ذكر فذلكت السورة ناظرا إلى ما مر من قوله: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" فقال: "قل إنني هداني ربي" الخ/١٢.

(٣) قال المصنف في الوجيز: ولا بأس إن قصدت العموم فإن ذبح قريش كانت باسم أصنامهم قال الله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر: ٢)/١٢ وجيز. وفي التفسير الكبير وأما قوله: "ونسكي" فقيل: المراد بالنسك الذبيحة بعينها يقول "من فعل كذا فعليه نسك أي دم يهريقه" وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: "فصل لربك وانحر"/١٢.

(٤) واحدٌ أحد فرد ليس لشيء قابلية شرکه/١٢ وجيز.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، فإثم الجاني عليه لا على غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا تؤخذ نفس أثمة بإثم نفس أخرى، وهذا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم قائلين: "اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم" (العنكبوت: ١٢)، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ رَبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فتعلموا^(١) أنسا على الحق أو أنتم، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾: يا أمة محمد، ﴿خَلَائِفَ الْأَرْضِ^(٢)﴾: خلفاء الأمم السالفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه في الأرض، وقيل: يخلف بعضهم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها فالخطاب عام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالغنى والرزق منصوب على التمييز أو بدل من بعضهم أو بترع الخافض أي: بدرجات، ﴿لِيَلْبُوكُمُ﴾: ليختسبركم، ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: يمتحن الغني في غناه، ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: بمن عصاه، وخالف رسله وكل ما هو آت قريب، ﴿وَأِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن والاه واتبع رسله.

والحمد لله حق حمده..

-
- (١) فتعلموا الحق من المبطل ختم السورة بهذه الآية الآتية الدالة على أن هذه الأمة ختم الأمم ختامه مسك لا تقوم القيامة إلا عليهم، ولا نبي بعده ففيها منة وبشارة وإشارة إلى قرب القيامة، ووقت الجزاء، والعلم بالحق والمبطل فقال: "وهو الذي" / ١٢ ووجيز.
- (٢) فإن نبيهم خاتم الأنبياء كأتمته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمة تخلفها / ١٢ ووجيز.

سورة الأعراف مكية إثمان آيات

من قوله "فاسألهم" إلى قوله "واذتقنا" وقيل إلى قوله "وأعرض عن
الجاهلين" وآياتها مائتان وست.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْمَصْرَ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا
بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿المص كتاب^(١)﴾ أي: هو كتاب أو خير المص إن كان اسم سورة ﴿أنزل
إليك﴾ صفته، ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي: شك^(١) ونهى عنه للمبالغة،

(١) قال ابن عباس: معناه أنا الله أفضل وعنه أنه قسم أقسم الله به وهي اسم من أسماء الله،
وقيل غير ذلك ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في
شيء من ذلك والحق ما قدمناه في سورة البقرة والله أعلم بمراده وهو سره في كتابه
العزیز/٢/افتح.

أو نهي لأمته أو ضيق قلب من تبليغه مخافة التكذيب^(١) ﴿لَتُنذِرَ بِهِ﴾ متعلق بأنزل أو بلا يكن فإنه إذا لم يكن ذا حرج كان أجسر على الإنذار ﴿وَذِكْرِي﴾ موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقديره: لتنذر به الكافرين ولتذكر ذكري للمؤمنين أو عطف على محل تنذر، أو عطف على كتاب ﴿اتَّبِعُوا^(٢) مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اتبعوا أوامر الله ونواهيها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من دون ربكم^(٤)، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من الجن والإنس فيضلوكم ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون اتعاطًا قليلًا وما مزيدة لتأكيد القلة ﴿وَكَمْ^(٥) مِنْ قَرْيَةٍ﴾ كثيرًا منها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب لمخالفة الرسل، أي: أردنا إهلاك أهلها ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بايتين ليلا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ عطف على بيئات فإنه حال من القيلولة، أي: الضحى وكلا الوقتين وقت غفلة واستراحة فالعذاب فيهما أظع ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم وقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: أقروا بحقية العذاب تحسرًا ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن إبلاغ^(٦) الرسالة وعما أجبوا به

(١) قال مجاهد وقتادة الحرج: الشك/١٢فتح.

(٢) لأن انتفاء الشك في كونه من عند الله يقويه على الإنذار ويشجعه لأن المتيقن يقدم على بصيرة ويأبى بقوة نفس وصاحب اليقين جسور متوكل على ربه/١٢فتح.

(٣) لما أمره بالإنذار والتذكير أمر أمته بالاتباع/١٢وجيز.

(٤) أي: من دون كتاب الله وسنة رسوله أولياء تقلدوهم في دينكم كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحلونهم ويحرمونه عليهم/١٢فتح.

(٥) ثم بين أن هذه عادة قديمة أتم أخذتموها وراثه فانظروا عاقبتها واتركوا متابعتها وكس من قرية/١٢وجيز.

(٦) ولا يعارض هذا قول الله سبحانه "ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون" (القصص: ٧٨) لما قدمناه غير مرة أن في الآخرة مواطن ففي مواطن يسألون وفي مواطن لا يسألون وهكذا

﴿فَلْتَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والأمم يخبر عباده بما عملوا من جليل وقليل ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بجملته ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾^(١) عنهم فيخفي علينا ﴿وَالْوِزْنَ﴾ أي: للأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم السؤال ﴿الْحَقُّ﴾^(٢) العدل ووزن الأعمال بتقليبها أجساما أو بوزن

= سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفى أخرى بنفسه أنه إلى يوم القيامة فإنه محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم طولا عظيماً/١٢ فتح.

(١) ولما قال: "فلنقصن عليهم بعلم" وهو مؤذن بجزء الأعمال السيئة بمثلها وزاد في الحسنة تسعة أمثالها للفضل يخظر في الخواطر كيف يعلم المثلية والزيادة فقال: "والوزن"/١٢ وجيز.

(٢) يومئذ الحق مذهب الجمهور أن في القيامة ميزاناً له كفتان ولسان ومثل ذلك ليس بثابت بالنص ولا بالسنة والثقل والخفة من صفات الأجسام فقالوا الموزون الصحف أو بتقليب الأعمال أجساما والكلام الحق أن الموازين يختلف كميزان الشعر وميزان العرض والطول وكيفية ميزان الأعمال علمها عند الله تعالى لا نعلم إلا بعد الرؤية/١٢ وجيز. بلفظه. قال القشيري: وقد أحسن الزجاج فيما قال ولا يحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً انتهى. والحق أن وزن الصحائف وزن حقيقي، وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فلم يأتوا في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة لأحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل، وقال كلُّ ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قلوبهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو ومن هو تابع له فتناقض عقولهم على

صحيفة الأعمال أو صاحب الأعمال، قيل: تارة توزن الأعمال وتارة صحيفتها وتارة صاحبها جمعاً بين الأحاديث، ويومئذ خبر الوزن والحق صفتة. ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون أي: أعماله مطلقاً أو ميزان وجمعه على الثاني باعتبار كثرة الموزون.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون الناجون.
 ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع الفطرة السليمة.
 ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(١) فينكرونها. ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتمليك والتصرف والقدرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^(٢) أسباب تعيشون بها. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكراً قليلاً، وما مزيدة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نّارٍ وخلقته من طينٍ ﴿٣٦﴾ قال فأهبط منها فما يكون

= حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه، وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن والأحاديث في الباب كثيرة جداً، وما في الكتاب والسنة يعني عن غيرهما فلا يلتفت إلى تأويل أحد أو تحريفه مع قول الله ورسوله الصادق المصدوق والصبح يعني عن المصباح/١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن.

(١) ولما تقدم الأمر باتباع القرآن وهو العمدة ووقع بعده ما هو في مورد الاعتبار والاتعاظ رجع إلى ما هو العمدة فقال مخاطباً: "ولقد مكناكم"، والمخاطب المأمورون بقوله: "اتبعوا ما أنزل إليكم"/١٢ وحيز.

(٢) معاش جمع معيشة، وهي: ما يعاش به من المطعوم والمشروب وما تكون به الحياة/١٢ فتح.

لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّٰلِغِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٩﴾ ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا
مَذْجُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ وَيَتَذَكَّرُ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣٢﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٣٣﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣٤﴾
فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ
لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٥﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣٧﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ
وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خلق آدم من طين غير مصور ثم صورته نزل خلقه
وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره؛ لأنه أبو البشر، أو خلقناكم بنا بني آدم ثم
صورناكم في أرحام أمهاتكم أو صورناكم في ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجهم

كالذر، أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام^(١) النساء، وعلى هذا
﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: للتراخي في الإخبار.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ وقد مر الكلام في أن المأمور به جميع
الملك، أو ملائكة الأرضين وأن إبليس منهم، أو من الجن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾
منع بمعنى أحوج واضطر؛ لأن الممنوع عن شيء مضطر إلى خلافه، أي: ما أحوجك
إلى عدم السجدة؟ أو لا زائدة^(٢) مؤكدة^(٣) معنى الفعل الداخلة هي عليه والسؤال
للتوبيخ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ كأنه قال: المانع أي خير منه.

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار أطف وأنور، فقاس وقصر النظر^(٤)
بالعصر، وما نظر إلى تشريف خلقه بيده ونفخ روحه فيه، وأخطأ في القياس أيضاً؛ فإن
من طين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو، ومن النار الإهلاك
والطيش والسرعة والارتفاع.

﴿قَالَ فَاهْبُطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء أو من منزلتك ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ ما
يستقيم ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٥) ممن أهانه الله لكبره.

(١) وهذا المعنى رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢ ووجيز.

(٢) وقيل: الأولى إنها غير زائدة؛ لأن زيادتها في صدر الكلام معهود نحو "لا أقسم" فلا
أقسم" ولها مواقع خاصة/١٢ ووجيز.

(٣) بدليل قوله تعالى في سورة ص "ما منعك أن تسجد" (ص: ٥٧) قاله الكسائي والفراء
والزجاج/١٢ فتح البيان.

(٤) قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه
الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس/١٢ معالم.

(٥) وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار فكل من تردى برداء الاستكبار عوقب بلبس رداء
الخوان والصغار، ومن لبس لباس التواضع ألبسه الله رداء الترفع/١٢ فتح.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلني فلا تمتني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ إلى

ابتداء القيامة وهي النفخة الثانية فتموت حين موت الخلائق.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بسبب إغوائك إياي

أقسم بالله لأقعدن لهم كما يقعد القطاع للسابلة^(١) طريق الإسلام والباء متعلق بأقسم

المقدر؛ ولأن لام القسم مانع من تعلقه بأقعدن، ونصب صراط على الظرف، أو تقديره

على صراطك ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل آخرتهم فأشككهم فيها أو

دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ دنياهم أزين لهم أو آخرتهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل

حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ قبل سيئاتهم، أو المراد من أي وجه يمكن، ﴿وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مطيعين، وإنما قاله ظناً وقياساً، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه.

﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْعُومًا﴾ معيياً، والذام: أشد العيب ﴿مَذْحُورًا﴾ مطروداً، ﴿لَمَنْ

تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام توطئة القسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو ساد

مسد جواب الشرط.

﴿وَيَا آدَمُ﴾ أي: قلنا ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وقد مر الخلاف في الشجرة ﴿فَتَكُونَا﴾ يحتمل النصب على

الجواب، والجزم على العطف ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) من الطائفة التي تأخرت آجالهم مثل الملائكة فإنهم ميتون عند النفخة الثانية فلم يبق فيها

أحد من ملك وغيره إلا الله هذا ما في الوجيز وفي سورة الحجر "إلى يوم الوقت

المعلوم" (الحجر: ٣٨) قال المصنف في المنهية هـ. الأولى أن يقال: إن يوم الدين ويوم

يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وتغيير الكلام للتفنن؛ لأنه قد مر في سورة الأعراف

أنه قال: "أنظرنني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين" (الأعراف: ١٤، ١٥) فإنه يسدل

على الإجابة والموعون عالم بأن لا يسأل عما لا يجاب عنه/١٢.

(٢) السابلة الطريق المسلوكة والقوم المختلف عليها/١٢.

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا﴾ فعل الوسوسة لأجلهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ والوسوسة حديث يلقيه في القلب ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام إما للعاقبة وإما للغرض، فإن اللعين يعلم أن العصيان في الجنة سبب لسلب اللباس والفضيحة ﴿مَا وَوَرِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطى عنهما وستر ﴿مِنْ سَوْعَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ يحصل لكما ما للملائكة من القوة والاستغناء عن الغذاء وغيره ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: أقسم لهما على ذلك، و"لكما" متعلق بالناصحين على حذف المفسر، أو التوسع في الظرف ﴿فَدَلَاهُمَا﴾ خدعهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرهما به من القسم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ وجد طعمها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْعَاتُهُمَا﴾ بأن هافت عنهما لباسهما ﴿وَوَطَّفَقَا﴾ أخذًا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ﴾ أشجار ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا﴾^(١) رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المالكين، والأصح أن هذه كلمات تلقاها آدم من ربه^(٢) فتأب عليه

(١) فيه إثبات النداء لله تعالى، وأنه صفة من صفات الله تعالى أثبتته لنفسه في عدة مواضع من كتابه فلا بد من إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، ونفى مماثلته لخلقها، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا استوى كان معطلا جامداً ممثلاً له بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي وقوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضائي أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي كان مشبهاً ممثلاً له بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتزيه بلا تعطيل والله المثل الأعلى كذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام في رسالته التدمرية/١٢.

(٢) يعني قوله: "فتلقى آدم من ربه كلمات" (البقرة: ٣٧)، إشارة إلى هذه الكلمات/١٢.

﴿قَالَ^(١) اهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وحواء وإبليس والحية والعمدة في العداوة آدم وإبليس كما قال تعالى في سورة طه "اهبطا منها جميعا" (طه: ١٢٣)، أو الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي: متعادين لكم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع إلى آجال معلومة^(٢) ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَآ قُلُوبَنَا﴾ ﴿إِنِ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿

(١) الله تعالى/١٢.

(٢) وهذا حال جميع الآباء والأولاد/١٢.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ (١) أي: خلقنا لكم ولما كان بقضاء سماوي، وأسباب من السماء (٢) قال: "وأنزلنا" وكم مثله في القرآن ﴿لِبَاسًا يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْعَاتِكُمْ﴾ (٣) فأغناكم عن خصف الورق ﴿وَرِيثًا﴾ (٤) مالا أو ما يتجمل (٥) به من الثياب، أو جمالا ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح، أو العفاف، أو هو اللباس الأول يعني لباساً يواري عوراتكم، أو لباس الحرب وهو مبتدأ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ خيره ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق اللباس ﴿مِنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيتورعون عن كشف العورة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يضلنكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ﴾ فتنهما فأخرجهما ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج، والشيطان سبب الإخراج والترع ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْعَاتِهِمَا﴾ فإن كل واحد منهما ما رأى عورة صاحبه قط ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنَ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ تليل للنهي فإن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعباء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإهم متابعوهم، أو سلطانهم عليهم ليزيد غيهم

(١) ولما ذكر بيان حال أبويهم من تطاير اللباس عنهما، وأحما يخصفان عليهما من ورق

الجنة امتن على أولادها وناداهم فقال: "يا بني آدم" ١٢/وجيز.

(٢) كالمطر والريح/١٢.

(٣) التي قصد الشيطان إبداءها فاحتاج أبوكم إلى خصف الورق ليسترها/١٢منه.

(٤) تريش الرجل إذا تمول فسر به ابن عباس كما نقل عنه في البخاري ومجاهد وعروة ابن

الزبير والسدي والضحاك/١٢منه.

(٥) فإن الزينة غرض صحيح وفي بعض الأوقات سنة مستحبة/١٢.

(٦) ولما قص علينا حكاية إغواء الشيطان أبونا وبين عداوته القديمة أخذ يجذرنا منه فقال:

"يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان" الآية/١٢وجيز.

﴿وَإِذَا^(١) فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ككشفهم عورتهم في الطواف نسائهم ورجلهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾ على تلك الفعل المتناهية في القبح ﴿آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتقدوا أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع^(٢) ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإنه لا يأمر إلا بما لا ينفّر عنه الطبع السليم، ولا يستعيبه العقل المستقيم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا الإفراط ولا التفريط ﴿وَأَقِيمُوا﴾ عطف على أمر ربي، ومثله شائع^(٣) ﴿وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ استقيموا في العبادة في محالها وهي متابعة الأنبياء أو وجهوا وجوهكم إلى الكعبة في الصلاة حيث كنتم، أو صلوا في أي مسجد كنتم فيه إذا حضرت الصلاة ولا تؤخروها إلى مساجدكم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ فلا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة خالصة ﴿لِلَّهِ الدِّينَ﴾ الطاعة ﴿كَمَا^(٤) بَدَأَكُمْ﴾ أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإحيائكم وإيجادكم بعد موتكم وفنائكم أو كما خلقكم مؤمنًا وكافرًا تعودون^(٥) مؤمنًا وكافرًا ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ فوفقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ^(٦)﴾ وانتصابه بمقدر

(١) ولما ذكر أن الكافرين محبون تابعون للشياطين بين متابعتهم في شيء عجيب فقال: "وإذا فعلوا فاحشة" الآية/١٢ وجزير.

(٢) لما سمعوا من آباءهم أنهم على دين إسماعيل/١٢ وجزير.

(٣) يعني عطف الإنشاء على الإخبار وهو على سبيل الحكاية وتأويل هذا الكلام ومثله شائع/١٢ منه.

(٤) ولما أمر بالطاعة الخالصة لله تعالى توجه النفس إلى فائدتها وظهور إفادتها يوم الدين أشد على هذا اليوم فقال: "كما بدأ لكم" الآية/١٢ وجزير.

(٥) قال السدي: معناه كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون: تخرجون من بطون أمهاتكم/١٢ منه.

(٦) فنفوا واستحالوا الحشر كالمشركين والفلاسفة/١٢ وجزير.

تفسيره ما بعده، أي: وفريقاً أضل^(١) ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٢) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴿ثيابكم التي
 تستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ بصلاة وطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ نزلت حين
 كان بنو عامر لا يأكلون دسماً في أيام حجهم، ولا يأكلون إلا قوتاً فقال المسلمون:
 نحن أحق أن نفعل ذلك، أي: كلوا ما طاب ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بتحريم الحلال ﴿إِنَّهُ لَا
 يُحِبُّ﴾ لا يرتضي فعل ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣) المعتدين حده في حلال أو حرام، أو معناه لا
 تسرفوا بإفراط الطعام والشراب.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
 يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٨﴾ يَلْبَسِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

(١) وأما جعل المضمير المفسر خذل دون أضل ليلائم الهدى، ولحقت عليهم الضلالة كما
 فعله الزمخشري فتبعه القاضي فاعتزل/١٢ منه.

(٢) ودلت الآية على أن المخطئ والمعاند سواء في الضلال فتدعو بالويل على الخوارج،
 وعلى كل مبتدع، ولما أمر ربنا بالقسط وهو الوسط بين الإفراط والتفريط يأمر وينهى
 بما هو الوسط وعما هو من أحد الشقين فقال: "يا بني آدم" الآية/١٢ وحيز.

(٣) وفي البخاري عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف
 ومخيلة، أي: ما دام تعدم ولا تجد فيك الخصلتان اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في
 اللبس/١٢ منه. [ذكره البخاري معلقاً (١٠/٢٦٤)]

فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ النَّصِيبُ
مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ
ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَنتُمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَاتَبَتْنَاهُمْ عَذَابًا جَدِيدًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمُ الْأُخْرَبَةُ لِمَ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنَّا مِنْ قَبْلِ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ التي حرمتها على أنفسكم في الطواف ﴿الَّتِي أَخْرَجَ﴾
من النبات والحيوان والمعادن كالقطن والحريير والدرع ﴿لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ﴾ المستلذات من المأكل والمشرب كما حرمت من عند أنفسكم في أيام الحج
﴿قُلْ هِيَ﴾ أي: الطيبات مخلوقة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالأصالة والكفورة
شريكهم تبعًا ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يشاركهم الكافرون وقيل: خالصة في الآخرة
من التنغيص والغم خلافاً للدنيا، ونصبه على الحال من المستكن في الظرف ﴿كَذَلِكَ﴾
كتفصيلنا هذا الحكم ﴿نَفْصَلُ﴾ جميع ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله هو الذي يحرم
ويحلل أو لقوم غير جاهلين ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ ما ترايد قبحه كالكبائر
﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالْأَثْمَ﴾ كل ذنب، أو الصغائر أو

الخمير^(١) **﴿وَالْبَغْيَ﴾** الظلم **﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** متعلق بالبغي مؤكدا له معنى **﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾** برهاناً ومن المحال إنزال البرهان على الاشارة فيكون هذا هكماً واستهزاء **﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ^(٢) مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** بالافتراء عليه **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** كذبت رسولها **﴿أَجَلٌ﴾** وقت معين لتزول العذاب والاستتصال **﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** أي: إذا جاء وقت العذاب لا يتأخر ولا يتقدم أقصر وقت، ويصل إليهم في ذلك الوقت المقدر^(٣)، أو لا يطلبون التأخر والتقدم؛ لشدة الهول **﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾** إن حرف شرط وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط **﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾** التي فيها الفرائض والأحكام **﴿فَمَنْ اتَّقَى﴾** الشرك منكم **﴿وَأَصْلَحَ﴾** عمله **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** في الآخرة **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** وهذا الشرط والجزاء إما يأتينكم **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** منكم عطف على من اتقى **﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾** فتركوا العمل بها **﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** تَقَوْلٌ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ **﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾** أو كذب ما قاله **﴿أُولَئِكَ يَتَأَلَّهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾** ينالهم

- (١) وأما تفسيره بالخمير فليس بشيء فإن السورة مكية وتحريم الخمير في المدينة ١٢/وجيز.
- (٢) لما ذكر أن بني آدم فريقان وأمر بخلاف قوله "وفريقاً حق عليهم الضلالة" ثم بين حال تلك الجماعة الضلالة وما لهم فقال "ولكل أمة أجل" ١٢/وجيز.
- (٣) فهو بمنزلة المثل يقصد من مجموع الكلام ألا تغيير ولا تبديل لحكم الله تعالى، قالوا: قوله: "لا يستقدمون" لا يمكن عطفه على "لا يستأخرون"؛ لأن إذا شرطية لا يترتب عليها إلا ما يستقبل، ولا يترتب على مجيء الأجل في الاستقبال إلا مستقبل والاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال، فالوجه أن يقال: إن قوله ولا يستقدمون منقطع من الجواب على الاستثناف أي: وهم لا يستقدمون الأجل أي: لا يسبقونه وتحقيق العلامة على هذا المنوال/١٢ وجيز.

ما كتب عليهم وهو قوله: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" (الزمر: ٦٠)، أو ما وعدوا في الكتاب من خير وشر أو ما أثبت لهم في اللوح المحفوظ أو مما كتب لهم من العمل والرزق^(١) والعمر ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: أرواحهم حال من الرسل ﴿قَالُوا﴾ جواب إذا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ما موصولة أي: أين الآلهة التي كنتم ﴿تَدْعُونَ﴾^(٢) تعبدونها ﴿مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو سؤال وتقريع ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا فلا نراهم ولا نتفح بهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^(٣) قال ﴿اللَّهُ لَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ادخلوا ﴿فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي: ادخلوا في النار كائنين في زمرة أمم تقدم زمامهم أي: كفار الجن والإنس ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين التي ضلت بالافتداء بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا﴾ تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمُ﴾ دخولا في النار ﴿لَأُولَاهُمْ﴾ أي: لأجل أولهم دخولا، أي: الأتباع للمتبعين، فإن المتبوع دخل قبل التابع؛ لأنه أشد جرماً، أو آخر كل أمة لأولها، أو أهل آخر الزمان لأولهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أي: سنوا لنا الضلال فاقنينا بهم ﴿فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ أي: أضعف عليهم العقوبة ﴿قَالَ﴾^(٤) ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ أي: لكل واحد

(١) هذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وإن كان الأول والثاني منقولين عن أكثر السلف/١٢ منه.

(٢) تستغيثونها في طلب حوائجكم/١٢ وجيز.

(٣) فالمقصود من الآية زجر الكفار عن الكفر؛ لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يحمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتراز عن التقليد/١٢

كبير.

(٤) الله تعالى/١٢.

ضعف من عذاب جهنم في هذا الحين، أو لكل عذاب لا مزيد له، أو عذاب ضعف ما يتصور أحدكم في شأن الآخر ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ﴾ القادة ﴿لَأُخْرَاهُمْ﴾ الأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ رتبوا هذا الكلام على قول الله يعني: أن القادة لما سمعوا قوله تعالى: "لكل ضعف" قالوا للسفلة: ما لكم فضل علينا فإننا متساوون في الضلال والعذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من قول القادة، أو من قول الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَعَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بما ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ﴾
لأرواحهم ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ بل يهوى بها إلى السجين^(١) أو لا يصعد لهم عمل صالح
ولا دعاء ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى
يدخل البعير في ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل
ذلك الجزاء الفطيع ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ﴾ لحاف جمع غاشية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي^(٢) الظَّالِمِينَ﴾ سماهم مرة ظالماً ومرة
بجرماً؛ لتعدد قبائحهم وتكررها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "لا نكلف" جملة معترضة بين
الابتداء والخبر للترغيب والإعلام بأن هذه المرتبة الجليلة ممكنة الوصول إليها بسهولة
﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ حسد وحقد كان بينهم في الدنيا
فلم يبق بينهم إلا التواد^(٣) ﴿نَجْزِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت منازلهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لما
رأوا تلك النعمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ لعمل هذا ثوابه ﴿وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ اللام لتوكيد النفي ويدل ما قبل لولا على جوابه ﴿لَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فحصل لنا هذه النعمة بإرشادهم ﴿وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ
الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها من بعيد، أو بعد دخولها، وأن هي المخففة أو مفسرة فإن المناداة من
القول ﴿أُورِثُوهَا﴾ حال من الجنة أو خير والجنة صفة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي/١٢ وجزئ لمصنف جامع البيان.

(٢) وكفى لكل ظالم ومجرم نقصاً بأن وصف الكفار بتلك الألقاب زجراً/١٢ وجزئ.

(٣) حتى تصير الجنة دار متمحض السرور قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا

وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم "ونزعنا ما في

صدورهم"/١٢ وجزئ.

أعطيتموها بلا تعب كالميراث، أو ميراثكم من أهل الجنة، فقد ورد "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة وفي النار، والكافر يرث المؤمن منزله"^(١) من النار والمؤمن الكافر من الجنة "وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ تَبِحْحَا بِجَاهِلِهِمْ وَشِمَاتَةَ الْكُفْرَةِ ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل المخففة والتفسير ﴿مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا﴾ في الدنيا من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب وأهوال الآخرة ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ "أن" كما مر ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة الظالمين أي: يمنعون الناس عن اتباع شرعه ﴿وَيَبْتَغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغًا وميلا حتى لا يتبعها أحد ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَيَبْتِغِيهَا حِجَابٌ﴾ بين الجنة والنار حاجز يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهو الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو السور المضروب^(٢) بينهما ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها قبل دخول أهل الجنة والنار النار وبعده لارتفاع محلهم وإشرافهم، وإعلام الله تعالى إياهم فهم يعرفونهم بأشخاصهم، والأصح بل الصحيح أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿وَنَادُوا﴾ عطف على يعرفون ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وأن مثل ما مر ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ استئناف^(٣) ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها عطف، أو حال من النفي أي: هم عند عدم الدخول

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وغيرهما/١٢ وجيز. [وله أصل في مسلم (٦١٢/٥) ط الشعب.

ولفظه عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ "إذا كانوا يوم القيامة دفع الله عز وجل

إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا مكانك من النار"]

(٢) وتصور هذا السور بين الجنة التي في الكرسي والنار التي في أسفل السافلين موقوف

بالمشاهدة/١٢ وجيز.

(٣) كأن سائلا سأل عن حال أهل الأعراف فقيل: لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون

دخولها/١٢ منه.

كانوا طامعين ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ فيه إشارة إلى أن نظرهم إلى أصحاب النار لا برغبة منهم وميل ﴿تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) في النار.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿

(١) معنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى ألا يجعلهم من زمريهم، والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف حتى يقدم المرء على النظر والاستدلال، ولا يرضى بالتقليد ليفوز بالدين الحق فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات ويتخلص عن العقاب المذكور فيها/١٢ كبير.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة يقولون: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل يا فلان يا فلان ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿مَا أَعْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ لم تنفعكم كثرتكم أو جمعكم المال ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق ﴿أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تمة قول أهل الأعراف لأولئك الكفار، والإشارة إلى ضعفاء الجنة التي كانت الكفرة يحتقرونها في الدنيا ويحلفون أنهم لا يدخلون الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ثم يقال لأهل الأعراف ذلك، أو لما عير أهل الأعراف أهل النار قال أهل النار: إن دخل هؤلاء الجنة فوالله أنتم لا تدخلونها تعبيراً لهم فقال الملائكة: أهؤلاء أي: أهل الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنه لا ينالهم الله برحمته؟!، ثم قالت الملائكة لهم "ادخلو الجنة" الآية ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ﴾ القوا^(١) علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: ماء الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾^(٢) فاستهزؤا به أو جعلوا اللهو واللعب دينهم، وهو ما زين لهم الشيطان كتحریم البحيرة والتصدية وغيرهما ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فتركوا الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ﴾ نعاملهم معاملة الناسين فنخليهم في جهنم ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يستعدوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما كانوا منكبين أنه من عند الله.

(١) قيل: طلبهم مع اليأس كالغريق يتشبث بالزبد لكن ما نقل عن ابن عباس رضي الله

عنها مشعر بأنهم طامعون في حصول ما التمسوا/١٢ وجزير.

(٢) وفي الآية لطيفة عجيبة وذلك لأنه تعالى وصفهم بكونهم كافرين ثم بين من حالهم أنهم

اتخذوا دينهم لهواً أولاً ثم لعباً ثانياً ثم غرهم الحياة الدنيا ثالثاً ثم صار عاقبة هذه الأحوال

والندرجات أنهم جحدوا بآيات الله، وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة، وقد

يؤدي حب الدنيا إلى الكفر والضلال/١٢ كبير.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ بينا مواعظه وأحكامه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بما فصلناه به حال من المفعول ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ نصبهما بالحال من المفعول ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يقول إليه أمر الكتاب من صدق وعده ووعيده وكذهما ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به والعمل له ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل إتيانه أي: في الدنيا ﴿قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ونحن كذبناهم ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أي: هل نرد إلى الدنيا؟ ﴿فَنَعْمَلْ﴾ جواب هل نرد ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف العمر في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾ غاب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: لم ينفعهم آلهتهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمٍ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَأْتِ مِنْ قَوْمِيءَ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾^(١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ستة أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة^(٢) ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾^(٣) عَلَى الْعَرْشِ﴾

(١) ولما كان مدار القرآن على أصول أربعة التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وبين كلا من الأربعة وأطال الكلام فيها رجع إلى بيان كل منها مفصلاً ومجملاً لأجل جدال الخصم وعناده فقال: "إن ربكم" الآية/١٢ وجيز.

(٢) وقدرته الشاملة وسعت أن يخلقها في لحظة لكن حكمته الباهرة اقتضت المدة وعلمها عند الله تعالى/١٢ وجيز.

(٣) قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد. ذكر القولين البغوي في تفسيره، وفي صحيح البخاري في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية "استوى على السماء": ارتفع، وقال مجاهد "استوى على العرش": علا على العرش انتهى. وأبو العالية هذا تابع بصري راو عن ابن عباس، وفي كتاب العلو للحافظ الذهبي قال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوى" (طه: ٥)، أي: ارتفع، وقال محمد بن جرير الطبري في قوله "ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان: ٥٩)، أي: علا وارتفع وقال الفراء "ثم استوى" أي: قعد قاله ابن عباس، وهو كقولك للرجل: كان قاعداً ثم استوى قائماً رواه البيهقي في الصفات له، وروى الدارقطني عن إسحاق الكاذبي قال: سمعت أبا العباس ثعلبا يقول في "استوى على

أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفة له بلا كيف تؤمن به ونكل العلم إلى الله تعالى وليس المراد منه خلق العرش بعد السماوات والأرض كما فسر بعض العلماء **(يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ)** يغطيه به وفيه حذف، أي: ويغشى النهار الليل ولم يذكر للعلم

= العرش "علا واستوى بوجهه أقبل، واستوى القمر امتلاً، واستوى زيد وعمرو تشابهاً، واستوى إلى السماء أقبل هذا الذي يعرف من كلام العرب، وقال داود بن علي كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ما معنى قوله "على العرش استوى"؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله إنما معناه استولى. فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاداً فإذا أغلب أحدهما قيل: استولى. وقال محمد بن أحمد بن النصر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها "الرحمن على العرش استوى" بمعنى استولى فقلت: والله ما يكون هذا، ولا أجبت، وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس استوى أي: ارتفع، وقال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن: ارتفع إلى السماء، وقال الخليل بن أحمد في "ثم استوى إلى السماء" (البقرة: ٢٩، فصلت: ١١)، ارتفع رواه أبو عمرو بن عبد البر في شرح الموطأ له انتهى. وذكر الذهبي في موضع آخر من الكتاب المذكور بسنده عن محمد بن جرير الطبري: وحسب أمرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز عن ذلك فقد خاب وخسر ومحمد بن جرير هو أحد الأئمة الكبار في وقته في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وصاحب المصنفات الكثيرة ذكره أبو إسحاق وذكر ترجمته إلى أن قال: وقال أبو حامد الأسفرائني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً أو كلاماً هذا معناه، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما على أدم الأرض أعلم من محمد بن جرير، قلت: فمن أراد الإنصاف فليطالع تفسيره في آيات الصفات والعلو في مواردها، فمن ذلك قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" نقل فيه عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع وقال في تفسير قوله "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي: علا وارتفع انتهى/١٢.

به ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والجملة حال من النهار وحيثاً صفة مصدر، أي: طلبا سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ﴾ عطف على السماوات ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ نصب على الحال ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه وتصريفه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لا خالق إلا هو ﴿وَالْأَمْرُ﴾ لا يجري^(١) في ملكه إلا ما يشاء ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى وتعظم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: ذوي تذلل واستكانة وخفية، فالأصح أنه يكره الصياح والنداء في الدعاء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين في شيء أمروا به ومنه الإطناب في الدعاء بمثل مسألة الجنة ونعيمها وإسترقها وقصورها وأمثال ذلك ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يبعث الأنبياء، وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعدما كانت مخضرة ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ من عقابه وثوابه حالان من الفاعل ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين في أمره ونهيهِ لم يقل قريبة، لأن الرحمة بمعنى الثواب ولاكتساب المرجع التذكير من المضاف إليه كما صرح الزمخشري في "ما إن مفاتحه لينوء" (القصص: ٧٦)، بالياء التحتانية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ جمع بشير

(١) قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر نقل عنه البغوي في التفسير، وفي البخاري قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله "ألا له الخلق والأمر" انتهى. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: سئل سفيان بن عيينة عن القرآن مخلوق هو؟ فقال: يقول الله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه، فلو كان كلامه مخلوقاً لم يفرق، ووضع البخاري باباً في صحيحه فقال: باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلاق، وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون/انتهى ١٢.

يشير بالمطر، أي: باشرات، أو للبشارة، ومن قرأ نشرًا بالنون وضمها وشين مضمومة أو ساكنة أو فتح النون وسكون الشين فمن النشر أي: ناشرات للسحاب الثقال ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر قيل: الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا﴾ أي: سحاب ﴿ثَقَالًا﴾ بما فيها من الماء ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجل أرض لا نبات فيها ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد أو بسبب السحاب ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بسبب الماء أو بالبلد فالباء للظرفية ﴿مِنْ كُلِّ﴾ أنواع ﴿الشَّمْرَاتِ كَذَلِكَ﴾ مثل إخراج الثمرات وإحياء البلد ﴿يُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بعد إحيائهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على هذا ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: أرض كريمة التربة ﴿يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بمشيئته وتيسيره سريعًا حسنًا ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ أي: نباته حذف المضاف وأقيم المضاف إليه، أي: الضمير المحرور مقامه فصار مرفوعًا مستترًا ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ بطيئًا عدم النفع ونصبه على الحال ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مكرراً ﴿لِقَوْمٍ^(١) يَشْكُرُونَ﴾ فيتفكرون في الآية وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ لما ذكر قصة آدم في أول السورة شرع في قصص الأنبياء ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة إله باعتبار محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ القيامة

(١) ولما قص في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وقص من أخباره ما قص واستطرد من ذلك إلى المعاد، ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار أتبع ذلك بأحوال الرسل، فبدأ بقصة نوح إذ هو الآدم الثاني وأمه أدم تكذيبًا وأقل استجابة، وغرقهم وهلاكهم بالمطر الذي هو الرحمة فقال: "لقد أرسلنا نوحًا" الآية/١٢ وحيز.

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين لأنك تركت دين آبائك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ أي: أقل ما يطلق عليه اسم الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثابت على الصراط المستقيم^(١) ﴿أَبْلَغُكُمْ﴾ صفة لرسول^(٢) أو استئناف ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ يقال نصحته ونصحت له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من جهته بالوحي ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من صفات لطفه وقهره ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ الهمة للإنكار، أي: أكذبتم وعجبتم^(٣) من ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَيَّ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ من جنسكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عاقبة المعاصي ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ من المعصية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْجَيْتَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ ظرف معه أي: صاحبه في الفلك، أو حال من ضمير معه، أو من الموصول، والأصح أنهم ثمانون^(٤) ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى القلوب عن معرفة الله تعالى.

﴿وَالِي عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا

(١) فيه إشارة إلى جواب ما يقال: لا بد أن يكون لفظ لكن متوسطاً بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا فكأنه قال: ليس بي ضلالة لكن ثابت على الطريق السوي؛ لأنني رسول من رب العالمين/١٢ منه.

(٢) من قبيل أنا الذي سمتني أمي حيدرة فإن الظاهر يبلغكم/١٢ منه.

(٣) فيه بيان أن الواو للعطف على محذوف وهو كذبتم/١٢ منه رح.

(٤) روى ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس/١٢ منه.

لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ قَالَ يَلْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذَكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَضِبْتُ لِتُجَدِّلُونَنِي فَبِحِ آسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

﴿وَالْيَ عَادِ﴾ أي: إلى قومه عطف على "نوحًا" ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب، أو واحد منهم كقولك: يا أخا العرب ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لأخاهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ ومن أشرافهم من آمن به ^(١) ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ في خفة عقل ﴿وَأِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي﴾ كامل ^(٢) العقل لأي

(١) صرح به مجاهد وغيره/١٢ فظهر فائدة قوله الذين كفروا حيث لم يقل قال الملأ من قومه كما قال في قصة نوح/١٢ منه.

(٢) إشارة إلى جواب سؤال قد كتبنا على حاشية "ولكني رسول من رب العالمين" في قصة نوح/١٢ منه. رح.

﴿رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ^(١) نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة لا أكذب فيها ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ قد مر تفسيره قريبا فلا نعيده ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ في مساكنهم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَوَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً﴾ قامة وقوة ﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ بسبب ذكر النعم وشكره ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ مجاز من القصد والتعرض أي: أقصدتنا ﴿لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَخَدَّهَ وَنَدْرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعد^(٢) ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب وحق أو جعل متحقق الوقوع كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَوَغَضِبَ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها فما هي إلا من موضوعاتكم ومخترعاتكم وليس تحتها مسميات، فإن معنى الألفية فيها بالكلية منتف فكيف تتخذونها إلها ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما جعل الله لكم في عبادتها حجة ولا دليلا ﴿فَانتظروا﴾ أمر الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ حتى تروا حالكم وحالنا ﴿فَانجيناها والذين معه برحمة منا وقطعنا

(١) وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في مواضع الضرورة إلى مدحها وفي إجابة الأنبياء من ينسبهم إلى السفاهة والضلال بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم وتعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيال حلمهم على ما يكون منهم/١٢فتح.

(٢) والوعيد مختص بالشر والوعد يطلق على الخير والشر/١٢ منه.

دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ﴿١﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿١﴾ عَنْ آخِرِهِمْ وَاسْتَأْصَلْنَاهُمْ ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ وَالنَّاجِي فِي الدَّارِينَ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَدِمُوا نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَمْ صَلِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّيَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَقْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ

(١) وفي هذا توبيخ شديد لقريش فإنهم أيضًا كذبوا بآيات الله فحق عليهم رجس وغضب/١٢ وحيز.

(٢) والفارق بين الناجي والهالك هو الإيمان هذا إخبار من الله تعالى أنهم ممن علم الله أنهم يموتون على الكفر قال صاحب فتح البيان - ونعم ما قال -: وقد أطال القوم في بيان قصة قوم هود وهلاكهم وإجمال القرآن يعني عن تفصيل لا يسند/١٢.

أَحَدٍ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿١٤٦﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِفُونَ ﴿١٤٧﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ
 قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿١٤٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
 الْغَابِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿وَالِى ثَمُودَ﴾ أي: إلى قبيلته ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
 آيَةٌ﴾ استئناف يبين البينة وإضافة الناقة إلى الله؛ لأنها جاءت من عنده بلا سبب معهود،
 فإنها خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا أن
 يؤمنوا به بعد ما تظهر، ونصب آية على الحال والعامل معنى الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ من الضرب والطرده والأذى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾^(١)
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿جواب للنهي ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ﴾^(٢) ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ في
 مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ سكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾
 تبنون القصور من سهولة الأرض بما تصنعون منها من اللبن والآجر ﴿وَتَنْجِتُونَ
 الْجِبَالَ بَيُوتًا﴾ كانوا يثقبون في الجبال ويسكنون في الشتاء فيها لتنعمهم، ونصب بيوتًا
 على الحال المقدره^(٤)؛ لأن الجبل ما كان بيتًا في حال النحت، أو تقديره من الجبال

(١) وناسب الفعل أن المقدره بعد الفاء ١٢/وجيز.

(٢) أي: نعمه/١٢.

(٣) فيه دلالة على فسحة ديارهم وسعة تصرفهم/١٢/وجيز.

(٤) ضد المحققة.

يَبُوتًا ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾ العثى: أشد الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
 أي: لا تبالغوا في الفساد في حال فسادكم ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ أي: الرعايا ﴿لَمَنْ آمَنَ
 مِنْهُمْ﴾ بدل من للذين بدل البعض؛ لأن ضمير منهم راجع إلى للذين فإن المستضعفين
 كثيرون والمؤمنون أربعة آلاف ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل قالوه على
 الطتر* (السخرية). ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ عدلوا به عن مثل نعم إشارة
 إلى أن إرساله معلوم مسلم إنما الكلام في الإيمان به ونحن مؤمنون ﴿قَالَ الَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ فما سلموا إرساله الذي ادعوا ظهوره
 ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحرها وكلهم راضون بنحرها فأسند الفعل إلى جميعهم ﴿وَعَتُوا﴾
 استكبروا ﴿عَنْ﴾ قبول ﴿أَمْرٍ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ^(١) ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب
 ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ الزلزلة فإنه كان عذابهم صيحة من
 السماء وزلزلة من الأرض^(٢) تقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾
 أرضهم ومسكنهم ﴿جَائِمِينَ﴾ حامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ
 لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم به
 بعد هلاكهم كما خاطب نبينا - عليه الصلاة والسلام - قليب بدر بقوله "هل وجدت ما

(٥) الطتر: الكلام باستهزاء. لسان العرب مادة (طتر) (٢٧٠٩/٤) ط دار
 المعارف.

(١) حين قال لهم صالح: "ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم" ١٢/.

(٢) هكذا ذكره الإمام أبو جعفر بن الجريير وغيره من علماء التفسير فلا منافاة بين هذا وبين
 ما وقع في موضع آخر "فأخذتهم الصيحة" (المؤمنون: ٤١)، لأن في عذابهم رجفة
 وصيحة فبين في كل موضع شيئاً ١٢ منه.

وعد ربكم حقاً" قيل: ويجوز أن يتولى عنهم ويقول ذلك حين مقدمة نزول العذاب وهذا كما قال بعضهم في الآية تقدم^(١) وتأخير.

﴿وَلَوْطًا^(٢)﴾ أي: أرسلنا، أو واذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف على الأول وبدل من لوطاً على الثاني ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ تلك^(٣) الفعل القبيحة ﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾ استئناف مقررة للإنكار ﴿بِهَا﴾ الباء للتعديفة ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ من زائدة للاستغراق ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من للتبعية أي: ما فعلها أحد قط قبلكم ﴿إِنَّكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ من أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ للاشتهاء أنكر أن يكون الحامل على هذه القباحة مجرد الشهوة، أو حال أبي: مشتبهين غير ملتفتين إلى سماحتها ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ المخلوق لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ إضراب على الإنكار إلى الإخبار عن طريقتهم وعادتهم كأنه قال: بل أنتم قوم لكم الإسراف في الأمور كلها وهو الباعث لكم إلى تلك القبيحة ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: أخرجوهم في مقابلة النصح والإرشاد ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ من دبر الرجال^(٤) والنساء قيل قالوا سخرية ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فإنه ما من

(١) وترتيبه إن كنت من المرسلين فتولى عنهم إلى قوله: "لا تحبون الناصحين" ثم "فأخذهم الرجفة" ١٢/ منه.

(٢) ولوطاً هو ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل وكانا يبايل بالعراق فهاجرا إلى الشام، فترل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، وبعثه الله إلى أمة يقال لها سدوم بالذال المعجمة وهي بلد بمحص ١٢/ فتح. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت/ ١٢.

(٣) طهر فمه عن أن يمسه باسم النجس/ ١٢ وجز.

(٤) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأما قول من يقول قولهم سخرية فمعناه أنهم أناس يتطهرون عن الفواحش/ ١٢ منه، كما يقول الشياطين من الفسقة

أحد سوى أهل بيته **﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾** فإنها تستر الكفر **﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾** ^(١) الباقين في ديارهم فهلكت **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾** نوعًا من المطر وهو حجارة **﴿فَانظُرْ﴾** يا محمد **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾**.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ رَبُّكُمُ اللَّهُ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَآذِكُرُوا إِذ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ٢٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِآلِدِي أَرْسَلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ٢٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِرِينَ ٢٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذ نَجَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رِثْنَا وَسِعَ رِثْنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٢٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِن آتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا لَنَكْمُرُ إِذَا

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتكشِف وأريجوننا من هذا المترهَد/١٢ كبير.

(١) ولم يقل من الغابرات كأنها من الرجال في فعلها/١٢ وحيز.

لَخَسِرُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٦٩﴾

﴿وَالِى مَدِين﴾ قبيلة، أو المراد بلد مدين ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿شُعَيْبًا﴾ (١) قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿مَعْجزة﴾ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ أَنهَا مَا هِيَ﴾ ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به كالعيش على المعاش ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ (٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴿٣﴾ لا تنقصوهم حقوقهم قيل كانوا مكاسين* ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٤) بالكفر ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت

(١) عن عكرمة والسدي قال ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا مرة إلى مدين فأخذهم الصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان/١٢ فتح.

(٢) وجاز أن يكون المراد المصدر كالميعاد فحينئذ المراد من الكيل المصدر فتطابقا/١٢ وحيز.

(٣) أمرهم أولاً بشيء خاص ثم فهاهم عن شيء عام فقال أشياءهم/١٢ وحيز.

(٤) المكس: النقص. أي ينقصون في المكيال.

(٤) وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع إلى أصلين التعظيم لأمر الله ويدخل فيه الإقرار بالتوحيد والنبوة، والشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك النجس والإفساد وحاصلها يرجع إلى ترك الإيذاء كأنه تعالى يقول إيصال النفع إلى الكل متعذر وأما كف الشر عن الكل فممكّن/١٢ كبير.

النبي وأمره بالعدل ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) مصدقين بمقالي ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ فإنهم يقعدون طرق الناس يوعدون الآتين إلى شعيب للإيمان بالقتل^(٢) وغيره، أو معناه النهي عن وعيد الناس لإعطاء أموالهم فإنهم مكاسين ويوعدون في موضع الحال ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ عطف على توعدون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بشعيب أو بالله وتوعدون وتصدون تنازعا في من آمن والعمل للثاني ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وتطلبون لسبيل الله ﴿عَوَجًا﴾ بإلقاء الشبه ووصفها للناس بالاعوجاج ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ في العدد والعدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم فاعتبروا منهم ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣) لا حيف في حكمه ولا معقب له ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ قَوْمِهِ لُنْخَرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤) أي: ليكونن أحد الأمرين إما الإخراج أو العود، وشعيب - عليه السلام - قط لم يكن على ملتهم لكن غلبوا قومه عليه فإنهم كانوا على ملتهم ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أنعود في ملتكم وإن كنا

(١) وأما الكافر فلا خير له لا في الآخرة ولا في الدنيا/١٢ وحيز.

(٢) قاله السدي وكثير من المفسرين/١٢ وحيز.

(٣) هذا من أحسن المحاوراة إذا أبرز المتحقق في صورة المشكوك ومتعلق لم يؤمنوا محذوف أي: به، والخطاب في منكم لقومه، فاصبروا خطاب للطائفتين وبيننا أي: بين الجميع وفيه وعد للمؤمنين بالنصر ووعيد للكافرين بالخسار/١٢ وحيز.

(٤) ويمكن أن يكون العود بمعنى الصيرورة فلا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة فإن شعيبًا لم يكن قط على ملتهم/١٢ وحيز.

كارهين لها؟ ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ نَجَّأَنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ يدل على جواب الشرط قد افترينا، أي: قد افترينا الآن إن هممنا^(١) بالعود بعد الخلاص منها فإن المرتد مفترى في إثبات الند، وفي ظهور الحقية عنده للدين الباطل فهو أقبح من الكافر ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ لا يمكن ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) رَبَّنَا ﴿ارتدادنا فإنه مصرف القلوب كيف يشاء، ولو أراد الله بأحد سوء فلا مرد له ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بما كان وما يكون وعلمًا تمييز ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في تثبيتنا على الإيمان وتخليصنا منكم ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ اقض واحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ فأنزل على كل منا ما يستحقه^(٣) لا أن تهلكهم بدعائي وهم غير مستحقين للعذاب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا مِنْكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾ لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق، وجملة إنكم إذا لخاسرون ساد مسد جواب القسم والشرط ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مدينتهم ﴿جَائِمِينَ﴾ ميتين قد اجتمع عليهم أنواع من العذاب بسحابة فيها شرر من النار ولهب وهو قوله تعالى "عذاب يوم

(١) جواب عما يقال ظاهره إخبار مقيد بالشرط وما تقدم بمرتلة الجزاء وظاهر أن الافتراء الماضي لا يتعلق بالعود وحاصل الجواب أن قد افترينا بمعنى المستقبل؛ لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال كأنه قيل: قد افترينا الآن إن هممنا العود قاله أبو البقاء رحمه الله/١٢ منه.

(٢) يعني لا يمكن الارتداد ونحن على هذا الطبع المستقيم نعم لو أراد ارتدادنا فهو قادر على تغيير طبعنا وتبدله كمرآة أكله الصداء فإنها لا تقبل الجلاء نعم للحداد أن يذبيها ويجعلها مرآة تقبل الجلاء/١٢ وحيز.

(٣) هذا المعنى يستفاد عن قوله: "بالحق" وإلا فجميع حكم الله بالحق ولا يصدر عن الله شيء إلا وهو حق/١٢ منه.

الظلة" (الشعراء: ١٨٩) في سورة الشعراء ثم جاءهم صيحة من السماء وهو قوله تعالى "فأخذهم الصيحة" (الحجر: ٨٣) في سورة الحجر ورجفة من الأرض فهزقت أرواحهم وخذت أجسادهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ ﴿كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا﴾ خبره أي: كأن لم يقيموا فيها قط ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ لا الذين صدقوه كما زعموا ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الظاهر أنه بعد عذابهم وموتهم ﴿وَقَالَ﴾ تأسفًا هم ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ وقد كفرتم ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحرز ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ مستحقين للعذاب.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٦٧ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ٦٨ ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ ٦٩ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٧٠ ﴿

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبه أهلها ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ كي يتضرعوا ويتركوا الاستكبار عن الإيمان ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أعطينا السلامة والسعة مكان البلاء والشدة ابتلاء واستدراجًا ﴿حَتَّىٰ﴾ (١) عَفَوْا﴾ كثروا عددًا ومالا ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ﴾

(١) عفا النبات والشجر والوبر إذا كثرت/١٢ وجيز.

وَالسَّرَاءُ ﴿فَأَصَابَنَا مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ وَهَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا وَغَفَلُوا ﴿فَأَخَذْنَاَهُمْ
بِعْتَةٍ﴾ فجأة مصدر أي: هذا النوع من الأخذ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بتزول العذاب
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أي: تلك القرى التي أرسلنا فيها رسلاً ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾
المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ يسرنا الخير لهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ من كل
جانب أو قطر السماء ونبات الأرض ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ أرسلنا ﴿فَأَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾^(١) بسبب كفرهم وعصيانهم ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الهمة للإنكار وهو عطف على
فأخذناهم بعنة، أو فأخذناهم بما كانوا، وحاصله فعلوا كيت وكيت فأخذناهم بعنة
أبعد ذلك أمن ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ أي: وقت بيات، أي:
بيوتة فنصبه على الظرف بحذف المضاف ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ جملة حالية ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى﴾ ضحوة النهار ظرف ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٢) من فرط
غفلتهم ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر^(٣) واستدراجه
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فطرهم.

(١) لما حكى عن بعض الأمم السالفة أخذ يحذر قريباً ويخوفهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم
فقال: "أفأمن" الهمة للتوبيخ دخلت على أمن والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها.
قال صاحب البحر: ما قاله الرمخشري في هذه الآية من أن الفاء بعد الهمة عطف على
ما بعدها على ما قبل الهمة من الجملة رجوع إلى مذهب النحاة ويخرج لهذه الآية على
خلاف ما قدر من مذهبه في غير آية من أن يقدر محذوفاً بين الهمة وحرف العطف
كما يصرح بذلك/١٢ وجز.

(٢) وهذا وقت لعبهم واشتغالهم بديانهم قيد كل ظرف بما يناسبه من الحال، وجاء نائمون باسم
الفاعل؛ لأنهما حالة ثبوت واستقرار وجاء يلعبون بالمضارع؛ لأنهم يشتغلون بأفعال متجددة
شيئاً فشيئاً، وكلا الحالين حال ترفه وطمأنينة فجأة المصائب فيها أشد/١٢ وجز.

(٣) وفي الحديث: "اللهم آمني مكر الشيطان ولا تأمني مكرك يا الله"/١٢ وجز.

﴿أَوْلَمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٢١﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ قِرْعَانَ وَمَلَإِيهِ فظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٧﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٢٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿أَوْلَمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي: يرثون ديار من قبلهم ﴿أَنْ﴾ أي: أن الشأن ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالبلاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها كما عذبنا من قبلهم وجملة أن لو نشاء فاعل يهد ومن قرأ بالنون فهو مفعول وفي الهداية حيث شد تضمين التبيين ولهذا عدى باللام ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ هو استئناف ولهذا غير الأسلوب أي: نحن نطبع، أو عطف على مدلول أو لم يهد يعني يغفلون ونطبع وليس يعطف على أصبناهم؛ لاستلزام انتفاء كونهم مطبوعين مع بطلانه لقوله: "فهم لا يسمعون" وقوله: "كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين" وقوله: "فما كانوا ليؤمنوا"؛ لدلالته على أن حالهم منافية للإيمان ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة أبداً سماع قبول.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى الأمم التي مر ذكرها ﴿نَقْصُ عَلَيْكَ﴾ حال، أو خبر إن جعلت القرى صفة تلك ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ أي: بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: ما صلحوا للإيمان بعد رؤية المعجزات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل رؤيتهم تلك المعجزات يعني بعدما طبعناهم لا يمكن لهم الإيمان بما جاءهم الرسول أو الباء للسببية أي: كفرهم السابق سبب كفرهم اللاحق وعن بعض السلف المراد من قبل يوم أخذ الميثاق فإنهم حينئذ أقروا باللسان وأضمروا التكذيب ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الوارثين والموروثون ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الأمم الماضية ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، أو عهدهم مع أنبيائهم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ أي: إن الشأن علمنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعتنا وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى إلا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾^(١) ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل الذين مر ذكرهم ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَوَلَّيْنَاهُ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: بالآيات بأن وضعوا الكفر بها مكان الإيمان ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ على بمعنى الباء أي: بالأ أقول، كما تقول: رميت على القوس أو أصله حقيق على ألا أقول كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الإلباس، أو أراد موسى أن يغرق في وصف نفسه بالصدق فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله، ولا

(١) ولما قص أخبار الأمم وما آل إليه أمرهم أتبع بقصص موسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل فإن معجزاته أظهر وأتمته أكثر الأمم عناداً وبين موسى وشعيب قرابة ونسب فقال "ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا" الآية/١٢ وحيز.

يرضى إلا بمثلي ناطقًا به أو معناه أبي حريص على ألا أقول ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً﴾ وهي العصا ﴿مَنْ رَبُّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلطهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة فإن فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أحضرها عندي ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة لا يشك في أنها حية ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ لها شعاع غلب^(١) نور الشمس ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لوئها الأول وللناظرين متعلق ببيضاء، أي: بيضاء للنضارة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَا ثُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ

(١) هكذا قاله مجاهد وغيره/١٢.

لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ
 خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٧﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٧٨﴾ وَمَا
 نَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِبَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفِقَنَا
 مُسْلِمِينَ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ في صناعته أي: قالوا ذلك موافقين لقول فرعون كما حكاه تعالى: "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم" (الشعراء: ٣٤)، فوافقوه وقالوا كعقلته أو قال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى القوم يعني قبط ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ يا معشر القبط ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(١) تشيرون في أمره ﴿قَالُوا﴾ بعدما اتفقوا رأيهم ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الإرجاء التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو احبسه وأصله أرجئه ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي رجلا يحشرون إليك من في مدائن صعيد مصر من نواحي مصر من السحرة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾^(٢) قَالُوا إِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ على موسى ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ﴾ إن لكم أجراً ﴿وَأِيَّتَكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٣) فهو معطوف على محذوف سد مسد نعم ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ما معنا من الجبال ورغبتهم في أن

(١) من المؤامرة في إعرابه وجهان أحدهما ماذا مفعول ثان محذوف حرف الجر والمفعول الأول محذوف أي: بأي شيء تأمرونني، والثاني أن ما مبتدأ وذا بمعنى الذي خبر عنه ومفعول تأمرون محذوف أي: أي شيء الذي تأمرونني، أي: تأمرونني به/١٢ وجيز.

(٢) يعني بعدما بعث فأتوه/١٢ وجيز.

(٣) يعني لا أقتصر لكم في الأجر بل أزيدكم في الرفعة والمترلة/١٢ وجيز.

يلقوا قبله، ولهذا غيروا نظم الكلام إلى أكد وجه^(١) ﴿قَالَ﴾ موسى كرمًا ووثوقًا على الله ﴿أَلْقُوا﴾^(٢) فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴿خِيلُوا إِلَيْهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ﴾^(٣) ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم^(٤) ﴿وَجَاعُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ قيل خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر^(٥)، ومع كل عصي وحبال غلاظ طوال، وألقوا فإذا حيات قد امتلأت الوادي تركب بعضها بعضا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تتلعق ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه من الإفك، فلما أكلت حبالهم وعصيتهم بأسرها، قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ صاروا أذلاء، وأرجعوا إلى مدينتهم أذلاء مغلوبين، والضمير لفرعون وقومه ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾^(٦) ألقاهم الله تعالى، أو ألهمهم أن يسجدوا، أو من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا^(٧) ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ لا رب

(١) من تأكيد ضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر/١٢.

(٢) وليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل إباحة السحر بل لإبطاله/١٢.

(٣) فيه دلالة على أن سحرهم من باب التخجيل لا يقبل عينا/١٢ وجيز.

(٤) وأرهبوهم، فاستفعل بمعنى أفعل/١٢.

(٥) قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ونقل ابن جرير: أنهم سبعون ألف

ساحر/١٢ منه.

(٦) وقد سجدوا شكرًا على المعرفة وظهور الحق وقد نفعهم علمهم وإن كان حرامًا، وقالوا

رب موسى بالبدل من رب العالمين لتدفع توهم غير الله تعالى لقول فرعون "أنا ربكم

الأعلى" (النازعات: ٢٤)/١٢ وجيز.

(٧) يعني أنه تمثيل شبه حالهم في سرعة الخرور بحال من ألقى/١٢ وجيز.

القبط فإنه فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ (١) ﴿لَكُمْ﴾ في الإيمان ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: حيلة صنعتوها أتم وموسى في مصر قبل الخروج إلى هنا ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: القبط فتبقى المصر لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة صنيعكم، ثم فصل ما أجمل وقال: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ (٢) من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا بِالْمَوْتِ مُتَقَلِّبُونَ﴾ فلا نخاف من وعيدك، أو مصيرنا ومصيرك إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ (٤) ثم عرضوا عنه وفرعوا إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبِّنَا أَفْرِغْ﴾ أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حتى لا نرجع من الدين ﴿وَتَوْفَقْنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: كانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكَ وَءِ الْهَتَكَ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٥) قال موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) من غير رخصتي في الإيمان، ولما خاف أن يصير إيمان السحرة حجة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبهة: أحدهما أن هذا مما تواطوا بينهم لا أن هذا غلبة حقيقة، وأن ذلك طلب منهم للملك فقال: "إن هذا لمكر مكرتموه" الآية/١٢ وجزير.

(٢) لما ظهرت الحجة عاد إلى عادة ملوك السوء بالتهديد إذا غلبوا بحجة، قوله: "من خلاف"، أي من مختلفات من اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد يجيء بسطه إن شاء الله تعالى في سورة طه/١٢ وجزير.

(٣) وما أوعدهم لا يعلم من القرآن أنه عمل به أو لم يعمل/١٢ وجزير.

(٤) وما هو إلا أصل المفاخر/١٢.

عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا
جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ﴾^(١) ﴿بِئْسَ إِسْرَائِيلَ
﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بدعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَالْهَتَّكَ﴾ عطف على
يفسدوا، أو جواب للاستفهام بالواو، كما يجاب بالفاء قيل: لفرعون بقرة يعبدها ويأمر
أن يعبدوا بقرة حسناء، وقيل علق على عنقه صليبا يعبده، وقيل: اتخذ لقومه أصناما
وأمر بعبادتها، وقال لهم: هذه آلهتكم وأنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَتَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ كما
كنا نفعل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود على يده زوال ملكنا
﴿وَسَتَخِيبِي نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهن أحياء للخدمة ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ هم تحت
أيدينا مقهورون ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ حين شكوا إليه ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢) ﴿فَلرِمَا يَأْخُذُ مِنْهُمْ وَيُعْطِيكُمْ بِسَهُولَةٍ
كالميراث﴾ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: عاقبة الأمر بالنصر والظفر للمتقين فثقوا بالله تعالى
وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة ﴿قَالُوا﴾ بنوا إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ بقتل^(٣)
الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ﴾^(٤) ﴿أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل ﴿قَالَ﴾

(١) قالوا: ذلك إغراء لفرعون بموسى وقومه وتحريضه بقتلهم للخوف على الملك
والجاه/١٢ وجيز.

(٢) وعدهم النصر بالصبر وذكرهم ما وعد الله تعالى به بني إسرائيل من إهلاك القبط
وتوريث أرضهم وديارهم/١٢ وجيز.

(٣) وإخدام النساء/١٢.

(٤) مخافة ما كان يتوقع من هلاك ملكه على يد مولود منا/١٢ وجيز.

موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرضهم
وملكهم ﴿فَيَنْظُرَ﴾ يرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكر وكفران وطاعة وعصيان.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ
مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا نَطَّيَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ وَقَالُوا مَهْمَا
تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴿١١٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ
﴿١٢٠﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ ﴿١٢٢﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ
أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْطَلُّوا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ قَالَ
أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ أَجْتَيْنَاكُمْ مِنْ

ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ *

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالجدوب لقلة الأمطار ﴿وَنَقَصِ﴾^(٢) مِّنَ الشَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكي يتبهاوا ويتعظوا ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ السعة والمال ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ لأجلنا ونحن^(٣) مستحقوها ولم يشكروا منعها ﴿وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء وجذب ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يتشاءموا بهم وقالوا ما هذا إلا بشؤمهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَأَّذَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: شؤمهم^(٤) من قبل الله ومن عنده، أو سبب شؤمهم وهو أعمالهم القبيحة عنده مكتوب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما أصابهم^(٥) من الله تعالى ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ﴾ أي: أيما شيء تأتينا به فمحل مهما الرفع وجاز النصب بفعل يفسره تأتانا أي: أيما^(٦) شيء تحضرنا تأتينا به ﴿مِنَ آيَةٍ﴾ بيان لمهما وسموها آية على زعم موسى ﴿لَتَسْحَرَنَّ بِهَا﴾ الضمير لما في

(١) ولما وعد موسى قومه بهلاك عدوهم من جانب وحي الله تعالى شرع سبحانه بيان مقدمات افتتاهم فقال: "ولقد أخذنا"/١٢ وجيز.

(٢) أي: لم يبارك في طعامهم وفواكههم/١٢ وجيز.

(٣) ووجدوا خلاف ذلك ظلمًا/١٢.

(٤) أي: شؤمهم من عند الله وقبلة هم يتفاءلون بالطير بطيرانه من جانب إلى جانب وصوته فهذا اللفظ مستعار/١٢ وجيز.

(٥) والحاصل إنما أصبناهم يتضرعوا ويندرجوا تحت أمرنا ونهينا فلم يتضرعوا ولم يسلموا بل

تنفروا عن رسولنا إليهم وشتموه وتطيروا به/١٢ وجيز.

(٦) يريد أنه من باب شريطة التفسير والمضمر تحضرنا الذي هو في معنى تأتانا فيكون من

قبيل زيدًا مررت به/١٢.

مهما باعتبار المعنى فإن^(١) من آية فضلة جيء للتبيين ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم موسى عليه السلام ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أرسل الله تعالى مطراً^(٢) سبعة أيام امتلكت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل مع أن بيوتهم مشتبكة^(٣) أو المراد من الطوفان الوباء أو الجدري^(٤) ثم فرغوا إلى موسى وعهدوا بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، فلما كشف نقضوا عهودهم ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأرسل الله إليهم الجراد فأكل زروعهم وثيابهم حتى^(٥) مسامير أبواهم ثم عهدوا وكشف فنقضوا ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فأرسل الله إليهم السوس^(٦) أو أولاد الجراد قبل أجنحتها أو الحمنان^(٧) صغار القردان أو دواب سود صغار أو القمل بفتح القاف حتى أكلت أبدانهم ومصت^(٨) دماءهم فعهدوا فلما كشف نقضوا ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فأرسل الله تعالى إليهم الضفادع حتى لا يستطيعوا الطبخ والأكل فإنه يمتلى قدورهم وظروفهم وأفواههم فعهدوا ونقضوا ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دماً وسالت النيل عليهم بالدم أو المراد بالدم

(١) قوله فإن من آية إلخ جواب لسؤال وهو أن الظاهر أن يكون الضمير لآية لا لما فما الموجب إلى العدول/١٢ منه.

(٢) مع ظلمة شديدة/١٢.

(٣) يعني مع بيوت القبط وزرعهم ينمو وزرع القبط يموت من الماء/١٢ أو جيز.

(٤) الأول رواية عن ابن عباس وهو قول الضحاك والثاني لعطاء ومجاهد ورواية عن ابن عباس أيضاً وروى ابن جرير وابن مردويه عن عائشة مرفوعاً والثالث لأبي قلابة/١٢ منه.

(٥) كما قال مجاهد/١٢ منه.

(٦) الذي يخرج من الحنطة كذا قال ابن عباس/١٢ منه.

(٧) قاله أبو عبيدة/١٢.

(٨) كذا قاله مجاهد وعكرمة وقتادة/١٢.

الرعاف فعطشوا فعهدوا ونقضوا ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات لا يشبّهه على أحد أنّها
نقمة من الله ونصبها على الحال ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الآيات المفصلات أو الطاعون فهو عذاب سادس ﴿قَالُوا يَا
مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بحق عهده عندك وهو النبوة أو بما أنت
تعلمه من أسمائه التي تدعو بها فيستجيب الدعاء ﴿لَئِن كَشَفْنَا عَنْكَ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوهِ﴾
حد من الزمان هم بالعهود فمعذبون أو مهلكون فيه وهو الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾
عهدهم أي: فلما كشفنا العذاب فجاءوا والنقض بلا مهل وتأمل ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أردنا
الانتقام ^(١) ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر العميق ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتفكرون في آياتنا ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ بقتل
أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ أرض الشام ﴿وَمَغَارِبَهَا﴾ ^(٢) التي باركنا
فيها ﴿بِالسَّعَةِ وَالرِّخَاءِ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ هي وعده إيّاهم بالنصر والظفر
﴿الْحُسْنَى﴾ صفة الكلمة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على
الشدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ استأصلنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من البيوت والقصور أو من البساتين.

(١) فسرنا بذلك، لأن الإغراق هو الانتقام وجزاز أن يكون فأغرقنا مجرد التفسير فحيثُذ
فانتقمنا على ظاهر معناه ولا حاجة إلى تأويل/١٢ منه.

(٢) هو مفعول ثانٍ لأورثنا والمفعول الأول هو القوم بحذف مضاف أي: ذرية القوم فإنهم لم
يعودوا إلى أرض مصر بأعيانهم بل أقاموا بالأرض المقدسة وذريتهم كسليمان عليه
السلام دخل مصر التي باركنا/١٢ وحييز.

﴿وَجَاوَزْنَا^(١) بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عبرنا بهم ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾ مروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى^(٢) اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ مثالا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ^(٣) آلِهَةٌ﴾ ما كافة ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لأن العاقل لا

(١) ولما ذكر إنعامه على بني إسرائيل وانتقامه على القبط أخذ بين كفران بني إسرائيل نعمهم وصنيعهم في مقابلة ما أنعم عليهم فقال: "وجاوزنا" ١٢/ وجيز.

(٢) قوله تعالى "اجعل لنا إلهًا" قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب المعروف بالكبير: واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة وخالقًا ومدبرًا لأن الذي يجعل يجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقًا للعالم ومدبرًا له ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصنامًا وتمائيل يتقربون بعبادتهما إلى الله تعالى وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر: ٣) إذا عرفت هذا فلنقاتل أن يقول: لم كان هذا القول كفرًا فنقول أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهًا للعالم أو اعتقد فيه أن عبادته تقربه إلى الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام/ ١٢ كبير.

(٣) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا إلهًا نعبده ونعظمه قال البغوي: ولم يكن ذلك شكًا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم، فرد عليهم موسى عليه السلام بقوله "إنكم قوم تجهلون" يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه، لأنه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه. عن أبي واقد الليثي رضي عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة

يطلب معبودًا مخلوقًا لا يضر ولا ينفع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى القوم ﴿مُتَّبِرٌ﴾ مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم فاعل متبرأ أو مبتدأ ومتر خبره ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ألبتة لا محالة ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَلُّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بأن أعطاكم نعمًا وخصكم بها ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: واذكروا هذا اللطف العظيم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ استئناف أو حال أي: ييغونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بدل من يسومون مبين له ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى المنحة^(١) لا المحنة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتِ رَبِّهِمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿قَالَ يَلْمُوسَىٰ إِيَّيْ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ

= والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم" أخرجه الترمذي وصححه النسائي وأحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه/١٢ الباب التأويل المعروف بخازن. [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٧١) وفي "ظلال الجنة"].

(١) يعني أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلهة/١٢ الباب.

الشَّاكِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرْعَظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ (١) ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة للمناجاة وإرسال كتاب من عنده ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة نقل أنه بعد صوم الشهر استاك فزال خلوفه فلذلك أمر بصوم عشر ليكون لفته خلوف (٢) ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (٣) وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ ارفق بهم واحملهم على طاعة الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تطع من دعاك إلى الفساد (٤).

(١) وعد موسى قومه وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من الله فيه بيان ويأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهر شهر ذي القعدة/١٢ وجيز.

(٢) وفي الحديث: "الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" /١٢. [أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (٣/٢٠٦) ط الشعب.

(٣) نصب أربعين بالخير من تم؛ لأن تم من الأفعال الناقصة بمعنى التصيير فإن لم تجعله من الناقصة فنصبه على التمييز/١٢ وجيز.

(٤) وهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف حيلة قومه/١٢ وجيز.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: لوقتنا الذي وقتنا له ﴿وَكَلَّمَهُ﴾^(١) رَبُّهُ﴾ فلما سمع كلامه اشتاق لقاءه ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِنِي﴾ نفسك بأن تتجلى إلي ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أراك ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٢) في الدنيا وقد وردت أحاديث صحاح صريحة على رؤية الله تعالى في الآخرة وأجمعت الأمة على ذلك سوى المعتزلة وحسبهم من الخسران والحسرة أن عاملهم الله تعالى في الآخرة بعقيدتهم وحرمتهم من نعمة لقائه كما قال جدي قدس سره ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ^(٣) اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ويطبق الرؤية مع أنه أعظم

(١) قال الزمخشري تكليمه أن يخلق الكلام منظوقاً به في بعض الأحرام كما خلقه محفوظاً في الألواح انتهى. وإليه ذهب المعتزلة وهو مذهب فاسد يرده الكتاب والسنة وأين للشجر وذلك الجرم أن يقول: "إني أنا الله" (طه: ١٠٤)، وذهب الحنابلة ومن وافقهم من أهل الحديث أن كلامه تعالى حروف وأصوات مقطعة وأنه قدس وهو الحق وقد نطق به السنة المطهرة وقال جمهور المتكلمين: إن كلامه صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وأراد به الكلام النفسي ولا توجد له رائحة في السنة المطهرة وكذا ما ذكره الشيخ في التأويلات أن موسى سمع صوتاً دالاً على كلام الله وهو ظاهر البطلان لمخالفة نص القرآن، وقد سكت جمع من السلف والخلف عن الخوض في تأويل صفة كلام الله تعالى وقالوا: إنه متكلم بكلام قدس يليق بذاته بحرف وصوت لا يشبه كلام المخلوق ليس كمثل شيء وله المثل الأعلى/١٢ فتح البيان.

(٢) فإن الأعين الدنيوية لا تطبق النظر إلى وجهه الكريم والأحاديث الصحاح في رؤية الله تبارك وتعالى لا ينكرها إلا مخانيث الحكماء أي: المعتزلة وحسبهم من الخسران أن عاملهم بعقيدتهم في الرؤية وفي الخلود في النار من مات غير تائب من الكبيرة/٢٢ وحيز.

(٣) فإن استقر مكانه عند تجليه سبحانه نبه على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالأدمي مع ضعف بنيته أولى بالأستقرار وفيه تسكين لفؤاد موسى؛ بأن المانع من الانكشاف إشفافي عليك وأما أن المانع محالية الرؤية لتجرد الرب فليس في القرآن إشارة إليه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته مرتين وهذا من

وأثقل جسمًا ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر نور ربه وقد ورد ما تجلّى إلا قدر الخنصر^(١) ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مذكوكًا كالتراب ومن قرأ دكاء فمعناه أرضًا مستوية ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ سقط مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يليق بك أو قال سبحانك لعظمة ما رأى ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ^(٢)﴾ من مسألة الرؤية بغير إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة أو أول قومي إيمانًا.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ بوحى ﴿وَبِكَلَامِي﴾ من غير واسطة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ولا تطلب ما لا طاقة لك به.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ ألواح التوراة وقيل الألواح قبل نزول التوراة وهي من خشب أو من جوهرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هم إليه محتاجون في أمر دينهم ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تبيينًا لكل أمر وهي حلال وحرام فنصبهما على المفعول له أي: للموعظة ولتبيين الحلال والحرام وقيل من كل شيء مفعول كتبتنا وموعظة وتفصيلًا بدل منه ﴿فَخُذْهَا﴾ أي: فقلنا له خذ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: التكليف عليك يا موسى أشد من التكليف على قومك قيل في الألواح ما هو أحسن كالصبر بالإضافة إلى الانتصار مثلًا فأمرهم على طريقة الندب

= خواصه وما أطاق أحد من الأنبياء غير نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين رؤيته وهو على صورته/١٢ وجيز.

(١) كما نقله الترمذي مرفوعًا عن ابن عباس/١٢ منه. [أخرجه الترمذي (٣٢٨٢) وصححه

الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه]

(٢) ما هو خلاف الأدب كمسألة الرؤية بغير إذن كالشفاعة من غير إذن فيها/١٢ وجيز.

أن يتبعوا أفضل ما فيها وهو الصبر والعبور ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: سترون عاقبة من خالف أمري كيف تصير إلى الهلاك أو هي جهنم فاحذروا أن تكونوا منهم أو منازلهم كيف تكون خاوية على عروشها قيل هذا بشارة بأنه سيرزقهم أرض أعدائهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أمنعهم عن فهم الحجج والأدلة الدالة على وحدانيتي وعظمتي وأنزع عنهم فهم كلامي ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صلة يتكبرون أو حال فإن تكبر الحق على المبتطل حق والتكبر على المتكبر صدقة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم ^(١) ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق الهدى والسداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ﴾ طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرون فيها ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي: لقائهم الدار الآخرة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت فليس لها نفع ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء أعمالهم.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي

(١) أو احتلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد/١٢ بيضاوي.

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢١﴾

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ أي: اتخذ السامري^(١) لهم بإعانتهم ورضاهم فكأنهم هم الذين
اتخذوا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط
﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بدنا ذا لحم ودم بدل من عجلا ﴿لَهُ خُورًا﴾ صوت البقر قال
بعضهم: استمر على كونه من الذهب إلا أنه يدخل في فيه الهواء فيصوت كالبقرة^(٢)
﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: ألم يروا حين اتخذه إلهاً أنه
حيوان لا يقدر على كلام ولا على إرشاد فكيف اعتقدوا على أنه خالق القوى
والقدر؟! ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلوضعهم الأشياء في غير موضعها
اتخذوه إلهاً ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن الندامة فإن النادم يعرض يده ﴿وَرَأَوْا﴾
أعلموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقبول توبتنا ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا﴾ هذا
الذنب العظيم ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

(١) روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر الزائدة قال السامري لبني
إسرائيل وكان مطاعاً فيهم: إن معكم حلياً من حلي آل فرعون الذي استعمرتموه منهم
لتتزينوا به في العيد وخرجتم وهو معكم وقد أغرق الله أهله من القبط فهاتوه فدفعوه
إليه فاتخذ منه العجل المذكور/١٢فتح.

(٢) وفي الوجيز وأما أنه صنع من حليهم شكل ولد البقر مجسداً من ذهب لا روح فيه إلا أنه
عمله بحوفاً بطور إن دخل فيه الهواء خرج منه صوت كصوت البقر فليس بوجهه شديد
لقوله تعالى في سورة طه "ما خطبك يا سامري قال بصرت" الآية (طه: ٩٥، ٩٦) وإذا
كان هو على صورة العجل لا حياة فيه فليس بقبض التراب من أثر جبريل دخل/١٢.

(٣) جمع القدرة/١٢.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَسْفًا﴾^(١) شديد الغضب أو حزينًا فإنه قد أعلمه الله بذلك وهو على الطور^(٢) كما قال تعالى: "فإنا قد فتننا قومك من بعدك" (طه: ٨٥)، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: فعلتم بعد ذهابي وفاعل بئس ضمير يفسره ما والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس فعلا فعلتموه من بعدي فعلكم ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهذا كما يقال لمن ولي أحدا غير مستحق للولاية: عجلت أمر السلطنة أي: في حالها وأمرها أو ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أي: سبقتم أمر ربكم أو ميعاد ربكم أو سخط ربكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ﴾^(٣) طرحها غضبًا ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعره ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ خوفًا عن أن يكون قد قصر في فهمهم وهارون أكبر من موسى^(٤) ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ كانا أخوين من أب وأم وذكر الأم ليرققه^(٥) ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ أي: بذلت وسعي في النهي حتى قهروني وقاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ﴾ لا تفعل بي شيئًا يشتمون^(*)

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فتنوا وأن السامري قد أضلهم فلذلك رجع موسى وهو غضبان أسفا/١٢.

(٢) كما في سورة طه/١٢ منه.

(٣) من شدة الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل قال ابن عباس: لما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع إلا سدسها رفع الله منها ستة أسباعها وبقي سبع وقال مجاهد: لما ألقاها موسى ذهب التفصيل يعني أخبار الغيب وبقي الهدى أي: ما فيه المواعظ والأحكام وعن ابن جريج قال: كانت تسعة رفع منها لروحان وبقي سبعة/١٢ فتح.

(٤) ثلاث سنين هكذا قال محيي السنة/١٢ منه.

(٥) ويستعطفه عادة العرب التحنن بذكر الأم/١٢ وجيز.

(٥) في الأصل: يشتمون.

لأجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معدوداً في عداد عابدي العجل في عقوبتك.

﴿قَالَ﴾ لما علم براءة ساحته ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلَأَخِي﴾ أن قصر في هيبهم ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام أو في جنتك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَٰمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٢٤﴾ وَآخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّهِّلُكَنَّ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَآغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٢٥﴾ * وَآكُتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيُنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمرهم بقتل أنفسهم للتوبة كما مر فهو حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى حين أخبره أو غضب في الآخرة ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخراجهم من ديارهم وهوأهم إلى الأبد وقيل المراد من الذين اتخذوا العجل: أبناؤهم وهم يهود زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف الأبناء بقبائح فعل الآباء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الشرك ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وَأَمَّنُوا﴾ أخلصوا الإيمان واشتغلوا بما هو مقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ^(١)﴾ أي: سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْعُضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ^(٢)﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسُخَتِهَا﴾ أي: في الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو لما ألقى الألواح تكسرت ثم رد عليه لوحان أو لما تكسرت نسخ منها نسخة أخرى ﴿هُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للخائفين ودخول اللام في المفعول لضعف الفعل بالتأخير^(٣) وقيل في يرهبون تضمين معنى الخضوع^(٤) ﴿وَوَاحْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ منصوب بترع الخافض أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ أمر موسى أن يختار^(٥) من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك

(١) كأنه جعل الغضب شخصاً آمراً ناهياً يهيجه لما فعل ويأمره بشتم قومه فسكت عن

الإغراء/١٢ وجز.

(٢) هو جواب لما/١٢.

(٣) يعني دخول اللام في المفعول مقربة لوصول الفعل إلى المفعول المتقدم نحو إن كنتم للرؤيا

تعبرون/١٢ وجز.

(٤) وهو مستعمل باللام/١٢ منه.

(٥) هذا قول ابن عباس وهذا يدل على أن ذلك قبل عبادتهم العجل/١٢ منه.

فأخذتهم الرجفة أو اختار^(١) سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا أو أخذتهم^(٢) الرجفة فإنهم علماء وما نهبوا بني إسرائيل عن عبادة العجل، وقال بعضهم: ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا أو ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ لَوِ لَتَمَنَّى﴾ ﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَاي﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى، أو المراد أهلكتهم أي: عبدة العجل من قبل عبادتهم ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ من التجاسر على طلب الرؤية فإن بعضًا من السبعين طلبوا الرؤية، أو من عبادة العجل، ولذلك قيل: علماءؤهم ما عبدوا العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ اختبارك وامتحانك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية، أو حين خلقت في العجل خوارًا فضلوا ﴿تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ ضلاله ﴿وَتَهْدِي﴾ بها ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايه ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ القائم بأمرنا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا^(٣) الماضية ﴿وَارْحَمْنَا﴾ بأن لا توقعنا بعد في مثله ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ لأنك تغفر الذنوب جميعًا بلا عرض ولا عوض ﴿وَأَكْتُبُ﴾ أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عافية وطاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ جنة وقربة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ رجعنا وتبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ الله مجيبًا له في قوله: "إن هي إلا فتنتك" ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ

(١) وهو قول السدي ومحمد بن إسحاق/١٢ منه.

(٢) هو قول مجاهد وقتادة وابن جريج/١٢ منه.

(٣) اعلم أن كونه تعالى وليًا للعبد يناسب أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه وفضله وإلهيته وأيضًا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الأشياء لذكر السبب الأول أولاً وهو كونه تعالى ولياً له وفرع عليه طلب هذه الأشياء ثم ذكر بعده السبب الثاني وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال: "إننا هدنا إليك"/١٢ كبير.

أَشَاءُ﴾ تعذبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا حتى الشجر والحجر ﴿فَسَأْ كُتِبَهَا﴾ فسأوجب رحمتي في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكبائر ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما أنزل على جميع الأنبياء لا يكفرون بشيء منها قيل لما اختار موسى سبعين^(١) قال لهم: أجعل لكم الأرض مسجداً و طهوراً وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تفرعون التوراة عن ظهور قلوبكم؟ فقالوا: لا نريد إلا أن نصلي في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في القلوب، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً قال تعالى: "فسأكتبها للذين يتقون" الآية ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ أي: هم الذين أو بدل من الذين يتقون، والمراد اليهود الذين في آخر الزمان وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام أو عامة أمته الصالحين ﴿الرَّسُولَ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ اسمه وصفته ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢) يَأْمُرُهُمْ﴾ النبي

(١) هذا وإن كان كلام بعض السلف لكن فيه بعد لأنه يلزم رجوع الضمير إلى ما لا شعور عليه بوجه فلذلك ذكرناه بصيغة التمريض/١٢ منه.

(٢) أخرج ابن سعد والبخاري وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبيد ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً وروى نحو هذا مع اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقص في بعض عن جماعة وذكر الخميسي في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ "لنحمننا" ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد وهو الذي يحمد الناس

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ والخير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالدّم ولحم الخنزير والميتة والربا ﴿وَيَضَعُ﴾ يخفف ويسقط ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي: ثقلهم العهد الثقيل الذي أخذ عليهم بالعمل بالتوراة ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ التكاليف الشاقة التي كانت في دينهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بهذا الرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظموه ﴿وَوَصَّوهُ﴾ على عدوه ﴿وَاتَّبَعُوا التَّوْرَةَ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ﴾^(١) أي: مع نبوته وقيل: متعلق باتبعوا القرآن مع اتباع النبي أي: اتبعوا الكتاب والسنة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون^(٢) في الدارين.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيُبْغِدُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

= كثيراً وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو أحمد/١٢

فتح. [الحديث أخرجه البخاري (٤٨٣٨)]

(١) إشارة إلى أن الظرف إن تعلق بأنزل فلا بد من تقدير مضاف كنبوته أو إرساله وإن تعلق باتبعوا على معنى اتبعوا القرآن والنبي لم يحتاج إلى تقدير/١٢ منه.

(٢) الفائزون في الدارين لا غيرهم ولما ذكر صفة النبي الأمي وأخير أن من أدركه فأمن به أفلح أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - باشتهار دعوته إلى الناس كافة فقال: "قل يا أيها الناس /١٢ وجيز.

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
 الْعَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
 ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ
 الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ
 لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
 غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
 يَظْلِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(١) خطاب عام لا يشذ عنها أحد ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
 جَمِيعًا﴾^(٢) الذي صفة الله والفصل غير أجنبي أو منصوب بتقدير أعني ﴿لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل اشتمال من له ملك السماوات ﴿يُخَيِّ
 وَيُمِيتُ فَأَمُوتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ جمع كتبه
 ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ في الإيمان بالله وجميع الكتب ، عما أمر ونهى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا
 ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى﴾ بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ﴾^(٤) محقين ﴿وَبِهِ﴾
 بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم وهم الثابتون على الحق من اليهود قرنا بعد قرن أو من

(١) يا من أطلق عليه ناس/١٢.

(٢) بحيث لا يشذ عنكم فرد/١٢ وجزير.

(٣) ولما ذكر أن الرحمة الخاصة الثابتة لمتبعي نبينا الذي هو ثابت صفته في كتابين سماويين، وهو
 مسقط عن المسلمين الإصر والأغلال التي كانت عليهم أخذ يبين أنه بقي من أهل الكتاب
 من استمر على الطريقة الحسنی والدين القيم فقال: "ومن قوم موسى" الآية/١٢ وجزير.

(٤) بالحق فيه خلاف كثير أن المراد من هذه الجماعة من هم؟ وأن الظاهر أنهم قوم في
 أطراف الأرض ليس لهم همة إلا اتباع الحق حيث كان/١٢ وجزير.

آمن منهم كعبد الله بن سلام وأتباعه أو قوم وراء الصين^(١) هم على الحق^(٢) آمنوا
بمحمد لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا إليهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ صيرنا بني إسرائيل قطعاً وفرقناهم ﴿اِثْنَيْ عَشَرَ﴾ مفعول ثان لقطع
لأنه متضمن معنى صير أو حال وتأتيه للحمل على الأمة أو القطعة ﴿أَسْبَاطًا﴾^(٣) تميز
له وهو من الجمع الذي وقع موقع المفرد فإن معناها القبيلة؛ لأن كل قبيلة أسباط لا
سبط أو بدل منه ﴿أُمَّمًا﴾ بدل أو نعت لأسباط ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ
قَوْمُهُ﴾ في التيه^(٤) ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ جنس الحجر أو حجرا خاصا كان

(١) هذا قول الكلبي والضحاك والربيع وابن جريج ونقل عن ابن عباس السدي
أيضاً/١٢ منه.

(٢) وفي لباب التأويل وهذه الحكاية ضعيفة ولم يروها نقل صحيح ولا رواها أحد من أئمة
الحديث، ولا يلتفت إلى قول الإخباريين والقصاص في ذلك انتهى ملخصاً، وفي الفتح
قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر
الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يحطرون بالليل ويصحون في النهار ويزرعون
ولا يصل إليهم أحد منا وهم على الحق إلى آخر القصة وما أبعدها عن الصحة وأقرها
إلى الوضع وقد ابتلى بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث
انتهى/١٢.

(٣) والأسباط أولاد الولد يعني اثنا عشر قبيلة من اثني عشر ولدا من أولاد يعقوب ولما ذكر
أهم جماعة كثيرة بين نعمته عليهم في مشرهم وما كلهم فقال وأوحينا/١٢ وجيز.

(٤) التي وقعوا فيه لذنهم كما مر / ١٢ وجيز.

(٥) أمما؛ لأن كل سبط كان جماعة كثيرة العدد وكانوا مختلفي الآراء يؤم بعضهم غير ما
يؤمه الآخر، وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب قال: افتقرت بنو
إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، وافتقرت النصارى بعد
عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة ولتفترق هذه الأمة على ثلاث

معه كما مر ذكره في سورة البقرة ﴿فَاتَّبَعْتُمْ﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل قبيلة ﴿مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لدفع حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ شيء كالترنجبين ﴿وَوَالسَّلْوَى﴾ طير كالسماني وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ما رجع ضر كفران نعمه إلينا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون أنفسهم ووبال فعلهم راجع إليهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ^(١)﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: مغفرة يعني استغفروا أو أقروا بالذنب أو احطط عنا الخطايا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب البلد ﴿سُجَّدًا﴾ شكرًا لله تعالى على الفتح والإنقاذ من التيه ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابًا وهو استئناف^(٢) ولم يأت بالعطف إشعارًا على أنه تفضل محض ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بدلوا بحطة حنطة استهزاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا مقدرًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بسبب ظلمهم.

= وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فأما اليهود فإن الله يقول: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" فهذه التي تنحوا وأما النصارى فإن الله يقول: "منهم أمة مقتصدة" (المائدة: ٦٦)، فهذه التي تنحو وأما نحن فيقول: "ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف: ١٨١)، فهذه التي تنحو من هذه الأمة وقد قدمنا أن زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة/١٢فتح.

(١) بيت المقدس وقد مر في سورة البقرة بتغييرات في الألفاظ من غير تناقض/١٢ وحيز.

(٢) كأن سأل سائلًا ماذا بعد الغفران لهم؟ فقال: ستريد المحسنين، ولو أتى بالواو لدل على أن زيادة الثواب جزاء لدخولهم الباب سجدةً ومقابل له/١٢منه.

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٥﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٧٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمَاً مِّنْهُمْ الَّذِينَ صَلَّحُوا وَمِنْهُمْ ذُرِّيَّةٌ ذَلِيلٌ وَيَلِدْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُعْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّا شَقَّ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٨١﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾

﴿وَأَسْأَلُهُمْ﴾ أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: خبر أهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قرية منه، وهي أيلة بين مدين والطور ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ بدل من اشتغال القرية أو ظرف كانت أو حاضرة،

ومعناه يتجاوزون حدود الله يوم السبت **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَائِهِمْ﴾** ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل **﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾** أي: يوم تعظيمهم أمر السبت من سبت اليهود إذا عظمت سبتها بالتحرد للعبادة **﴿شُرْعًا﴾** ظاهرة على الماء حال من الحيتان **﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾** لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت **﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾** مثل ذلك الامتحان التام **﴿نَبَلُوهُمْ﴾** نخبهم بإظهار السمك في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائها في اليوم الحلال لهم **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾** عطف على إذ يعدون **﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾** أي: فرقة من أهل القرية فإنهم ثلاث فرق: فرقة ارتكبوا الخطيئة، وفرقة ناهية، وفرقة سكتوا فما ارتكبوا وما هوههم، فقالت الفرقة الساكئة للناهية: **﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾** فإنهم علموا لكثرة عدم نفع الموعظة أنها لا تنفع لا محالة استحقوا سخط الله تعالى **﴿قَالُوا﴾** أي: الفرقة الناهية مبيها لهم هذه **﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾** حتى لا ننسب إلى تفریط في النهي عن المنكر، ومن قرأ بالنصب فتقديره وعظناهم معذرة **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** عن الاصطياد في السبت فلا نياس من أن تدركهم الرحمة **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** تركوا ترك الناسي **﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** خالفوا أمرنا **﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ شَدِيدٍ﴾** ^(١) **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** بسبب فسقهم والأصح أن

(١) والأصح لدلالة بعض الأحاديث واتفاق السلف أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاث ولم يبق منهم نسل والفرقة الساكئة الذين قالوا: لم تعظون ناجية أو مهلكة فيه خلاف، وكان ابن عباس متوقفاً ثم صرح بأنهم من الناجين وفي القرآن إشارة إلى أنهم كانوا وعظوهم أولاً ثم سكتوا حين علموا ألا نفع للوعظ ولما ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصائهم أخبر أنه حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة فقال: "وإذ تأذن" ١٢/١٠٢ وحيز.

الفرقة المرتكبة دون غيرهم صاروا قردة والفرقتين الآخرين نجوا وعند بعضهم أن الفرقة الساكنة أيضاً مسخوا ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهَوَّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾ عن بعض السلف أنهم سمعوا منادياً قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذليلين أو المراد من أمرهم سرعة التكوين وأهم صاروا كذلك لا حقيقة الأمر والأصح أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاثة أيام ولم يبق منهم نسل، والعذاب البئيس هو المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل^(١) للأولى.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلم أو قال أو أمر وحكم ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود وأجرى تأذن كعلم الله وشهد الله مجرى القسم ولذلك أجيب بقوله ليعثن ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أوجب الله على نفسه ليسلطن عليهم من يعذبهم بضرب الجزية والإهانة وسيي النساء إلى آخر الدهر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على من تاب وأناب ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ فرقناهم في البلاد فلا تجتمع كلمتهم مفعول ثلث؛ لأن القطع بمعنى التصيير ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ صفة أمم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾^(٢) منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَّوْنَا لَهُمُ﴾ امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما كانوا فيه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح والطيح ﴿خَلَفٌ﴾ والخلف بسكون العين البدل السوء ﴿وَوَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذه الدنيا الحقير كالرشوة في تبديل حكم الله والجملة حال من فاعل ورثوا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

(١) يعني لقوله: "وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس" وقيل المسخ معنوي لا صوري والعذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولاً ثم كان المسخ آخرًا/١منه.

(٢) فدون مرفوع بأنه صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ ومنهم خيره/١٢منه.

لَنَا ﴿الْفِعْلُ مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ ﴿وَأِنْ يَأْتِيهِمْ عَرْضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أَي: يَرْجُونَ
 الْمَغْفِرَةَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مَصْرُونَ عَلَى الذَّنْبِ عَائِدُونَ عَلَى مِثْلِهِ. عَنِ السَّدِيِّ كَانَ بَعْضُهُمْ
 يَطْعَنُ فِي حُكْمِهِمْ بِأَخْذِ الرِّشْوَةِ فَإِذَا جَعَلَ مَكَانَ حَاكِمِهِمْ مَنْ يَطْعَنُ بِأَخْذِ الرِّشْوَةِ هُوَ
 أَيْضًا يَأْخُذُ فَحَاصِلُهُ وَإِنْ يَأْتِ الْآخَرِينَ عَرْضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴿أَلَمْ﴾ ^(١) يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ
 مِيثَاقُ الْكِتَابِ ﴿أَي: فِي التَّوْرَةِ ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ أَي: بَأَنْ لَا يَقُولُوا أَوْ عَطْفٌ بِيَانِ
 لِمِيثَاقِ ﴿عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ^(٢) وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴿فَهُمْ ذَاكِرُونَ لِهَذَا الْمِيثَاقِ عَطْفٌ عَلَى
 أَلَمْ يَأْخُذْ ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْمَعَاصِي لَا لِلَّذِينَ يَخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ
 تَعَالَى فَإِنْ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فَيَعْلَمُوا ذَلِكَ وَيُرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ
 ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ اعْتَصَمُوا بِكِتَابِهِمْ فَأَمَّنُوا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ﴾ خَيْرَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ^(٣)
 أَي: أَجْرَهُمْ لِإِصْلَاحِهِمْ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ رَفَعْنَا ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ الظِّلَّةُ: كُلُّ
 مَا أَظْلَكَ ﴿وَوَظَّنُوا﴾ تَيَقَّنُوا ﴿أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ﴾ سَاقَطَ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا وَقَلْنَا
 لَهُمْ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ فِي الْعَمَلِ بِهِ ﴿وَإِذْ كُرُوا
 مَا فِيهِ﴾ فَاعْمَلُوا بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كَيْ تَتَّقُوا عَنِ الْقَبَائِحِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَبَوْا
 قَبُولَ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ فَرَفَعَ الطُّورَ فَوْقَهُمْ وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ قَبِلْتُمْ وَإِلَّا لَيَقَعَنَّ عَلَيْهِمْ فَسَجَدُوا
 وَقَبَلُوا.

(١) أَي: أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ وَدَرَسُوا وَلَيْسَ مِنَ الْعَطْفِ الْإِجْبَارُ عَلَى الْإِنْشَاءِ؛ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ

لِلْإِنْكَارِ لَا لِمَحْضِ الْاسْتِفْهَامِ/١٢ مِنْهُ.

(٢) اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطَعُ الْبِتَّةِ/١٢ مِنْهُ.

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ وَضْعِ الْمَظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَلِذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَمِيرِ الْمَبْتَدَأِ

فَإِنَّ الْمُصْلِحِينَ هُمُ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ وَجَازَ أَنْ يَكُونَ وَالَّذِينَ عَطَفْنَا عَلَى الَّذِينَ

يَتَّقُونَ وَقَوْلُهُ إِنَّا لَا نَضِيعُ اعْتِرَاضٌ/١٢ مِنْهُ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٩﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٨٠﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٨١﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٨٢﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨٣﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء^(١) في

(١) والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وموقوفاً على غير واحد من

الترتيب **﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾** أشهد بعضهم على بعض **﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾**^(١) قال بعضهم: شهدنا قول الملائكة لا قول بني آدم وهو أنه قال الله تعالى للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا شهدنا **﴿أَنْ تَقُولُوا﴾** أي: كراهة أن تقولوا **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾** أي: عن إنك ربنا **﴿غَافِلِينَ﴾** لم ننبه عليه ولذلك نصبتنا الأدلة على الربوبية وأرسلنا الرسل بذكرهم العهد فلا يكون لهم عذر **﴿أَوْ تَقُولُوا﴾** عطف على أن تقولوا **﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾** قبل زماننا **﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** فاعتدنا بهم **﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** الآباء المبطلون بتأسيس الشرك. اعلم أن الأحاديث الصحاح الدالة على أن الله استخراج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه رهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس^(*) وابن عمر^(**) -رضي الله عنهم- كما حققه الثقات من المحدثين

= الصحابة ولا ملحق للمصير إلى المحاز وإذا جاء نمر الله بطل نمر معقل/١٢ف، واختلف الناس في كيفية الاستخراج على أقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كما ورد في الصحيح قال المقبل في الأبحاث ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك/١٢فتح.

(١) أي: على أنفسنا بأنك ربنا واختلفوا في الإجابة هذه كيف كانت أحابوا بلسان المقال أم أحابوه بلسان الحال والظاهر الأول، ونكل علم كيفيتها إلى الله سبحانه/١٢فتح، والظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم، وأما أن الأرواح أين رجعت بعد رد الذريات إلى ظهره فهذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر بأكثر من أن يقال: رجعت كما كانت عليه قبل حلولها في الذرات والحق أن كل ما لم يرد فيه نص من كتاب والسنة فإطوائه على غرة أولى وترك الخوض فيه أحرى/١٢فتح.

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٥٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير واللالكائي في "السنة"

(**) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٦١) وعزاه إلى ابن جرير وابن منده في "كتاب الرد على الجهمية".

ووافقهما أكثر السلف والخلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم وقال بعض السلف والخلف^(١): المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد ولظهورها صارت بمنزلة أنه قيل لهم: "ألمست بربكم قالوا بلى" وأنت تعلم أن ابن عباس حبر الأمة وأعلم الناس بمعاني القرآن^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿نَفَصَلُ الْآيَاتِ﴾ لفوائد جملة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا عن اتباع الأصل.

﴿وَأَنْتَلُ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن أعرض وكفر ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ لحقه وأدركه ﴿فَكَانَ مِنْ

(١) اعلم أن المتأخرين عدلوا عن تفسير الصحابة وعن ما يدل عليه الأحاديث الذي لا يمكن رده وعن ظاهر القرآن لشيعتين: الأولى أن لو كان المراد ما قالوا لكان المناسب أن يقال: وإذا أخذ ربك من آدم من ظهره الثاني: أنه تعالى جعل علة أخذ العهد هي أن لا يقولوا في القيامة إنا غافلون عن ربوبيتك وإذا كان كذلك فالواجب أن لا ينسيهم الله هذا العهد حتى يكون له فائدة، وإلا فهو كأن لم يكن وقد أشرنا إلى دفع الإشكال الثاني بقولنا ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية. إلخ فلا تغفل. وأما الجواب عن الأول فهو أن الله أخرج من نفس آدم أولاده الذين من صلبه ثم من أولاده أولادهم وهكذا إلى أن أخرج جميع بني آدم فأخذ منهم الميثاق ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم وهل لمؤمن أن يعتقد تضييقاً في قدرة الله تعالى ففي الصحيحين أنه يقال لرجل من أهل النار: أرأيت لو كان لك جميع الدنيا أكنت مفتدياً به يقول: نعم فيقال: قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت أن لا تشرك بي/١٢ منه.

(٢) مع أن التمثيل يمثل تلك العبارة والحكاية لم يقع في كلام الله ولا في كلام البلغاء/١٢ وحيز.

(٣) ولما ذكر لأهل الكتاب الميثاق الخاص الذي في كتابهم واتبعته الميثاق العام لهم ولغيرهم أمر نبيه أن يتلو عليهم حال من انسلخ من الميثاقين كيف أسقطه من ديوان

الْقَاوِينَ ﴿١﴾ صار من الضالين^(١) هو رجل من بني إسرائيل والأكثرين على أنه^(٢) بلعم بن باعوراء* ﴿٣﴾ عالم باسم الله الأعظم سألوا عنه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى^(٣) ثم ألحوا فألحوا وجاءوه بالرشوة فقبل فدعا عليهم فقبل الله ثم دعا موسى عليه فترع عنه الإيمان والاسم الأعظم، وقال بعضهم: ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم: أخرجوا النساء تستقبلهم فعسى أن يزونا ففعلوا فوق واحد من بني إسرائيل في الزنا فزل عليهم الطاعون فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحسب من هلك في الطاعون في ساعة من النهار فوجدوا سبعين ألفاً ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا وزخارفها فإن جميع زخارفها من الأرض ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في أخذ الرشوة والإعراض عن أمر الله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أحسن أحواله وهو ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ إن شد عليه فطرد ﴿يَلْهَثُ﴾^(٤) هو إخراج الكلب اللسان ﴿أَوْ تَتْرَكْهُ﴾ غير متعرض له بالزجر ﴿يَلْهَثُ﴾ قد نقل: إن بلعم لما دعا عليهم اندلع لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب أو مثله في أنه إن وعظته أو تركته فهو على

= السعداء بعد أن كان معدوداً في زمرة الأبرار الأخيار فقال: "واتل عليهم" الآية ١٢/ وجيز.

(١) بعد أن كان من الهادين المهديين/١٢ وجيز.

(٢) صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقد صح عن عبدالله بن عمر أن المراد منه أمية بن أبي الصلت فقيل مراد ابن عمر أنه يشبهه في كثرة علمه وتلقيه كتب الأوائل ومع ذلك إلى موالة المشركين ومناصرهم/١٢ منه.

(٥) وفي حاشية النسخة: رجل كنعاني/ ١٢ وجيز.

(٣) كذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم/١٢ منه.

(٤) اللهث التنفس بسرعة وتحرك أطراف الفم مع امتداد اللسان/١٢ وجيز.

الضلال كالكلب في لهثته في الحالتين أو إن قلب الكافر ضعيف كالكلب فإن لهث الكلب من ضعف قلبه ولا يلهث سائر الحيوان إلا في حال إعياء أو عطش ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾^(١) المذكور على اليهود أو على كفار مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلموا أنها شابهت قصتهم وحالهم فيتعظوا^(٢) ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي: مثل القوم على حذف المضاف ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فتقدم المفعول للتخصيص ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ والاهتداء من أعظم الصفات ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والإفراد في الأول والجمع في الثاني إشارة إلى أن طريق الهدى واحد فهم كرجل واحد وأنواع الضلال مختلفة متكررة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾^(٣) ﴿حَلَقْنَا﴾ ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ اللام للعاقبة ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهم الذين حقت عليهم كلمة الشقاوة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: لا يتفهمون بشيء من هذه الجوارح التي خلقها الله للاهتداء ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم فقه معرفة الحق والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبير بل صرفوا مشاعرهم وقصروها في أسباب التعيش ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإن الدواب تفعل ما خلقت له إما بالطبع وإما بالتسخير وترتدع عن مضارها بخلاف الكافر فإنه خلق ليعبد الله وهو يعبد الشيطان ويعلم بعضهم أنه يضره ويرتكبه عنادًا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أشد غفلة لا

(١) أي: القصة المذكورة عليهم/١٢.

(٢) فإن الله تعالى أعطاهم النعم ما لم يعط أحدًا ميزهم بالعلم وأنزل عليهم الكتب وجعل فيهم الأنبياء فيعرفون محمدًا كما يعرفون أبناءهم فلو مالوا إلى الأرض لأحل الله عليهم ذل الدنيا والآخرة/١٢ منه.

(٣) ولما علم من القصص أن أكثر الخلق هالك صرح بذلك مقسمًا؛ لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان أضل من البهائم قال "ولقد ذرأنا" الآية/١٢ وحيز.

غفلة بعد ﴿وَلِلَّهِ﴾ (١) الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٢) هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني وليست منحصرة في التسعة والتسعين (٣) ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ سموه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُوا﴾ (٤)

(١) ولما ذكر حكاية بلعم وهو كان عالماً بالاسم الأعظم ثم بين لنا علامة من هو مخلوق لجهنم وختم بكمال غفلتهم نبهنا أن لا نكون من الغافلين فقال: "ولله الأسماء الحسنى" ١٢/.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث يعني حديث الترمذي الذي سرد فيه الأسماء وأنهم جمعوها من القرآن/١٢فتح.

(٣) كما ورد: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" ١٢/ وجزء، ومنه الحديث رواه أحمد في مسنده وأخرج أبو حاتم وابن حبان في صحيحه بمثله ١٢فتح. [وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٣٤١٢): إسناده صحيح].

(٤) قوله تعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائهم" من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة والمتكلمين المتفلسفين الذين يجعلون الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني تخالف لغة العرب وتناقض ثبوت الصفات فهؤلاء عمدوا إلى لفظ الغنى والقدم والواجب بنفسه فصاروا يجعلونها تدل على معاني وتستلزم معاني تناقض شيء من الصفات وتوسع في التعبير ثم ظنوا أن هذا الذي فعلوه موجب الأدلة غلط منهم فموجب الأدلة العقلية لا تتلقى عن مجرد التعبير وموجب الأدلة السمعية تتلقى من عرف التكلم بالخطاب لا من الوضع للأحداث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني بل هذا من فعل أهل الإلحاد المقترين، فإن هؤلاء عمدوا إلى معاني ظنوها ثابتة فجعلوها هي معنى الوحدة والوجوب والغنى والقدم ونفي المثل، ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغني ونحو ذلك من نفي المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء، وهذا من أعظم الافتراء على الله وكذلك فعل من فعل

= بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبويه وبقراط؛ لفسد ما ذكروه من النحو والطب ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، لفسد العلم بذلك ولكان ملبوساً عليهم فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألدوا في أسماء الله وآياته ومن شركهم في بعض ذلك مثل قول من يقول: الواحد هو الذي لا ينقسم ومعنى قوله لا ينقسم أي: لا يتميز منه شيء عن شيء ويقول: لا تقوم به صفة ثم زعموا أن الأحد والواحد في القرآن يراد به هذا ومعلوم أن كل ما في القرآن من اسم الواحد والأحد كقوله تعالى: "وإن كانت واحدة فلها النصف" (النساء: ١١)، وقوله: "قالت إحداهما يا أبت استأجره" (القصص: ٢٦)، وقوله: "ولم يكن كفواً أحد" (الإخلاص: ٤)، وقوله: "وإن أحد من المشركين استجارك" (التوبة: ٦)، وقوله: "ذري ومن خلقت وحيداً" (المدثر: ١١)، وأمثال ذلك يناقض ما ذكروه فإن هذه الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه يتميز منه شيء عن شيء وهو الذي يسمونه في اصطلاحهم جسمًا، وكذلك إذا قالوا الموصوفات تماثل أو الأجسام تماثل أو الجواهر تماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثل شيء" (الشورى: ١١)، على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراء على القرآن فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب لا لغة القرآن ولا غيرها، قال تعالى: "وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" (محمد: ٣٨)، نفى مماثلة هؤلاء هؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال: إن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثل لكل ما يشار إليه وقال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد" (الفجر: ٨، ٧)، فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال، إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب حتى يحمل على ذلك قوله "ليس كمثل شيء" وقد قال شاعر العرب:

ليس كمثل الفتى زهير.

وقال الآخر: ما إن كمثلهم في الناس من بشر

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ذُرُوهُمْ وَإِلْحَادِهِمْ فِيهَا بِإِطْلَاقِهَا عَلَى آهْتِهِمْ بِزِيَادَةِ
وَتَقْصَانِ كَاللَّاتِ مِنَ اللَّهِ وَالْمَنَاتِ مِنَ الْمَنَانِ وَالْعَزَى مِنَ الْعَزِيزِ وَقِيلَ الْإِلْحَادُ فِيهَا تَسْمِيَتُهُ
بِمَا لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السَّنَةِ كَمَا سَخِي وَيَا مَكَارَ، وَيَا عَاقِلَ ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْإِلْحَادِ ﴿وَمِمَّنْ﴾ (١) خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ يَقُولُونَهُ وَيَدْعُونَ
إِلَيْهِ ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يَعْمَلُونَ وَيَقْضُونَ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ وَهَذِهِ صِفَةٌ مِنْ ذُرَاً لِلْحَنَّةِ كَمَا وَصَفَ مِنْ ذُرَاً لِحَنَمِهِ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِكَيْبَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأَمَلَى لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ مَنْ يُضَلِّلِ
اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مَرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلْتِ فِي

= ولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام، وكذلك لفظ التشابه ليس هو
التمثيل في اللغة قال تعالى: "وأتوا به متشابهاً" (البقرة: ٢٥)، وقال تعالى: "متشابهاً وغير
متشابه" (الأنعام: ١٤١)، ولم يرد به شيئاً هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون
الجواهر متماثلاً في العقل أو ليست متماثلة فإن هذا مبسوط في موضعه، بل المراد أن
أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجباً لإطلاق اسم المثل ولا يجعلون
نفي المثل نفيًا لهذا فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن/١٢، هذا ما قاله شيخ
الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام قدس الله روحه في بعض رسائله.
(١) ولما قال: "ولقد ذرأنا لجنهم" قال في مقابله: "ومن خلقنا أمة يهدون" الآية/١٢
وجيز.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعَثُهُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا
 عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا
 وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
 مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٨﴾ * ﴿

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقرهم إلى الهلاك والعذاب قليلا قليلا ﴿مِنْ
 حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كلما جددوا معصية جددنا لهم وأسبغنا عليهم النعم ونسبهم
 الشكر والاستدراج^(١) الاستصعاد أو الاستتال درجة درجة ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم
 ليزدادوا ضلالا بعد ضلال ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾^(٢) مَتِينٌ مكري شديد ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾^(٣)
 فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾^(٤) جنون
 نزلت^(٥) حين علا عليه الصلاة والسلام الصفا فدعاهم يحذر فقال قائل منهم: إن
 صاحبكم مجنون بات يهوت إلى الصباح ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنذاره ﴿أَوْلَمْ
 يَنْظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل

(١) من الدرجة وذلك؛ لأن الراقي والنازل يرقى ويترل مرعاة مرعاة/١٢ منه.

(٢) ولذلك لما قيل لحكيم فلان عدوك قال: اللهم طول عمره وزد ماله، ولما أمر في هذه
 السورة بالتوحيد، وعن مرة: عندهم الأمر بترك الطريقة القديمة مجنون سيما إذا قال
 كثرة النعمة وطول العمر مصيبة أمر بتفكرهم في أن يعلموا أنه ليس بمجنون فقال: "أو
 لم يتفكروا"/١٢ وجزير.

(٣) في الاستفهام معنى التحريض مع شيء من التوبيخ/١٢ وجزير.

(٤) حاصله أو لم يعملوا الفكر ليعلموا ما بصاحبهم من جنة وعدم إعمال الفكر في الأمور
 علامة الجنون سيما إذا انضم إليه التكلم بقضية ظاهر نقيضها على كل عاقل/١٢ وجزير.

(٥) قاله قتادة/١٢.

عجائبها والتاء فيه للمبالغة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما يقع عليه اسما لشيء ففي كل شيء له آية ﴿وَأَنَّ﴾ أي: أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم ليسارعوا إلى ما ينجيهم من العذاب واسم كان ضمير الشأن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إن لم يؤمنوا به وليس بعد هذا البيان حديث آخر ينتظر وروده ليؤمنوا به ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ حال من هم ومن قرأ ويذرهم بالياء والجزم فعطل على محل فلا هادي.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ^(١) عَنِ السَّاعَةِ أَي: القيامة ﴿أَيَانَ مُرْسَاهَا﴾ ^(٢) متى يكون، وأي وقت إنباتها؟ نزلت في قريش يسألون وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو أي: الخفاء به مستمر إلى وقت الوقوع واللام للتأنيث كقولهم كتب لثلاث من رجب ﴿تُقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عظمت وشقت ^(٣) على أهل السماوات والأرض هوها أو ثقلت ^(٤) عليهما عند الوقوع حتى انشقت واهدمت، أو نزل ^(٥) علمها وخفاؤها على أهلها وعلى الوجه كلمة في استعارة منبهة على تمكن الثقل، أو معناه خفيت في السماوات والأرض لا يعلمها شيء وكل خفي ثقيل ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَةٌ﴾ فجأة على غفلة ونصبه على المصدر فإنما نوع من الإتيان ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بما

(١) ولما قال قد اقترب أجلهم وما هذا إلا تخويفهم من الساعة فقد سألوا منها فقال:

"يسألونك" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) رُسُوُ الشَّيْءِ ثَبَاتُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ/ ١٢ منه.

(٣) نقله ابن جرير عن ابن عباس واختاره من بين الأقوال/ ١٢ منه.

(٤) قول ابن عباس وابن جريح/ ١٢.

(٥) قاله ابن نجيح والضحاك وقد روى عن ابن عباس/ ١٢ منه.

من حفي^(١) عن الشيء بالغ في السؤال عنه، والمبالغة في السؤال مستلزم للعلم أطلق الحفي وأريد العالم، أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت، أو عنها متعلق بيسألونك أي: يسألونك عنها كأنك شفيق بهم من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشاً^(٢) قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة، وكأنك في موقع الحال أي: مشبهها حالك بحال الحفي **﴿قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** لا يطلع عليه أحد كرهه تأكيداً **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أن علمها^(٣) مختص بالله **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾** أي: جلب نفع ولا دفع ضرر **﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾**^(٤) الله أي: لكن ما شاء يصل فمنتقطع أو إلا نفعاً وضرراً يملكني الله ويوفقي به فمتصل **﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾** أي: لكانت حالي من استكثار الخير واستفراز^(٥) المنافع واجتناب السوء على خلاف ما هي عليه، فلم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى، ورايحاً وخاسراً في التجارة **﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** أي: إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة لهم فإنهم المتنفعون بهما، أو ما أنا إلا نذير

(١) الأول أن حفي مجاز عن العلم والوجه الثاني أنه مستعمل في معناه الحقيقي فلا تغفل/١٢ منه.

(٢) رواه قتادة وغيره/١٢.

(٣) لما اختص علم الساعة بأنه لا يعلمها إلا هو ربما ظن ظان أنه -صلى الله عليه وسلم- عالم بما لما يلقي إليه من الغيب فرفع الظن وقال: "قل لا أملك" الآية/١٢ وجيز.

(٤) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالماليك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني/١٢ مدارك، وهو إظهار للعبودية والتبرء عن ادعاء العلم بالغيوب/١٢ بيبضاوي.

(٥) الاستكثار/١٢ منه.

للكافرين وبشير للمؤمنين فمتعلق النذير محذوف، ونزلت حين قالت قريش: ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشترى وتربح والأرض التي تريد أن تجذب فترتلح^(١) إلى المخصصة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ آدَعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿٣٧﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَلَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٠﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ

(١) ولما ذكر من أول السورة إلى هذه الآية التي هي قريب من آخرها القصص والأمثال والأحكام في المهتدين والضالين وكل من القسمين أصناف مختلف بعضهم في ثبوت ورسوخ من حالهم وبعضهم في تزلزل وتقلب أخذ يبين أن هذا تقدير خالقكم من ابتداء خلقكم ولذلك يكون إلى الانتهاء فقال: "هو الذي" ١٢/ وحيز.

الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
 مُبْصِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا لَمْ
 تَأْتِهِمْ بَيَّاتَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا
 بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا
 وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٣٨﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق من ضلع
 آدم حواء ﴿لِيَسْكُنَ﴾ ليطمئن ﴿إِلَيْهَا﴾ ويأنس بها فإنها جزءه ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها
 ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ عليها يعني النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ استمرت به أو قامت
 وقعدت بالحمل لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل لكبير الولد ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا
 لَئِن آتَيْنَا صَالِحًا﴾ بشرا سوياً فإنهما أشفقا أن يكون بهيمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الشَّاكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(١) فِيمَا آتَاهُمَا ﴿لَمَّا حَمَلَتْ
 حواء جاءها إبليس في غير صورته وقال: هذا الذي في بطنك ربما يكون بهيمة، وهل
 تدري من أين يخرج فخوفها مراراً كثيرة ثم قال: لي عند الله منزلة وإن دعوت أن يخرج
 سالماً سوياً أتسميه عبدالحارث وهذا اسم إبليس في الملائكة، فلم يزل بها حتى غرها
 فسمته عبدالحارث بإذن من آدم ولم تعرف حواء أنه إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن

(١) قال قتادة أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة/١٢ الباب.

عباس -رضي الله عنهما- وكثير من السلف^(١) والخلف، وهذا ليس بشرك حقيقي لأثما ما اعتقدا أن الحارث ربه بل قصدا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركاً للتغليظ ويكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) فإن الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وعن الحسن البصري رحمه الله يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا، وعلى هذا تقدير الآية جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما فسموه عبدشمس وعبدمناف وغيرهما، فحذف المضاف وهو الأولاد وأقيم المضاف إليه مقامه، وقوله: "شركاء" و"تعالى الله عما يشركون" بلفظ الجمع^(٣) يدل عليه قيل معناه هو

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً يدل على ما نقلناه عن ابن عباس لكن في رواية الكل نوع ضعف هكذا قال المحدثون/١٢ منه وفي الفتح حسنه الترمذي وصححه الحاكم/١٢. [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن الترمذي"]
(٢) أي: شرك كان/١٢.

(٣) قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى متخالفة في المبني ولا يخلو كل واحد منها من بعد وضعف وتكلف بوجهه: الأول أن الحديث المرفوع المتقدم يدفعه وليس في واحد من تلكم الأقوال قول مرفوع حتى يعتمد عليه ويصير إليه بل هي تفاسير بالأراء المنهية عنها المتوعد عليها. الثاني: أن فيه انخرام نظم الكلام سياقاً وسباقاً. الثالث: أن الحديث صرح بأن صاحبة القصة هي حواء وقوله: "جعل منها زوجها" إنما هو لحواء دون غيرها، والقصة ثابتة ولا وجه لإنكارها بالرأي محض. الرابع: إن الحديث ليس فيه إلا ذكر حواء وكان هذا شركاً منها في التسمية، ولم يكن شركاً في العبادة، قيل: والشرك في التسمية أهون قلت: وفيه بعد ظاهر؛ لأن الله تعالى ساق آيات التشنيع عليها وهو شرك وإن لم يكن في العبادة، وما قيل إنها إنما قصدت أن الحارث كان سبب نجاته الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه فهو

الذي خلق آل قصي وهم قريش من نفس واحدة وهو قصي فجعل من جنسها زوجها عربية قرشية فلما آتاها صالحا جعل له شركاء حيث سما أولادهما الأربعة بعبد المناف وعبد العزي وعبد القصي وعبد الدار وقيل تم الكلام عند قوله آتاها ثم ذكر كفار مكة فقال: "تعالى الله عما يشركون" **﴿أَيْشُرِكُونَ﴾** ابتداء كلام وإنكار على المشركين **﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾** كالأصنام **﴿وَهُمْ يُخْلُقُونَ﴾** مخلوقون لله جيء بضمير العاقلين بناء على اعتقادهم وتسميتهم إلهها **﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾** لعبادهم **﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾** لا يقدرُونَ على دفع مكروه كمن أراد كسرهم **﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ﴾** أي: الأصنام أو المشركين **﴿إِلَى الْهُدَى﴾** إلى أن يهدوكم أو إلى الإسلام **﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾** إلى مرادكم ولا يجيبوكم **﴿سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾** أي: سواء إحدائكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم فإن الكفار إذا نزل عليهم أمر دعوا^(١) الله تعالى دون الأصنام.

= خطأ؛ لأن الأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني، وكان اسم أبي بكر الصديق في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي -صلى الله عليه وسلم- سماهما صديقاً وعبد الرحمن وما قيل: إنها سمته بعبدالحارث بإذن من آدم فهذا يحتاج إلى دليل يدل عليه ويصح وأن له الدليل ولعلها سمته بغير إذن منه ثم ثابت من ذلك والحاصل أن ما وقع إنما وقع من حواء لا من آدم عليه السلام، ولم يشرك آدم قط وعلى هذا في الآية إشكال والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعاً للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى والذي ذكره في تأويل هذه الآية الكريمة يرده كله ظاهر الكتاب والسنة كما تقدم وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله أعلم/١٢فتح.

(١) فعادتهم المستمرة وطبيعتهم أنهم صامتون عن دعوة أصنامهم وليست دعوة الأصنام إلا بحسب هواهم المحدث لأجل بيان هذه الفائدة عدل إلى الجملة الاسمية فقال: "أم أنتم

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدوهم **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: الأصنام **﴿عِبَادَ أَمْثَالِكُمْ﴾**
 مملوكون مسخرون **﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾** أي: لا يقدرון على إنجاح سؤال
 سائل **﴿إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** إلهم آلهة **﴿اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾** هذا بيان لقصور
 معبودهم عن عبادهم كأنه قال: عباد أمثالكم بل أنتم أكمل **﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ**
بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ﴾ يا محمد **﴿ادْعُوا**
شُرَكَاءَكُمْ﴾ في عداوتي **﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾** ثم بالغوا أنتم وشركاؤكم في مكروهي **﴿فَلَا**
تَنْظُرُونَ﴾ لا تمهلوني فإني لا أعبأ بكم **﴿إِنَّ وِلْيَیَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾** القرآن
﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يلي أمرهم وينصرهم **﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾** دون
 الله **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾** فكيف أخاف ذاك العابد وذاك
 المعبود **﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾** الأصنام **﴿إِلَى الْهُدَى﴾** أي: ما هو صلاحهم أو إلى أن
 يهدوكم **﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾** أي: كأنهم ينظرون فإنهم نحتوها
 مصورين بالعين والأنف والأذن **﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** لأنهم لا يقدرון إيجاد النور في
 أعين أصنامهم أو ضمير تدعوهم وتراهم إلى المشركين لقوله تعالى: "صم بكم
 عمي" (البقرة: ١٨) **﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾** من أخلاق الناس من غير تجسس كقبول أعدارهم
 والمساهلة معهم وقد ورد^(١) أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا
 جبريل قال: إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من

= صامتون" ولم يقل أم صمتم كأنه قيل لم يفرق الحال بين إحداثكم دعائهم وبين ما أنتم
 عليه من عادة صمتكم عن دعائهم عند الحاجة والشدائد ١٢ منه ووجيز.

(١) رواه ابن مردويه عن سعد بن عباد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى ابن جرير
 وابن أبي حاتم مرسلًا ١٢ منه. [وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٢٨٠) وعزاه لابن
 أبي الدنيا وابن جرير ولين المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي].

قطعك" أو خذ الفضل وما تسهّل به من أموالهم وذلك قبل وجوب^(١) الزكاة **﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾** بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** لا تقابل السفه بالسفه **﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾** نزغه إذا طعنه وكان الشيطان يطعن حين يغري الناس إلى المعاصي وحاصله إذا عرض لك منه أدنى وسوسة تصدك عن الإعراض عن الجهال **﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾** فإنه الملجأ أو المنجى **﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾** بالدعاء **﴿عَلِيمٌ﴾** بالمصالح وبأحوال الناس **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** الكبائر **﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾** لمة ووسوسة من طاف به الخيال يطيف أو من طاف يطوف ومن قرأ طيف فهو مصدر، أو تخفيف طيف كلين من لان يلين أو كهين من هان يهون **﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾** وعيد الله ووعده **﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾** مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فأنابوا لا كالكفار العمي **﴿وَأِخْوَانُهُمْ﴾** أي: الكفرة فإنهم إخوان^(٢) الشياطين وأتى بضمير الجمع للشيطان؛ لأن المراد منه الجنس **﴿يُمَدُّوهُمْ﴾** ضمير الفاعل للشياطين أي: يكون الشياطين مددًا لهم **﴿فِي الْغِيِّ﴾** أو المراد من الإخوان الشياطين وضمير إخوانهم للجاهلين أي: شياطينهم يكونون مددًا لهم **﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾** لا يمسكون على إغوائهم، أو الضمير للكفرة أي: لا يكفون عن الغي أو الضمير للكفرة^(٣) والشياطين جميعًا أي لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ﴾** من القرآن أو معجزة اقترحوها **﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾** اختلفتها من قبل نفسك قيل: كانوا يسألون الآيات تعنتًا فإذا تأخرت أهموه وقالوا لولا اجتبيتها وأنشأها من نفسك، أو معناها لم لا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله

(١) فإنه لما نزلت أمر أن يأخذهم بما طوعًا وكرها/١٢ منه.

(٢) قال الله تعالى: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"/١٢ منه.

(٣) هو قول ابن عباس والسدي /١٢.

تعالى حتى نراها ونؤمن بها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمخترق أو إن منعها لا أسأله إلا بإذنه ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ للقلوب بما تبصر الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فلو كان لكم بصيرة لكفاكم القرآن آية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(١) لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة^(٢) أو ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها ولاشك أنه يستحب

(١) أي عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الإمام في الجهرية للإجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر في غير الصلاة مع أن الإمام ملأوم بالسكوت وقت قراءة المأموم/١٢ تبصير الرحمن.

(٢) كذا قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وجماعة لا تحصى من السلف قال مجاهد: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وجمهير السلف أن المراد بذلك في الصلاة/١٢ منه، واختلف العلماء في القراءة خلف الإمام فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الأوزاعي وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة، ولا يقرأ فيما جهر الإمام فيه يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر الإمام يروى ذلك عن جابر وإليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام هذه الآية، وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية أن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام، فحملنا مدلول الآية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة، وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية قال: الآية واردة في غير الفاتحة؛ لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يفرق بين السرية والجهرية، قالوا: وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام فيتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة، ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل

الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أمر بذكره أول النهار وآخره ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرعًا ﴿وَوَحِيْفَةً﴾ خائفًا ﴿وَوَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

= عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال: صلى رسول الله صلى عليه وسلم الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: "أراكم تقرعون وراء إمامكم قال قلت: يا رسول الله أي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" أخرجه الترمذي بطوله وفي الصحيحين أقصر منه: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وروي مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج" يقولها ثلاثا غير تمام. فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام قال: اقرأ بها في نفسك/ لباب التأويل المعروف بالخازن. وقال الرازي لا حجة لمانعي القراءة في الآية لأن الخطاب فيها مع الكفار؛ لأنهم طلبوا معجزة فبين تعالى أن القرآن بصائر وهدى لو استمعوا له وأنصتوا حتى يفقهوا فصاحته وعلومه الكثيرة الدالة على صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- ولو قلنا إن المراد منه قراءة المأموم خلف الإمام لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلق بوجه من الوجوه، وانقطع النظم وحصل فساد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى فوجب أن يكون المراد منه شيئاً آخر سوى هذا الوجه، وعند هذا يسقط استدلال الخصوم بهذه الآية من كل الوجوه ومما يقوى أن حمل الآية على ما ذكرناه أولى وجوه: الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم قالوا: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (فصلت: ٢٦) فلما حكى عنهم ذلك ناسب أن يأمرهم بالاستماع والسكوت حتى يمكنهم الوقوف على ما في القرآن إلى آخر ما بين الوجوه وللقوم في المسألة كلام مشيع ورسائل متفرقة رداً وإثباتاً من شاء تفاصيل المسألة فليرجع إليها وذكر دلائل المسألة في هذا المقام أزيد مما بينا يوجب السامة ويشغل عن أصل المراد منه:

فدع عنك فها صييح في حجراته! وهات حديثاً ما حديث الرواحل/١٢.

وهو كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِالْعُدُوِّ﴾^(١) وَالْأَصَالِ ﴿بِهَذِينَ﴾^(٢) الوقتين لفضلهما ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكره وهذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء والآية مكية وأما حمل الآية على غير هذا المعنى فبعيد، ولا يساعده نقل سديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة المقربين ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يزهونه ﴿وَلَهُ﴾ لا لغيره ﴿يَسْجُدُونَ﴾ لا يشركون بالعبادة غير الله تعالى أي: هم مع كونهم آمنين من سوء العاقبة وعذابه متوجهون إلى الله تعالى دائماً فأنتم مع خوفكم تتمادون في الغفلة وتعدون غيره وهذه أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع.

والحمد لله حق حمده..

(١) الغدوة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والأصيل الوقت من بعد العصر إلى

المغرب/١٢فتح.

(٢) والغدو جمع الغدوة والأصال جمع أصيل العشاء/١٢.

فهرس سور المجلد الأول

٣	مقدمة التحقيق
٧	ترجمة المؤلف
١٠	ترجمة صاحب الحاشية
٢٢	الفاتحة
٢٥	البقرة
٢١٦	آل عمران
٣٢٨	النساء
٤٣٧	المائدة
٥١٤	الأنعام
٥٩٩	الأعراف